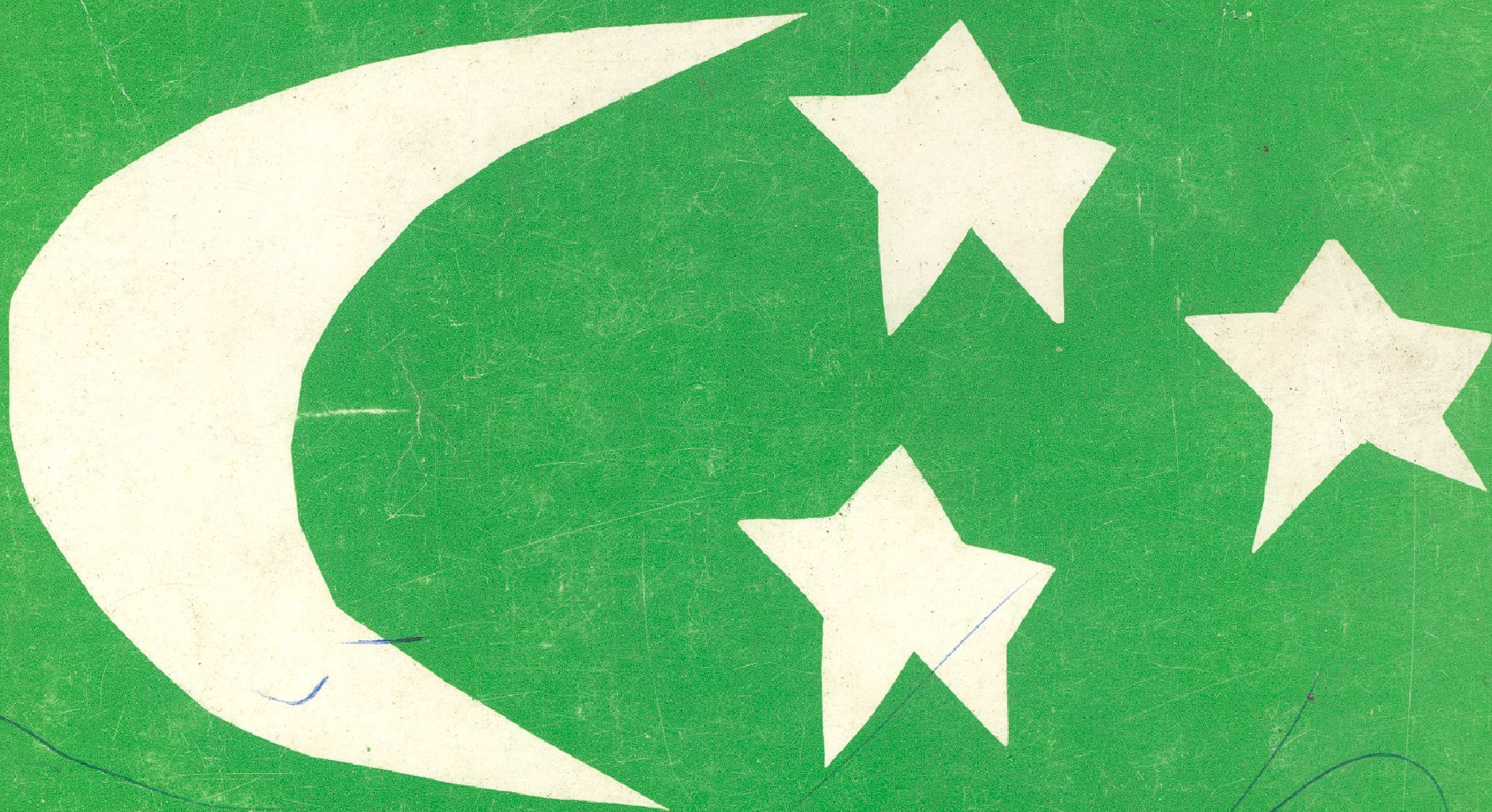
مصر
ونضالها من اجل الاستقلال
١٩٤٥ - ١٩٥٢



سيرانيان
اكاديمية العلوم السوفيتية
معهد الاستشراق

ترجمة د. عاطف عبد الهادي علام

مصر ونضالها من

أجل الاستقلال

١٩٤٥ – ١٩٥٢

الناشر

دار الثقافة الجديدة

٣٢ ش صبرى أبو علم ــ القاهرة

ت ٧٤٢٨٨٠

الفنان بهجت عثمان

غلاف : محمد [illegible]

دار الثقافة الجديدة

مصر ونضالها من أجل الاستقلال ١٩٤٥ - ١٩٥٢

سيرانيان
أكاديمية العلوم السوفيتية
معهد الإستشراق

ترجمة : دكتور عاطف عبد الهادى علام

بحث علمي يتناول فترة من اشـــد الفترات تلاطما بالحركة والتيارات المتصـــارعة فى تاريخ مصر ، والتى انتهت بثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ .

ويتصدر الكتاب فصل خاص يتناول بالدراســة والتحليل الاوضـــاع الاجتماعية والاقتصـــادية الســـائدة فى البلاد بعد الحرب العالمية الثانوية ، وتعقبه دراسة مستفيضة لنضـــال الشـــعب المصرى الباســـل من اجل الاســـتقلال .

تقديم الناشر

اهمية هذه الدراسة أنها تعالج فترة من اهم فترات التاريخ المصرى — فهى الفترة التى مهدت لقيام ثورة ٢٣ يوليو ، وبدون انجازات هذه الفترة ما كان لهذه الثورة أن تقوم .

ومع ذلك فان هناك مؤامرة لفرض ستار من الصمت والنسيان حولها وذلك من جانب قوى عديدة ، على رأسها طبعا قوى اليمين والرجعية التى تحاول بكل الطرق تشويه هذه المرحلة وتعمد اغفال الدور الهام الذى لعبه « اليسار المصرى » الذى تمثل فى « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ومن قبلها « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » و « منظمة اسكرا » التى تعاونت مع « اليسار الوفدى » الذى تمثل فى « الطليعة الوفدية » وغيرها من القوى اليسارية والمستنيرة داخل الحركة الوطنية المصرية . والدور نفسه يلعبه للاسف بعض الكتاب والمؤرخين الذى ينتسبون لثورة ٢٣ يوليو ، فقد حاولوا لمدة طويلة ايهام الرأى العام وتربية الشباب بمفهوم أن ثورة ٢٣ يوليو قامت من فراغ ، واغفال الدور الذى لعبته الحركة الثورية فى الاربعينات ، وبالذات دور « اليسار » ، أو التقليل من هذا الدور .

واهمية هذا الكتاب انه مكرس لتغطية هذه الفترة . صحيح أن هناك بعض الكتابات المصرية التى تتعرض أيضا لهذه السنوات . ومن أهمها تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢—١٩٥٦ الذى كتبه الشهيد شهدى عطية الشافعى ، والحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ لطارق البشرى .

وتأتى هذه الدراسة التى كتبها المستشرق الارمينى (السوفيتى) سيرانيان بعد الدراسة الاولى وقبل الثانية . ولكنها لم تترجم الى العربية الا بعد صدور الدراسة الثانية .

ويتسم كتاب سيرانيان بالجهد الكبير الجاد ، ويتضح ذلك من كمية المعلومات التى يشتمل عليها ، ومن عدد المراجع التى لجأ اليها والمذكورة فى نهاية الكتاب وكان سيرانيان حريصا ان يذكر فى كل موضع المرجع الذى رجع اليه .

ولم يكتف سيرانيان بالعرض العلمي الامين للأحداث ولكنه حرص على استخلاص النتائج ، واهتم بتأكيد الدور الذى لعبه اليسار المصرى فى التأثير على الاحداث التى أدت الى ثورة ٢٣ يوليو .

فمنذ الاربعينات ، ومنذ نهايات الحرب العالمية الثانية لا يمكن الحديث عن النضال الوطنى فى مصر مع اهمال دور « اليسار » ، واذا كانت ثورة ٢٣ يوليو قد قامت تتويجا لنضال الشعب المصرى واذا كانت قيادة ثورة يوليو هى استمرار للقيادات الوطنية فى الفترات السابقة ، واذا كانت ثورة ٢٣ يوليو قد تحولت فى مسارها وبقيادة جمال عبد الناصر الى اليسار فلا يمكن أن نعزل ذلك عن دور اليسار المصرى « قبل الثورة » والاهداف التى ناضل من أجلها فى مواجهة كل الاحزاب والقوى السياسية التقليدية ، ونجح فى ترسيخ تلك الاهداف الوطنية والديمقراطية فى أعماق الجماهير المصرية ، وهى تلك الاهداف التى قامت ثورة يوليو من أجلها بعد ذلك .

منذ اشرفت الحرب العالمية الثانية على نهايتها ، كانت قضية الجلاء البريطانى عن مصر واعادة النظر فى المعاهدة المصرية البريطانية التى وقعت عام ١٩٣٦ قضية تثيرها كل الاحزاب والقوى السياسية لانه كان مطلبا وطنيا عاما .

وبينما كانت كل الاحزاب والقوى السياسية ترى أن الطريق لذلك هو « بالتفاوض مع المحتل البريطانى والتحالف مع بريطانيا » ، طرح « اليسار المصرى » طريقا آخر . هو « النضال بكل الوسائل من أجل تحقيق الاستقلال العسكرى والسياسى والاقتصادى والثقافى » . ووقف ضد المحاولات لاستبدال استعمار باستعمار آخر ، حينما كانت بعض الاحزاب تدعو لامريكا واحلالها محل بريطانيا . وكان « اليسار المصرى » يدعو لرفض أن ترتبط مصر بالاحلاف والمعاهدات الاستعمارية التى كانت تدعو اليها امريكا وانجلترا . ويرى أن قضية السلام والاستقلال والنضال ضد الاستعمار قضية واحدة لا تتجزأ . ولهذا كان يرفض شعار الاحزاب البورجوازية بالدعوة لوحدة وادى النيل تحت التاج المصرى ، وطرح شعار الكفاح المشترك للشعبين المصرى والسودانى لتحرير وادى النيل من الاستعمار . وحق الشعب السودانى فى تقرير مصيره ، فحرية الشعب المصرى لا تنفصل عن حرية الشعب السودانى والشعوب الاخرى . وكان اليسار المصرى يرى أن النضال ضد الاستعمار الخارجى لا ينفصل عن النضال ضد أعوانه فى الداخل الذين يستند عليهم وينفذون سياسته .

ولم يكن لليسار المصرى فى ذلك الوقت حرية العمل العلنى ، فلا يعترف له بالحق فى تكوين حزب له . ولكن بالاضافة الى المطبوعات السرية وجدت أشكال علنية مختلفة . فكانت بعض الكتب مثل « أهدافنا الوطنية » تأليف شهدى عطية الشافعى وعبد المعبود الجبيلى ، وبعض الهيئات مثل « دار الابحاث العلمية » و « لجنة نشر الثقافة الحديثة » و « دار القرن العشرين » وبعض المجلات مثل « الفجر الجديد » و « الطليعة » و « أم درمان » و « الوفد المصرى » التى كان يتولى د . محمد مندور رئاسة تحريرها — كانت وغيرها تقوم بطرح مفاهيم جديدة تختلف عن المفاهيم التقليدية .

وصاحب ذلك حركة ونشاط نقابى وسياسى بين العمال نحو تكوين اتحاد يضم نقاباتهم رغم أن القانون كان يحرم ذلك ، ونحو مشاركة العمال فى الحركة الوطنية بدور قيادى وربط الحركة العمالية بالفكر الاشتراكى . وظهر قادة عمال يساريون لعبوا دورا بارزا فى قيادة الحركة العمالية . وزاملت حركة العمال حركة أخرى بين الطلبة . ونجح الطلبة اليساريون فى أن يكسبوا الغالبية الساحقة من الطلبة لبرنامجهم الوطنى الديمقراطى . وسقط البرنامج الرجعى الذى كان يتزعمه الاخوان المسلمون أساسا فى ذلك الوقت . ومن « تزاوج » حركة العمال ، والطلبة نشأت قيادة ثورية من نوع جديد هى « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » التى قادت نضال الجماهير المصرية فى ذلك الوقت .

كانت اللجنة مكونة من طليعة الشباب من الطلبة والعمال . وجسدت وحدة القوى الوطنية الديمقراطية الثورية الحقيقية التى تمثلت فى « الماركسيين » و « يسار الوفد » وبعض القوى الوطنية الديمقراطية الاخرى .

لم يستطع اى حزب أو تنظيم سياسى أن يتصدى للمهمة التى تصدى لها اليسار المصرى والذى نجح فى تحديد الاهداف التى التفت حولها الجماهير المصرية . كانت قيادات اليسار فى هذا الوقت كلها من الشباب . واليوم يضم اليسار المصرى شبابا وشيوخا ، يضم حركة قوية عارمة أصيلة تحمل على كاهلها خبرة أكثر من نصف قرن . ولهم اثرهم الذى لا يمكن محوه من الحركة الوطنية والديمقراطية فى مصر . ولذلك فلا يمكن الحديث عن « الوطنية » أو « الديمقراطية » مع اغفال « اليسار » .

وفى تاريخ مصر الحديث منذ الاربعينات كان طريق « الخيانة والعمالة » يبدأ دائما « بمعاداة اليسار » . فتحت ستار الحملة ضـــد الشـــيوعية قام صدقى باشـــا فى ١١ يوليو ١٩٤٦ « بضرب » أقطـــاب النضـــال الوطنى من شـــيوعيين ووفديين يســـاريين وغيرهم من الوطنيين من بين العمال والطلبة والمثقفين ، و « أغلق » الصحف والمؤسسات الوطنية وعلى رأسها « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » .

كانت حملة صدقى هـــذه اجراء ضروريا لطبخ معاهدة « صدقى بيفن » معاهدة الدفاع المشترك التى كان يهدف منها الى ربط مصر بعجلة الاستعمار واحلافه ومشاريعه .

وفضل كتاب « سيرانيان » أنه يبرز هـــذه المعانى ويوثقها بالتفاصيل والمســـتندات .

ولهـــذا كان جديرا بالقراءة والاهتمام من القارىء المصرى الذى خضع للاسف لكثير من التعتيم الاعلامى .

واذا كان الجزء الاخير من الكتاب والخـــاص بالفترة التى أعقبت ثورة يوليو ليس فى مستوى بقية الكتاب فالسبب فى ذلك ضعف المراجع فى الفترة التى كتب فيها كتابه وهو ١٩٧٠ . فقـــد اعتمد أســـاسا على كتابات أنور السادات . وقد صدرت بعد ذلك العديد من المؤلفات القيمة عن ثورة يوليو تجعل ما ذكره سيرانيان عن هـــذه الفترة يبدو ضـــعيفا وغير دقيق فى بعض مواضـــــعه .

ولكن الهدف الاساسى من الكتـــاب هو القاء الضـــوء على الفترة التى سبقت الثورة وأعدت لها . واعتقد انه قد حقق هـــذا الهدف .

أغسطس ١٩٨٤ ..

محمد الجنـــدى

مقدمة

احتل الامبرياليون الانجليز مصر فى عام ١٩٨٢ وفرضوا هيمنتهم السياسية على البلاد . وكان الاحتلال هو المشهد الختامى لفترة تاريخية طويلة من التغلغل الاقتصادى والسياسى للامبريالية البريطانية فى شئون مصر . واستولى الاحتكاريون الانجليز على كافة الركائز الحساسة للاقتصاد المصرى ، وصبغوه بالصبغة الاستعمارية التابعة أحادية الجانب .

ولكن الشعب المصرى لم يستسلم للسيطرة الانجليزية ، وهب تحت قيادة الزعيم الوطنى عرابى باشا للنضال من اجل بلاده . ثم بدا المد الجديد لحركة التحرر الوطنى ابان الثورة الروسية عام ١٩٠٥ ، وهى ثورة كان لها اثرها — كما يقول لينين — على مئات الملايين من المواطنين الذين يرزحون تحت ظلام العصور الوسطى المجحف والمزرى ، فراحوا يتطلعون الى حياة كريمة ، ويهبون للنضال من أجل ابسط حقوق الانسان ومن أجل الديموقراطية (١ أ ، ص١٤٦) وارتفع المد دالثورى لحركة التحرر المعادية للامبريالية على وجه الخصوص بعد حادثة دنشواى الشهيرة فى يونيو ١٩٠٦ ، عندما نكلت الطغمة العسكرية الانجليزية بأهالى قرية دنشواى .

وتزعم مصطفى كامل الحركة المناهضة للانجليز واسس الحزب الوطنى فى أواخر عام ١٩٠٧ ، وكان يعبر عن مصالح البورجوازية المصرية الوليدة .

ولعبت جهود مصطفى كامل ومقالاته الجريئة التى تدعو الى النضال من اجل حرية واستقلال مصر ، دورا كبيرا فى تربية المشاعر الوطنية لدى الشباب المصرى ، وساعدت على اعداد الوعى الاجتماعى لثورة ١٩١٩ ، فكانت هذه الثورة نقطة لمرحلة جديدة من الحركة المعادية للامبريالية فى مصر ، وهى مرحلة ارتبطت بالازمة العامة للنظام الامبريالى العالمى . وكان لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى اثر كبير على حركة التحرر الوطنى فى مصر .

واستطاع الانجليز فى خاتمة المطاف اخماد ثورة ١٩١٩ ، الى جانب أن الطبقات الحاكمة فى بريطانيا أدركت استحالة حكم مصر بالاساليب القديمة وحدها ، وأنه من المحتم اتباع اساليب جديدة أكثر مكرا وخداعا لفرض السيطرة الاستعمارية .

ويتركز جوهر المشاريع الانجليزية العديدة لاستمرار السيطرة على مصر فى أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد وسيادتها قولا ، بينما تكبلها فعلا بمعاهدة مجحفة تضمن لها « حقوقا خاصة » فى مصر . ولهذا السبب قوبلت هذه المشاريع دائما بالرفض من جانب مصر . واضطرت بريطانيا فى فبراير ١٩٢٢ الى أن تلغى حمايتها على مصر من طرف واحد ، ون تعلن استقلالا شكليا للبلاد ، مع احتواء هذا الاعلان على شروط أو « تحفظات » أربعة تتيح للانجليز استمرار احتلالهم للبلاد ، واستمر المندوب السامى البريطانى هو الحاكم الفعلى للبلاد .

وفرضت الظروف على مصر أن تعيش حقبة تاريخية كاملة مفعمة بالنضال الشعبى الباسل والمستميت من أجل الاستقلال ، امتدت ما بين بيان ٢٢ فبراير ١٩٢٢ الذى أعلن الاستقلال الشكلى ، وتحقيق السيادة الفعلية .

وفى عام ١٩٣٦ تمكنت بريطانيا من تكبيل مصر باغلال معاهدة مجحفة ، كانت تتطلع اليها منذ عام ١٩١٩ ، وبالرغم مما نصت عليه معاهدة التحالف المصرية البريطانية التى تم التوقيع عليها فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ من انهاء الاحتلال ، الا أن بريطانيا احتفظت فى منطقة قناة السويس بقوات عسكرية بلغ عددها مئات الالوف من الجنود ، واربعمائة طيار بحجة حماية القناة الى أن تصبح القوات المصرية أهلا للقيام بهذه المهمة (ص١ ، ٨ ، ملحق ص ٨)(١) . وتم الغاء منصب المندوب السامى واتفق الطرفان على تبادل

---

(١) ظلت القوات البريطانية فى القاهرة لاجل غير مسمى (لحين الانتهاء من بناء الثكنات فى منطقة القناة ولمدة ثمان سنوات فى الاسكندرية) .

السفراء(١) (ص٢ ، والمذكرة المصرية التفسيرية ص٢) .

وتعهد الطرفان بالتعاون فيما بينهما فى حالة نشـوب الحرب أو توتر الاوضاع الدولية ، وتعهـدت بريطانيا بالدفاع عن مصر ، ووافقت مصر على مساعدة بريطانيا « بكل امكانياتها المتاحة » ، بما فى ذلك اسـتخدام موانيها ومطاراتها ووسـائل مواصلاتها ، وضمنت الحكومة المصرية للقوات البريطانية « الحصانة والامتيازات فى الجوانب القـانونية والمـالية » واتفق الطرفان على التمسك باتفاقتى ١٨٩٩ الخاصتين بالحكم الثنائى فى السودان (ص١١) (٥٧ أ ، ١٩٣٦ ، رقم ١١ ، ص ١٩١ — ١٩٩) .

فكانت معاهدة ١٩٣٦ تعنى التقدم الى الامام خطوة محدودة على طريق الاستقلال التام (الغاء الامتيازات الاجنبية والغاء منصب المندوب السـامى البريطـانى ، وانضـمام مصر لعضـوية عصـبة الامم ، والغاء « المكتب الاوروبى »(٢) الخ ، وكان أهم ما تمخضت عنه معاهدة ١٩٣٦ هو تمكن مصر من التخلص من الاشراف البريطـانى المباشر على جيشـها ومن التدخل فى تحديد عدده وتخصيص الاعتمادات المـالية اللازمة له ، بالرغم من اسـتمرار بعض التبعية لبريطانيا(٣) .

وتجدر الاشارة هنا الى ان كتاب الغرب يميلون الى المبالغة فى تقدير أهمية معاهدة ١٩٣٦ ، ويذهب كثير منهم الى ان مصر حصلت على استقلالها

---

(١) والواقع أن السفير البريطانى واصل تدخله فى الشئون الداخلية للبلاد كما كانت الحال تماما مع المندوب السامى .

(٢) قسم البوليس الخاضع للانجليز .

(٣) فى ظل السيطرة البريطانية ، تمت التصفية الفعلية للجيش المصرى . اما بعد معاهدة ١٩٣٦ فتغيرت الاحوال بشكل ملحوظ ، وبلغ تعداد الجيش ١٢٫٦٥٠ ((منهم ٦٠٠ ضـابط) فى عـام ١٩٣٧ ، ثم ٢١٫٧٤٣ (منهم ٩٨٥ ضابطا)فى عام ١٩٣٨ ، ثم ٣٢٫٥٧٩ (منهم ١٤٦٥ ضابطا) فى عام ١٩٣٩ ، وفى نهاية الحرب العالمية الثانية تجاوز العدد الاربعين الفا » . وفى عام ١٩٤٨ بلغ عدد الجيش المصرى ٥٠ الفا من الجنود والضباط .

كاملا فى أعقاب هـــذه المعاهدة ، وعلى سـبيل المثال يقول المؤرخ الامريكى فاتيكيوتس : « كان ابرام معاهدة التحالف المصرية البريطانية فى أغســطس ١٩٣٦ وتصفية الامتيازات المهنية فى مؤتمر مونترو فى عام ١٩٣٧ علامتين على طريق الاستقلال المصرى الكـامل » ، وفى نفس الاتجـاه يقول جون مارو : « لاول مرة منذ عهد الفراعنـة لم تعد الامة المصرية رمزا للخنوع ، وانتقلت السلطة من البريطانيين الى المصريين » (١٩٣ أ ص٣١١) .

ولكن هـــذه المزاعم واهية ، لانه بالرغم من الجـوانب الايجـابية فى المعاهدة ، كان طابعها العام هو التفاوت وعدم المســاواة ، بل وهى تحتفظ لبريطانيا بسيطرتها السياسية والاقتصادية . كما استمرت القوات البريطانية فى احتلالها لمصر .

وكان أنتونى ايدين ، الذى وقع معاهدة ١٩٣٦ ، يشـيد دائما بالدور الكبير الذى لعبته بريطانيا فى الحياة السياسية المصرية الداخلية بعد توقيع المعاهدة ، ويشبه مصر فى الثلاثينيات والاربعينات بالمقعد ذى الارجل الثلاثة : الملك ، والوفد ، وبريطانيا العظمى .

والواقع أن معاهدة ١٩٣٦ كانت هى الاساس القانونى الذى قامت عليه العلاقات بين بريطانيا ومصر فى السنوات التالية ، كما تجدر الاشــارة أيضا الى أن بريطانيا كانت هى البـادئة بخـرق معاهدة ١٩٣٦ ، ولم تلتزم على الاطلاق بتنفيذ المـادة الاولى منهـا والتى تنص على تحـديد عـدد القوات البريطانية فى مصر بعشرة آلاف جندى فقط ، بينما بلغ عدد قواتها العاملة فى مصر فى عام ١٩٤٦ مائتى الف فرد .

وبلغت حركة التحرر الوطنى ضـد الامبريالية البريطانية وضد بعض الفئات المصرية التى تمثل الركيزة الاجتمـاعية للسـيطرة البريطانية ذروة ازدهارها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٥٢ .

ويهدف هـذا البحث الى تحليل القوى الطبقية فى مصر فى السـنوات التى أعقبت الحرب ، وتسليط الاضواء على نضـال الشـعب المصرى ضـد الامبريالية ، من خلال النسـيج المعقد للصراع الطبقى فى فترات متفاوتة من

كما يحاول هـــذا البحث اماطة اللثام عن الاسـاليب والطرق التى لجأت اليها الدبلوماسية والطغمة العسكرية البريطانية للمحافظة على ســـيطرتها وقمع حركة التحرر الوطنى فى مصر .

ويمكننا الاشـارة هنا الى مرحلتين من اشـد مراحل حركة التحرر الوطنى ازدهارا فى سنوات ما بعد الحرب ، وهما الفترة من فبراير الى مارس ١٩٤٦ ، ثم الفترة من أكتوبر ١٩٥١ الى يناير ١٩٥٢ ، عندما تحولت الحركة الشـعبية المصرية للتحرر الوطنى الى النضـال المسلح السـافر ضد المحتلين البريطانيين فى منطقة قناة السويس ، وقد ركزنا على تحليل هاتين الفترتين بالتفصيل .

ولكن لابد لنا من ابداء بعض التحفظات . فهـــذه الدراســـة لا تتعرض بالتفصيل للمشكلة السودانية (هناك دراســـة وافية لها فى كتابات المؤرخين السوفيت من أمثال كيسيليوف وسميرنوف) ، وانما نتناولها فقط فيما يتعلق بتحليل نظرة الاحزاب السياسية والطبقات المختلفة فى مصر اليها ، وكشـــف الطبيعة الاستعمارية للسياسة البريطانية فى السودان .

كذلك لا تقدم هـــذه الدراسة تحليلا تفصيليا للاحداث المرتبطة بحرب فلسطين ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ ، وانما تتنـــاولها فقط بالدرجة التى تؤثر بها على الوضع الداخلى فى مصر ، وعلى حركة التحرر الوطنى على وجه الخصوص .

الفصل الأول

الوضع الاجتماعى والاقتصادى فى مصر
فى اواخر الحرب العالمية الثانية

الخصائص العامة للاقتصاد :

اكتسب النظام الاقتصادى فى مصر بعد الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ ، وبشكل متزايد ، ملامح الاقتصاد الاستعمارى . وفى أوائل الحرب العالمية الاولى اتسم بالطابع الاستعمارى بكل حذافيره . وكثيرا ما تحدث لينين فى كتاباته عن الامبريالية عن السمة المميزة لسياسة الامبريالية فى المستعمرات والتى تتركز فى تشجيع انتاج المواد الخام ، ومعاداة تطوير الصناعة (انظرا ، ص٧٩) .

ونتيجة للسيطرة البريطانية ، تحولت مصر الى ملحق لزراعة القطن ، اى الى بلد زراعى ينتج محصولا واحدا ، وبذل الامبرياليون البريطانيون كل جهد لتطويع الاقتصاد المصرى ووضعه فى خدمة مصالحهم .

وكان محصول القطن هو عماد الاقتصاد المصرى كله ، ويشكل نصف اجمالى الدخل تقريبا فى قطاع الزراعة ، وأهم سلعة للتصدير ، وتبلغ قيمته حوالى ٨٠٪ من اجمالى قيمة السلع التى تصدرها مصر .

اما حصة السلع الصناعية بين الصادرات فكانت منعدمة تقريبا ، ولم تتجاوز حوالى ٥٪ من غزل القطن و ٢٪ من الخامات المعدنية ، ولم تكن الآثار الناجمة عن تذبذب اسعار القطن تمتد الى المجال الاقتصادى وحده ، وانما كانت تتعداها الى الحياة السياسية والاجتماعية كلها فى البلاد ، وكان من السمات المميزة لمصر ما قبل الثورة هو التطور الاقتصادى المتفاوت الى أقصى حد بين الطبقات المالكة والطبقات المعدمة ، وبين المدينة والريف .

وتحول الوجه البحرى فى ظل الحكم البريطانى الى منطقة لانتاج القطن للتصدير ، وارتبط ارتباطا وثيقا بالسوق العالمية ، وظهرت به وسائل النقل العصرية . وازدادت مدينتا القاهرة والاسكندرية اتساعا وتركزت بها اهم المؤسسات الصناعية فى البلاد .

جـــدول (١) :

نسبة القطن فى الصادرات المصرية فى الفترة ١٩٤٦ — ١٩٥٢ .

(١٣٤ ، ص١٦٠)

السـنة	اجمالى الصادرات (مليون جنيه)	القطن المصدر (مليون جنيه)	حصة القطن (٪)
١٩٤٦	٦٣ر٧	٤٦ر٢	٧١ر١٪
١٩٤٧	٨٥ر٩	٦٩ر٣	٨٠ر٢٪
١٩٤٨	١٤٠ر٧	١١٣ر٣	٨٠ر١٪
١٩٤٩	١٣٥ر٩	١٠٦ر١	٧٩ر—٪
١٩٥٠	١٧٣ر—	١٤٩ر٧	٨٨ر٪
١٩٥١	٢٠٠ر٦	١٦٤ر٧	٨٢ر—٪
١٩٥٢	١٤٢ر٨	١٢٦ر٤	٨٨ر٥٪

وكان الاقتصاد الطبيعى وشبه الطبيعى هو السائد فى المناطق الاخرى من البلاد (رغم أن مساحتها تزيد كثيرا عن مساحة الوجه البحرى) ، ومن ثم كان هناك فى مصر نمطان اقتصاديان متناقضـــان يتعايشان جنبا الى جنب ، أحدهما « عصرى » يجسد العلاقات الرأســمالية والآخر « تقليدى » ينتمى لعصــور ما قبل الرأسمالية(١) .

---

(١) يطلق المؤرخ السوفيتى سميرنوف على المناطق المتطورة اقتصاديا اسم المناطق المركزية (بصرف النظر عن موقعها الجغرافى) ويقول أنه ليس من الضرورى أن تكون وحدة اقليمية واحدة ، بل هى فى الغالب مقسمة لقسمين أو ثلاثة أجزاء متفرقة (٤١ أ ، ص٢٦) .

ولم ينطبق مفهوم « احادية المحصـــول » على قطاع الانتـــاج الزراعى وحده ، وانما تعداه الى قطـــاعات أخرى كثيرة من الاقتصـــاد ، بما فى ذلك الصناعة والنقل والتجارة والبنوك ، بحيث تركز نشـــاطها أساسا فى تطوير زراعة القطن (٣٣ ، ص ٢٦) .

وكان هـــذا الاتجاه المشوه لتطوير الاقتصاد المصرى هو النتيجة الحتمية للسيطرة الطويلة لراس المـــال الاحتكارى الاجنبى ، الذى حول البلاد الى مرتع من أبشع مراتع الاستغلال الاستعمارى الاحتكارى .

الزراعـــة

بلغ عدد الفلاحين فى مصر ما يقرب من ١٤ مليون فلاح ، من اجمـــالى ١٩ مليون نسمة من السكان (١٩٤٧) ، فكانت الزراعة هى عصب الاقتصاد فى مصر ما قبل الثورة ، وارتبطت بها حيـــاة مالا يقل عن ٧٥٪ من ســـكان البلاد .

وشـــهدت نهاية الحرب العالمية الثـــانية بعضا من التحول فى ملكية الاراضى الزراعية على النحو المبين بالجدول (٢) .

ويتضح من هـــذا الجـــدول أن الريف المصرى لم يشهد رغم ذلك أى تغيرات أساسية فى البنية الاجتماعية — ومما يلفت النظر ذلك التباين المذهل : ففى عام ١٩٤٧ نجد أن ٤٪ من ملاك الاراضى يملكون ٢ر٢٪ مليون فدانا ، أو ٧ر٣٦٪ من مجموع المساحة المنزرعة بينما يملك ٥ر٢ مليون فلاحا ممن لا تزيد ملكيتهم عن خمسة أفدنة مليونى فدان فقط ، أو ٩ر٣٣٪ من مجموع الاراضى المنزرعة . وتجدر الاشارة هنا الى أن فقراء الفلاحين الذى لا تتعدى ملكيتهم فدانا واحدا لم تتجاوز ملكيتهم ١٣٪ من اجمـــالى الاراضى المنزرعة ، بينمـــا يشكلون فى مجموعهم ٢ر٧٢٪ من عدد الفلاحين فى البلاد .

فكان ما يربو على نصف الفلاحين المصريين يضطرون الى اســـتئجار الاراضى الزراعية من كبار الملاك . (١٧ ، ص ٥٧٦ ، ٢٥ ، ص ٢٠٥) .

جدول (٢) :

هيكل ملكية الاراضى الزراعية فى الفترة من ١٩٣٧ — ١٩٤٧

(٦٤ ، ١٩٣٧/٣٨ ، ١٩٤٥/٤٦ ، ١٩٤٦/٤٧)

الملكية بالفدان	١٩٣٧ عدد الملاك بالألف	٪	المساحة بالألف فدان	٪	١٩٤٧ عدد الملاك بالألف	٪	المساحة بالألف فدان	٪
حتى فدان واحد	١٦٧٨	٧٠ ٪	٦٨٩	١١ر٨ ٪	١٩٢٠	٧٢ر٢ ٪	٧٨٥ر٤ ٪	١٣ر٣ ٪
من ١ – ٥	٥٦٥	٢٣ر٥ ٪	١١٤٨	١٩ر٦ ٪	٥٨٦ر٤	٢٢ ٪	١٢١٩ر٥ ٪	٢٠ر٦ ٪
من ٥ — ١٠	٨٤	٣ر٥ ٪	٥٦١	٩ر٦ ٪	٨١	٣ ٪	٥٤٤ر٨ ٪	٩ر١ ٪
من ١٠ — ٥٠	٦١	٢ر٥ ٪	١١٨٥	٢٠ر٤ ٪	٦٣ر٣	٢ر٤ ٪	١٢٠٤ر٧ ٪	٢٠ر٣ ٪
أكثر من ٥٠	١٣	٥ر ٪	٢٢٤٥	٣٨ر٦ ٪	١٢ر٥	٤ر ٪	٢١٧١ر١ ٪	٣٦ر٧ ٪
الإجمالى	٢٤٠١	١٠٠ ٪	٥٨٣٧	١٠٠ ٪	٢٦٦٢ر٢	١٠٠ ٪	٢٩٢١ر٥	١٠٠ ٪

وتكونت من فقراء الفلاحين ، مع جزء من المعدمين ، طبقة تزرع الارض بنظام المشاركة ، وبلغ تعداد هـذه الفئة وفقا لمختلف الاحصائيات من ٧ر١ الى ٢ مليون فلاح . (٢٥ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ ، ١٧ ، ص٥٧٩ ، ١٣ ، ص٢٦ ، ٤٦ ، ص ٧٦) . وبالاضافة الى ذلك كانت هناك فى الريف المصرى طبقـة واسعة من الاجراء والعمال الزراعيين الذين يعيشون تحت نير أبشع أنواع الاستغلال ، والفلاحين الذين طردوا من الارض وافلسوا تماما ، ويقدر بعض المؤلفين عدد هـذه الطبقـة بما يتراوح بين مليون ومليوني فرد . ووفقـا للاحصائيات المصرية الرسمية بلغ عدد الاجراء والعمال الزراعيين والفلاحين المعدمين ٠٠٠ر٩٠٨ر١ فى عام ١٩٣٧ و ٠٠٠ر٧٤٣ر١ فى عام ١٩٤٧ (٦٧ ، ٦٤ ، ١٩٤٥/٤٦ ، ١٩٤٦/٤٧) .

وكان صغار الاقطاعيين والبورجوازيون (بما فى ذلك اثرياء المؤجرين) يملكون ٣ر٦٣ ألف عـزبة (٤ر٢٪) ، ويسـيطرون على ما يقـرب من ٠٠٠ر٢٠٠ر١ فدانا (أى ما يزيد على ٢٠٪ من اجمالى الرقعة المنزرعة) . وكانت الملكية الخاصة للفرد من هـذه الطبقة تتراوح بين ١٠ و ٥٠ فدانا . وأخيرا كانت هناك فى حوزة الفلاحين المتوسطين الذين تتراوح ملكيتهم بين ٥ و ١٠ أفدنة ما يعادل ١ر٩٪ من اجمالى الاراضى المنزرعة .

وكان كبار الملاك يؤجرون أرضهم لصغار الملاك فيزرعونها أو يؤجرونها من الباطن للفلاحين الفقراء أو المعدمين . وكانت القيمة الايجارية مرتفعة للغاية ، وتعادل نصف المحصول فى العادة ، بل وتصل الى ما يعـادل ٨٠٪ (١٣ ، ص١٦) من قيمتـه فى بعض الاحيان . وكانت أسـاليب الاسـتغلال شـبه الاقطاعية ، مثل وفاء الدين بالعمل ونظام المشـاركة ، تطبق فى أراضى كبار الملاك ، ويشير الباحثون فى مجال العلاقات الزراعية فى مصر الى أن القيمة الايجارية كانت فى تصاعد مستمر سواء فى سنوات ما قبل الحرب أو بعدها ، الى أن صدرت قوانين الاصلاح الزراعى فى عام ١٩٥٢ . (٢٥ ، ص٢٠٦ ، ٢٠٩) .

وحتى عام ١٩٥٢ ، اســتمرت عملية تجريد الفلاحين من أراضــيهم ، وبشكل مكثف ، فمثلا ، ازداد عدد صغار الفلاحين وفقا للاحصائيات الرسمية المصرية فى الفترة من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٤٧ بمقدار ٢٦٣٫٤٠٠ ، وخلال السنوات من ١٩٤٧ حتى ١٩٥٢ بمقدار ١٤٤٫٠٠٠ (٦٤ ، ١٩٤٦/٤٧ ، ٦٨) كما تناقص أيضا عدد الفلاحين المتوســطين بشكل مطرد مع تجزئة الملكيات الصغيرة ، واشتد الفقر بسرعة كبيرة نسبيا فى الريف المصرى فى الفترة ما بين الحربين العالميتين ، وبالتالى تزايد عدد البروليتاريا الزراعية ، وأســاسا عن طريق تناقص عدد المستأجرين (٤٦ ، ص٧٦) .

فكان الفلاح يقاسى أبشع أنواع القهر من الاستغلال المزدوج من جانب الراسماليين الاجانب واعوانهم الاقطاعيين ، ولم يكن وضــعه وضع التابع لراس المــال الاجنبى فى مجالى الرى والاقتراض فحسب ، وانما أيضــا فى مجال التسويق ونقل محاصيله . وكان مضطرا لبيع القطن (بما فى ذلك الحطب غالبا) بالسعر الذى يمليه عليه الاحتكاريون ، وكان فقراء الفلاحين يعتمدون غالبا على المرابى الذى يمارس نشاطه كعميل للشركة الاجنبية (٤٦ ، ص١٠٠ — ١٠٥) .

ويشير الباحثون الى أن الريف المصرى شهد قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها زيادة كبيرة نسبيا فى عدد السكان ، وان البطالة المقنعة خاصة حققت فيه معدلات عالية . ووفقا للاحصائيات التى يوردها شارل عيسوى .

كان قطاع الزراعة فى مصر (١٩٣٩) يوفر العمل لقوة عمل تتراوح بين ١٫٣٠٠٫٠٠٠ و ١٫٤٠٠٫٠٠٠ رجل و ٤٠٠٫٠٠٠ و ٦٥٠٫٠٠٠ امــراة وطفل من بين ســكان الريف البالغ تعــدادهم فى ذلك الوقت ١٤ مليونا (من بينهم ٤ مليون رجل) . ووفقا لنفس الاحصــائيات كانت احتياجات قطاع الزراعة (١٩٣٧) من القوى العــاملة ١١٫١٦٧٫٤٠٠ فردا ، فى الوقت الذى لا يعمل فيه الا ٤٫٣٠٨٫٠٠٠ فردا ، أى بمــا يزيد عن المعدل المطــلوب اربع مرات تقريبا ، وكان قطاع الزراعة يوفر حوالى ٤٠٪ من فرص العمل للســكان العاملين (١١ ، ص٨٣ — ٨٤) .

وكانت الزيادة النسبية فى عدد العمالة الزراعية تشكل عبأ على سوق العمل ، وتزيد من تبعية الفلاحين للاقطاعيين وصغار الملاك ، وتقلل من قيمة قوة العمل فى الريف والمدينة على السواء .

ونزح مئات الآلاف من الفلاحين المعدمين الى المدن بحثا عن العمل ، ولم توفق غالبيتهم فى الحصول عليه نظرا لتخلف الصناعة ، ومن ثم تشكل جيش احتياطى كبير من البروليتاريا وشبه البروليتاريا .

وكان أجر العامل الزراعى من الضآلة بحيث لم تبرز الحاجة الى استخدام الآلة فى مجال الزراعة (١٠ ، ص٦٦) .

هكذا تميز النظام الاقطاعى فى مصر بتفشى الملكية الاقطاعية الكبيرة ، بالاضافة الى الملكية المفتتة المتناهية فى الضآلة ، والاحتفاظ بالاساليب الاقطاعية البالية لاستغلال الفلاحين ، والمعدلات العالية للزيادة السكانية فى الريف ، والافقار الجماعى للفلاحين وتحويلهم الى عمال زراعيين يعملون باليومية ، وتدعيم مواقع البورجوازية فى الريف ، وهى طبقة لجأت الى الاثراء باستخدام أساليب الربا التى تشكل عبئا ثقيلا على الفلاحين ، مع الاعتماد على أرخص قوة عمل .

الصناعة

تعكس البنية الصناعية لمصر ما قبل يوليو ١٩٥٢ الطابع شبه الاستعمارى لاقتصادها بكل وضوح . ويقول لينين ان انجلترا تبذل المزيد من جهودها لتجعل من مصر بلدا منتجا للقطن فحسب ، وتضع العراقيل أمام التطور الصناعى (اذا استثنينا صناعة التعدين) . ولم يكن بها مصانع للحديد والصلب ، أو السيارات ، أو الآلات ، أو الاجهزة الكهربائية .

واضطر الامبرياليون فقط فى العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين ، ونتيجة للنضال الطويل للشعب المصرى من أجل التحرر الوطنى — الى تقديم

بعض التنازلات للبورجوازية المصرية ، والسماح لها بانشاء وتطوير بعض فروع الصناعات الخفيفة ، وخاصة النسيج .

وتوضح الارقام التالية مدى تطور الصناعة فى مصر من ١٩٢٧ حتى ١٩٤٨ .

السنة	عدد المصانع (بالاف)	عدد العمال(بالاف)
١٩٢٧	٧٠	٢١٥
١٩٣٧	٩٢	٢٣٧
١٩٤٥	١٢٩	٣٦٢
١٩٤٨	١٣٤	٣٩٥

ولكن سيطرة رأس المال الاجنبى ، وبقايا الاقطاع فى الزراعة ، وشدة ضيق السوق ، حالت كلها دون تقدم الصناعة ، وحتمت أحادية اتجاهها عموما . وتميزت الصناعة فى مصر ما قبل الثورة بمستوى تطور منخفض للغاية ، فمثلا نجد أن ٥١ ألف مشروع ، من بين ١٢٩ ألف مشروع ، فى عام ١٩٤٥ ، لا تستأجر اى عمال ، وأن ٣٤ ألف مشروع لا يعمل بها الا عامل مأجور واحد ، وأن ٣٤٫٥ ألف مشروع تستأجر من ٢ — ٤ عمال ، وأن ٩٫٥ ألف مشروع فقط هى التى يعمل بها ٥ عمال وأكثر (٦٤ ، ١٩٤٥/ ٤٦/١٩٤٦/٤٧) .

وتفيد الاحصائيات الخاصة بعام ١٩٤٨ أن عدد المشروعات والمصانع بلغ عددها ١٣٣٫٦٠٠ مشروعا فى عام ١٩٤٧ (٦٥) منها ٢٦٫٧٠٠ فقط تقوم بانتاج بعض السلع (٦٥) .

وبالرغم من تركز الصناعة أساسا فى عشرات الالوف من المشاريع والمصانع الصغيرة والمتناهية فى الصغر ، الا أنها حققت فى نهاية الحرب العالمية الثانية معدلا مرتفعا نسبيا لتركز راس المال والعمالة معا . وفى عام ١٩٤٥ تركزت ٦٥٪ من رؤوس الاموال المستثمرة فى الصناعة فى ٥ر٪ من المشروعات والمصانع ، وكانت بعض الاحتكارات الاجنبية الكبيرة تسيطر على

الاقتصاد المصرى رغم التفوق العددى للشركات والمشروعات المساهمة الصغيرة (١١ ، ص٥٢) .

وتميز تطور الصناعة المصرية الكبيرة بسمتين أساسيتين :

١ ــ خضوع الشركات الكبيرة منذ تأسيسها لرأس المال المالى .

٢ ــ تبعية البورجوازية المصرية الكبيرة من حيث نشأتها وطبيعتها ، وارتباطها الوثيق بالملكية الزراعية الاقطاعية (٤٤ ، ص٢٠١/٤٦/ص٧٢) ، وهو وضع لم يتغير فيما بعد ، بحيث نجد مثلا أن طلعت حرب باشا ومدحت يكن باشا ، موسسا بنك مصر وأول مديرين له ، هما فى نفس الوقت من كبار ملاك الاراضى الاقطاعيين .

وكان تأسيس بنك مصر فى عام ١٩٢٠ تعبيرا عن تبلور البورجوازية المصرية وتزايد وزنها النوعى فى الحياة الاقتصادية للبلاد . وكانت لائحة البنك تنص على قصر حق شراء الاسهم على المصريين وحدهم . وكان مؤسسو البنك يتطلعون الى النهوض بالصناعة المصرية ، واستطاع البنك أن يؤسس ما يربو على عشرين شركة ، وهو ما لم يتحقق على يد كافة البنوك الاجنبية العاملة فى البلاد ، رغم زيادة ارصدتها على أرصدة بنك مصر ست مرات (٥٠ ، ص١٧٠) .

وتجدر الاشارة هنا الى أحد السمات المميزة للرأسمالية المصرية، ظهرت فى أعقاب الحرب العالمية الاولى واستمرت فى التطور المطرد ابان سنوات الحرب العالمية الثانية (وهى سمة مخالفة لما جرت عليه الحال بالنسبة لبورجوازية الغالبية من بلدان آسيا وأفريقيا ومعظم البلدان العربية) ، ونعنى بها الاتجاه نحو الاحتكار (٢٥ ، ص٢٥١) . وتتأكد هذه الحقيقة اذا ما دققنا النظر فى تطور الفروع الاساسية للصناعة المصرية فى الثلاثينات والاربعينات . مثل الغزل والنسيج ، والاسمنت ، والسكر ، ويتجلى هذا الاتجاه بوضوح اكثر فى مجموعة بنك مصر ومجموعة أحمد عبود ، وهكذا ، اصبح بعض الراسماليين المشتغلين بشئون الصناعة والتمويل هم المسيطرين على كافة نواحى الحياة الاقتصادية فى البلاد بالاتحاد مع زملائهم الاجانب (٧٢/ص٧١) .

وعلى سبيل المثال ، كانت ثلاثه مصانع للغزل والنسيج (اثنان فى المحلة الكبرى والثالث بالاسكندرية) تنتج ما يقرب من ٨٠٪ من اجمالى انتاج الغزل ، و ٧٠٪ من اجمالى انتاج النسيج فى البلاد .

وبقدر ما كانت البورجوازية المصرية الكبيرة تكتسب الطابع الاحتكارى ، كانت تفقد اكثر فأكثر هويتها الوطنية وتنضم للاتحاد الوثيق مع الاحتكارات الاجنبية لترتبط بها بآلاف الخيوط المرئية وغير المرئية (تأسيس الشركات المختلطة ، وشراء اسهم الشركات الاخرى ، والمشاركة فى مجالس الادارات ، وعقد الصفقات المشتركة الخ) ، فكان تأسيس الاتحاد المصرى للصناعات فى عام ١٩٢٤ تجسيدا من نوع خاص لهذا الاتحاد الذى يجمع بين البورجوازية المصرية الكبيرة ورأس المال الاجنبى ، والنابع من مصالحهما المشتركة .

ونظرا للطابع الاستعمارى لاقتصاد مصر ما قبل الثورة ، اضطر العديد من ممثلى الرأسمالية الوطنية الى استثمار رؤوس اموالهم ، فى المقام الاول فى المجالات غير الانتاجية (مثل شراء الاراضى ، وبناء الفنادق ، والمطاعم والملاهى والاشتراك فى عمليات التهريب) ، والتى كانت تحقق لهم أرباحا فاحشة أكثر مما يقيم صناعات حقيقية ، وكانت مصانع ومشاريع البورجوازية الوطنية تتميز فى أغلب الاحوال باحجامها الصغيرة وضعفها الاقتصادى وعجزها عن المنافسة نظرا لتسلط رأس المال الاجنبى والبورجوازية الاحتكارية المحلية .

راس المـال الاجنبى

يتضح تسلط راس المـال الاجنبى على وجه الخصوص فى قطاع البنوك والمـال . فمن بين ٢٥ بنكا تجاريا مسجلا فى مصر (بعد الحرب) ، وباستثناء بنك مصر ، كانت كلها تابعة لراس المـال الاجنبى (كفروع لبنوك أوروبية) ، أو تخضع لاشرافها ، وكانت البنوك البريطانية والفرنسـية هى التى تلعب الدور الرائد بها فى تلك الفترة من تاريخ مصر .

ولم يكن للبنك الاهلى المصرى ، والذى كان يؤدى بالفعل كافة وظائف البنك المركزى ، من المصرية الا الاســم فقط ، وكان فى الواقع مؤسسـة بريطانية ، ويديره مجلس ادارة من لنــدن .

وكان أهم مجال لنشاط البنوك الاجنبيـة هو تمويل عمليات التجـارة الخارجية ، فى نفس الوقت الذى كانت تعرقل فيه التطور الصناعى للبلاد . وكان عدد ضئيل من البنوك الانجليزية والفرنسية ، والتى لم يزد اجمـالى رأسمالها فى الفترة ١٩٥٢ ــ ١٩٥٦ على ٦ر٥ مليون جنيه استرلينى (٨١/ ١٩٦٢/٥٨ ، رقم ٤/ص٤٣) ، هى التى تسـيطر على أمـوال المودعين بمـا فيهم المصرين ، والتى تقدر فى نفس الفترة بمبـلغ ٢٨٠ مليون جنيـه استرلينى . وفى الفترة الممتدة من ١٩٤٥ حتى ١٩٥٢ كان البنكان العقاريان الكبيران ، كريدى ليونيه الفرنسى ولاند بانك الانجليزى ، وكان رأس المـال الفـرنسى يلعب الدور الرئيسى فيهمـا ، يسـيطران على حوالى ٩٠٪ من رأس المـال العقارى ، فكان البنكـان يشـاركان عند تقديمهمـا القروض للاقطاعيين وأثرياء الفلاحين والتجـار المصريين ، فى نهب الفلاحين المصريين عن طريق الربا .

وكانت شركات التأمين خلال السنوات الاولى التى أعقبت الحرب (كما كانت الحال قبل الحرب) تتركز أساسا فى أيدى الاجانب ، ولم تكن هنـاك سوى ٨ شركات تأمين مصرية فحسـب من اجمالى شركات التأمين التى بلغ

عددها ٨٦ شركة ، بينما كانت هناك ٤٢ شركة انجليزية ، و١٣ شركة فرنسية ، و٧ شركات أمريكية (٢٥/ص٣٢٦)(١) .

وكانت فروع كاملة من الصناعة فى مصر ما قبل الثورة تابعة للشركات الاجنبية ، وكانت شركة « انجلواجيبشيان أويل فيفلدز » الانجليزية تفرض سيطرتها الاحتكارية على صناعة البترول ، وهى فرع من شركتى « بريتش بتروليم كومبانى » و « رويال داتش شل » ، ورأس المال الامريكى « سوكونى فاكوم » و « ستاندر أويل كومبانى أوف نيوجيرسى » .

وكانت الاحتكارات الانجليزية تسيطر على صناعة الكيماويات (امبريال كميكالز) ، ومعظم صناعة التعدين ، بما فى ذلك ملح الطعام ، والسكك الحديدية ، ومحطات الكهرباء ، وشركات النقل الداخلى بالمدن .

وكانت هناك بعض الشركات الانجليزية المصرية المختلطة تسيطر على بعض فروع الصناعة ، مثل الدخان والنقل البحرى ، ولكن كانت الغلبة والهيمنة فيها لرأس المال الانجليزى .

وكانت الحكومة البريطانية بالاشتراك مع بعض رجال الاعمال الفرنسيين ، تملك نصيب الاسد من أسهم شركة قناة السويس(٢) ، وفى الفترة من ١٨٧٠ حتى ١٩٣٠ بلغ عائد قناة السويس ٣٫٥ مليون فرنكا ذهبا ، تسرب الجانب الاكبر منها الى الخزانة البريطانية .

وبدأت الولايات المتحدة الامريكية تبدى اهتماما كبيرا بقناة السويس ، فاشترت فى عام ١٩٤٨ من بابا روما حوالى ١٠٠٠ سهم ، فأصبح لها الحق فى أن يكون لها مندوبها فى مجلس ادارة الشركة ، (فى عام ١٩٥٦ كان مجلس الادارة يتكون من ١٦ فرنسيا ، و ٩ بريطانيين ، و ٥ مصريين ، وهولندى ، وأمريكى) .

---

(١) أنظر لمزيد من التفاصيل : ٢٥/ص٣٢٢ ــ ٣٥٣ ، ٤٦/ص٢٢٣ ، ٢٤٥/٨٦/ص٢٤٦/٢٤٧ .

(٢) ٤٤٪ من الاسهم الاساسية للشركة كانت توجد فى أيدى الحكومة البريطانية ، و ٥٢٪ كانت تتبع رأس المال الخاص الفرنسى .

وكانت الاحتكارات الفرنسية تسيطر بالاشـــتراك مع اتحاد الشركات المصرية ، على صناعة السكر ، وهى من أضخم فروع الصناعات الغذائية فى البلاد ، وأما صناعة الاسمنت ، وهى من فروع الصناعة المصرية المتطورة ، فكانت تحت ســيطرة رأس المـــال الاحتكارى الدانيمــاركى والســـويدى والبلجيكى(١) .

كما امتـــدت ملكيـــة الشركات الاجنبيـــة قبل ثورة ١٩٥٢ الى الاراضى الزراعية فامتلكت منهـــا مســـاحات كبيرة . فكانت شركة « البحيرة » تمتلك ٣٨ الف فدانا ، وشركة كوم امبو ٣٠ الف فدانا (١٣١/ص٩٧ — ٩٨) .

ووفقا للبيانات الرسمية كان الاجانب ، وخاصة الانجليز ، يملكون بعد الحرب العالمية الثانية ٦٪ من اجمالى الملكية الخاصة للاراضى الزراعية فى مصر ، أى ٣٠٠ الف فدان ٦٤/١٩٤٥/٤٦ و ١٩٤٦/٤٧ ولكن الواقع يؤكد أن ملكية الشركات الاجنبية كانت أكبر من ذلك بكثير (١٣ — ص٢٥) .

وحققت الشركات الزراعية البريطانية التى تأسست فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أرباحـــا طائلة فى السنوات التى أعقبت الحرب . وبلغت ملكية الاجانب للاراضى فى بعض المحـــافظات من ١٠٪ الى ١٥٪ من اجمالى الاراضى الزراعية (١٨/ص٨) .

وفى عام ١٩٣٣ بـــلغ اجمـــالى الاســـتثمارات الاجنبيـــة ، باســـتثناء قناة السويس ، ٨١ مليون جنيها ، و ١٠٠ مليون جنيها فى عام ١٩٤٨ ، (وهو مستوى تثبت التقديرات الفعلية أنه أقل مما كان عليه قبل الحرب) . وكان نصـــيب رأس المـــال الفرنسى حوالى ٤٥ مليون جنيـــه ، ومثلهـــا تقريبـــا لرأس المـــال الانجليزى ، والبـــاقى لبلجيكا وســـويسرا وأمريكـــا (٨٦ ، ص٢٣٧) .

ثم أخذت الاستثمارات الامريكية فى مصر فى التزايد بشـــكل ملحوظ فى الســـــنوات الاولى التى أعقبت الحـــرب ، فبلغت ٣٩ مليون دولارا فى عام

---

(١) أنظر لمزيد من التفاصيل ٤٦ ص١٧٦ — ٢١٠ .

١٩٥٠ ، و ٤٤ مليون دولارا فى عام ١٩٥١ ، اى ما يزيد على خمسة اضعاف المبالغ المستثمرة فى عام ١٩٣٦ ، فكانت أغلب رؤوس الاموال الامريكية تتركز فى مجال استخراج البترول . وبلغ اجمالى ما استخرجته الشركات الامريكية من البترول فى عام ١٩٥٠ ثلث انتاج البلاد ككل (٣٨ أ . ص٣٨ / ٤٤ أ/ص٣١) .

وفى عام ١٩٣٣ كانت هناك فى مصر ٢٥٠ شركة ، منها ١٢ شركة مصرية خالصة ، و ٣٨ شركة اجنبية خالصة ، و ٢٠٠ شركة مشتركة ثم ارتفع عدد الشركات فى عام ١٩٤٠ الى ٤٠٠ شركة ، منها ٢٠ شركة مصرية خالصة ، وظل عدد الشركات الاجنبية على ما هو عليه تقريبا ، ولكن عدد الشركات المشتركة تزايد بما يربو على المرة ونصف المرة .

واضطر الاحتكاريون البريطانيون بعد ثورة ١٩١٩ الى تقديم بعض التنازلات للبورجوازية المصرية ، أولا لاحداث صدع فى حركة التحرر الوطنى ، وثانيا من اجل تحقيق المزيد من التلاحم مع الفئات الغنية من البورجوازية الوطنية لخدمة المصالح الانجليزية ، وكان الاحتكاريون البريطانيون يعملون على هذا النحو على توسيع القاعدة الوطنية لهذه الفئة فى البلاد ، واخذ الاقطاعيون والتجار المصريون الذين اتخموا ثراء أثناء الحرب العالمية الاولى (ازدهار تجارة القطن) يتجهون الى شراء اسهم البنوك والشركات الصناعية الاجنبية . كما تأسست بعض الشركات المصرية . ولكن من البديهى أن البورجوازية المصرية ما كان يمكن لها الا أن تقنع بدور الشريك الاصغر ، بحيث لم يزد نصيب رأس المال المصرى فى الشركات الاجنبية المساهمة فى عام ١٩١٨ عن ١٪ ، وفى عام ١٩٣٤ عن ٨٪ ، وفى عام ١٩٥٠ عن ١٩٪ (١٣٠/ص٤٥) .

أثر الحرب العالمية الثانية على الاقتصاد المصرى

تحولت مصر فى سـنوات الحرب العالمية الثانية الى راس جسر حربى استراتيجى أساسى لبريطانيا فى الشرق الاوسـط ، والى قاعدة أسـاسية فى هـذه المنطقة لاعداد القوات البريطانية بالمؤن . وتم وضع اقتصادها ومرافقها ومواردها البشرية وجيشها تحت القيادة البريطانية وخضعت الحياة الاقتصادية فى البلاد لهيئة بريطانية ، هى مركز الشرق الاوسط للامداد والتموين (أصبح يعرف فيما بعد باسم المركز الانجلو أمريكى) .

وما لبثت الحرب أن زلزلت أركان الاقتصاد المصرى التابع ، وتعقدت الاوضاع كثيرا بالنسبة لعمليات تصدير القطن نتيجة للحصار البحرى ، فأدى ذلك الى عجز هائل فى الميزان التجـارى .

وفى العام الثانى للحرب ، واجهت البلاد مشكلة تسويق القطن ، الذى تعتمد عليه حياة الغالبية العظمى من السكان . وتمخض عدم بيع المحصول فى عام ١٩٤٠ عن أخطار جسيمة ، وكان له أثرة البالغ على الحياة السياسية الداخلية للبلاد ، تجسـد فى المذكرة التى تقدم بها حزب الوفد الى الحكومة البريطانية فى أول أبريل ١٩٤٠ يطالبها فيها ، ضمن مطالب أخرى ، « بتسهيل عمليات تصـدير القطن المصرى الى البلدان المحـايدة ، أو شراءه بسـعر معقول » ، (١٢٢/ص٧٧) .

واتخذت الحكومة البريطانية فى تلك الفترة اجراءات فعالة لتوسـيع قواعدها العسكرية فى مصر . ومن أجل ضـمان « سـلامة وأمن وفعالية » استعداداتها العسكرية ، التزمت فى أغسطس ١٩٤٠ بشراء محصول القطن لعام ١٩٤٠ كله (٨٨/ص١٩٣ ــ ١٩٤) .

وفى العام التالى ، وبالرغم من نصيحة وزارة الزراعة المصرية بالحد من زراعة القطن ، لم يقلل المزارعون من الرقعـة المنزرعة قطنـا ، تعويلا على شراء الحكومة البريطانية للمحصول ، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق هـذه المرة الا على شراء نصف المحصول فحسب .

وأمام هـذا الموقف ، اتخذت الحكومة المصرية تحت ضغط السـفير البريطانى ومركز الشرق الاوسط للامداد والتموين عدة اجراءات للحـد من زراعة القطن ، واستبداله بالمحاصـيل الغذائية ، وتحت هـذه الضـغوط تغير التناسب فى زراعة المحاصيل المختلفة ، فتقلصت المساحة المزروعة قطنا فى عام ١٩٤٢/١٩٤٣ ثلاث مرات عمـا كانت عليه الحـال فى عام ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، فى مقابل التوسع فى زراعة الحبوب ، وانخفض محصول القطن فى عام ١٩٤٣ — ١٩٤٤ ثلاث مرات عن مثيـله فى عام ١٩٣٧ — ١٩٣٨ . ولكن هـذا التغير لم يتمخض عن أى زيادة ملموسة فى محصـول الحبوب نتيجة لانخفاض انتاجية الارض ، والناجم عن التقلص الشديد فى كميات الاسـمدة المستوردة ، (٨٨/ص٢٠٢/١٤/ص٢٧٤) .

وبالرغم من تضاؤل حجم الحاصلات الغذائية فى سنوات الحرب ، قام وكلاء مركز الشرق الاوسط للامداد والتموين باجبار الفلاحين على بيع ما فى حوزتهم من « فائض » القمح ، وفر مئات الآلاف من الفلاحين ، بعد افلاسهم ، الى المدن للعمل فى المشروعات العسكرية ، فأدى ذلك الى تأزم الاوضـاع فى الانتاج الزراعى . و تفشت الاوبئة وانتشر الجوع فى الريف المصرى على نطاق واسـع .

وعلى عكس الحال فى قطاع الزراعة ، سـاعدت ظروف الحرب على تطوير قطاع الصـناعة بخطى سريعة .

وساعدت على ذلك العـوامل الآتية :

١ — أدت العمليات العسـكرية فى أوروبا وشمال أفريقيا الى تقلص شديد فى عمليات استيراد السـلع الاجنبية الى السـوق المصرية ، مما هيأ الظروف المواتية لتطور الصناعة المحلية .

٢ — أدى تواجـد جيـوش الحلفاء فى البلاد الى زيادة الطلب على السلع المصرية فازداد انتاج مشـتقات البتـرول (من ٢٦٦ الف طن فى عام ١٩٣٨ الى مليون و ٣٥٠ ألف طن فى عام ١٩٤٥) ، والاسمنت (من ٣٧٠ الف طن فى عـام ١٩٣٨ الى ٥٩٠ ألف طن فى عام ١٩٤٦) والسـكر (من ١٥٩

١٧ الف طن فى عام ١٩٣٨ الى ٤١ الف طن فى عام ١٩٤٦) ، وحقق قطاع الصناعات الغذائية نجاحا باهرا ((السكر والمعلبات والزبد) ، وكذلك قطاع الكيماويات وقطاع الغزل والنسيج ، وظهرت مؤسسات صناعية جديدة ، ذات طابع عسكرى أساسا . وبشكل عام ، تضاعف الانتاج الصناعى خلال فترة الحرب وحدها بمعدل مرة ونصف المرة .

وركز الرأسماليون المصريون اهتمامهم أساسا على تطوير الصناعات الخفيفة ، وابرام العقود المختلفة مع جيوش الحلفاء .

وأعطت سلطات الاحتلال العسكرى الانجليزى الاولوية لبناء مشاريع لا تتوفر لها قاعدة خامات راسخة فى البلاد ، فكانت أن تلاشت هذه المشاريع بعد الحرب ، وكثر بناء ورش الاصلاح والصيانة ، ومصانع التجميع والتركيب ، والتى بلغ عدد العاملين فيها (بما فى ذلك المعسكرات الحربية) حوالى ٢٥٠ الف عامل مصرى (من بينهم حوالى ٨٠ ألف عامل ماهر وشبه ماهر) .

ونتيجة لازدهار قطاع الصناعة وتدهور قطاع الزراعة ، تزايدت أعداد السكان بشكل هائل فى كبريات المدن المصرية : فازداد تعداد القاهرة من ١٣٠٠ الف نسمة الى ٢١٠٠ ألف نسمة : والاسكندرية من ٦٨٠ ألف الى ٩٣٠ الف (خلال الفترة من ١٩٣٧ وحتى ١٩٤٧) ، وازدادت أعداد سكان ٢٠ مدينة كبرى خلال الفترة نفسها بمقدار ٥٠٪ فأصبحت ٤,٥ مليون نسمة بعد أن كانت ثلاثة ملايين نسمة (٦٤ ، ١٩٤٥/٤٦ و ١٩٤٦/٤٧ ، ص٦٣) .

ووضعت كافة الموارد البشرية والمادية فى البلاد تحت خدمة مركز الشرق الاوسط للامداد والتموين ، الذى كان يتقدم بطلباته للمشاريع الصناعية ويتدخل حتى فى عملية تنظيم الاجور . وكان يقوم بشراء المنتجات الصناعية والزراعية المصرية الضرورية لتموين جيوش الحلفاء بأزهد الاسعار . وعندما اشتدت وطأة العمليات الحربية فى شمال أفريقيا فى منتصف عام ١٩٤٢ ، « تشكل فى وادى النيل اقتصاد عسكرى مصغر » (٧٥ ، ص١٢٨) .

لم تسدد انجلترا قيمة السلع والخدمات التى تقــدمها مصر لها بالعملة الصعبة ، بل كانت تقيد هــذه المبالغ لحســاب مصر كديون . وكان هــذا الاسلوب أسلوبا جديدا للنهب الاســتعمارى ، يتم فى ظله ارغام مصر على ســداد نفقات الاحتكارات العسكرية لفترات محــددة كقروض . وقد بلغت ديون انجلترا لمصر فى نهاية الحرب ٤٠٢ مليون جنيه استرلينى .

حمــلت انجلترا مصر نفقــات الحــرب ، وســددت ما عليهــا بأوراق نقدية عديمة القيمة من اصدار البنك الاهلى المصرى (وهو بنك تسيطر عليه انجلترا) « ١٦ ص١٩٩) . ونجم عن هــذه السياسة تضخم شــديد ، كان سببا رئيسيا فى استفحال الغلاء وتدهور الوضع الاقتصــادى للكادحين . « ١٤ ، ص٢٦٦ ــ ٢٦٧ ، ٢٥ ، ص ٣٥١) « جدول ٣ » .

الجــدول رقم (٣) :

جملة الاموال المتداولة ، وبيان بأسعار الجملة ، وتكاليف المعيشــة فى مصر خلال الســنوات ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ (٧٩ ، ص٢٤٣ ، ١٤ ، ص٢٦٧ ، ٢٧١) .

العــام	اجمالى النقد المتداول بالمليون جنيه مصرى	اسعار الجملة (١٩٣٩م=١٠٠)	تكاليف المعيشة (١٩٣٩م=١٠٠)
١٩٣٩	٢٦ر٤٤	١٢٢	١٠٨
١٩٤٠	٣٧ر٣١	١٤٣	١٢٢
١٩٤١	٥٠ر٦٦	١٨٣	١٥٦
١٩٤٢	٧٥ر٣٥	٢٥١	٢١٥
١٩٤٣	٩٥ر٦٠	٢٩٢ر٧	٢٥٧ر٢
١٩٤٤	١١٦ر٧١	٣٣٠ر٣	٢٩٢ر٢
١٩٤٥	١٤٠ر٧٤	٣٣٣ر٤	٢٩٠ر٥

وهكــذا تزايد المتداول من الاوراق النقدية فى عام ١٩٤٥م بما يزيد على خمس مرات عما كانت عليه الحال سنة ١٩٣٩ ، وتضاعفت اســعار المواد الغذائية وفقا للاحصائيات الرسمية ، خلال الفترة نفســها ، بثلاث ــ أربع مرات ، بل واكثر من ذلك فى واقع الامر .

وعانت البلاد من النقص الحاد فى المواد التموينية ، وكذلك من الزيادات المبالغ فيها فى أسعار المواد الغذائية الاساسية التى كانت تتزايد (وفقا للاحصائيات الرسمية) شهريا بنسبة ٤٪ . وحرمت كبرى المدن المصرية — القاهرة والاسكندرية — من اللحم لبضعة أيام ، ولوحظت كذلك المصاعب الجسيمة فى الامداد بالمواد التموينيـة مثل السكر والكيروسين والدقيق والمنسوجات وغيرها . (٨٨ ، ص٢٠٤ — ٢٠٥) .

ونجم عن التضخم والازمة التموينية أن تفشت المضاربة والانتهازية على أوسع نطاق . وكانت الحكومة لا حول لها ولا قوة ، لان السبب الرئيسى ، الذى تمخض عنه التضخم والانتهازية ، هو عدم وضع النفقات الحربية البريطانية تحت الاشراف ، وكانت تحركات الحكومة قليلة الفعالية كذلك بسبب تنامى القوة السياسية للاقطاعين والبرجوازية والتجار .

وحقق كبار الراسماليين (سواء الاجانب أم المصريين) والاقطاعيين مزيدا من الثراء نتيجة للوضع العسكرى ، الى جانب فئة جديدة كانت تعمل فى التهريب وشتى نواع التلاعب . وهكذا استمر طوال سنوات الحرب اشتداد عود الطغمة الصناعية المالية الاقطاعية المصرية ، وظلت تدير شئون البلاد حتى عام ١٩٥٢ .

طبقات المجتمع المصرى

كانت البنية السياسية لمصر ما قبل الثورة تجسد النظام الاقتصادى للبلاد ، تجسيدا دقيقا للغاية .

وكما كان الحال فى المجال الاقتصادى الذى ابقى فيه المستعمرون على ملكية الاراضى الاقطاعية الضخمة ، فقد عملوا فى المجال السياسى على ادخال اسلوب الحكم الدستورى العصرى القائم على نظام تعدد الاحزاب ، الى جانب تعضيد نظام الباشوية العتيق . وكان الانجليز والملك فى حاجة الى الباشوات لابقاء السلطة التنفيذية تحت سلطانهم وتشكيل الحكومة المنصاعة لاوامرهم وشل النظام الدستورى .

وتشكلت منذ عام ١٩٢٤ وحتى عام ١٩٤٠م ١٧ حكومة ، منها ١٣ تكونت برغبة الملك ، بالرغم من أنها جميعا لم تحظ على الاطلاق بغـالبية اصـوات الناخبين . وخلال هـذه الفترة تولى حزب الوفد ، أكثر الاحزاب شعبية آنذاك مقاليد البلاد أربع مرات نتيجة الفوز الساحق فى الانتخابات . ولكن ما تكـاد الحكـومات الوفدية فى كل مرة تثير غضـب الانجليز أو دوائر القصر ، حتى تقصى عن السلطة وتستبدل بها حكومات أخرى من باشاوات « لا حزبيين » .

وعلى النقيض من زعماء الاحزاب السياسية ، الذين وصلوا الى أعلى المناصب بالطرق الدستورية المشروعة ، كان ممثلو الإرستقراطية الاقطاعية يتولون السلطة ويحصلون على الامتيازات من السراى ، وكانوا متعصـبين للملكية . وكان « أصـدقاء الملك » يضـعون همهم الاول والاخير فى البقاء فى السلطة أطول فترة ممكنـة ، وكانت من الوسـائل الحتمية لتحقيق هـذا المـأرب اقامة جسور « التفاهم المتبـادل » بينهم وبين السـفير البريطانى صاحب الطول والحول ، والذى كانت له دائمـا الكلمة الحاسـمة فى كافة المسائل السياسية الهامة .

وكان على قمة الهرم الاجتماعى فى مصر كبار الاقطاعيين ، وكذلك كبار اقطاب البرجوازية الاحتكارية المـالية والصناعية .

وكانت هـذه الفئات تشكل القاعدة الاجتماعية لاسـتمرار السـيطرة الانجليزية . وكان على رأس هـذه الفئات الملك ورجال السراى ، مقر القيادة الرئيسى للرجعية المصرية والقوى الانجليزية الميول والاهواء . فليس من قبيل المصـادفة أنه يتم أثناء الحرب وما بعدها تعيين كل من أحمد حسنين باشا وحافظ عفيفى باشا وهما من ذوى الميول الانجليزية المتعصبة فى منصب رئيس الديوان الملكى . وكان فاروق الاول نفسـه ملك مصر ، أكبـر اقطـاعى فى البلاد ، يمتلك ٢٨ ألف فدان من الاراضى الزراعيـة ، تحقق له دخلا سـنويا يقدر بـ ٢ مليون جنيـه مصرى و ٨٠٠ الف جنيـه مصرى اخرى من أرض الاوقاف . (٤٤ ، ص٢٩) . وكان أفراد العائلة الملكية يمتلكون الاقطاعيات

الضخمة(١) .

ويدخل ضمن طبقة الاقطاعيين ١٢ الف مواطن تزيد حيازة كل منهم على ٥٠ فدان من بينهم ٢١٤٥ اقطاعى كبير ، تزيد ملكية كل منهم على ٢٠٠ فدان و ١٩٨ من أضخم الاقطاعيين تزيد ملكية كل منهم على الالف فدان(٢) .

ولقد لعبت هـذه الطبقة دورا أساسيا فى حياة البلاد السياسية ، فتم من بين هـذه الطبقة بالذات تعيين رؤساء الحكومات « اللا حزبيين » (احمد زيور ، وعبد الفتاح يحيى ، واسماعيل صدقى ، وتوفيق نسيم ، وعلى ماهر ، وحسن صبرى ، وحسين سرى) .

وكانت الضياع الكبيرة هى القاعدة الاقتصادية للطغمة الحاكمة (٤٥ ، ص٤١) . وكان كبار الاقطاعيين المصريين يقيمون كالعادة ، خارج البلاد أو فى القاهرة والاسكندرية (حيث تنفق ببذخ عشرات الآلاف من الجنيهات على مظاهر الابهة والانحلال » (٧٢ ، ض٨٦) . وكان الاقطاعيون يستوظفون المديرين وجيش كامل من الملاحظين بل والخفراء المسلحين لنهب الفلاحين وحراسة المحاصيل والبيوت .

وكان الاقطاعيون يقومون بتصدير القطن ، واستثمار رؤوس الاموال فى الشركات التجارية والصناعية (وهى فى الغالب أجنبية أو مشتركة) ، متقربين بذلك للامبرياليين اقتصاديا وسياسيا .

وتشابكت بشكل وثيق مصالح الاقطاعيين والامبرياليين ، كما هو الحال فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة . وعمل ممثلو رأس المال الاحتكارى من خلال البنوك والشركات المختلطة وغيرها على زيادة توثيق عرى الروابط مع رأس المال الاجنبى . وازداد تأثير رأس المال الاحتكارى على الجهاز الحكومى بمصر بمقدار رسوخ قدرته الاقتصادية .

---

(١) كان الامير يوسف كمال يمتلك ٢٤ الف فدان ، والامير محمد على ٧ آلاف ، وسامى البدراوى ١٨ الف ، ومحمد البدراوى ١٢ الف فدان .

(٢) تنسحب هـذه البيانات على عام ١٩٥٢ .

وواجه الاقطاعيون والبراجوازية الاحتكارية الصناعية والمالية الكبيرة كل طبقات المجتمع المصرى الاخرى ، المتطلعة للقضاء على السيطرة الاجنبية، وكذلك تصفية بقايا القرون الوسطى ، وخاصة الاقطاع والملكية المتهاوية .

وكانت البرجوازية الوطنية تشغل الدرجة التالية من السلم الاجتماعى ، وتنتمى اليها البرجوازية المتوسطة ولاسيما التجارية والصناعية وجزء من البرجوازية الكبيرة . ولم تكن مصالح هذه الفئات مرتبطة بالاحتكارات الاجنبية . وكانت البرجوازية الوطنية تعمل من أجل تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى لمصر . ولهذا كان من الضرورى ان تتولى السلطة السياسية .

وكانت البرجوازية الوطنية ساخطة من تسلط الاحتكارات الاجنبية وشرذمة ضئيلة من الاحتكاريين والاقطاعيين المصريين ، ولجأت لحشد القوى الجماهيرية الثورية لتعزيز مواقعها . فمثلا ، نجدها قد اشتركت فى ثورة ١٩١٩ المناهضة للامبريالية . بيد أنه بقدر تنامى دور الفلاحين والفئات المتوسطة والطبقة العاملة ، وكانت البورجوازية الوطنية تبتعد عن الثورة ، خشية الحركات الشعبية واسعة النطاق .

وناضلت البرجوازية الوطنية ، كجزء من أمة مقهورة ، ضد المستعمرين الانجليز ، ولكنها كطبقة مستغلة ، لم تستطع أن تصبح طبقة ثورية ثابتة المبدأ ، ولم تكن تستطيع أو ترغب فى خوض غمار معركة التحرر الوطنى حتى نهاية المطاف .

ورد فى برنامج الحزب الشيوعى السوفيتى : « أن البرجوازية الوطنية من حيث انها مزدوجة الطبيعة فهى فى ظل الاوضاع الراهنة فى البلدان المستعمرة والتابعة ، والتى كانت مستعمرة سابقا ، غير مرتبطة بالدوائر الامبريالية ، وهى مهتمة بشكل موضوعى بانجاز المهام الاساسية للثورة المعادية للامبريالية والاقطاع . وبناء عليه ، فلم ينضب بعد دورها التقدمى ، وقدرتها على المشاركة فى حل المسائل الوطنية العامة الملحة .

بيد أنه بمقدار تعاظم التناقضات بين الكادحين والطبقات المالكة واندلاع الصراع الطبقى داخل البلاد فان البرجوازية الوطنية تبدى ميلا متزايدا للوفاق مع الامبريالية والرجعية المحلية » (٢ ، ص٤٧) .

وصفة ابراهيم عـامر الكاتب المصرى التقدمى البرجوازية الوطنيـة المصرية وصـفا صـائبا حين قال : « لقد ناضـلت الامبريالية والاقطاع ، تماما مثلما ناضلت ضد الاشتراكية ، وكانت دائما تعمل من أجل اصـلاحات محدودة للفلاحين ومن أجل تحسين ضـئيل لوضع العمال ... وكانت تدعم الفلاحين فى نضالهم ضد كبار الاقطاعيين وحاولت أن تخضع لنفوذها جماعات العمال غير المنظمـة ، وكانت تعمل فى كل مرة على واد الحقوق الديمقراطية للطبقة العاملة ، لانها كانت تشعر أن هـذه الطبقة تسعى من خلال الثورة الوطنية نحو الهدف ، الذى يتجـاوز بكثير حـدود الاسـتقلال السـياسى المتواضـع » (١٣٠ ، ص ٤٦) .

وكانت جميع المشاريع التجارية والصناعية والمـالية العاملة فى مصر ، مهما كان حجمها تتبع الاجانب وتخضـع لادارتهم حتى بداية الحرب العالمية الاولى مباشرة . وابان سنوات الحرب العالمية الاولى ، ولاسيما بعد اعلان الاستقلال الشكلى عام ١٩٢٢ ، حـدثت تطـورات جوهرية . وابتداء من الثلاثينيـات قام المصريون من جـديد بتأسيس اغلب المشـاريع والشركات المساهمة التجارية والصناعية . (جدول ٤) .

جـدول (٤) :

تقسيم راس مال الشركات تبعا للسمة الوطنية

(٧٢ ، ص٦٨ ، ١١٧ ، ص٦٥)

بالجنيـه المصرى

	المصرى	الاجنبى	الاجمالى
راس مال الشركات ، المؤسسة حتى عام ١٩٣٣	٦٠٠٦٦٣٥	٦٠٧٣٣٧٥١	٦٦٧٤٠٣٨٦
راس مال الشركات المؤسسة ما بين ١٩٣٣ حتى ١٩٤٨	٢١٠٤١٥٦٦	٥٦٧٧٠٤٨	٢٦٧١٨٦١٤
زيادة راس المـال (١٩٣٣ — ١٩٤٨)	١٩٢٦٠٦٣٢	٥٢١٣٣٧٨	٢٤٤٧٤٠١٠
الاجمالى فى عام ١٩٤٨	٤٦٣٠٨٨٣٣	٧١٦٢٤١٧٧	١١٧٩٣٣٠١٠
النسبة المئوية فى عام ١٩٤٨	٢٩	٦١	١٠٠

نوه عبد الله أباظة فى بحثه « حصة رأس المال الأجنبى فى اقتصادنا الوطنى »(١) ، أن راس المال الاجنبى المستثمر فى الاقتصاد المصرى حتى عام ١٩١٩ بلغ ١٠٢٢٩٥ الف جنيه مصرى بنسبة ٩١٪ من اجمالى رؤوس الاموال المستثمرة . (٧٢ ، ص٦٧) أى أن رأس المال الاجنبى بالفعل كانت له الهيمنة المطلقة فى الاقتصاد المصرى . . . .

ويبين الجدول الذى وضعه عبد الله أباظة أن حصة راس المال المصرى فى الشركات المساهمة كان يتزايد حتى بلغ فى عام ١٩٤٨ نسبة ٣٩٪ ، وابان سنوات الحرب العالمية الثانية والسنوات الاولى التى اعقبتها كانت ودائع المصريين فى شتى المشاريع الاقتصادية أزيد بكثير عن ودائع الاجانب . فبلغت حصة رأس المال المصرى خلال أعوام من ١٩٣٤ حتى ١٩٣٩ فى الشركات المساهمة التى أعيد تأسيسها من جديد نسبة ٤٧٪ ، وخلال الاعوام من ١٩٤٠ حتى ١٩٤٥ نسبة ٦٦٪ ، والاعوام من ١٩٤٦ حتى ١٩٤٨ نسبة ٨٤٪ . (٧٢ ، ص٦٨ ، ١١٧ ، ص٦٥) .

وتشهد الاحصاءات الرسمية عام ١٩٤٨ على النمو الملموس للبرجوازية الصناعية المصرية : ففى عام ١٩٤٧ كان هناك ٣٠٫٦ ألف مصرى من أصحاب المشاريع الصناعية وألف أجنبى (ودخول تقدر بحوالى ٣١٨٥ الف جنيه مصرى للمصريين و ٢٨٣ ألف جنيه مصرى للاجانب) . وقد استنتج شارل عيسوى من هذه الارقام أن الجزء الاكبر من قطاع الصناعة كان مركزا فى أيدى المصريين (٢٥ ، ص ٢٤٤) . زد على ذلك أن شارل عيسوى لم يساوره الشك فى أن نصف الشركات المساهمة المصرية العاملة فى مصر كانت « حتى قيام ثورة ١٩٥٢) ملكا للمصريين . (٢٥ ، ص ٣١٩) وهكذا كان ضعف البرجوازية يرجع بادىء ذى بدء الى الطبيعة الاستعمارية للاقتصاد وعدم نضج العلاقات الاجتماعية فى مصر قبل الثورة . وكانت عملية التفاوت

---

(١) وضع الجدول عبد الله أباظة رجل الاقتصاد المصرى ، بعد حسابات معقدة .

الطبقى (فى المجتمع الراسمالى) ابعد ما تكون عن الاكتمال وقد كبح جماحها بشكل مصطنع ، وكانت البرجوازية المصرية فى طور التكوين .

ويرجع السبب الآخر فى ضعف البرجوازية الوطنية الى نجاح الامبريالية فى شق صفوف البرجوازية المصرية الفتية ، واستقطاب اشد الفئات ثراء من القمة الاحتكارية الاقطاعية والبيروقراطية فى مجال البنوك للتعاون معها . وكان وجود هـــذه الطبقات من أصحاب الامتيازات يعرقل عملية توحيـــد صفوف البرجوازية الوطنية . وكانت الهوة سحيقة بين فصيلتى البورجوازية سواء فى العلاقات الاقتصادية او السياسية .

وأخيرا ، يرجع ضعف البرجوازية الوطنية المصرية الى تكوينها القومى والدينى المختلط . فكانت هناك فروق شاســـعة بين المســـلمين والاقباط ، ولعبت البرجـــوازية التى كانت تتكون من ممثـــلى الاقليات القوميـــة ومن المســـيحيين أو اليهـــود دورا هاما ويتضـــح « تناسب القوى » بين هـــذه المجموعات من تصنيفات قوائم مديرى الشركات (فى عام ١٩٥١) . فمن بين ١٤٠٦ فرد كان يوجد ٣١٪ مســـلم مصرى و ٤٪ اقباط ، و ١٨٪ يهـــود و ١١٪ سوريين ولبنانيين و ٨٪ يونانيين وارمن و ٣٠٪ أوربيين (٨٦ ، ص٨٩) .

ولم تكن البروليتاريا المصرية ، مثلها مثل البرجوازية الوطنية ، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية قد تشـــكلت ملامحها بعد ســـياسيا وتنظيميا كطبقة مســـتقلة .

وتبعا لتقديرات عام ١٩٤٥ ، بلغ اجمالى عدد عمال الصـــناعة ٣٦٢ الف ، علاوة على ٣٠٠ الف عامل تقريبا يشتغلون فى مختلف الورش والمعامل والمشاريع الثانوية (التى تخدم جيوش الحلفاء) ، وبالاشـــتراك مع عمال البناء والنقل والمواصلات ، والعاملين فى منطقة قناة السويس من البحارة وعمال الشـــحن والتفريغ بلغ فى عام ١٩٤٥ حـــوالى مليون عامل ، وتبعا لاحصائيات عام ١٩٤٧ بلغ عدد العمال (باستثناء العمال الزراعيين) ١١٧٦ الف (١١٣) . ويقدم تعداد الســـكان لعام ١٩٤٧ الرقم نفســـه تقريبا ، فقد بلغ فيه عدد العمال المشتغلين فى صناعات التعدين والبناء ٨٣٥ الف عامل ، واذا أضـــفنا اليهم عمال النقل والمواصلات يبلغ عددهم ١٠٣٨ الف عامل

(وقد كانوا فى عام ١٩٣٧ ٧٤٩ الف عامل) (٦٤ ، ٦٧) . وتدل هــذه الارقام على الزيادة العددية الهائلة للطبقة العاملة خلال الفترة الممتــدة من ١٩٣٧ وحتى ١٩٤٧ .

ولكن أعداد البروليتاريا الحــديثة كانت أقل كثيرا فى مصر ما بعــد الحرب ، وفحوى الامر ، أن الاحصــائيات المصرية لا تفرق بين البروليتاريا الحديثة وبين الحرفيين ، والصناع اليدويين وعمال الورش الصغيرة . ففى عام ١٩٤٧ بلغ عدد عمال الصناعة الحديثة (أى المشتغلين فى مشاريع يزيد عدد العاملين فى كل منها على عشرة عمال) ٢٧١ الف عامل مقابل ١٧٠ الف فى عام ١٩٣٧ . (٦٤) . ولو أضفنا لهــذا الرقم عدد العمــال المشــتغلين فى المشــاريع الكبيرة وطرق النقل ، يمكن أن نســتنبط أن عدد البروليتاريا الحديثة خلال عامى ١٩٤٥ — ١٩٤٦ (باســتثناء الذين حرموا من عملهم خلال هــذه الفترة) حوالى ٤٠٠ — ٤٥٠ ألف عامل .

وازدادت كثيرا كثافة أعداد البروليتاريا الصناعية . فمثلا ، فى عام ١٩٤٧ بلغ عدد العاملين فى ٥٨٧ مشروعا كبيرا ما يزيد على ٢٠٠ ألف فردا ، اى حوالى ٦٠٪ و ١٤٠ ألف عامل كانوا يشتغلون فى ٦٤ مشروعا من أضخم المشاريع (التى يزيد تعداد العاملين فى كل منها على ٥٠٠ عامل) ، اى ثلث تعداد العمال المشتغلين فى الصــناعة تقريبا . (١٠٨ ، x ١٩٤٨ ، ٦٤ ، ٦٥) .

وبلغ عدد عمال مصــانع الغزل والنسيج فى المحلة الكبرى حوالى ٢٦ الف ، وفى الاســكندرية حوالى ١٠ آلاف عامل ، وفى بعض مصانع الســكر والدخان وغيرها ٢ — ٣ ألف عامل .

وكان وضــع الطبقة العــاملة فى مصر الملكية مزريا للغاية ، وكانت تعانى من وطأة الاستغلال المزدوج من جانب المحتكريين المصريين والاجانب معــا(١) .

---

(١) للمزيد من التفاصيل ، أنظر : ١١ ، ص١٠٠ — ١٨١ ، ١٢ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٨ .

وكانت قوانين العمل متواضعة اذا ما قورنت بمثيلاتها فى البلدان العربية الاقل تقدما فى المجال الصناعى مثل العراق وسوريا ولبنان والعربية السعودية فعلى سبيل المثال ، لم يكن فى مصر قانون يحدد ساعات العمل حتى عام ١٩٥٢ . وكان يوم العمل محددا بتسع ساعات فى المحال التجارية والمستشفيات والمشاريع الصناعية الضارة بالصحة وحدها بينما كان يوم العمل محددا بسبع ساعات فى مواقع العمل نفسها بسوريا) . ولم تكن قوانين العمل المصرية تنص على الراحة الاسبوعية لعمال الصناعة (٧٢ ، ص٩١) ، وكان اغلب العمال يعملون ٦٠ ساعة أسبوعيا فأكثر . وفى نهاية الاربعينيات وبداية الخمسينيات كان ١٥٪ من العمال يشتغلون اكثر من ٨٠ ساعة فى الاسبوع و ٤٠٪ أكثر من ٧٠ ساعة (٥٥ ، ١٩٥١ ، رقم ٢٣ ، ص ١٧) ، ولم تكن هناك على الاطلاق أية قوانين لحماية العمل .

وانتشر على نطاق واسع أسلوب تأجير العمال من الباطن . ولم يكن غالبية المقاولين يوقعون أية عقود عمل جماعية مع العمال ، ولذا فانهم لم يتمكنوا من ارغام المقاولين على تطبيق قوانين حماية العمل . وصدر فى عام ١٩٥٠ فقط قانونا ينظم عملية توقيع الاتفاقيات الجماعية بين المقاولين وبين النقابات ، ولكن الواقع يثبت أنه قد تم تجاهل هذا القانون فى معظم الحالات .

وكانت مصر تتبوأ احدى المواقع الاولى فى العالم فى مجال استغلال عمل الاطفال وتبعا لاحصائيات اتحاد النقابات العالمى ، فان الاطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٩ — ١٤ سنة (حوالى ٦٠ الف) كانوا يشكلون نسبة ١٠٪ من اجمالى عدد العمال المصريين (٥٥ ، ١٩٥١ ، رقم ٢٣ ، ص١٧ ، ١٤ ، ص٢٤٧) ، علاوة على ذلك فان اجرهم كان يصل الى ثلث الاجر الذى يتقاضاه العامل البالغ . ووفقا للبيانات التى أوردها شارل عيسوى ، فان عدد الاطفال فى عام ١٩٥١ كان يشكل نسبة ٧٪ من العمال (٢٥ ، ص ٢٦٨) . وكان هناك حوالى ٨٠ الف امراة تشتغل فى قطاع الصناعة المصرى . ولم تكن هناك اية قوانين بالمرة تحمى عمل المراة .

وكانت المراة تتقاضى عن عملها اجرا يتراوح ما بين ثلث وحتى نصف أجر الرجل الكامل . (١١ ، ص١٧٩) .

ويلاحظ أن البيانات الخاصة بالوزن النوعى لعمل المراة والاطفال فى قطاع الصناعة متناقضة غاية التناقض . فتبعا لبعض الاحصاءات المشوشة ، تزايد هذا الوزن من ٢٥٪ مقابل ١٥٪ حتى الحرب . (٥٥ ، ١٩٥٢ ، رقم ٣٠) .

وبلغ فى يوليو عام ١٩٤٤ متوسط أجر العامل الاسبوعى ١١٥ قرشا ، وفى يولية ١٩٤٦م بلغ ١٢٥ قرشا ، وفى يناير ١٩٤٨ بلغ ١٣٩ قرشا ، وفى يناير ١٩٥٠ بلغ ١٤٩ قرشا ، وفى يناير ١٩٥١ بلغ ١٨٩ قرشا . بيد أن زيادة الاجور أثناء فترة الحرب ، والسنوات الاولى التى أعقبتها سواء بسواء متخلفة دائما عن مؤشرات الاسعار ، وتكاليف المعيشة .

زد على ذلك ، أن متوسط الاجر ، كما نوه شارل عيسوى ، لا يكون فكرة كاملة عن حجمها الحقيقى لان البلاد كانت تموج بفئات عديدة من العمال الاجانب والشوام (حوالى ٥٪ من اجمالى عدد العمال قبل الحرب ومن ١ — ٣٪ خلال سنوات ما بعد الحرب) والتى كانت أجورهم تزيد بحوالى ثلاث أو اربع مرات عن أجور المصريين ، (٧٩ ، ص٢٤٣ ، ٢٥ ، ص٢٦٧) وتبعا للبيانات الرسمية ، فان الاجور الفعلية للعمال تدهورت من يناير ١٩٤٢ وحتى ١٩٥٠ بنسبة ٥٣٪ فى المتوسط (١٠٨ ، ١٩٥٧ ، رقم ٢ ، ص١٠) . وكان هذا أقل من حد الكفاف الادنى وأقل من قيمة القوى العاملة .

وأدت المعدلات العالية لزيادة سكان الريف النسبية الى الاسراع فى عملية الهجرة الى المدن ، ولاسيما أثناء الحرب . بيد ان عملية الهجرة الى المدن لم يواكبها عملية تحول الفلاحين السابقين الى بروليتاريا مصرية . لقد اتخموا بشكل اساسى صفوف اشباه البروليتاريا بل وكذلك حثالة البروليتاريا ، مؤدين بذلك الى تضخيم جيش العمل الاحتياطى المتضخم أصلا .

وتعطى الاحصاءات الرسمية فكرة تقريبية للغاية عن تعداد أشـــباه البروليتاريا وحثـــالة البروليتاريا (أى الافراد ذوى الدخول العفوية ، من أشباه العاطلين أو العاطلين تماما) . وتبعا لبيانات ١٩٤٧ ، نجد فى فصلى « الافراد غير المؤهلين » و « الافراد العـــاطلين » (ممن تزيد أعمارهم على خمس ســنوات) الارقام التوضـــيحية المتتالية الآتيـــة : ١٥٧٠ الف (من بينهم ١١٢٣ الف رجـــل) و ٢٢٢٧ الف (من بينهم ١٠٥٤ الف رجـــل) ، والاجمالى ٣٧٩٧ الف فرد (٦٧ ، ٦٤ ، ١٩٤٧) .

وبالرغم من أن البروليتاريا المصرية كانت تأخذ بأســـاليب الانتـــاج المتطورة (كالتركيز الشديد) ، الا أنها كانت تتميز من حيث تركيبها وبنيتها تميزا كيفيا عن الطبقة العاملة فى بلدان أوربا وأمريكا الشـــمالية . وكانت نسبة العمال المهرة ضئيلة للغاية . ولم يكن بين صفوف البروليتاريا تقريبا أى متخصصون فى فروع الانتاج العصرية مثل عمال الحديد والصلب وبنـــاء المـــاكينات والاجهزة وعمال المعادن والكهرباء وغيرها . وكانت الغـــالبية العظمى من بروليتاريا الصناعة هم عمال الغزل والنسيج وعمال الصناعات الغذائية . وكانت هناك فئات عريضـــة تشتغل فى الإنتاج الريفى والحرفى ، وكانت ظاهرة تنقل القوى العاملة من مكان لآخر منتشرة .

زد على ذلك ، أن الطبقة العاملة المصرية كانت حديثة العهد للغاية كطبقة (معظمهم عمال من الجيل الاول) ولذا فلم تكن لديهم خبرة فعلية بالنضـــال الســـياسى الجـــاد .

وكانت الغالبية العظمى من الطبقـــة العـــاملة تقع تحت تأثير شـــتى التيارات السياسية والسياسية الدينية البورجوازية والبرجوازية الصغيرة ، وكذلك تحت تأثير الافكار البرجوازية الصغيرة فى المجال الايديولوجى .

والدليل على ان الطبقة العاملة لم تتوحد أيديولوجيا وسياسيا وتنظيميا أن معظم أفرادها لم يكونوا أعضاء فى النقابات . فمثلا ، نجد فى عام ١٩٤٩ أن ١٩٫٥٪ فقط من اجمالى عدد المشتغلين فى قطاع الصناعة كانوا اعضاء

نقابيين(١) . (١٠٦ ، ١٩٤٩ ، رقم ٣) .

ولذا فان « لواء القيادة لم ينعقد للطبقة العاملة فى الثورة المناهضة للامبريالية أثناء مرحلة النضال من اجل الاستقلال الوطنى » (٣٧ ، ص٧ ، ٣٨ ، ٢٤) . وكانت احدى الاسباب فى قصور الحركة العمالية تكمن فى أن العمال المهرة والاكثر وعيا وادراكا والجزء المثقف من البروليتاريا ، كانوا أساسا من الاوربيين والشوام .

زد على ذلك أن الطبقة العاملة كانت تلعب دورا متزايد النشاط فى النضال التحررى للشعب المصرى . وظهر هذا بحدة خاصة خلال فترة مد الحركة المعادية للامبريالية (فبراير — يولية ١٩٤٦ ، وأكتوبر ١٩٥١ ، ويناير سنة ١٩٥٢) . وبالرغم من أن الطبقة العاملة لم تتزعم حركة التحرر الوطنى ، فانها كانت من أهم القوى المحركة .

ان تطور العلاقات الراسمالية فى مصر اثناء فترة ما بين الحربين العالميتين وعلى وجه الخصوص ابان سنوات الحرب العالمية الثانية ، والنمو الهائل لسكان المدن ، وزيادة أعداد المشاريع التجارية والصناعية ، وتطور جهاز الدولة ، وتضخم عدد افراد الجيش والبوليس ، وتطور نظم التعليم المتوسط والعالى أدى بالاضافة الى تعاظم حجم الطبقة العاملة الى النمو السريع للبرجوازية الصغيرة فى المدن ولمثقفى البرجوازية الصغيرة خاصة .

ووضع القصر فى نضج الطبقتين « الاساسيتين » ، البرجوازية والبروليتاريا ، فى المقدمة الفئات المتوسطة العديدة فى المدن ، وهى الجزء الاكثر ثقافة وتشكلا من أبناء الشعب . ومنذ عام ١٩٣٧ تزايدت أعداد الاطباء وغيرهم من المتخصصين فى مجال الطب من ٣ر٣ الف حتى ٧ر٥ الف

(١) تشكلت أول نقابة مصرية من عمال مصانع الدخان فى عام ١٩٠٣ . ولكن المدى الحقيقى للحركة العمالية بلغ ذروته بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى . وفى عام ١٩٤٢ فقط تمكنت الطبقة العاملة من استصدار قانون يبيح تكوين النقابات وممارسة نشاطها رسميا .

فى عام ١٩٤٧ ووصـــل العدد ١٠ آلاف فى ١٩٦٠ ، وازداد عـــدد الكيميائيين والصيادلة من ٢ر١ الف حتى ٦ر١ الف فى عام ١٩٤٧ وازداد عدد المدرسين من ٣٥ الف الى ٥٢ الف فى عام ١٩٤٧ و ١١١ الف فى عام ١٩٦٠ ، والكتاب والصحفيين من ٢ر١ ألف حتى ٢ر٨ ألف فى عام ١٩٤٧ ، والموظفين الكتابيين من ٣ر١٠٢ ألف حتى ١٢٧ الف فى عام ١٩٤٧ ، والمهندســين من ٤ر٨ الف حتى ٨ر١٥ الف فى عـــام ١٩٤٧ (٨٦ ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٢٥ ، ص١١٤) . وتنامى كثيرا عدد ضباط الجيش .

وكانت هـــذه هى القوة الاجتماعية ، التى أطلق عليها « البراوى » رجل الاقتصاد المصرى تعبير « الطبقة المتوســطة الثورية الجديدة » . ويدخل فى عداد هـــذه الطبقة :

(أ) موظفى الحكومة الصغار والمتوسطين ، بما فى ذلك معلمى المدارس وضباط البوليس والجيش .

(ب) موظفى الفئات الدنيا والمتوســطة ، المشتغلين فى جهـــات غير حـــكومية .

(جـ) طلبة المعـــاهد الدراسية العليا .

(د) الحرفيين والتجار الصغار والمتوسطين .

ويشير البراوى قائلا : « كانت هـــذه هى القوى الاجتماعية الجديدة ، التى أخذت وضعها رويدا رويدا فى الحياة . وكانت هـــذه القوى بالتأكيد ، قوى ذات فكر ثورى وكانت تجســيداً للسخط على الاوضـــاع الســياسية والاجتماعية والاقتصادية الســائدة فى البلاد » . (٧٢ ، ص٧٧) . وكانت البرجوازية الصغيرة والمثقفون مستاؤون من سيطرة رأس المـــال الاحتكارى الاجنبى والمحلى ، الذى أدى الى افلاس الصــناع والتجار وعمال الحرف اليدوية الصـــغار وكانت هـــذه الفئات خلال الســنوات الســابقة للحرب العالمية الثانية خاضعة تماما لرأس المـــال الكبير ، الذى يستغلها بلا رحمة أو هـــوادة(١) .

---

(١) كانت هـــذه الفئات جميعـــا فى الثلاثينيات والاربعينيات من القرن العشرين ، تابعة تقريبا لاصحاب المتاجر الكبيرة . وكالعادة ، كان الحى أو المنطقة بأكملها تعمل لحساب شخص واحد . زد على ذلك أن أسر الصـــناع بكامل أفرادها كانت تشتغل .

وكان الوضع الاقتصادي للبرجوازية الصغيرة مزعزعا للغاية ، الامر الذي يستدل عليه من الزيادة المستمرة فى اعداد المفلسين من التجار .

لوحظ فى عام ٤٨/١٩٤٧ وجود ٣٠ حالة افلاس ، وفى ١٩٥١/١٩٥٠ وجود ١٠٩ حالة افلاس ، ومن يناير حتى سبتمبر ١٩٥١ وجود ٩٤ حالة افلاس ، وخلال الفترة نفسها من عام ١٩٥٢ وجود ١٤٤ حالة افلاس . (٤٩ ، ص١٩) .

وكان الصناع بعد اشهار افلاسهم ، نادرا ما يتحولون الى عمال ، وغالبا ما يتحولون الى حثالة بروليتاريا . كتب البراوى يقول : « لقد فقد المواطنون من أصحاب الحرف — الصغيرة الامل فى التقدم ، بسبب سيطرة المصالح الكبيرة والاحتكارية على الحياة الاقتصادية للبلاد ، حتى أن حالة من السخط والاستياء عمت أوساطهم فى سنوات الحرب بسبب الارباح الفاحشة التى كانت تتخم جيوب كبار الرأسماليين والاجانب » (٧٢ ، ص ٧٨) .

وكان موظفو الحكومة والقطاع الخاص الصغار والمتوسطون يعانون من قسوة العمل وضآلة الاجور وصعوبة الترقى والتدرج فى السلم الوظيفى ، وكانت رواتب واجور صغار الموظفين متجمدة لمدة ١٥ — ٢٠ عاما من الخدمة وكان هذا هو ايضا وضع معلمى المدارس وضباط الجيش والبوليس . وكانت الرتب العسكرية ابتداء من رتبة رائد الى أعلى تمنح للاثرياء وحدهم : وبالرغم من ذلك فان رواتبهم لا تقارن بحال من الاحوال بالمرتبات الفاحشة التى كان يتقاضاها كبار الموظفين المدنيين والعسكريين المنحدرين من سلالة الاقطاعيين وكبار البرجوازيين . وتفشت فى جهاز الحكومة آفات المحسوبية والفساد والرشوة . وانتشرت البطالة على نطاق واسع فى مصر فى الاربعينيات والخمسينيات بين اوساط الحاصلين على مؤهلات التعليم العليا وأصحاب الاعمال الحرة (٧٢ ، ص ٧٨ ، ٢٥ ، ص ٣٩٧) .

ونلاحظ أن الطبقات الوسطى فى البلدان ذات البنية الاقتصادية التابعة للاستعمار والتى تتميز بالتركيب الطبقى غير المكتمل تختلف من حيث وضعها الاقتصادى والسياسى الاجتماعى عن مثيلتها من الطبقات الوسطى فى البلدان الراسمالية المتطورة فى انها تقف بالقرب من الطبقات الكادحة أكثر من قربها للبرجوازية . ونظرا لان الراسمالية وصلت مع الاستعمار لهذه البلدان ، فان الطبقات الكادحة ، بما فى ذلك الفئات المتوسطة تكن البغض والكره لكل من الامبريالية والراسمالية سواء بسواء . زد على ذلك أن الطبقات المتوسطة تتميز بعدم التجانس وكثرة التنوع الشديد من حيث الوضع الاقتصادى والسياسى والمستوى الثقافى والفكرى ، وكذلك التعليم وغيره . ويرجع التفاوت والتنوع بين اوساط الطبقة البرجوازية الصغيرة الى وضعها الوسط بين الطبقتين « الاساسيتين » ، مما يتسبب فى عدم ثباتها وتناقضها .

وتكمن أهم الخصائص المميزة للطبقات المتوسطة فى انها تميل بصعوبة للتكاتف والاتحاد ، وخاصة من وجهة نظر تكوين التنظيمات الطبقية الخالصة . وهذا يفسر السبب فى ان الطبقات الوسطى كانت فى ظل الاحوال السائدة فى مصر المصدر الاساسى ، الذى تأخذ منه أهم الاحزاب المناهضة للامبريالية كوادرها سواء اليسارية (مثل التنظيمات الشيوعية ، والوفديين اليساريين) ، أو اليمينية الموالية للفاشية من حيث اساليبها التنظيمية (مثل « مصر الفتاة » و « الاخوان المسلمين » وغيرها) .

ولا تحتوى بعد الابحاث الماركسية عن تصنيفات محددة لشتى الفئات المندرجة بين صفوف الطبقات المتوسطة فى بلدان آسيا وافريقيا . وهناك محاولات من هذا النوع بذلك فى أبحاث الغرب العصرية .

فمثلا ، يقسم بيرجر ، عالم الاجتماع الامريكى ، الطبقة المتوسطة الى مجموعتين رئيسيتين هما :

١ — صغار التجار والحرفيين ، وهم يشتغلون اساسا لحسابهم الخاص ، ولا تمثل دخولهم أو تأثيرهم فى حياة البلاد السياسية والاقتصادية أثرا يذكر .

٢ ــ فئة مختلطة تضم اصحاب المهن الحرة (مثل الاطباء والمحامين وغيرهم) ، القيادات الادارية والفنية لمختلف المشاريع والمصالح ، وكبار الموظفين والموظفين ومديرو المكاتب ورجال الدين . وينوه بيرجر ، أن « الطبقة المتوسطة » فى بلدان الشرق العربى من حيث العدد هى أكبر طبقات المجتمع (فى المدينة) وأكثرها تنظيما وتثقيفا .

كتب الباحث الامريكى تشارلز كريمنز ، وكأنه يواصل تصنيف بيرجر ، يقول ان خريجى المعاهد التعليمية العالية يشكلون الجزء الرائد والكبير فى « الطبقة المتوسطة » وصفوتها ، التى لا تتعدى أعدادها فى أى بلد عربى عن ٥٪ من السكان . بيد أن أكبر الجماعات تعدادا من السكان وحدت صفوفها تحت قيادة هذه الصفوة الجديدة . وكان هؤلاء هم المواطنون الذين يطلعون على الصحف ويترددون كثيرا على الاجتماعات السياسية ويشاركون بنشاط فى الحياة الاجتماعية والسياسية . وهم أصحاب المحال الصغيرة والحرفيون المهرة وعمال المدن وصغار الموظفين المدنيين الذين يقلون عن الصفوة من حيث التعليم ، والوضع الاقتصادى . وبلغت أعدادها فى مصر ٢٠ ــ ٢٥٪ من السكان (٧٧ ، ص٨٧ ــ ٨٩) .

ان كل هذه « التشكيلة » المعقدة ، التى نسميها بالطبقات الوسطى فى المدن كانت بمثابة أكبر قوة ثورية منظمة مناهضة للامبريالية فى المجتمع المصرى ما بعد الحرب . وكان يشبهها تقريبا الفلاحون المتوسطون من حيث وضعهم الاقتصادى وميولهم وأيديولوجيتهم ، وكذلك جزء كبير من الفلاحين الاغنياء .

ولعب المثقفون الوطنيون المصريون دورا كبيرا فى حركة التحرر الوطنى بعد أن أخذت أعدادهم فى التزايد حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية والسنوات الاولى التى أعقبتها . وعندما نتحدث عن ثورية البرجوازية الصغيرة ، فاننا نعنى بهذا بادىء ذى بدء ثورية مثقفى البرجوازية الصغيرة التقدمية ، والذين قام من بينهم بالدور الرائد ضباط الجيش والطلبة ومعلمى مراحل التعليم المتوسطة والعليا ، وكذلك صغار الموظفين

والمتوسطين ، ولا نعنى التجار وأصحاب المحال الصغيرة . وإذا كانت جذور الغالبية العظمى منها نابعة من البرجوازية الصغيرة ، فانه يمكن تقسيمها الى ثلاث تقسيمات متفاوتة من حيث معتقداتها :

١ — المثقفون ، حماة المصالح الاقطاعية الكبرى والبرجوازية الاحتكارية والملكية وكانت هذه الفئة عالية الرواتب قليلة العدد .

٢ — المثقفون من ذوى الميول المعادية للسيطرة الانجليزية ولتجمعات الطبقة الحاكمة ، التى كانت تشكل قاعدة اجتماعية للامبريالية . وكان افراد هذه الفئة اكثر عددا وكانت تتسم بالوطنية والبطولة ، بيد انها لم تكن ثورية على طول الخط .

٣ — المثقفون الديمقراطيون ، وكانت أعدادهم تزيد بقليل عن اعداد الفئة الاولى ، ويقلون عن أعداد الفئة الثانية بكثير . وكانت هذه الفئة من أشد فئات المثقفين المصريين وطنية وثورية .

وقد تنامى كثيرا واستمر يتنامى دور البرجوازية الصغيرة ودور مثقفى البرجوازية الصغيرة حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية . وينوه البراوى بانصاف قائلا ؛ ان تأثيرها على سير الاحداث فى سنوات ما بعد الحرب كان أكثر بكثير من القدرات المادية الفعلية المتاحة لهذه الطبقة ، وكان خطر الفقر والبؤس كالسيف المسلط دائما على رقاب الغالبية العظمى من أبناء الطبقات المتوسطة والبرجوازية الصغيرة . وهذا يفسر راديكاليتها وثوريتها .

وقد لعبت البرجوازية الصغيرة دورا سياسيا هاما للغاية واحدثت تأثيرا أيديولوجيا قويا فى الجماهير العريضة من الكادحين ، بعد أن برزت كجزء من البرجوازية الوطنية أكثر راديكالية . ويرى البراوى بحق ، أن هذه الطبقة المتوسطة الجديدة المتنامية كانت أشد الطبقات ثورية فى ظل الظروف السائدة فى مصر ما بعد الحرب . (٧٢ ، ص٨٠) .

وقد لعبت الطبقات الوسطى خاصة فى المدينة (على حد قول البراوى « الطبقات الوسطى الجديدة ») دور القائد فى نضال الشعب المصرى من أجل الاستقلال الوطنى .

وكانت جماهير الريف العريضة البروليتارية وشبه البروليتارية من الفلاحين المعدمين وصغار الملاك ، وكذلك العمال الزراعيين تشكل القاعدة الهرمية للمجتمع المصرى فيما قبل الثورة . وكانت هذه الطبقة تضم الغالبية العظمى من ابناء الشعب التى تعانى فى الوقت نفسه أشد المعاناة بسبب الحرمان والاستغلال .

ويشير رجال الاقتصاد ، المهتمين بدراسة أوضاع الفلاحين المصريين فيما قبل ثورة ١٩٥٢ الى مستوى معيشة الفلاحين المزرى خضوعهم الكامل لعسف وجور الاقطاعيين وأثرياء المزارعين ، الذين كانوا يؤدون كذلك دور المرابى للفلاحين(١) . وكان وضع عمال الزراعة صعبا للغاية ، حيث كان يتم استئجارهم للقيام بالاشغال الموسمية لمدة ١٠ — ١٥ يوما فى الشهر (٧٢ ، ص٨٢) .

وينوه راشد البراوى أن الظلم والفقر والجهل والمرض كانت هى الآفات المنتشرة فى الريف المصرى . (٧٢ ، ص٨١) . ولم يقتصر الامر عند حد مصادرة المحصول الزائد عند الفلاح ، بل تعداه لجزء من المحصول الاساسى ، وكان دخله « أقل بكثير من دخل اترابه فى أى بلد من بلدان العالم الاخرى » (٤٩ ، ص٧١) .

وانتشر المرض نتيجة الظروف الصحية السيئة والفقر . وكانت (البلهارسيا والرمد الحبيبى والتيفود) سيوفا مسلطة على رقاب العباد فى الريف المصرى . وبلغت نسبة الاصابة بالبلهارسيا ، تبعا لما أورده البراوى من بيانات ، بما لا يقل عن ٥٠٪ من سكان الريف المصرى (٧٢ ، ص٨٤) .

وكان كل مواطن من سكان الريف يعانى من الامراض الثلاثة معا . ومما يدل على المستوى الهابط للحالة الصحية ، رفض ١٦ من بين كل ١٧ فردا يستدعون لتأدية الخدمة العسكرية ، بسبب عدم اللياقة البدنية والصحية . (١١١ ، ١٩٥٠/٩/٢٩) ، وانتشر الجوع والاوبئة المعدية على نطاق واسع خاصة ابان سنوات الحرب : « عم الجوع البلاد ، واودى وباء

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : ٤٤ .

الملاريا فى صعيد مصر عام ١٩٤٣ بحياة ما يربو على مائة الف مواطن ، وكانت اجسادهم هزيلة واهية لدرجة أنهم كانوا يفارقون الحياة عند ظهور أول اعراض الحمى ، وكانوا فى أشد الحاجة للطعام ، لدرجة انهم كانوا يبيعون الكينا التى تزودهم بها الحكومة » . (٧١ ،ص٢١) .

وتفشت الاوبئة ثانية بعد الحرب . فمثلا ، اندلع فى مصر فى أواخر سبتمبر وطوال شهر اكتوبر كله سنة ١٩٤٧ وباء الكوليرا ، الذى أزهق ارواح بضع مئات من المواطنين يوميا . (١١١ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣١/١٠/١٩٤٧) .

وحرم الفلاحون المنتجون الاساسيون للخيرات المادية فى البلاد من كافة حقوقهم السياسية . فلم يكن لهم نواب يمثلونهم فى البرلمان ، ولم تكن لهم أية أحزاب سياسية . والحق ، أنه ظهر ابان سنوات الحرب العالمية الثانية « حزب الفلاحين الاشتراكى » ولم يكن به أى شىء من الاشتراكية سوى العنوان أو أى شىء من حياة الفلاحين سوى التسمية . وحرم قانون ١٩٤٢ الذى أباح تكوين النقابات ، تنظيم أية نقابات للعمال الزراعيين .

ولم تكن الطبقات الحاكمة فى مصر ما قبل الثورة مهتمة بحل المشكلة الزراعية . وتحت وطأة الازمة الزراعية الطاحنة ، طرحت على البرلمان مرتين فى عام ١٩٤٥ ، ١٩٥٠ مشاريع قوانين للاصلاح الزراعى ، رفضت فى المرتين من الاغلبية البورجوازية الاقطاعية .

وكانت مصر عشية ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢م على شفى حفرة من الاضطرابات الفلاحية الجامحة . وخلال هذه الفترة وقعت بعض المصادمات ضد الاقطاعيين ، ورصدت بعض حالات استيلاء الفلاحين على ضياع اقطاعية ، واخذ الفلاحون ينخرطون فى غمار الحرب الفدائية فى منطقة قناة السويس . بيد ان النضال التحررى لم يسفر عن حرب فلاحية واسعة النطاق ، كما حدث ، مثلا ، فى الجزائر . والمهم أن الفلاحين كانوا احد القوى الاساسية فى حركة الشعب المصرى المناهضة للامبريالية والاقطاع .

الأحزاب السياسية

الكتلة الوفدية ــ الاحرار الدستوريين ــ الحزب الوطنى ــ الهيئة السعدية

كان حزب الوفــد أو الوفد المصرى هو أكبر الاحزاب الســياسية فى مصر وأكثرها تأثيرا ونفوذا . وظهر الوفد فى أواخر عام ١٩١٨ كلجنة لقيادة نضال التحرر الوطنى . واصــبحت هــذه اللجنة فيما بعد نواة للحزب ، الذى تأسس بشــكل نهائى فى أواخر عام ١٩٢٣ . وكان الحزب يمثل بحق تحالفا بين كافة القوى الوطنية ، التى هبت خلال الاعوام ١٩١٨ ــ ١٩٢١ تناضل ضــد السيطرة الانجليزية .

ويعتبر ســعد زغلول(١) مؤسس الحزب وزعيمه الاول . وكان الهدف

---

(١) ولد ســعد زغلول (١٨٦٠ ــ ١٩٢٧/٨/٢٣) فى قرية ابيــان (محافظة الغربية) فى أسرة عمــدة القرية الثرية . وأنهى تعليمه فى الازهر عام ١٨٨٠ . وانضم لحلقة طلاب العلم عند جمال الدين الافغانى وتقرب من محمد عبــده . وعمل عام ١٨٨١ فى جريدة « الوقائع المصرية » ، التى كان يحررها محمد عبــده . وشارك فى انتفاضــة أحمد عرابى باشا ١٨٧٩ ــ ١٨٨٢ ، وتم القبض عليه بعد اخفاقها ، ولكن سرعان ما أفرج عنه . ومنذ عام ١٨٨٤ عمل محاميا ، ومنذ عام ١٨٩٢ عمل مســتشارا بمحكمة القاهرة للاستئناف . وفى عام ١٨٩٨ أنهى دراسته بكلية الحقوق جامعة السربون . ومنذ عام ١٩٠٦ وحتى ١٩١٢ شغل منصب وزير المعارف ، ثم وزير العدل . ومن خلال عمله فى هــذين المنصبين حقق شهرة واسعة . فلاول مرة وبناء على أوامره تم تدريس العــلوم الطبيعية باللغــة العربية . وفى عهده تم ارسال بعثات من الطالبات لتلقى العلم فى الخارج . وترأس لجنة لتأسيس الجامعة . وكان منضما « لحزب الامة » وشارك فى نشاط « الحزب الوطنى » وسعى لتوحيد صــفوف الاقبــاط والمسلمين . وكان يقول « ان القضــية المصرية ليست دينيــة ، وانما وطنية . ومصر ملك للاقبــاط ، كما هى ملك للمسلمين » . وتم انتخابه فى عام ١٩١٣ نائبا لرئيس الجمعية التشريعية . وفى عام ١٩١٨ تقدم مع اثنين من أنصاره للمندوب السامى البريطانى بمطلب الشــعب المصرى فى الاستقلال . وبعد رفض مطلبه ، تراس حركة التحرر (انتفاضة ١٩١٩ و ١٩٢١) . ونفى فى ربيع ١٩١٩ الى جزيرة مالطة ، ومنذ ديسمبر ١٩٢١ وحتى سبتمبر ١٩٢٣ سجن ونفى الى سيشيل . اسس حزب الوفد . وشكل فى يناير ١٩٢٤ أول حكومة وفدية ، بيد أنه اضطر فى نوفمبر من العام نفسه لتقديم استقالته بسبب دســائس الســلطات الانجليزية . وترأس مجلس النواب فى ١٩٢٦ ــ ١٩٢٧ .

الرئيسى ، الذى طرحه حزب الوفد ، ينحصر فى الحصول على الاستقلال لمصر : زد على ذلك أن الوفديين كانوا يرون أن أهم وسيلة لبلوغ هذا الهدف هو اجراء المفاوضات مع الامبرياليين وليس نضال الجماهير الشعبية .

ولم يكن الوفد حزبا مؤلفا من كتلة واحدة ، بل كان يضم بين صفوفه الاقطاعيين الصغار والوسط وممثلى البرجوازية التجارية والصناعية ، وفى الوقت نفسه ممثلى البرجوازية الصغيرة والمثقفين والطلبة والعمال . وكثيرا ما صرح زعماء الوفد ، بأن الحزب يعبر عن ارادة وامانى الشعب المصرى كله .

والاعتقاد السائد ، أن هذا القول سليم الى حد بعيد ، فالوفد كان يعبر عن مصالح البرجوازية الوطنية المصرية وكبار الملاك الليبراليين . بيد أنه لم يكن حزبا بكل ما تحمله الكلمة من معانى وبالمفهوم العصرى ، أى تنظيما يدافع عن مصالح طبقة محددة . وكان الوفد أشبه ما يكون بتنظيم على شاكلة الجبهة الوطنية ، تضم بين صفوفها فئات وطبقات من المجتمع المصرى متفاوتة فيما أشد للتفاوت . كتب البراوى يقول : « والحقيقة أن الوفد كان يتكون من بضع مجموعات ذات خصائص طبقية مميزة متباينة يؤلف بينها جميعا الوفاء وحده لماضى الحزب وشخص مصطفى النحاس »(١) . (٧٢ ، ص١٧٠) . ويؤكد غياب حزب طبقى خالص

---

(١) ولد مصطفى النحاس (١٠/٦/١٨٧٩ — ٢٣/٨/١٩٦٥) فى قرية سمنود محافظة الغربية فى أسرة صغيرة فقيرة . أنهى تعليمه بمدرسة الحقوق بالقاهرة ، واشتغل بالمحاماة حتى ١٩٠٤ ، ومن ١٩٠٤ وحتى ١٩١٩ قاضيا . وحتى عام ١٩١٨ عضوا بالحزب الوطنى . وفى نوفمبر ١٩١٨ عين عضوا فى الوفد (فى البداية ممثلا لاعضاء الحزب الوطنى) . وفى ديسمبر ١٩٢١ تم القبض عليه مع سعد زغلول ونفى الى جزر سيشيل ، ورجع الى الوطن فى يونيه ١٩٢٣ . وفى ١٩٢٤ نائبا ووزيرا للمواصلات ، ومن عام ١٩٢٤ وحتى ١٩٢٧ سكرتيرا للحزب . وفى يونيه ١٩٢٦ انتخب نائبا لرئيس مجلس النواب ،

للبرجوازية الوطنية صحة المقولة التى تنادى بعدم انتهاء عملية توحيد صفوف البرجوازية الوطنية كطبقة .

وكان الوفد حتى الحرب العالمية الثانية يتمتع بنفوذ كبير بين أوساط المواطنين فى الريف والمدن والمثقفين البرجوازيين والصناع وعمال الحرف اليدوية ، وبعض مجموعات من الطبقة العاملة ، وكذلك الفلاحين . وكالعادة ، فان التركيب الاجتماعى العريض للوفد ، والشبكة الواسعة من اللجان المحلية ، والصحافة الواسعة الانتشار ، والشعارات الشعبية ، كانت كلها عوامل عادت عليه بالفوز فى الانتخابات . وكان الشعب يرى فيه حزبا تقليديا لاستقلال مصر ويصوت لصالح مرشحيه .

ولم يكن للوفد عضوية وهيكلا تنظيميا واضحا بكل ما تحمله هذه الكلمات من معنى (مثل بطاقات العضوية ، والاشتراكات وغيرها) . وكان كل مواطن ممن يعضد شعارات الحزب ويصوت بجانب مرشحيه وقت الانتخابات ، يعتبر وفديا . وكان الحزب يتكون من جهاز تنفيذى قليل العدد نسبيا (منه يتقدم المرشحون للانتخابات) ، وكذلك اعضاء هيئة تحرير صحف الوفد ، وقد بلغ عددهم جميعا بضعة آلاف . والحق ، انه كانت توجد خلايا حزبية فى معاهد التعليم العالية وفى المصالح والمشاريع والقرى وغيرها ، الا أنه لم يكن لها هيكل محدد وكانت أشبه ما تكون بتجمعات للمتعاطفين .

وتشكل المذهب الايديولوجى والمبادىء السياسية للوفد متاثرا بالتعاليم السياسية الاوربية نتيجة أن زعماء ومنظروا الحزب ، ممن تربوا وتلقوا تعليمهم فى أوربا تشبعوا بأفكار الغرب القومية البورجوازية والديمقراطية

وتم انتخابه فى سبتمبر ١٩٢٧ ، بعد وفاة سعد زغلول ، رئيسا لحزب الوفد . وفى ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣٦/١٩٣٧ ، ١٩٤٢ — ١٩٤٤ ، ١٩٥٠ — ١٩٥٢ شغل منصب رئيس الوزراء . وفى سبتمبر ١٩٥٣ حددت اقامته ، وفى عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ مثل مرتان امام المحكمة الثورية العسكرية ووجه اليه اللوم « المعنوى » للتغاضى عن تصرفات بعض رجال الحزب الكبار .

البرجوازية ، وحاولوا غرسها بشكل ميكانيكى فى التربة المصرية دون مراعاة التقاليد القومية العريقة فى مجال الثقافة والفكر الاجتماعى والدين .

وناضل منظروا الوفد ضد السيطرة الانجليزية ، وطالبوا بجلاء القوات الاجنبية،وبالرغم من ذلك،فان ميولهم ظلتمتأثرة بأوربا، ووافقوا بلا تحفظ على زيادة الثقافة الاوربية وعلى المقولة التى تنادى بأن « الحضارة الاوربية كانت ارفع الحضارات فى العالم » . (٨٤ ، ص٣٢٤) . وكانوا يفكرون فى استقلال مصر فى اطار القومية الليبرالية البرجوازية الاوربية بل وبعباراتها وكانت مهمتهم الاولى تنحصر فى التوصل الى اتفاق معقول مع بريطانيا العظمى ، مما يتيح لمصر — حسب رأيهم — فرصة الحكم الذاتى الداخلى ، المعترف به من النظام العالمى ، وفى الوقت نفسه كانوا على استعداد للاعتراف « بالمصالح البريطانية المشروعة فى مصر » .

وبالاضافة الى منظرى الوفد كان يطور افكار الليبرالية البرجوازية ويروج لها اكبر كتاب مصر من الكتاب الروائيين والاجتماعيين مثل عباس محمود العقاد واحمد أمين وعبد القادر المازنى واحمد لطفى السيد وتوفيق الحكيم وغيرهم . ولم يكن جميعهم وفديين والاحرى لم يتعاطف جميعهم مع الحزب ، بيد أن كل منهم أسهم بنصيبه كبيرا أم صغيرا فى وضع نظرية عامة للقومية البرجوازية ذات النمط المحدد . وقد انعكست آراؤهم على نحو متكامل ومتسلسل فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » لطه حسين ، والذى نشر فى القاهرة عام ١٩٣٨ . (١٢٠)(١) .

ويعكس كتاب طه حسين — الذى يعد افضل شاهد على عصره — بشكل بارز مدهش ميول الدوائر الليبرالية البرجوازية فى مصر فى الفترة التى أعقبت مباشرة توقيع معاهدة ١٩٣٦ . ويؤكد طه حسين أن الهدف القومى

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن طه حسين انظر ٤١ ب ، ص١٠٧ — ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٣٠ ، ٧٦ ، ص٢٨٤ — ٣٠٢ .

الإساس الذى ناضل من اجله جيلان من الوطنيين المصريين قد تحقق . وحدد الآفاق الجديدة التى تلوح أمام البلاد بفضل تحقق الاستقلال . وكانت أوربا تعتبر بالنسبة لطه حسين العالم العصرى(١) ، واقترح بأن مصر المستقلة يجب أن تصبح جزءا لا يتجزأ من اوربا ، لان هذا وحده يتيح لها بأن تصبح جزءا من العالم العصرى . ولهذا فان المغزى الاصيل للمعاهدة الانجلو مصرية هو التوافق بين مصر وأوربا . وقد تعهدت مصر ، بعد توقيع المعاهدة ، أمام العالم المتحضر (الذى كانت تثق فيه) أن تسير على درب الاوربيين أى اشكال النظام الإجتماعى والجهاز الادارى والتشريع (١٢٠ ، ص٣٦) ومعنى أن تكون دولة أوربية (أى يكون لها حكومة مسئولة امام البرلمان ، الذى ينتخب بالاقتراع الشامل) .

وكان طه حسين ينحنى امام كل ما هو أوربى ، وعلى استعداد لتقبل الجوانب السلبية مع الجوانب الايجابية للحضارة الاوربية . كتب يقول : « يجب أن نسير على درب الاوربيين لنكون اندادا لهم فى الحضارة بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وعشقها وبغضها ، ومدحها وذمها » ، (١٢٠ ، ص٤١ — ٤٢ ، ٤٥) .

ودعا طه حسين الى التوصل للمستوى الاوربى عن طريق الانصياع فقط لاستيعاب منجزات الحضارة الاوربية ، وليس بواسطة التطوير الداخلى العضوى للحضارة المصرية . وبلا ادنى تردد وضع بلاده داخل نطاق البلدان الغربية ، بعد أن قبل تقسيم العالم الى معسكرين هما الغربى والشرقى . زد على ذلك أن الفوارق الدينية لم تشكل أمامه أية عقبة . والغرب عموما مرتبط بالمسيحية ، بينما مصر بلد اسلامى (٨٤) . وينوه طه حسين ، بأن

---

(١) كانت فرنسا تليها بكثير بريطانيا نموذجا مثاليا لطه حسين ولغيره وللوفديين . اما ما يتعلق بالمذاهب والهياكل السياسية ، السائدة آنذاك فى ايطاليا والمانيا فلم تكن مألوفة لا لطه ولا للوفد سواء بسواء . واعرب الوفديون مرارا وتكرارا عن مخاوفهم بصدد تطلعات ايطاليا التوسعية تجاه مصر .

المجتمع العصري يفصل الدين عن الحضارة ويحدد بصرامة مجال كل واحد منها . فالدين مجال للعواطف والمشاعر ، وليس العقل .

ولذا يمكن تقبل « اسس الحضارة » الاوربية ، دون أن نتقبل دينها . (١٢٠ ، ص٥٤) .

وكانت مشاعر الوطنية ومفهوم الامة بالنسبة لطه حسين ولاسلافه من القوميين المصريين (من امثال احمد عرابى ومصطفى كامل وأحمد لطفى السيد وسعد زغلول) لا يتجاوز الحدود الاقليمية لمصر . بيد أن طه حسين (فى اعقاب سعد زغلول ميز المصريين الاصليين عن الاوربيين والشوام المقيمين فى مصر والمهيمنين على الحياة الاقتصادية فى البلاد . وكان يرى أن المسلمين والاقباط ينتمون على قدم المساواة الى الامة المصرية .

وكان الشعور القومى بالنسبة لطه حسين والوفديين اهم من اى شيء آخر (فى مجال الروابط الاجتماعية) . والاسلام دين الغالبية العظمى من المصريين « يثلج صدورهم » ، وعواطفهم « ويعد عنصرا هاما من عناصر القومية المصرية » (١٢٠ ، ص٨١) . والدين الذى تعتنقه الامم الاخرى يجب أن يؤدى الدور الذى يؤديه الدين الاسلامى بالنسبة للغالبية العظمى من المصريين . ويجب على الاقباط المصريين دراسة الدين المسيحى « كقوة روحية » . ولكن الدين مهما كان له من « مغزى عاطفى » فهو لا يمكن أن يصلح لقيادة الحياة السياسية ومقياسا للسياسة القومية (٨٤ ، ص٣٣٢ — ٣٣٤) .

ويشير الحورانى الى خاصية هامة من خصائص كتاب طه حسين الذى وإن كان يعد محصلة لنمط مجدد من القومية المصرية الخالصة ، فهو فى الوقت نفسه يعد بمثابة الخطوة الاولى على طريق توسيع القومية المصرية لتصبح قومية عربية . (٨٤ ، ص٣٣٥) .

كان الوضع فى المراحل الاولى لنشاط الوفد فى البلاد ، يعتبر اى مصرى يعمل ضد الحزب خائنا . واخذت العناصر اليمينية المتطرفة تنسحب من الوفد

بعد انحسار الحركة الثورية فى النصف الثانى من عام ١٩٢١ . وفى اكتوبر ١٩٢٢ انشقت عن الحزب جماعة من كبار الاقطاعيين والكمبرادور وكونوا مع العناصر الرجعية الاخرى ، التى التفت حول عدلى يكن باشا النصير المتعصب للانجليز والملكية ، « حزب الاحرار الدستوريين »(١) وهو حزب الحلول الوسط والتعاون مع بريطانيا العظمى .

وانشق الوفد فى عام ١٩٣٧ — ١٩٣٨ الى بضع مجموعات تراسها اعضاؤه من أمثال أحمد ماهر باشا ومحمود النقراشى باشا وحامد محمود ، وأسسوا حزب الاحرار السعديين (باسم سعد زغلول) . وكانت هذه المجموعة تعبر عن ميول البراجوازية المصرية الكبيرة .

وكان حزبى (الدستوريين البيراليين) و (السعديين) يسميا بأحزاب « الاقلية » (٢) وعشية اندلاع الحرب العالمية الثانية تشكل داخل حزب الوفد نفسه جناح يمينى برئاسة فؤاد سراج الدين(٣) . الذى عمل بفضل ثراءه

---

(١) لم يكن هذا الحزب جماهيريا ولم يحظ بأى تأثير فى البلاد . وكان خلفا « لحزب الامة » ، الذى تأسس بناء على تعليمات كرومر العميل الانجليزى العام فى عام ١٩٠٦ من الاقطاعيين والكمبرادور والبيروقراطيين وغيرهم من المتعاونين مع السلطات البريطانية .

(٢) على النقيض من حزب الوفد حزب « الاغلبية » ، عادة ما تروج أبحاث الغرب لهم وتصفهم بـ « المعتدلين » وكان أعضاء هذه الاحزاب من بين كبار الاقطاعيين وأصحاب الصناعة والمال والموظفين المرتبطين بالاحتكارات الغربية .

(٣) ولد فؤاد سراج عام ١٩٠٦ فى أسرة متوسطة الحال (وكانت أمه من أسرة البدراوى الاقطاعية الكبيرة) . وانهى تعليمه بكلية الحقوق جامعة القاهرة . وعمل محاميا ووكيلا للنائب العام . وانضم لحزب الوفد عام ١٩٣٥م ومنذ ١٩٣٦ كان نائبا ، ومن مارس ١٩٤٢ شغل منصب وزير الزراعة . ومنذ يونيه ١٩٤٣ وزيرا للداخلية ثم وزيرا للشئون الاجتماعية . صاحب قانون النقابات العمالية . ومنذ ١٩٤٦ عضوا بمجلس الشيوخ . ومنذ ١٩٤٨ سكرتيرا للوفد . اقطاعى كبير وعضوا فى مجالس ادارات العشرات من الشركات المساهمة الاجنبية والمصرية .

الفاحش واتصـــالاته مع الأقطاعيين والدوائر الاســتغلالية رويدا رويدا على على ترسيخ اقدامه والتوغل فى الحزب حتى توصل الى قيادته الامر الذى ساعد الىحد كبير على انتشار الفساد واغتناء القيادات الحزبية ،وكذلك ادخال بعض كبار ملاك الاراضى ضمن اعضاء اللجنة التنفيذية للحزب . وقــد ازداد اكثر فأكثر نفوذ هــذه الجماعة داخل صفوف الحزب خلال سنوات ما بعد الحرب حتى أصبح لها الغلبة فى وقت من الاوقات(١) .

وقد تأثر مركز حزب الوفد تأثرا كبيرا فى عام ١٩٤٢ ، عندما فصل من الحزب وأبعد عن مجلس الوزراء وليم مكرم عبيد(٢) سكرتير الحزب وأقرب المقربين للنحاس ومعه مجموعة صغيرة من انصـــاره .

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر الباب الثانى ـــ الفصل الخامس .

(٢) ولد وليم مكرم عبيـد (١٨٨٩/١٠/٢٥ ـــ ١٩٦١/٦/٥) فى مدينة قنا بالصعيد فى أسرة قبطية مشـــهورة . وأنهى تعليمه بمدرســـة التوفيقية بالقاهرة ، ثم بالجامعة الامريكية فى أســـيوط وفى ١٩٠٨ أنهى كلية الحقـــوق جامعة اكســـفورد ، وفى ١٩١٢ حصـــل من فرنسا على درجة الدكتوراه فى القانون . وفى ١٩١٢ رجع الى مصر وأصبح سكرتيرا شخصيا للمســتشار القانونى البريطـــانى للحكومة المصرية . وخلال ثورة ١٩١٩ حظى خطـــابه الوطنى للقائد الانجليزى بالشهرة الواسعة . وكان من نتيجة ذلك نقله لمنصب أستاذ فى مدرســـة الحقوق . وفى ١٩٢١ انضم لعـــداد المجلس الاعلى للوفد وقبض عليه مع سعد زغلول فى ديسمبر سنة ١٩٢١ ونفى الى جزر سيشيل . وفى سبتمبر ١٩٢٣ عاد الى مصر ، وانتخب فى البرلـــان . واصبح سكرتيرا لحزب الوفد بعد وفاة سعد زغلول . وشغل منصب وزير النقل والمواصلات عام ١٩٢٨ فى وزارة النحاس وفى ١٩٣٠ ، ١٩٣٦ ـــ ١٩٣٧ و ١٩٤٢ وزيرا للمالية . وفى مايو ١٩٤٢ ابعد عن المجلس ، وفى يوليه من العام نفسه فصل من الوفد . بعدها أصدر « الكتاب الاسود » ضـــد النحاس . وفيه يفضـــح فساد وخراب ذمة زعماء الوفد . ومنذ ١٩٤٤ وحتى ١٩٥٢ نائب بالبرلـــان واشترك عدة مرات فى الوزارات الائتلافية . ومنذ ١٩٥٢ لم يشارك فى الحياة السيـــاسية .

ونظم في عام ١٩٤٣ حزبا مستقلا هو « الكتلة الوفدية » الذى كان يختلف من حيث تكوينه الاجتماعى عن الوفد ، ولم يلعب دورا ملموسا فى الحياة السياسية بالبلاد . وبدأ وليم مكرم عبيد حملة شعواء على النحاس . تم القبض عليه بسببها فى عام ١٩٤٤ .

وبالرغم من انسلاخ بعض المجاميع عن حزب الوفد على امتداد بضع سنين ، ولاسيما ممثلو الاقطاع والبرجوازية الكومبرادورية ، المتمسكين بالتعاون مع انجلترا ، لم يتحول الى حزب موحد الصفوف اكثر ثورية وقدرة على النضال .

ان وجود عدة قيادات سياسية طبقية فى الحزب يفسر الطبيعة المتناقضة لبرامجه حيال القضايا الاساسية للحياة السياسية والاقتصادية فى البلاد ، (٢٧ ، ص١١٥) ولم يكن للوفد برنامج سياسى واضح للاصلاحات الداخلية ، ولم يكن لديه برنامج للاصلاح الزراعى .

وتأكد الشعب المصرى مرارا وتكرارا من واقع خبرته الذاتية فى زعزعة وتأرجح الحزب فى تحقيق المطالب المطروحة لصالح جماهير الشعب .

كتب مارلو فى تقييمه لتطور الوفد يقول : « أضاع الوفد الجزء الاكبر من حمية وحماسة أيامه المبكرة ، وكان مهتما مع غيره من الاحزاب السياسية « الدستورية » الاخرى فى توكيد الشرعية والنظام . وعلى أية حال ، فان الوفديين كانوا فى ذعر ، كغيرهم من الاحزاب الاخرى ، من احتمال قيام ثورة ما . ولو انها قامت لكانوا فى ذلك الجانب من المتاريس الذى يوجد فيه خصومهم السياسيون » . (٩٢ ، ص٣٣٧) .

وهذا التقييم على صواب كبير ، حيث أن مارلو قد نوه بالحقيقة التى لا تقبل الجدال ، فالقمة الاحتكارية الاقطاعية أخذت تلعب الدور المتزايد فى قيادة الحزب ، وتجنح به الى معسكر الرجعية والامبريالية . ومع كل هذا فيؤخذ على هذا التقييم أنه أحادى الجانب ، حيث ان الوفد ظل ابان فترة الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من سنوات ، البوق الذى تنشر منه جماهير

الشعب مطالبها بالاستقلال الوطنى .

واسس مصطفى كامل (١٨٧٤ — ١٩٠٨) فى عام ١٩٠٧ « الحزب الوطنى » . وترأس محمد فريد (١٨٦٤ — ١٩١٩) الحزب بعد وفاته . وكان للحزب الوطنى تأثير كبير على الدوائر البرجوازية الصغيرة والمثقفين ، ولاسيما الطلاب الدارسين . وكان الحزب هو القوة الاساسية للمعارضة حتى انتفاضة ١٩١٩ ، يناضل ضد السيطرة الانجليزية . وكان الحزب بالذات هو الذى يرفع لواء الاستقلال الوطنى خلال هذه الفترة .

وقد تعرض زعماؤه قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها للاضطهاد الوحشى ، مما أرغمهم على الهجرة . وقد اختارت مجموعة صغيرة من الوطنيين بعد أن فقدوا تأثيرهم على الجماهير العريضة تكتيك الارهاب الفردى . ولم يعد للحزب دور يذكر فى الحياة السياسية للبلاد بعد تأسيس الوفد ، بالرغم من أنه ظل موجودا حتى ١٩٥٣ . وقد انضم كثير من اعضائه الى حزب الوفد . وكان اغلب زعماء جماعة الاخوان المسلمين أعضاء فى الحزب الوطنى (١٢١ ، ص٢٥) .

« حزب » القصر

وقعت فى عام ١٩٣٦ كتلة الاحزاب التى يتزعمها الوفد معاهدة انجلو مصرية . وقد عمت دوائر الوفد أوهام ، تزعم بأن هذه المعاهدة قد حققت لمصر الاستقلال التام . وقد وصف النحاس المعاهدة بأنها « وثيقة الشرف والاستقلال » . واصبح يوم توقيع المعاهدة عيدا للاستقلال . (١٢٢ ، ص٤٨ ، ٤٩) . بيد أنه عندما دوت أبواق الاحتفالات والخطب الرنانة ، أصبح واضحا أن المعاهدة لم تأت(١) بأى تغييرات جديدة جوهرية فى أوضاع البلاد .

---

(١) كما سبق ونوهنا ، تبالغ أبحاث البرجوازية فى مغزى معاهدة ١٩٣٦ . ويرى معظم الباحثين أن مصر حصلت على الاستقلال نتيجة تجسيد بنود هذه المعاهدة فى الحياة . ووقع الحورانى كذلك أسير هذه التأويلات =

وبالرغم من بعض الجـوانب الايجابية ، فان المعـاهدة لم تكن تتسم بالتكافؤ . فاحتفظت انجلترا لنفسها بالسيطرة السياسية والاقتصادية ، وظلت قواتها تحتل مصر . والحق أن المندوب السامى أصبح يسمى بالسفير ، بيد أن هـذا لم يقلل من سلطاته الفعلية . ولعله من المعـانى الرمزية أن يشـغل مايلز لمبسـون كلا المنصبين على التوالى ((فيما بعد بعد اللورد كيلرن) .

وبدأت تغطى الافق سحابة من الكآبة والسـخط العام . واهتز مركز الوفد الذى تحمل معظم المسئولية عن المعاهدة اهتزازا كبيرا .

وقد مهد هـذا الوضع لارتفاع أسهم على ماهر(١) ، زعيم « حزب » القصر والمع الممثلين للباشوات « اللاحزبيين » ، وصـاحب التأثير الكبير على الملك الشـاب فاروق الاول .

وفى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ عين على ماهر باشا رئيسا للديوان الملكى ضـد

= فهو يرى أن من نتائج هـذه المعاهدة (١٩٣٦) تحول القومية المصرية الى عربية . فالمعاهدة « أتاحت لمصر فرصـة مواتية لانتهاج سياسـة خارجية مستقلة نسبيا ، ولاسيما تجاه قضايا الشرق الاوسط » (٨٤ ، ص٣٣٥) .

(١) ولد على ماهر فى القاهرة عام ١٨٨٣ فى أسرة محامى أنهى مدرسة الحقوق ، ثم حصل من فرنسا على درجة الدكتوراة فى القانون وأصبح من كبار رجال الصناعة لعب دورا ملموسا فى الوفد . اشترك فى وضع دستور ١٩٢٣ . خرج من الوفد وصـار أحد مؤسسى وزعماء حزب « الاتحـاد » (١٩٢٥) . وكان هـذا الحزب « حزب » القصر ويتكون من عدد قليل من كبار الوجهاء وفى البداية كان « الاتحاد » يتمتع بتأييد الانجليز ، وعشية الحرب أعاد اتجاهه الى دول المحـور ، وكان على ماهر يفضـل العمل على المسرح السـياسى « كمستقل » ، آخذا فى عين الاعتبـار عدم شـعبيته وشغل فى العشرينيات والثلاثينيات مناصب وزارية فى عدة وزارات . وفى عام ١٩٣٥ أصبح رئيسا للديوان الملكى (وهو المنصـب التالى بعد منصـب رئيس الوزراء من حيث الاهمية) وفى يناير ١٩٣٦ أصبح رئيسا للوزراء ، وفى مايو قدم استقالته .

كان عضـو فى مجالس ادارة كثير من الشركات الاجنبية . وفى ١٩٣٩ صار مديرا للبنك الاهلى ، ويعد التاريخ السياسى للبلاد خلال ١٩٣٦ — ١٩٤٠ جزءا لا يتجزأ من نشاط على ماهر « رجل مصر القوى » .

رغبة النحاس رئيس الوزراء الوفدى . ومنذ أواخر أكتوبر سنة ١٩٣٧ بدأت موجة المظاهرات المعادية للوفد . وشهدت القاهرة فى ٢١ ديسمبر مظاهر ضخمة ضد الحكومة الوفدية (١٢٢ ، ص٥٣ — ٥٤) .

وأقصى الملك فاروق الحكومة الوفدية فى الايام الاخيرة من ديسمبر ١٩٣٧ بناء على نصيحة من على ماهر وأخيرا تراس على ماهر نفسه الوزارة فى أغسطس ١٩٣٩ . وهو المدافع الصارخ عن أساليب الحكم الدكتاتورية .

وتعاطف على ماهر مع أنظمة الحكم الفاشية فى ايطاليا والمانيا ، على عكس الوفديين الذين كانوا يتخذون من أنظمة الحكم الديمقراطية البرجوازية فى فرنسا وانجلترا مثالا يحتذونه وبينما كان الوفد يتطلع الى التحالف مع بريطانيا العظمى ، فقد كان على (على ماهر) أن يراهن على دول « المحور » .

واستغل بمهارة وكياسة المتلاعب بالسياسة المجرب خيبة أمل الرأى العام المصرى فى « ثمار » معاهدة ١٩٣٦ . وينوه هينورس ديون بثلاثة اهداف رئيسية وضعها على ماهر نصب عينيه : « كان يأمل فى الاستفادة من حالة الحرب ليحقق لبلاده المكانة اللائقة بها فى المجتمع الدولى . وكان يريد أن يبين للعالم العربى أن مصر قادرة على انتهاج سياسة مستقلة عن سياسة بريطانيا العظمى . وحاول الاستفادة من الدعاية الاسلامية لينهض بسمعة مصر بين دول العالم الاسلامى » (٨٣ ، ص٢٥ — ٢٦) .

وألف على ماهر وزارته من السعديين « والمستقلين » أنصاره ، وعلى حد قول كيرك ، كان يتمتع « بالحدس القومى » الامر الذى حفز الانجليز لليقظة خاصة بعد أن أبعد عددا من نواب الوزراء ومن بينهم أمين عثمان(١) .

---

(١) أنهى أمين عثمان (١٨٩٩ — ١٩٤٦) تعليمه بكلية فكتوريا بالاسكندرية ، ثم جامعة أكسفورد حيث حصل على درجة البكالوريوس فى الادب،ثم حصل فى باريس على درجة الدكتوراة،صديق حميم للسفير البريطانى مايلز لمبسون . كان سكرتيرا للجنة تنظيم المباحثات المصرية الانجليزية التى انتهت بابرام المعاهدة فى عام ١٩٣٦ . وشغل منصب نائب وزير المالية فى وزارة محمد محمود ، ثم عضوا بمجلس الشيوخ ، كان عضوا فى مجالس =

الرجل ذو الميول الانجليزية ، والذى أسهم بنصيب الاســد فى ابرام معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية (٨٨ ، ص٣٤) .

وكان من أعضاء هــذه الوزارة عبد الرحمن عزام(١) ، واحــد من أكبر نواب البرلمــان ســنا ، والمعروف بآرائه القوميـــة وتصريحاته المعــادية للبريطانيين (وزير للاوقاف ، ثم وزيرا للشــئون الاجتماعية) ومصــطفى الشوربجى (وزيرا للعــدل) وصالح حرب (وزيرا للدفاع القومى) ، وكان الثلاثة معروفين بميولهم المعادية للانجليز . وشغل اللواء عزيز المصرى(٢) . القومى العربى المشهور والمعادى للانجليز منصب رئيس الاركان العــامة .

وقد كان لعبد الرحمن عزام أكبر الاثر فى نفس على ماهر آنذاك . كمــا أنه كان يعد واحدا من أوائل المجندين للانتماء للاسـرة العربية . وعلى خلاف القوميين المصريين فى النصف الاول للقرن العشرين (من أمثال مصطفى كامل

= ادارات عدد البنوك والشركات الاجنبية . وبسبب اقصائه من منصبه كنائب لوزير المــالية كتبت صــحيفة « التايمز » البريطانية بحزن وأسى تقــول : « لقــد أحيل ذلك الرجل الموالى لبريطــانيا على المعاش فى سن الاربعين » (٣ ، ١٩٣٩/٨/٢٠) .

(١) قام عبد الرحمن عزام ، بعد توليه فى بداية الحرب العالمية الثانية منصب وزير الشئون الاجتماعية بتنظيم وقيــادة « الجيش المرابط » القوات المسلحة بالمديريات والتى تم اكتمال أعدادها من بين المتطوعين . وكان يجب على « الجيش المرابط » أن يقوم أثناء فترة الســلم بنشر الروح العســكرية والتدريبات العسكرية وفى وقت الحرب يقوم بالحراسة وتقديم العون للجيش النظامى . وكان « الجيش المرابط » بحق سلاحا لدعم مواقع الزمر الحاكمة برئاسة على ماهر وعزام . ولم يحظ « الجيش المرابط » فى الحكومات اللاحقة بأى تطور . وأصــبح عبد الرحمن عزام فى ٢٣ مارس ١٩٤٥ اول امين عام لجامعة الدول العربيــة .

(٢) ولــد عــزيز المصرى (١٨٧٠ ــ ١٩٦٥) فى القــاهرة . وانهى الاكاديمية العسكرية فى استامبول ثم كلية الاركان . انضم الى جماعة « الاتحاد والترقى » وكان أحد قادة الثورة التركية الفتية عام ١٩٠٨ .

ومحمد فريد وسعد زغلول والوفديين) الذين كانوا ينادون « بالامة المصرية والقومية المصرية » فقط ، كان عزام يدافع عن فكرته بأنه يجب على مصر أن تدافع عن مصالح العالم العربى كله وأن تؤدى دورها الرائد فى النضال العربى من أجل الوحدة .

واشترك فى أبريل عام ١٩٠٩ فى حملة على استامبول . وعندما اتضح له أن زعماء « الاتحاد والترقى لا يرغبون فى تلبية المطالب القومية للعرب ابتعد عنهم وكون فى عام ١٩٠٩ جماعة « القحطانية » (على اسم أحد أسلاف العرب الاسطوريين) . وفى أكتوبر ١٩١٣ كون بالاشتراك مع القوميين العرب الاخرين جمعية (الاحد) السياسية . وفى ١٩١٤ اعتقلته السلطات التركية ، ولكن أفرج عنه تحت وطأة المظاهرات والاحتجاجات العربية . واعتقل ثانية فى مارس ١٩١٥ وحكم عليه بالاعدام (استبدل بالسجن ١٥ عاما مع الاشغال الشاقة) ، ولكن أفرج عنه تحت ضغط من الاحتجاجات الجديدة للرأى العام العربى . وبعد ذلك رجع الى مصر ، حيث استقبل بالحفاوة والترحيب . وبعد ثورة ١٩١٩ شغل مرارا مراكز مرموقة فى الجيش المصرى . واضطر على ماهر فى فبراير ١٩٤٠ ابعاده فى « أجازة مرضية » بناء على طلب القوات البريطانية ، وفى أغسطس ١٩٤٠ احيل على المعاش .

وكان عزيز المصرى يتمتع بشعبية ضخمة بين أوساط الضباط الشبان ذوى الميول الوطنية . وبناء على شهادة أنور السادات ، فقد أثارت اقالة المصرى موجة من السخط والاستياء بين صفوف الضباط القوميين وكان يعد الامر بالنسبة لهم بمثابة « دعوة للتحرك » (١٢٥ ، ص٤٩) .

وفى ١٩٥٣ — ١٩٥٤ عين عزيز المصرى سفيرا فى الاتحاد السوفيتى وأدلى للصحافة المصرية بتصريحات رائعة عن الاتحاد السوفيتى وانجازاته . وبذل جهودا كبيرة فى سبيل توطيد علاقات الود والصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى .

وقد ذكر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى حديثه الصحفى لسولتسبرجر المعلق بصحيفة « نيويورك تايمز » قائلا : « على ما يبدو لى ، أن اللواء عزيز المصرى كان له أوقع الاثر فى نفسى . ولقد كنت من المعجبين به عندما كنت ضابطا صغيرا ... وقد أتيحت لى الفرصة للقائه مرات عديدة قبل وبعد الثورة ، حتى وفاته مباشرة » . (١٠٩ ، ٢٦/١١/١٩٦٩) .

جمعية الشبان المسلمين ، « مصر الفتاة »
جماعة الاخوان المسلمين

بدأت عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية جمعيات القوميين المسلمين والجماعات ذات الميول الفاشية المتسلطة لعب دورا هاما ومتزايدا على المسرح الاحداث السياسية فى مصر . وقد حصلت هذه القوى أثناء توطيد دكتاتورية دوائر القصر وبفضل مساندة زعماء هذه الدوائر لهم على حق المواطنة فى الحياة الاجتماعية للبلاد (٨٣ ، ص٢٧) .

وكان لجماعة على ماهر ، المؤيدة من قبل الملك دائرة ضيقة للغاية من المناصرين . وكان على ماهر يرى فى التنظيمات القومية الاسلامية تلك القوة التى من شأنها أن تعمل على توفير المزيد من الدعم الجماهيرى له . وكان أول رئيس وزراء مصرى يقدر حق التقدير دورهم ومكانتهم فى الحياة الاجتماعية للبلاد وروحهم الاسلامية المتأججة وقدرتهم على التأثير فى الجماهير الشعبية .

ولعله من الخطأ أن نرجع السبب فى اعلاء شأن المجموعات القومية الاسلامية الى النوازع الذاتية المحضة وحدها . ان تحول التنظيمات الاسلامية الفاشية الى قوة يحسب لها حساب كان مرده عدة عوامل كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية معقدة وكان أمرا منطقيا تماما .

وكان الاوروبيون والشوام ممن يسيطرون على الاقتصاد يتمتعون أساسا بخيرات التطور الاقتصادى فى مصر خلال العشرينيات والثلاثينيات . ولم تواكب المعدلات العالية نسبيا فى الهجرة من الريف الى المدن أى تحسن ملموس لاوضاع الجماهير الكادحة ، مما نجم عنه سخط واستياء عميق ضد الطبقات الحاكمة . ولم يكن الحال بأفضل منه فى عدم فعالية الديمقراطية البرلمانية الغربية النمط والمفروضة فرضا على مصر . ومنذ البداية كان النظام البرلمانى الحزبى الغربى بصورته الكاريكاتيرية التى وجد بها فى مصر جسما غريبا عليها .

وكان الدليل على عمق أزمة النظام البرلمانى الحزبى هو خيبة الامل الذريعة التى منيت بها الجماهير الشعبية فى الاحزاب السياسية ولاسيما حزب الوفد .

وقد التحم الوفد وأحزاب « الاقلية » فى صراع أنانى ضحل فيما بينهم على مقاعد البرلمان والمناصب الوزارية وعلى الامتيازات والمنافع الاقتصادية ، وبدى عجزها كاملا فى انجاز المهام الوطنية الاساسية . واخذت الهوة الى تفصل بين الاحزاب السياسية وبين الطبقات الكادحة تزداد وتتسع . وصار هذا الفراغ السياسى يمتلأ بالمجموعات القومية الاسلامية ، وبعد بضعة أعوام انضمت اليها التجمعات الماركسية والشيوعية والتنظيمات اليسارية الديمقراطية الاخرى .

ولم يكن هناك مفر من اضمحلال النظام البرلمانى الغربى . ومع انهيار القوميين من « الحرس القديم » ، الذين كانوا يجسدون الاتجاه الغربى فى القومية المصرية ، ضاع أثرهم وتلاشى مذهبهم .

وانتعش فى مصر فى نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات الاهتمام بالاسلام ، ولاسيما فى مجال تطبيق تعاليمه لحل القضايا السياسية الملحة . ولم ينحسر بتاتا التيار الاسلامى فى القومية المصرية (جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا)(١) . بيد أن دعاة الغرب سيطروا على الحياة السياسية من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٧ . كما ان التطلعات لاعادة النظر فى القومية المصرية الخالصة (الذاتية) والانتقال بها الى دائرة القومية العربية الارحب أرغمت المنظرين الموالين للعرب ، للرجوع الى المذهب الاسلامى وتقاليده الحضارية (ومن هنا فقد حظيت اللغة العربية بالاهتمام الخاص) ، وبعبارة أخرى الى كل ما من شأنه تعضيد وترسيخ أفكارهم . ولكن هذا وحده لم يكن كافيا . كما أن انهيار الامال المعلقة على معاهدة ١٩٣٦ أثار موجة عارمة من العداء للغرب فى مصر ، وشد من أزر النضال ضد النفوذ الاوربى فى كافة مجالات الحياة الاجتماعية . وينوه هيفورس ديون قائلا : كانت الفرصة

---

(١) كان حسن البنا يتردد فى شبابه على حلقة علم رشيد رضا ، ويعتبر نفسه تلميذا له وامتدادا لعمله . وحاول بعد وفاته الاستمرار فى اصدار مجلة « المنار » . (٨٣ ، ص٨١ ، ٨١ ص١٧٦ ، ٨٤ ص٣٦) . ولمزيد من التفاصيل عن حسن البنا يمكن الرجوع اليها فيما بعد .

متاحة لظهور الجماعات الاسلامية ونضوجها فى البلدان التى تكابد العداء الشديد للغرب» (٨٣ ، ص١٠) .

وقد هيأ تأزم الديمقراطية البرجوازية وما واكبها من اتجاه غربى النزعة فى القومية المصرية فرصة النمو السريع للجماعات الاسلامية(١) الذين كانوا حملة مشاعل المعاداة للغرب والولاء للاسلام والعرب على صعيد القومية المصرية .

وكانت « جمعية الشبان المسلمين » من أوائل التنظيمات الاسلامية المجاهدة التى على هذا الغرار . تأسست عام ١٩٢٧ وكان أول من تراسها الدكتور عبد الحميد سعيد العضو النشيط فى الحزب الوطنى والنائب فى البرلمان ، والمشهور بعدائه الصارخ للانجليز(٢) . وقد تراس الجمعية اللواء صالح حرب فيما بعد الحرب .

وكان الاعضاء الجدد بعد الانضمام الى الجمعية يؤدون يمين الولاء لتعاليم الاسلام واتباعها ، والمحافظة على شعائره واجتناب نواهيه والتمسك بمبادئه الاخلاقية وأخذوا على أنفسهم العهد بمحاربة الالحاد « واباحية الفكر » وأن يناضلوا بلا هوادة من أجل رفعة الاسلام وعلو مكانته . واقسموا على توطيد أواصر الاخوة بين المسلمين وكافة الاحزاب والجماعات الاسلامية وتحقيق مهام الجمعية فى الحياة وتوسيع مجال نشاطها والعمل على زيادة أعداد أعضائها . وحاربت الجمعية بنجاح منقطع النظير فى المرحلة الاولى من نشاطها تغلغل البعثات التبشيرية الاوربية .

---

(١) بناء على البيانات التى أوردها هيفورس ديون ، كان يوجد فى مصر عام ١٩٤٧ ما يقرب من ١٣٥ جماعة وتنظيم وجمعية اسلامية مختلفة . وهو يقسمها على النحو التالى : ١) دينية ٢) دينية سياسية ٣) اجتماعية ٤) تعاونية ٥) مهنية ٦) خيرية (٨٣ ، ص٣٠) .

(٢) كان نائب الرئيس الشيخ عبد العزيز جاويش ، أحد الزعماء الوطنيين فى عهد مصطفى كامل وعضو تحرير جريدتهم « العلم » . وفى العشرينيات نفى من البلاد .

وبالرغم من ان ميثاقها نص على عدم التدخل فى الشئون السياسية ، الا ان نشاطها يدحض هـذا النص . فقد كان لها كتائب شـبه عسكرية ، يتلقى فيها الشباب التدريب العسـكرى على أيدى ضباط الجيش المحـالين على المعاش . وكانت الجمعية تتمتع بتأثير ما على الشباب . وكان لها فروعها فى كافة أقطار الوطن العربى كله تقريبا . (٨٣ ، ص١١ — ١٤) .

وكان لحزب « مصر الفتاة »(١) . البرجوازى الصغير مكانة خـاصة بين أوساط المنظمات الاسلامية . وكان مؤسسه وزعيمه المحامى أحمد حسين وفديا فى البداية مثله مثل معظم رجال السياسة المصريين . وقد خرج منه فى بداية الثلاثينيات وأسس بوحى من أفكار الفاشية الدولية حزب « القمصـان الخضراء »(٢) . وكان الحزب يجند اعضاءه من بين صفوف الطبقات الوسطى والبرجوازية الصغيرة الاكثر شوفينية ورجعية وحقدا ، وكذلك من بين عناصر المدينة من أشباه البروليتاريين المنشقين عن طبقتهم وحثـالة البروليتاريا ، وهؤلاء كانوا فى المقام الاول من الشبان . وكان الحزب قليل العدد (بلغ تعداده قبل الحرب بضعة آلاف من الاعضاء) ، ولم يكن له اى تأثير يذكر (بالرغم من علو صخبه وضجيجه) وكان يشتغل أساسا بأعمال التخريب والجاسوسية بناء على تعليمات أجهزة التجسس الفاشـية . وكانت اتصـالاته بأجهزة المخابرات الالمـانية والايطالية معروفة جيـدا . (٨٨ ، ص ٣٣) .

وخلافا للجماعات الاسلامية الاخرى لم يولى حزب « مصر الفتـاة » اهتماما كبيرا للمذاهب الاسـلامية فى المرحلة الاولى من نشاطه . وجاء فى برنامج الحزب الذى نشر ١٩٣٨ اكثر ما جـاء عن « الولاء للوطن والملك » ، ونوه بضرورة غرس مشاعر العزة والكرامة بين المصريين ، لانهم أحفـاد مصر

---

(١) تأسس فى عام ١٩٣٣ وسمى فى البداية « جمعية مصر الفتـاة » وأصبح يسمى منذ ١٩٣٨ بحزب « مصر الفتاة » .

(٢) كان عضاؤه يرتدون القمصان الخضراء رمزا للون العلم المصرى .

الفرعونية والاسلامية سواء بســواء . وورد فى البرنامج أن مصر يجب أن تكون امبراطورية عظيمــة . ويجب حرمان الاجانب من كافة الامتيــازات ، وتصفية المحاكم المختلطة والامتيازات الاجنبية وتمصير كل الشركات الاجنبية ، واتخاذ اللغة العربية الرسمية الوحيدة فى النشاط التجارى . وتمت الاشارة على وجه الخصــوص الى ضرورة غرس الروح العســكرية بين أوســاط المصريين ، ويجب أن تصبح الخدمة العسكرية اجبارية بالنسبة لكل مواطن . ويجب على كل عضو من أعضــاء الحزب أن يكون « جنــديا فى جيش مصر الفتاة » . (٨٣ ، ص١٠٣ — ١٠٤) . وابان ســنوات الحرب أخــذ نفوذ « مصر الفتاة « يتقلص بسرعة بسبب علاقاته المباشرة مع دول « المحور » . وحتى تغيير اسمه الى « الحزب القومى الاسلامى » لم يســاعده فى شىء . وبعد أحداث سبتمبر ١٩٤٠ تم اعتقال زعيمه أحمد حسين سويا مع مجموعة صغيرة من أعضائه النشــطاء . وتوقف الحزب عن نشــاطه(١) .

وكانت « جمعية الاخوان المسلمين » تتمتع بأكبر تأثير بين كل التنظيمات القومية الاسلامية وقد أسسها فى أبريل ١٩٢٩(٢) الشــيخ حسن البنا(٣) الذى يعمل بالتدريس فى المدارس فى الاسماعيلية .

---

(١) أعيد بناء الحزب بعد الحرب وبعد الافراج عن زعمائه .

(٢) ظهرت خلية من سبع أفراد فى عام ١٩٢٨ ، بيد أن التاريخ الرسمى لتأسيس الجمعية هو ١٩٢٩/٤/١١ أو ١ ذو القعدة ١٣٤٧هـ .

(٣) ولد حسن البنا (١٩٠٦ — ١٩٤٩) فى قرية المحمودية (محافظة البحيرة) فى أسرة ساعاتى من اتباع المذهب الحنبلى . تلقى تعليمه الابتدائى فى القرية ثم درس ثلاثة أعوام فى دمنهور بالمدرســة الالزامية لتخريج مدرسى المرحلة الابتدائية . وفى ١٩٢٣ التحق بواحدة من أقدم كليات المعلمين التابعة للدولة « دار العلوم » فى القاهرة وأنهى تعليمه بها فى ١٩٢٧ . وفى ســبتمبر ١٩٢٧ بدأ يعمل مدرسا باحدى المدارس الابتدائية الحكومية بالاسماعيلية ، ونقل الى القاهرة منذ ١٩٣٤ حيث عمل بها حتى ١٩٤٦ بعد ذلك قدم استقالته وتفرغ للعمل السياسى كلية .

وانحصر نشاط الجمعية فى المرحلة الاولى (١٩٢٩ — ١٩٣٦) فى الاعمال الدينية والخيرية . وفى ١٩٣٤ انتقل مركز الجمعية الى القاهرة . وفى ١٩٣٦ تحولت الى منظمة سياسية دينية قوية .

واستفاد البنا ببراعة من الاضطرابات التى شهدتها فلسطين وتحولت فيما بعد الى انتفاضة للعرب الفلسطينيين فى ١٩٣٧ — ١٩٣٩ لتعزيز مواقع التنظيم . ونظمت الجمعية حملة واسعة معادية للانجليز من التضامن الاسلامى للدفاع عن العرب الفلسطينيين . ونظمت عن طريق فروعها فى البلاد حملة لجمع التبرعات لصالح العرب الفسطينيين . وقد حظى نشاط الجمعية وزعيمها على تقدير رفيع من مفتى القدس الاكبر الحاج أمين الحسينى ، الذى وطد معه البنا عرى الروابط الوثيقة السرية .

ومنذ هذا الوقت (وحتى ١٩٤٠) تهيأت الفرص السانحة لنمو الجمعية المطرد . وقد استرعى البنا اهتمام على ماهر وعزام . وقد عملا بشتى الوسائل على « غرس » « الاخوان المسلمين » ادراكا منهما للقدرات الهائلة التى تنطوى عليها منظمة اسلامية مجاهدة جيدة التنظيم فى ظروف مصر . وتشهد البيانات التالية على تعاظم قدر الجمعية : اذا كان فى عام ١٩٣٤ بلغ عدد فروعها فى البلاد ٥٠ فرعا ، فانها فى عام ١٩٣٩ بلغ عدد فروعها ٥٠٠ فرع متفرقة فى أنحاء البلاد . (٨١ ، ص ١٥٩ ، ٨٣ ، ص١٧) .

وكان البنا اثناء دراسته بالقاهرة من أوائل الذين انضموا لجمعية الشبان المسلمين وانضم لجماعة العلماء التى كانت تصدر مجلة « الفتح » .

ومنذ تأسيس « جمعية الاخوان المسلمين » وحتى وفاته كان البنا الزعيم المطلق لاتباعها الروحين وبناء على راى الباحثين والمعاصرين ، فان أحد أسباب نمو الجمعية واشتداد عودها السريع يرجع الى القدرات الفائقة التى يتمتع بها « المرشد العام » . فقد كان البنا يتمتع بطاقة لا تنضب وذاكرة قوية . وقدرة هائلة على العمل . وكان على دراية جيدة بتاريخ الاسلام وأحكامه وشعائره وكان خطيبا مفوها وكاتبا اجتماعيا جيدا ، ويتمتع بقدرات تنظيمية كبيرة .

وتأسست فى عام ١٩٣٧ أول فروع للجمعية خارج حدود مصر (١٢١ أ ، ص١٣٥ — ١٣٧)(١) .

وبرزت الجمعية فى عام ١٩٣٩ بشكل ملموس على ضوء الجماعات القومية الاسلامية المنافسة الاخرى . فقد تحولت الى تنظيم جماهيرى متين وراسخ البنيان تحت قيادة زعيم بارز وقد حصل البنا بفضل العلاقات الوطيدة بينه وبين على ماهر والبلاط على المعونات المالية وتمتع بمحاباة البوليس الذى على ما يبدو تلقى « توجيهات من السلطة العليا أو الاستحسان من على ماهر » ٨٣ ، ص٢٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ص٢٣٧) . وكانت له اتصالات طلعت حرب وعبد الرحمن عزام وعزيز المصرى الذين كانوا يودون استغلال كافة التجمعات القومية الاسلامية ولاسيما « الاخوان المسلمين » لصالحهم .

وبفضل السياسة المرنة للغاية لم تنجح الجمعية ابان سنوات الحرب العالمية الثانية فى توحيد صفوفها وتماسكها فقط ، بل وعملت كذلك على توسيعها وترسيخها . ولم يخف « الاخوان المسلمين » مثل التجمعات والمنظمات الاخرى تعاطفهم مع النازية والتنبأ بسرعة اندحار بريطانيا العظمى .

وكان البنا يدرس دائما بعناية طبيعة الوزارة الجديدة . فاذا كانت الوزارة برئاسة شخصية قوية ، فان تصريحاته كانت تنطوى على الموضوعات الدينية فى غالبيتها ، واما اذا كان رئيس الوزراء شخصية ضعيفة تافهة فان خطبه كانت تتسم أساسا بالطابع السياسى . (٨٣ ، ص٢٨ ، ٨١ ، ص١٨٢) . وقد شنت الجمعية بالذات حملة سياسية شعواء خلال فترة حكم وزارة سرى (نوفمبر ١٩٤٠ — فبراير ١٩٤٢) . طالب اثناءها « الاخوان المسلمون » بعودة على ماهر وزملائه الى مواقع السلطة .

---

(١) فى دمشق وحلب ودير الزور واللاذقية (سورية) وفى بيروت وطرابلس (لبنان) . ولمزيد من التفاصيل عن الفروع التى تم افتتاحها فيما بعد الحرب ارجع الى الباب الثالث .

وفى منتصف مايو ١٩٤١ وبناء على قوانين الفترة العسكرية تم اعتقال زعيمان من زعماء الجمعية من عدد من الشخصيات السياسية الاخرى الاكثر « خطورة » هما حسن البنا واحمد السكرى . بيد انه بعد بضعة أيام وتحت الضغط الشديد من جانب « الاخوان المسلمين » والمنظمات المتعاونة معها اضطرت السلطات للافراج عنهما(١) . ونقل البنا للعمل فى الصعيد . بيد أن موجة الاحتجاجات الجديدة ارغمت الحكومة على التراجع عن قرارها . وقوبلت عودة « المرشد العام » للقاهرة بالحفاوة والترحيب (٨٨ ، ص٢٠٠ ، ٨١ ، ص١٨٢ ، ٨٣ ، ص٣٨) مما يدل على الشعبية المتزايدة للجمعية وزعيمها .

وتم شن حملة كبيرة لتصفية « الطابور الخامس » المصرى بعد تصفية الازمة السياسية الحادة فى فبراير ١٩٤٢ وتقلد الوفديين مناصب الحكم ، بيد أن الجمعية « ومرشدها الاعلى » خرجا هذه المرة كذلك من المعمعة سالمين . واكتفى النحاس بتأكيدات البنا ، بأنه سيساند سياسة الحكومة الوفدية . وبنى النحاس حساباته على تأمين نفسه من (مؤامرات القصر ودسائسه التى تحاك ضده بواسطة « الاخوان المسلمين » (١٠٥ ، ١٩٥٤ ، رقم ١٢) ، وكذلك الاستفادة منهم كثقل موازن للحركة العمالية والديمقراطية الشاملة المتنامية وعلى حد قول هاريس ، انتهجت الجمعية سياسية « الدعم السلبى للوفد » . ولجأ البنا لسياسة الترقب ، وكله امل فى انتظار الفرج . وكان تعاونه مع النحاس يتسم بأنه (هدنة ، أكثر منه لوقف العمليات العسكرية » . (٨١ ، ص١٨٢ — ١٨٣) .

وبعد اقالة وزارة النحاس (٨ اكتوبر ١٩٤٤) راجع زعماء الجمعية حساباتهم بسرعة ، وفاء منهم لمبدئهم العتيق « فلنقبل الايادى ، التى لم نستطع قطعها » (٤٠) . فغيروا من موقفهم تجاه الوفد واقبلوا على الاتحاد مع كتلة

---

(١) بناء على ما أورده لاكير ، تم الافراج عن حسن البنا فى فبراير ١٩٤٢ . (٨٩ ، ص ٢٣٧) .

السيراليين السعديين منضمين بذلك لصفوف الجوقة المندة بسياسة النحاس وحزبه . ولم يتعكر صفو هـذا التحالف حتى بعد المشهد الأليم الذى شهدته علاقتهما ، عندما قتل رئيس الوزراء أحمد مـاهر فى فبراير ١٩٤٥ . وتم اعتقال « المرشد العام » والامين العام « للاخوان المسلمين » بسبب التهمة الموجهة اليهم بالمشاركة فى هـذه الجـريمة ، بيد أنه سرعان ما تم الافراج عنهما . (١٢٤ ، ص٢٣) .

ولم يحدث أن استغل أى حزب من الاحزاب « الكتـاب الاسـود » لمكرم عبيد مثلما استغلته جمعية الاخوان المسلمين للتشـهير بالوفد . وأسـفرت الحملة المعادية للوفد والتى دبرها « الاخوان المسلمون » عن انها أصـبحت جزءا من مخطط احباط النظام الحزبى عموما .

وكانت الجمعيـة من حيث هيكلها التنظيمى أشـبه ما تكون بالاحزاب الشمولية المتسلطة المعاصرة ذات نظام مركزى صـارم ودور خاص للقـائد وشبكة عريضة من الخلايا متفرقة فى أنحـاء البلاد تراسها قيادات معينة من المركز ، لها منظمة من كتائب مسـتعدة للقتال ، وفصائل من الكشافة وأندية رياضية وغيرها . هـذا من جانب ، ومن الجانب الاخر كانت تشبه الجمعيات الاسلامية السرية والطوائف الاصلاحية وفرض اجبارى بالنسبة لكافة أعضاء التنظيم باعتناق مذهب دينى محدد وتقسيم صارم للاعضاء .

وكان « المرشد العام » يدير التنظيم من خلال « مكتب الارشاد العام » المكون من ١١ فردا . وكـان يعمل على حل أهم القضـايا باسم « المرشـد العام » . وكانت الدرجة التالية هى « الهيئة التأسيسية » وتتكون من ١٥٠ فردا . وكان مكتب الارشاد العام يختار سـنويا الهيئة التأسيسـية وكان « المرشـد العام » يختار بدوره مكتب الارشـاد العام لمدة عامين وكان هو العضو الرئيسى الثانى عشر . وكانت الهيئة التأسيسية(١) يجب أن تصدق

---

(١) كانت المراحل الثلاث تشبه فى حجمها الصغير البرلمـان ومجلس الوزراء ومنصب الرئيس ورئيس الوزراء فى شخص واحـد .

على انتخابه . بيد أنه يجب التنويه ، بأن الهيكل المشار اليه استقر بعد وفاة البنا . فلم يحدث فى حياة مؤسس الجمعية انتخاب فعلى لمكتب الارشاد العام ، بل كان يعينه « المرشد العام » مما جعل سلطة الزعيم حاسمة (١٠٥ ، ١٩٥٤ ، رقم ١٢) . وكان هذا الامر ينسحب على الهيئة التأسيسية . وكان هناك عشرة مكاتب ادارية تابعة موزعة على النحو التالى : واحد فى كل من القاهرة والاسكندرية وأربعة فى كل من الصعيد والوجه البحرى وكانت المناطق تتبع المكاتب الادارية ، والشعب تتبع المناطق بدورها . وكان مكتب الارشاد العام يصدق على تعيين رؤساء المكاتب الادارية والمناطق والشعب . وكانت كل شعبة أى الخلية يجب أن تراعى جيدا التعليمات الصادرة من أعلى(١) .

وكانت الامانة تلعب دورا هاما فى الهيكل التنظيمى للجمعية . وكانت تتبع مباشرة مكتب الارشاد العام . وكانت تقدم التقارير عن أنشطة المناطق والشعب وتشرف على عملها(٢) .

ظهرت أيديولوجية « الاخوان المسلمين » بمثابة احتجاج ضد تسلط الاجانب ونفوذ الغرب المتزايد فى كافة مجالات الحياة المصرية وضد تحديث الاسلام . وانحصر الهدف الرئيسى فى حماية ونصرة وتنقية الاسلام والمجتمع الاسلامى من النفوذ الاجنبى .

وقد صاغ حسن البنا لاول مرة بشكل او بآخر مبدأ الجمعية فى رسالة لرؤساء الدول الاسلامية (بما فيهم ملك مصر) الموجهة فى خريف ١٩٣٦ . وقد انتقد نقدا لاذعا فى هذه الوثيقة الحضارة الغربية برمتها وحاول أن يبين

---

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن الهيكل التنظيمى للكتائب المسلحة أنظر الباب الخامس .

(٢) كان « المرشد العام » كالعادة يترأس اجتماعات الامانة وكان سكرتيره الشخصى احد الاربعة الدائمين العضوية بالاضافة الى ثلاثة من مندوبى المكاتب الادارية .

البأس وكل العلل الاجتماعية فى البلدان الاسلامية يرجع الى السيطرة الاجنبية ورغبة أوربا المسيحية فى فرض ثقافتها وحضارتها عليها . وتبعا لرأى البنا ، فان الحضارة الغربية « وطريقة التفكير الغربى » نفسها تعد جسما غريبا على العالم الاسلامى . ولذا فيجب أن نؤثر طريق الاسلام على « طريق انحطاط » الحضارة الغربية ، وكذلك « القومية الكاملة » الدنيوية . (مما يعد كذلك نتيجة لتأثير الغرب ونفوذه) . وبمقدور الاسلام أن يلبى احتياجات الامة الناهضة بثبات » بالكامل . وان القرآن الكريم وحده هو القادر على « انقاذ العالم المعتل المضطهد » (١١٨ ، ص٣٠ — ٣٦ ، ١٢١ ، ص٣٢ — ٣٣) .

وكان البنا يؤكد أن الفكر الفلسفى والسياسى والاجتماعى المعاصر لا يمكن أن يشبع احتياجات المسلم ، لان الاسلام منذ قرون عدة خلت قد جاء (بشكل سهل ومبسط اكثر) بكل ما تضمنته شتى التيارات الاجتماعية المعاصرة من الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والفاشية وغيرها)(١) . وأن المسلم مزود بكل شىء بل واكثر » (٨٥ ، ص ٣٣ ، ٤٠) .

وكان « المرشد العام » يحب التنويه بأن الاسلام جامع شامل . وأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من شئون الدنيا أو « الاخرة » الا واحصاها . ومن أقواله أن الاسلام « عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية ومصحف وسيف » . (٨٥ ، ص٦٢) .

وكان البنا دائم التصريح بأن « جمعية الاخوان المسلمين ليست حركة سياسية ولا مذهبا صوفيا ولا جمعية خيرية ولا ناديا رياضيا ولا منظمة تجارية ، ولكن جمعية اسلامية مهمتها تربية جيل جديد ليشب قادرا على فهم الاسلام الحق .. الاخوان المسلمون عقيدة وامة » . (٨٣ ، ص٦٠) .

---

(١) كانت هذه التيارات كلها يعاديها البنا . فعلى سبيل المثال ، كانت الشيوعية لا تروقه بسبب الالحاد والسعى للقضاء على الملكية الشخصية .

وكان من اكثر الملامح المميزة للجمعية استخدام الاســـلام فى الاغراض السياسية .

وكانوا يبنـــون هـــذا نظريا على النحو التالى : طالمـــا ان الاســـلام يتناول شئون الانسان الدنيوية كلها ، اذن فالسياسة جزء لا يتجزأ من نظرية الجمعية وبرنامجها (٨٥ ، ص٢٤ ، ٢٦ ، ٦٢) .

وكانت تعاليم الجمعيـــة كلها وهيكلها التنظيمى موجه لاقرار الســـيادة التامة للدين على الدولة وتذويبها فى الاسلام . واثبت البنا أن استعادة مجـــد الاسلام وعظمتـــه الغابرة أمر يمكن أن يتحقق بالرجوع الى منابعه واحيـــاء الطهارة والتمسك الصارم بتعاليمه واخلاقياته . ولكونه حنبليا غيورا (يشبه مؤسس الوهابية) كان يصرح بأن القرآن الكريم والسنة النبوية والســـيرة العطرة هى المصادر الوحيدة لتعاليمه . وطالب باتباع حرفية القرآن والسنة . ومن أجل هـــذا فلابد بادىء ذى بدء من تصفية « اسلوب الفكر الغربى » . وتنقية العقيدة الدينية والممارسة على نحو دقيق من الشـــوائب العـــالقة الغربية (٨١ ، ص١٦٦) . وطالب بأن يكون جهاز الدولة ذا صبغة اسلامية ، بمعنى نشر الروح الاسلامية بين أوساط موظفى الدولة . كما يجب أن يستمد القانون والقضاء من الشريعة .

وكان المرشد العام من اشد المنتقدين للنظام الحزبى ويعتبره من اسباب الوضع البائس للبلاد . (وقد استحدث كذلك مصـــطلحا جديدا هو « وطنية الحزب » ليصب به اللعنة على اتباعها) . ونوه بأن وجود الاحزاب السياسية لا يتمشى مع وحدانية الاسلام ويخالف تعاليم القرآن (٨٣ ، ص٦٠ ، ٦٥) التى تنادى بالتعاون على البر والتقوى والاخوة .

ومن ثم ، فان روح تعاليم الجمعية كلها كان منصبا للقضاء على نظـــام الحكم الدستورى القائم فى ذلك الوقت (٨٣ ، ص٥٤) .

وكان البنا يرى الضرورة ماسة لبناء جيش قوى ، يتوقف عليه « نهوض الامة » . ويجب أن يكون افراد الجيش من الشـــباب الاصـــحاء (جســـدا

وروحا) متحمسين للجهاد(١) . وطالب « المرشـــد العام » بالارتقاء بالاخلاق العامة وتنقية السلوكيات الاجتماعية من تأثير الغرب المهلك(٢) . وتحـــريم المشروبات الكحولية والمخدرات والبغاء والخيانة الزوجية وكذلك الاندية الليلية ودور القمار وحلبـــات الرقص وفرض الرقابة على المسرحيـــات والتمثيليات والافلام والبرامج الاذاعية والاغانى والمحاضرات والصحافة . وطالب بتوقيع العقاب على كل من لا يراعى المحرمات وكذلك الصـــوم والصـــلاة .

وكان برنامج « الاخوان المسلمين » الاقتصـــادى والاجتماعى ســـلسا للغاية ومفهوما للجماهير ، مما كان سببا فى نجاح الجمعية . وخص جزءا كبيرا للحديث عن تطور الاقتصاد الوطنى ، واحلال البضائع المصرية محل الاجنبية وتحسين نظم الرعاية الصحية والنهوض بمستوى معيشة العمال والفلاحين وتقديم العون للعمال كى ما ينهضوا بمســـتواهم المهنى والثقـــافى وغيرها . أما ما يختص بمصير البنوك والشركات والمؤسسات الاجنبية ، فان برنامج الجمعية لم يتعرض لهـــذه القضـــية بالنقد ولا حتى من وجهة نظر عقيـــدتها الذاتية . اللهم الا جملة عابرة تطنطن بان الشعب يجب أن يصان من الشركات الاحتكارية او أن المؤسسات الاجنبية يجب أن تكون أساسا فى خدمة المصالح القومية للبلاد (٨١ ، ص١٧٢ — ١٧٣) . ومن ثم ، فان البنا كان من المؤيدين لبقاء المؤسسات الاجنبية فى مصر ، مما لا يتمشى مع جوهر عقيدته ويدلل على ارتباطه بالطبقات الحاكمة . ومقابل هـــذا أولى اهتمـــاما كبيرا لاســـتنكار « الارباح الناجمة على شكل فوائد عن رأس المـــال » واصفا اياه بالربا(٣) .

---

(١) الجهاد ، هو النضال على « طريق الرحمن » و « الحرب المقدسة لنصرة العقيـــدة » .

(٢) وطالب بالاســـتغناء عن المعلمين والمدرسين الاجانب وعن الملابس المستوردة ، واستخدام اللغات الاجنبية فى الاسرة وغيرها .

(٣) اقترح على الحكـــومة الاشـــتراك فى اعادة تنظيم البنوك ، كى لا تتعارض أنشطتها مع الاســـلام ، الذى يحرم الربا .

وأحيانا كان « المرشد العام » يلجأ للمطالبة بمطالب « ثورية للغـــاية » سعيا منه لجذب الجماهير العريضة . فمثلا ، نجده فى أوائل عام ١٩٤٨ ينشر وثيقة جاء بها أن الثــورة يجب ألا تكون حكرا على طبقة دون الاخرى ، لان هــذا يخالف تعاليم الدين الاسلامى الحنيف . ونـــوه بأن الاســـلام ضـــد النظام الحالى « للاقطـــاع الرأسمالى » الذى لا يعرف حدا للملكية ، وكذلك ضـــد « الشيوعية الملحـــدة » التى فى ظلها « تمتلك الدولة كل الاراضى » . وأشـــار الى أن الحل الســـليم للقضـــــية هو الوســـط بين الرأســـمالية والشـــيوعية . ويجب على كل فلاح أن يمتلك قطعـــة الارض التى يمكنـــه زراعتها ، وأما ما زاد على ذلك فيوزع على الاخرين بلا مقابل (٢٥ ، ص٤٠٧ ، ١٠٥ ، ١٩٥٤ ، رقم ١٢) . وقد نال بيان البنا هـــذا صدى واسع الارجاء فى البلاد لدرجة اضـــطر معها المفتى لنشر فتوى دافع فيها كممثل للطبقـــات الســـائدة ، عن النظام الرأسمالى وبالاخص عن شرعية النظام القائم لملكية الاراضى مستندا فى ذلك للعقيدة الاســـلامية ومستشـــهدا بالآيات القرآنية (٨٣ ، ص٥١) . وواضح هنا وجود رأيين متناقضين تجاه القضية الزراعية فى مصر .

أما عن مدى اخلاص الجمعية فى حل القضية الزراعية لصالح الفلاحين ، فيمكن الاستدلال عليه من أن زعيما آخر « للاخوان المســـلمين » وهو حسن الهضيبى طالب بعد مرور أربع سنوات ونصف السنة (على قيام ثورة ١٩٥٢ وانتصارها ، عندما اقترحت على كافة الاحزاب أن تتقدم ببرامجها) بتحـــديد الملكية الزراعية ٥٠٠ بخمســـمائة فدان على الاقل (٤٣ ، ص٩٤) . ويدل هـــذا الاعلان الذى لا يعد بتاتا من قبيل المصـــادفة على ان قيادة الجمعية آنذاك قد جنحت لليمين ومالت أكثر للتعاون مع الرجعية المصرية .

ولم تخجل قيادة الجمعية من مثل هـــذا التذبذب : فعلى رأى البنـــا ، المسلمين كلهم بصرف النظر عن انتمـــاءاتهم الطبقيـــة والقومية (اخوة) .

ولذا كانت نظرتهم لاصحاب المشاريع المسلمين من جانب والمسيحيين واليهود من جانب آخر على طرف النقيض . وكانت الجمعية تعضد كبار الاقطـــاعيين

والراسماليين اذا ما كانوا مسلمين . فمثلا ، كان « الاخوان المسلمون » متعاطفين مع أحمد عبود أحد كبار الاثرياء المصريين وصاحب اضخم مصانع للسكر والحاج محمد سالم واحد من أكبر رجال الصناعة فقط لانهما مسلمان . (١١٥ ، ص٤٣) . وقد الحق هذا كله الضرر البليغ بقضية تكاتف كافة القوى المعادية للامبريالية .

وينبع اسم الجمعية نفسها « وأحد الاركان الاساسية » لعقيدتها من أصول ونصوص القرآن الكريم التى تقول « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٢٩ ، سورة الحجر ٤٩ ، الآية العاشرة) .

وكان « الاخوان المسلمون » يتوجهون بنداءاتهم أول ما يتوجهون الى أبناء وادى النيل (اى مصر والسودان) والتى كانت وحدتهم هى احدى مطالبهم .

وكانت القومية المصرية تمتزج عندهم بالولاء للعرب . وكانوا يعتقدون أن الدول الامبريالية تمزق العالم العربى وتشتته بطريقة مصطنعة . واخيرا كان حسن البنا (أحد اتباع جمال الدين الافغانى المخلصين) المفكر الاسلامى الاول ينادى بضرورة اتحاد المسلمين كافة حتى يشتد العالم الاسلامى ويقوى ويرجع اليه مجده الغابر ، مع حمايته من « تسلل المادية » (١٢١ ، ص٨١ — ٨٤) .

ولقد تحول اتجاه البنا العربى والاسلامى الى تعاليم غاية فى الضرر والعنصرية والرجعية عن تمييز العرب والمسلمين دينيا وسياسيا . وهم الذين خلع عليهم القدر حق قيادة العالم والذين « اختارهم الله لبعث الانسانية واقرار سيادتهم على العالم . (١١٥ ، ص٣٤ ، ٣٨ — ٤١ ، ٤٣ ، ص٨٥) .

وكان « الاخوان المسلمون » يرون هدفهم الاساسى والنهائى هو اعادة نظام الخلافة الذى كان معمولا به فى القرون الوسطى[1] ، والذى ستنظم

---

(١) يجب أن يمر تأسيس الخلافة بعدة مراحل . وكخطوة أولى اقترحت الجمعية قيام التعاون بين الدول الاسلامية فى مجال التربية والتعليم (توحيد مناهج التعليم) وكذلك الحياة الاجتماعية . ثم يجب أن تتبع ذلك سلسلة من الاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات بين الدول الاسلامية .

كل نواحى الحياة فيها تبعا لعقيدة وبرنامج الجمعية (٨٥ ، ص٦٢ — ٦٣ ، ٨١ ، ص١٦٢ — ١٦٤) .

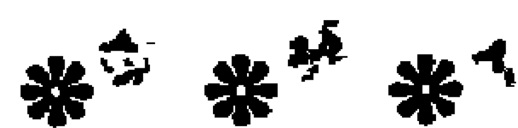
وكان شعار « الاخوان المسلمين » يتلخص فى الكلمات التالية : « الله ولينا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » (١٣٢ ، ص١٣) . وكانت العبارتان الاخيرتان بالاضافة الى شعار الجمعية (الذى كان يصور على شكل سيفين بينهما القرآن) تؤكد الروح المحاربة « للاخوان المسلمين » وكتب البنا يقول « القوة هى خير ضمان للحق ، هذا فرض ، مثله مثل الصلاة والصوم » . وكانت الجمعية تعترف باستخدام أساليب العنف (بما فى ذلك أعمال الارهاب) كواحدة من أهم الوسائل لتنفيذ مآربها وبرامجها .

وكانت الدعاية الاسلامية للجمعية تفرق بين صفوف الطبقة الواحدة الى مسلمين وغير مسلمين لتعميق الهوة القائمة بين الفئة القليلة من العمال المهرة المؤهلين (وهم مسيحيون أساسا أى الفصيلة الرائدة للطبقة العاملة وبين طبقة العمال العريضة غير المؤهلة أو الضحلة التأهيل (وهم مسلمون أساسا) . وهكذا ، فعندما كانت تطرح مسألة القيام بالاضراب ، فان « الاخوان المسلمين » كانوا يصدقون فقط عليه فى المؤسسات التابعة لغير المسلمين . أما اذا كان رب المؤسسة مسلما ، فان الجمعية كانت تسارع لاقناع العمال (بمساعدة مخربى الاضرابات) أن الدين يحرم الاضراب (١١٥ ، ص٥٩ ، ٩٢) .

وليس من قبيل العبث ، أن (هيفورس ديون) الذى كرس نفسه للدفاع عن الآراء الامبريالية ، كان يرى فى عقيدة الجمعية القوة الوحيدة القادرة على مجابهة الايديولوجية الشيوعية . وكان يبنى رأيه هذا على أن « الاخوان المسلمين » نجحوا نجاحا باهرا فى التأثير على جموع الشعب وقواه الاجتماعية التى كانت مهيأة لتقبل وجهة النظر الشيوعية (٨٣ ، ص٥٠) .

لم ينتبه الباحثون السوفيت وهم يحللون متسكله الحركه العماليه في مصر الى حقيقة أن الحديث يدور عن بروليتاريا بلد اقتصاده استعمارى الطابع . وكما نوهنا سابقا ، فان الطبقة العاملة فى مصر قبل ثورة ١٩٥٢ لم تتحول الى « طبقة تعمل لنفسها » ، بل ظل معظمها خاضعا للايديولوجية الدينية البرجوازية وظلت بعض المجموعات منها خاضعة للايديولوجية الاكليريكية الاقطاعية . ويمكن أن نجد الدليل على هذا فى نشاط تنظيم « الشبكية »(١) الاسلامى المنتشر انتشارا واسعا فى العاصمة والمحافظات ، والذى كان أعضاؤه أساسا من بين عمال السكك الحديدية والترام والترسانة والورش فى (القاهرة) وكذلك الحرفيين وصغار التجار . وقد وضعت الجماعة ، التى كانت تشبه الى حد ما الطوائف الدينية فى القرون الوسطى ، نصب أعينها مهمة النهوض بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى لاعضائها بالرغم من أن ميثاقها نص على قلة اكتراثها بالسياسة . وكانت الشبكية من حيث عدد أفرادها يأتى ترتيبها وسط الجماعات الاسلامية كلها بعد جمعية الشبان المسلمين وجمعية « الاخوان المسلمين » . وقد بذل حسن البنا قصارى جهده لاستقطاب أعضائها للانضمام الى جمعيته لانه كان يدرك أن ذلك من شأنه تعزيز مركزه . زد على ذلك أن أعضاء الشبكية كانوا يتمتعون بالسمعة الطيبة بين أوساط المتدينين بعمق . وكانت النقابات العمالية هى المنافس الرئيسى « للاخوان المسلمين » فى الصراع للتأثير فى « الشبكية » (٨٣ ، ص٣٠ » .

لقد عرقل (نشاط الجماعات والجمعيات الاسلامية) عملية توحيد صفوف الطبقة العاملة على أساس مهنى وطبقى .



---

(١) الشبكية نسبة الى قرية الشبكية التى تأسست بها وولد فيها محمود الخطاب مؤسسها (وكانت الجماعة تسمى كذلك بالخطابية نسبة الى اسمه) . وكان من أيسر الأمور التعرف على أعضائها من مظهرهم الخارجى .

وانحصر الجانب القوي « للاخوان المسلمين » فى أن شعاراتهم المغلفة فى صيغ دينية مفهومة كانت تلبى مشاعر الجماهير الشــعبية . وكان دعــاة الجمعية ووعاظها يجيدون اجادة تامة تكنيك الدعاية فى المساجد ، ويحظون بسهولة تامة على المؤيديين من بين أوساط المتدينين والمتزمتين . وكان أعضاء الجمعية فى بداية تأسيسها فى مدينة الاسماعيلية من العمال غير المؤهلين وفقراء الفلاحين وجزء كبير من صغار الموظفين والمدرسين ذوى الاجور الضئيلة وكذلك الخدم الذين يعملون فى البيوت وكان المستوى المعيشى لهؤلاء جميعا منخفضا للغاية وكانوا من الاتقياء الورعين وأشباه الاميين . وازداد أعداد الاعضاء بعد انتقال مركز الجمعية للقاهرة زيادة سريعة . فانضم الى الجمعية كثير من طلاب الازهر ثم عدد من طلاب المدارس الثانوية ومعــاهد التعليم العــالى وازدادت كذلك أعداد الموظفين والمعلمين والعمال (ولاســيما غير المهرة) . والحرفيين والتجار الصــغار والمتوسطين .

واستقطبت الجمعية عددا لا بأس به من الضــباط وكثيرا من الجنود وكذلك عدد كبير نسبيا من الفلاحين . ولم ينضم ممثلو الطبقات الحــاكمة للجمعية وكانوا ينظرون اليها بعين الحذر والترقب ، ولكنهم لم يتورعوا عن استخدامها لمصالحهم . ونجح « الاخوان المسلمون » فى جذب بعض الوفديين لصفوفهم (٨١ ، ص١٨٣) وكذلك عدد كبير من أكفأ وأنشط أعضاء جمعية الشبان المسلمين و « مصر الفتاة » و « الشــبكية » وغيرها من الجماعات الاســلامية الاخرى .

وكانت الجمعية تعبر عن ميول جماعات من الطبقات المتوسطة والفقيرة الاكثر تخلفا ورجعية . وكانت قيــاداتها على كافة المســتويات تتعاون مع ممثلى الطبقة الحاكمة وفى اغلب الحالات لم يتعارض نشــاطها مع مصــالح الرجعية المصرية بالرغم من أن صفوف « الاخوان المسلمين » كانت تضم كثير من الوطنيين المخلصــين .

ولوحظ عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية الجنوح الواضح لانحيــاز

قيادة « الاخوان المسلمين » لمعسكر الرجعية . ان التظاهر بالثورية والادعاءات الديماجوجية جعلت من الجمعيـة واحـدة من أشد القوى خطورة وضررا لالهاء الجماهير الشعبية عن الحركة الديمقراطية والثورية الاصـيلة .

الجماعات المـاركسية والشـيوعية

ان النضـال البطولى الذى خاضـه الشعب السوفيتى خلال الحرب العالمية الثانية قد أثار التعاطف مع الاتحاد السوفيتى فى كافة أرجاء المعمورة ولاسيما فى مصر . وازداد الاهتمام كثيرا بالاتحاد السوفيتى . ونشطت جهود القوى المعادية للفاشية .

وانعقدت فى شـتاء ١٩٤١/١٩٤٢ وفى كبريات المدن المصرية ، القاهرة والاسكندرية ، أولى حلقات دراسة المـاركسية ، والتى اسفرت فيما بعد عن تكون جماعات ماركسـية وشيوعية(١) .

وتشكلت فى عام ١٩٤٢ أولى الجماعات مثل « الحركة المصرية للتحرر الوطنى »(٢) و « الشرارة » . وكان معظم أعضـائها من الاوربيين والشوام ، ولاسـيما المثقفين منهم .

---

(١) للاسـف لم ينصـب علماء المـاركسية بعد على دراسة تاريخ الجماعات الشيوعية المصرية وخاصة المرحـلة المبكرة منها . وهناك كثير من الغموض الذى يكتنف هـذا الموضوع حتى الآن . وتعقدت المسألة بسبب وجود عدد كبير نسبيا من هـذه الجمـاعات (أكثر من عشرين جماعة) كل واحدة منها تتكون من دائرة محددة من الافراد . زد على ذلك أنها كانت تمارس نشاطها فى ظروف من السرية ، وغالبا ما تغير أسماءها ، وتتحد ثم تتفرق ، ويدب بينها دائما الصراع من أجل الاسس التنظيمية والتطبيقية خاصة .

(٢) كانت اللغة الفرنسية هى اللغة الاسـاسية فى المرحلة الاولى من نشـاط الجمـاعة .

وناضلت الحركة المصرية من أجل التحرر الوطنى لتمصير الحزب وصبغه بالصبغة البروليتارية وكانت ترى أن الحركة يجب أن تتسم بالجماهيرية . وكانت « الشرارة » على النقيض من ذلك تؤكد أن الحزب فى مرحلته هذه يجب أن يتكون من دائرة ضيقة من المثقفين الثوريين المحترفين بصرف النظر عن انتماءاتهم القومية . وفى عام ١٩٤٣ انسلخت جماعة جديدة من « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » تسمى « تحرير الشعب » . وفيما بعد ظهرت عدة جماعات أخرى منها « الطليعة » وهى أهم جماعة تكونت فى الاسكندرية من الوفديين اليساريين ولاسيما الطلاب الدارسين وكذلك « العصبة الماركسية » و « القلعة » و « الفجر الجديد » . وهناك معلومات كثيرة متوفرة عن نشاط الجماعة الاخيرة بالذات بالمقارنة بالجماعات الاخرى . ويرجع ذلك الى المجلة الاسبوعية الشيوعية الواسعة الانتشار تماما والتى كانت تحمل الاسم نفسه وصدرت خلال الاعوام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ . وبالرغم من الانشقاق والخلافات فقد كانت الفترة الممتدة من ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ ملائمة نسبيا لنمو الجماعات الشيوعية .

الحياة السياسية فى مصر خلال فترة الحرب العالمية الثانية

كان الوفد خلال السنوات السابقة على الحرب العالمية الثانية مباشرة والسنوات الاولى من الحرب (اى من يناير ١٩٣٨ وحتى فبراير ١٩٤٢) يعارض الحكومة المشكلة من ممثلى أحزاب « الاقلية » وكذلك زعماء « المستقلين » من « حزب » القصر . وخلال الشهور الاولى من الحرب انتقد الحزب سياسة بريطانيا ، سعيا منه لتعزيز سمعته المهتزة نوعا ما كمدافع عن المصالح الوطنية ، وبالرغم من أن اتصالاته بكلا الجانبين لا تثير أية شبهة . فمنذ البداية والنحاس يصرح بتأييده التام للتحالف المعادى للفاشية ويعرب مرارا عن يقينه فى انتصاره على دول « المحور » .

وكانت الحكومة البريطانية تأخذ فى عين الاعتبار شعبية الحزب وتغلغله بين الاوساط الجماهيرية وسعت للحصول على تأييده ، وبعث الوفد فى اول

أبريل ١٩٤٠ بمذكرة اليها يعرب فيها عن استعداده للتعاون مع بريطانيا العظمى بشرط قبول المطالب التالية :

١ — يجب على بريطانيا العظمى أن تصدر على وجه السرعة بيانا تتعهد فيه باجلاء قواتها عن مصر بعد انتهاء الحرب وانعقاد مؤتمر الصلح بين الامم المتحاربة . وأن تحل القوات المسلحة المصرية محل القوات الانجليزية .

٢ — يجب أن تضمن بريطانيا العظمى اشتراك مصر فى مؤتمر الصلح الذى سيعقد بعد الحرب للدفاع عن مصالحها المادية والمعنوية .

٣ — ويجب على كل من بريطانيا العظمى ومصر بدء المفاوضات بعد انتهاء أعمال مؤتمر الصلح الدولى . وأن تعترف بريطانيا بحق مصر كاملا فى السودان لصالح كل أبناء وادى النيل (١٢٢ ، ص٧٧) .

وقوبلت المذكرة فى مصر بالحماس الشديد ، لانها كانت على حد قول الرافعى أول بيان لسحب معاهدة ١٩٣٦ يصدر عن واحدة من القوى التى أبرمتها . وفى الجانب الآخر قوبلت المذكرة بالبرود .

واستنكرت الحكومة البريطانية فى ردها « المحاولة المتعمدة » للوفد لتعكير صفو الجو « السياسى الداخلى » فى الوقت الذى تخوض فيه بريطانيا العظمى نضالا مريرا لا يتوقف عليه « مصير مصر واستقلالها فقط ، بل ومصير بريطانيا العظمى نفسها كذلك »(١) . والادهى فان المذكرة السالفة الذكر لم تجعل بريطانيا تحجم عن نواياها فى الاعتماد خلال سنوات الحرب على الوفد بالذات .

وخلال الازمة السياسية الداخلية العاصفة فى ٢ — ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والناجمة عن مطالبة السفارة البريطانية لوضع حد لنشاط « الطابور

---

(١) للاطلاع على نص المذكرة الوفدية انظر : ١١٠ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ ، ١٢٢ ، ص٧٨ .

الخامس » المصرى واقالة حكومة حسين سرى ، زار السفير البريطانى مايلز لمبسون الملك وطلب منه فى صيغة الآمر الناهى بتكليف زعيم الوفد (النحاس بتشكيل الحكومة . وفى ظهر يوم ٤ فبراير وجه السفير للملك انذارا ، يحذره فيه من أنه لو لم يكلف النحاس حتى الساعة السادسة مساء بتشكيل الحكومة يجب ان يتحمل « العواقب » ، ودعا فاروق الى اجتماع عاجل ضم « الزعماء السياسيين البارزين » وقرر المجتمعون عدم قبول الانذار . عندئذ جرت مظاهرة عسكرية أمام قصر عابدين . وأحاطت القوات البريطانية بالقصر . وفى الساعة التاسعة مساء دخل السفير بسيارته تتقدمه ثلاث دبابات ، وبرفقته الجنرال سيتون قائد القوات الانجليزية فى مصر ومعه بعض الضباط الى فناء القصر . ودون أدنى مقاومة من الحرس الملكى دخل الانجليز مكتب الملك ووجهوا له انذارا يخيرونه فيه بتكليف النحاس بتشكيل الحكومة ، واما التنازل عن العرش) . واختار الملك الامر الاول ، وحل الوفديون البرلمان ، ودعوا فى مارس للانتخابات التى فاز فيها الحزب بأغلبية بساحقة(١) .

وقد عملت الحكومة الوفدية على تأمين سلامة الجبهة الداخلية خلال فترة عصيبة من فترات الصراع على شمال أفريقيا ، وقدمت التسهيلات للمزيد من العمليات العسكرية . وبذا تكون قد أسدت لبريطانيا العظمى جميلا لا يقدر ثمنه . وخاضت حكومة النحاس حربا لا هوادة فيها على أعوان الفاشية وعملائها . واعتقلت أكثر العناصر ولاء للنازية (ومن بينهم شخصيات مقربة للبلاط ووزراء سابقين ورؤساء منظمات سرية مناهضة للانجليز) .

وتقدمت الحكومة الوفدية باقتراح للاتحاد السوفيتى لاقامة العلاقات بين البلدين كى تعزز من وضعها الداخلى والخارجى . وفى ٢٦ من يناير ١٩٤٣ أقيمت لاول مرة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والإتحاد السوفيتى .

---

(١) قاطعت أحزاب « الاقلية » الانتخاب .

وأجرت حكومة النحاس عددا من الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لصالح جماهير الشعب . وصدرت قوانين لتخفيض الضرائب على صغار الملاك الزراعيين ، ولابرام عقود فردية عند تأجير العمال وللتأمين الاجبارى ضد حوادث العمل ، وطبق نظام التعليم الالزامى المجانى . وصدر قانون باستعمال اللغة العربية فى نشاط الشركات العاملة فى مصر . وكان لقانون ٨٥ الصادر فى سبتمبر ١٩٤٢ والخاص بالنقابات والذى اعترف لاول مرة فى تاريخ مصر بحق النقابات العمالية فى الوجود الشرعى مغزى كبيرا(١) وكان صدور هـذا القانون ثمرة نضال مديد للطبقة العاملة(٢) .

---

(١) كانت نظرة الحكومة للنقابات العمالية حتى صدور قانون ١٩٤٢ يتسم بالطابع الفريد من نوعه : كانت تعترف بالنقابات فى صمت ولكن وجودها لم يكون مقنن شرعيا .

(٢) كان قانون ١٩٤٢ قاصرا تماما ، فمثلا ، كان يمكن لوزير الشئون الاجتماعية التدخل فى الانتخابات النقابية متذرعا بأية حجة . ونصت المادة الخامسة « بوجوب احاطة البوليس عن كل اجتماع نقابى خاص بالمسائل التنظيمية وكذلك عن كل اجتماع نقابى عام » . وكان من حق البوليس فض اى اجتماع نقابى بحجة مخالفته « للامن العام » (٥٥ ، ١٩٥٠ ، رقم ١٤ ، ص٣٠) . وحرم قانون ١٩٤٢ تنظيم نقابات للعمال الزراعيين وموظفى الدولة والبلديات وكذلك العمال المشتغلين فى الجيش والبحرية . واقر قانون ١٩٣٢ الخاص بحرمان العمال من تشكيل اتحادات نقابية على نطاق القطر المصرى كله . ولم يكن يحق للنقابات المشاركة فى الحياة السياسية للبلاد أو الاحتجاج على سياسة الحكومة المعادية للعمال . وحرم القانون عليهم حق اعلان الاضراب واوصى بعرض النزاع على هيئة تحكيم .

وكانت ظروف العمل النقابى صعبة . كانت هناك رقابة صارمة على النقابات منتهكين بذلك أبسط الحقوق الديمقراطية أشد الانتهاك . فمثلا ، قامت ادارة العمل بوزارة الشئون الاجتماعية خلال السنوات ١٩٤٣ — ١٩٤٤ بحل عدد كبير من النقابات « الخطرة » لانتهاك قانون ١٩٤٢ (٣١ ، ص١٦٥) .

وفى عام ١٩٤٢ بلغ عدد النقابات المسجلة فى مصر ٢٠٠ نقابة تضم ٨٠ ألف عامل (٧٠ ، ص٩) . وفى عام ١٩٤٣ قل عدد النقابات ليصبح ١٨٠ (دون أن ينقص عدد المشتركين عما هو عليه) وفى عام ١٩٤٤ بلغ عدد النقابات ٢١٠ تضم ١٠٤ ألف عضو .

وكانت الاصلاحات بمثابة خطوة هامة للامام لتطوير التشريع الاقتصادى والاجتماعى المصرى ، بالرغم من أنها كانت تتسم بالاعتدال التام . وكانت تدل على أن قيادة الوفد — خلافا لها عن أحزاب « الاقلية » الاقطاعية البرجوازية — لم تكن لتتجاهل رغبات الآلاف من الوفديين البسطاء أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة فى المدن من عمال وفلاحين والذين كانوا يشكلون القطاع الثورى والاساسى فى الحزب . بيد أنه يمكن الاحساس فى هذه القوانين بتأثير الجناح اليمينى للحزب الذى التف حول فؤاد سراج الدين . فقد حاولت هذه القوى أن تطوق بأقصى ما يمكن الاساس التقدمى فى الاصلاحات الوفدية . وبلاشك ، فان مادة القانون التى تحرم على العمال الزراعيين تنظيم نقابات خاصة بهم ، أدخلت لصالح كبار الاقطاعيين والمادة التى تحرم تشكيل اتحادات نقابية على مستوى مصر كلها كانت لصالح الدوائر المالية والصناعية. وهكذا بدأت فى السنوات ١٩٤٢ — ١٩٤٤ تتكشف بوادر أزمة الوفد الناجمة عن التناقضات بين القمة الحزبية التى تحمى مصالح كبار الاقطاعيين والراسماليين وبين القاعدة العريضة للوفديين التى تمثل ميول ورغبات أبناء الشعب من الطبقات الفقيرة والمتوسطة والبروليتارية الى حد ما فى كل من الريف والحضر . وكان الوفد فى حاجة الى قيادة جديدة من بين أبناء الطبقة الفقيرة والمتوسطة ليحتفظ بتأثيره على الجماهير وبدور القيادة لحركة التحرر الوطنى .

وقد اهتزت صورة الحزب خلال هذه الفترة بشكل كبير لان كثيرا من الموظفين والشخصيات الوفدية المرموقة استغلت أزمة الغذاء فى أعمال التهريب والاختلاس والرشوة والتلاعب فى السوق السوداء .

وسرعان ما أصبح نشاط الوفد عرضة للتهكم من قبل أحزاب « الاقلية » الاقطاعية البرجوازية وكذلك الكتلة الوفدية والحزب الوطنى .

وحاولت زمرة البلاط مرتين خلال عامى ١٩٤٣ — ١٩٤٤ اسقاط الوفديين وتشكيل حكومة جديدة على هواهم . ولكن الانجليز ألمحوا أنه طالما كانت موازين العمليات العسكرية فى أفريقيا تتأرجح ، فانه يمكن بواسطة الوفديين وحدهم ضمان الاستقرار النسبى للاوضاع فى مصر واجراء العمليات العسكرية بنجاح .

وبقدر ابتعاد مسرح العمليات الحربية عن مصر ، كان اتســاع نطاق حركة التحرر الوطني والتي كان من شعاراتها الاســاسية : تصفية معاهدة ١٩٣٦ ، واجلاء القوات الانجليزية عن وادى النيل ووحدة مصر والسودان . وكان الوفد فى هــذه المرحلة يتزعم الحركة الشــعبية . والقى النحاس فى (٢٦ اغسطس ١٩٤٤ اى الذكرى الثــامنة لابرام معاهدة ١٩٣٦ الانجــلو مصرية خطابا مسهبا لخص فيه المطالب الاساسية للشعب المصرى . وقد آثار هــذا الخطاب حفيظة السلطات البريطانية التى كانت ترى أن الوفديين أدوا رسـالتهم . وقد بنت افتراضــاتها على أنه فى ظل الظروف الجديدة يكون من الحكمة والاتزان الكبيرين أن تهدأ من روع السراى وبطانتها ، الذين سيكون نفعهم اكثر من الوفديين فى قمع حركة التحرر .

بيد أن النحاس ظل على رأس الوزارة شــهرا ونصف الشــهر حتى نهاية مؤتمر الدول العربيــة فى الاســكندرية(١) . والذى كان من قراراته انشاء جامعة الدول العربية وتشكيل لجنة لصــياغة ميثاقها . وفى الجلسة الختامية بتاريخ ٧ أكتوبر ١٩٤٤ تلا النحــاس على أعضــاء الوفود بروتوكولا بالقرارات الصــادرة ووقع عليه .

وتلقى النحاس فى الثامن من أكتوبر ١٩٤٤ وهو بغرفته فى احد فنادق الاسكندرية خطابا من الملك يخبره فيه باقالة الحكومة الوفدية . وفى الوقت نفســه تلقى احمد ماهر زعيم الحزب السعدى فى القاهرة رسالة من الملك يقترح عليه فيها تشكيل الحكومة . وتم هــذا التغيير فى الاوضاع بتعضيد كامل من السفير الانجليزى .

وضــمت الوزارة الائتلافية الجــديدة ممثلين عن احزاب الســعديين والاحرار الدســتوريين والوطنى والكتــلة الوفدية . وكان اهم ما يؤلف بين هــذه القوى المتنافرة هو الكراهية للوفد والنحاس .

---

(١) عقد مؤتمر الدول العربية من ٢٦ سبتمبر وحتى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ . وشارك فى المؤتمر كل من مصر وسورية ولبنان والعراق والادرن .

وقد وضعت وزارة احمد ماهر نصب أعينها مهمة تصفية كل المكاسب التى حصل عليها العمال الكادحون أثناء فترة حكم الوفديين . وكان أول عمل للحكومة الجديدة هو الافراج عن المعتقلين السياسيين الذين تم اعتقالهم خلال سنوات الحرب (مثل على ماهر واحمد حسين وغيرهما) .

وفى نوفمبر ١٩٤٤ حل رئيس الوزراء مجلس النواب وحدد الانتخابات يوم ٨ يناير ١٩٤٥ . وكان هـذا العمل موجها ضد الوفد الذى كان يمتلك اغلبية مقاعد البرلمان . وقرر الوفد بعد مناقشات مطولة مقاطعة الانتخابات متعللا فى ذلك بأنه لا يمكن ضمان انتخابات حرة فى ظل القوانين العسكرية الراهنة(١) . وبديهى ، أن هـذا القرار لم ينشأ من فراغ الا أن خصوم الوفد ردوا بحجة ليست أقل اقناعا : الم تجرى الحكومة الوفدية انتخابات عام ١٩٤٢ فى ظل حالة الطوارىء . وبالتأكيد ، فان عدم ثقة قادة الوفد فى النجاح كانت ترجع الى أسباب أخرى منها التعاون مع انجلترا خلال سنوات الحرب والطريقة نفسها التى تقلد بها الحزب السلطة والفساد وخراب ذمم الجهاز الحزبى وكذلك استمرار الانشقاقات والصراع بين الاتجاهين المتضاديين داخل الحزب الواحد هـزت كثيرا من سمعته بين أوساط الطبقات الكادحة .

وكانت الحكومة فى مجال السياسة الخارجية تعتمد على بريطانيا العظمى فأعلن أحمد ماهر فى أول خطاب له حول برنامجه أن حكومته ستنتهج سياسة التعاون مع بريطانيا العظمى على أساس من مبادىء معاهدة ١٩٣٦ .

وفى ٢٦ فبراير ١٩٤٥ أعلنت الحكومة المصرية رمزيا الحرب على دول « المحور » ، والتى لم تذهب بلا ضحايا : فقد قتل أحمد ماهر نفسه علىَ أيدى عملاء الفاشية أثناء خروجه من مجلس النواب ، حيث كان قد ألقى بيانا عن دخول مصر الحرب . وخلفه محمود فهمى النقراشى زعيم السعديين الجديد .

---

(١) كانت نتيجة الانتخابات لمجلس النواب على النحو التالى : ١٢٥ مقعدا لحزب السعديين ، ٧٤ للاحرار ، و٢٩ للكتلة الوفدية ، و٧ للحزب الوطنى و ٢٩ للمستقلين .

الباب الثانى

نضال التحرر الوطنى للشعب المصرى

خلال الفترة من ١٩٤٥ وحتى ١٩٤٧

ازمة السيطرة البريطانية فى مصر

خلال السنوات الاولى لما بعد الحرب (١٩٤٥ — ١٩٤٦)

وبدأت خلال أعوام الحرب العالمية الثانية المرحلة الثانية من الازمة العامة التى أصابت الراسمالية . وبدأ انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية يتسع نطاقه حتى شمل بلدان آسيا والدول العربية الواقعة فى شمال افريقيا . وتأججت جذوة الحركة التحررية المعادية للامبريالية لتغطى الشرق المستعمر بأسره . وظهر عمق ازمة النظام الاستعمارى فى مصر على شكل موجة عارمة جديدة من التحرر الوطنى .

لقد ادت عملية الهجرة المكثفة الى المدن والنهوض السريع للصناعة أثناء الحرب الى جذب بضع مئات الآلاف من النازحين من أهل الريف للعمل فى حقول الانتاج والمشاركة فى الحياة السياسية للبلاد . بيد أنه بعد أن وضعت الحرب اوزارها وجد عشرات الآلاف من العمال أنفسهم مشردين فى الشوارع نتيجة تقلص الانتاج فى العديد من المشاريع والمصانع . وقد بلغ عدد العاطلين فى الاسكندرية وحدها من المترددين على مكتب العمل خلال النصف الثانى من عام ١٩٤٥م ٦١٥٧ عاطلا . وكان الوضع نفسه لا يختلف فى كافة المدن الكبرى بالوجه البحرى . وصرح المكتب الصحفى لدى وزارة الشئون الاجتماعية أن السلطات الامريكية قررت الاستغناء عن ٢٣ر٢ الف عامل خلال شهر يناير وحده ١٩٤٦ (١٣٦ ، ١٩٤٦/١/٤) . وحرم عدد كبير من الموظفين كذلك من أعمالهم .

وكانت البطالة تتفاقم يوما بعد آخر ووفقا للاحصـــاءات المختلفة بلغت اعداد العاطلين فى النصـــف الاول من عام ١٩٤٦ ، والذين كانوا يمارســـون عملهم فى عام ١٩٤٥ م ، ٢٠٠ — ٤٠٠ الف عاطل . (٧١ ، ص٢١ ، ٨٩ ، ص٥٢ ، ٢٥ ، ص٢٦٩ ، ١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ٣١ ، ص ٢٤٦ ، ١٠٦ ، ١٩٤٩ ، رقم ٣ ، ص٢٨٩) . وأصبحت البطالة المتفشية بين أوســـاط سكان المدن واحدة من أعوص المشـــاكل لمصر ما بعـــد الحرب . وبلغت البطـــالة معدلات هائلة بين خريجى معاهد التعليم العالى وكذلك بين حملة البكالوريا (٢٥ ، ص٣٩٧) . ووقفت وزارة الشؤون الاجتماعية ومكتب العمل عاجزين تماما عن اتخـــاذ إى اجراء ازاء هـــذه المشـــكلة . ولم تكن لدى الحكومة المصرية اية خطط بناءة لمكافحة البطالة المتضخمة .

وكانت السلطات المصرية بعد الحرب تضـــطر من آن لآخر الى زيادة اجور العمال . بيد أن الاجور كانت دائما أقل من مؤشرات تكاليف الحياة . فمثلا ، كان دليل نفقات المعيشـــة فى يوليو ١٩٤٠ يساوى ١٣٨ (١٩٣٩ — ١٠٠) وفى يوليو ١٩٤٥ — ٢٩٣ وفى ١٩٤٦/١٩٤٧ — ٢٨٥ وفى يوليو ١٩٥١ — ٣١٢ وفى يوليو ١٩٥٢ — ٣٢٠ (فى يناير ١٩٥٢ — ٣٢٣) (١٠٨ ، ١٩٥٧ ، المجلد ١٠ ، رقم ٢ ، ص١٠٥) وتبعا للبيانات التى أدلى بها اسماعيل صدقى رئيس الوزراء فى مؤتمره الصـــحفى بتاريخ ٢٩ يونية ١٩٤٦ كانت اســـعار السلع التموينية أزيد بأربع — ست مرات عما كانت عليه قبل الحرب (١٣٦ ، ١٩٤٦/٦/٣٠) .

ولذا فان الاجور الفعلية اســـتمرت فى الانخفـــاض خلال الســـنوات الاولى التى أعقبت الحرب . وقد هبطت من يناير ١٩٤٢ حتى يناير ١٩٥٠ بنسبة ٥٣٪ فى المتوسط (١٠٨ ، ١٩٥٧ ، المجلد العاشر ، رقم ٢ ، ص١٠) .

وتبعا للاحصائيات التى اوردها رجال الاقتصاد ، فان اســـتهلاك الفرد الواحد من السلع الغذائية الاســـاسية كان أقل مما كان عليه قبل الحرب .

فمثلا ، اذا كان المواطن المصرى يستهلك قبل الحرب ٢٣٦٦ سعر حرارى يوميا فى المتوســـط ، فان هـــذا الرقم فى عام ١٩٥٠ كان يساوى ٢٢٩٩ وفى

١٩٥١ — ٢٣٤٧ وفى عام ١٩٥٢ — ٢٣٢٢ (٢٥ ، ص١٤٧) . وتفاقم الوضع بسبب نزوح الآلاف من أبناء الريف لكسب لقمة العيش فى المدن وهربا من الازمة الزراعية الطاحنة .

وكانت الرقعة المزروعة قطنا خلال سنوات الحرب ١٩٤٥ — ١٩٤٦ اقل بكثير من مثيلتها قبل الحرب . وتكدست فى البلاد كميات هائلة من فائض القطن . وفاقت كمية فائض القطن فى نهاية عام ١٩٤٦ حجم المحصولين السابقين . وبالطبع ، وجد الفلاحون أنفسهم يواجهون وضعا بالغ الصعوبة . وادت الحرب وكذلك أزمة القطن الخطيرة الى فداحة وضع المزارع المصرى بشكل حاد . وكتب عيروط الخبير الكبير بأحوال الريف المصرى عن وضع الفلاح المصرى يقول : « بعد الحرب كم من اناس اغتنت وكم من قرى اجتاحتها الاوبئة وكانت أحوال الفلاحين مأساوية لدرجة أن الامر حتم فى عام ١٩٤٦ تشكيل مجلس أعلى بمرسوم من مجلس الوزراء لمكافحة الفقر والجهل والمرض » (١٠ ، ص١٦٦) .

وكان توزيع الدخل القومى المصرى يتم بطريقة غاية فى الظلم والاجحاف . فمثلا ، بلغ الدخل القومى فى عام ١٩٤٥م ٥٠٢ مليون جنيه مصرى ، ٣٠٨ مليون جنيه منها أى نسبة ٦١٪ كانت تذهب لجيوب الاجانب والمصريين من اقطاعيين ورأسماليين وممولين على شكل عوائد وأرباح وفوائد (٥٠ ، ص١١٩ — ١٢٠) .

وكان الاحتلال الانجليزى يجثم كالكابوس البغيض على الاقتصاد المصرى . وبالرغم من انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وانتهاء العمليات الحربية داخل الاراضى المصرية قبلها ، أى فى نهاية ١٩٤٢ ، فان انجلترا ظلت حتى فى عام ١٩٤٦ تحتفظ فى مصر بجيش احتلال قوامه ٢٠٠ الف فرد . وعملت السلطات البريطانية على زيادة تدهور أوضاع الكادحين المصريين المتدهورة اصلا ، باحلال عمل أسرى الحرب المجانى محل عملهم الرخيص . وبدون علم الحكومة المصرية ثم نقل أعداد كبيرة متزايدة من أسرى الحرب الى مصر حتى أن عددهم بلغ فى فبراير ١٩٤٦ ٢٥٠ الف أسير (٦٠ ، ٢٢/٢/ ١٩٤٦) .

وكانت القيادة البريطانية قد بنت ثكنات عسكرية وقواعد جوية فى أرجاء مختلفة من البلاد . وكان مطار الماظة بالقاهرة واحدة من أكبر القواعد الجوية فى الشرق الاوسط وشيدت المشاريع العسكرية فى السويس وبور سعيد والتل الكبير وغيرها من المدن الاخرى . واحدثت هذه التدابير من جانب السلطات العسكرية البريطانية ضررا بليغا لاقتصاد البلاد . فمثلا نجد أن مصنع الاسمنت بالقاهرة ، الذى كان انتاجه يغطى احتياجات مصر وعددا آخر من بلدان الشرق الاوسط ، لم يعد يكفى الاحتياجات الضرورية للاقتصاد القومى للبلاد ، لان انتاجه كله وجه لسد متطلبات الجيش الانجليزى الذى كان يستهلك ١٠٠ الف طن من الاسمنت لبناء الثكنات العسكرية (٦٠ ، ١٢/٨/١٩٤٦) .

ولقد احدث نشاط السلطات العسكرية البريطانية فى السنوات الاولى التى أعقبت الحرب ضررا بليغا فى الحياة الاقتصادية للبلاد ، وزاد من حدة الازمات بسبب عدم خضوع تحركاتها لاشراف أجهزة الاقتصاد المصرى ومحاسبتها .

وبدات فى سنوات ما بعد الحرب مرحلة جديدة نوعيا فى تاريخ حركة التحرر المصرى ، وبلغ النضال من أجل الاستقلال الوطنى ذورته ودخل فى طوره الاخير . وترجع أهم الاسباب فى هذا لما يأتى :

١ ـ الوضع الدولى الجديد ، من تشكل النظام الاشتراكى الدولى وترسيخ أقدامه ، وهن وضعف كبرى الدول الاستعمارية الكبيرة أثناء الحرب ، ولاسيما بريطانيا العظمى ، نجاح ثورات التحرر الوطنى فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة الاخرى .

٢ ـ التغيرات الجذرية التى شهدتها الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر أثناء فترة الحرب العالمية الثانية والمرتبطة بتطور الراسمالية والنمو العاصف للمدن الصناعية ، واتساع نطاق التأثير السياسى والاقتصادى للفئات المتوسطة والبرجوازية الوطنية .

٣ — اشتداد عبء الظلم السياسى والاقتصادى من قبل الامبريالية الانجليزية وسعيها لاستعادة مواقعها المزعزعة فى مصر وفى الشرق الاوسط كله .

٤ — ازدياد سوء الاوضاع الاقتصادية للطبقة الكادحة فى مصر بسبب تقلص انتاج كثير من المشاريع ، بالاضافة الى ازمة القطن مما انعكس أثره السلبى على حياة الملايين من الفلاحين . الاستقطاب المطرد وتعميق هوة التفاوت المجحف فى الملكية والمرتبط بثراء الطبقة الحاكمة من جهة ، وبتزايد بؤس الكادحين من جهة أخرى .

الحركة العمالية

لم يقتصر نمو الطبقة العمالية اثناء الحرب العالمية الثانية على الناحية العددية وحدها ، بل شمل كذلك الوعى الطبقى والتنظيمى . وتحولت الى قوة سياسية يحسب لها وزنها وشاركت بنشاط وحيوية فى حركة التحرر الوطنى .

وأخذ اتحاد الصناعات المصرى الذى يضم ممثلى كبار البرجوازية الكومبرا دورية يطالب الحكومة مرارا ، بعد أن أحس بالخطر من جانب الحركة العمالية المتنامية ، بانتهاج سياسة اكثر حزما وصرامة تجاه الطبقة العاملة . وفى صيف ١٩٤٥ وجه الاتحاد للحكومة طلبا جاء فيه : اتباع سياسة اليد الغليظة بالنسبة للعمال مع « عدم التغاضى » عن مطالب الطبقة العاملة ، وعرقلة نشاطها السياسى مع عدم السماح للطبقة العاملة بالضغط على الحكومة . وحل نزاعات العمل بدون تدخل النقابات بواسطة اللجان المحلية المختلطة دون اشراك الاتحادات العمالية (٤٣ ، ص٦٩ — ٧٠) .

وأدان الاتحاد الحكومة فى بيان آخر موجه اليها فى مايو ١٩٤٦م بسبب « تهاودها » و « تهاونها » مع الطبقة العاملة وادانت البروليتاريا المصرية لوقوعها تحت تأثير قرارات « المؤتمر الشيوعى الدولى لتحطيم النظام

الرأسمالى » وطالب الحكومة باجراء « المزيد من التدابير الصارمة والقاسية ضد العمال » (١٤٠ ، ١٩٤٦/٥/٣١) .

وبالرغم من كافة القيود والمطاردات ، فان ميل عمال مصر لتوحيد صفهم لخوض النضال المشترك كان عظيما للغاية .

وكان للجماعات الماركسية والشيوعية التى اشتد ازرها اثناء الحرب الاثر البالغ فى تطور الحركة العمالية .

فقد نظمت المجموعات الشيوعية السرية حملة دعائية بين أوساط الطبقة العاملة نفسها (ولاسيما فى المراكز الصناعية الكبرى) وبين أوساط المثقفين وشباب الدارسين سواء بسواء . وكان أثر الشيوعيين أوضح ما يكون فى مراكز صناعة الغزل والنسيج الضخمة حيث كانت تحتشد أكبر أعداد من الجماهير البروليتارية ، مثل المحلة الكبرى وشبرا الخيمة(١) . والاسكندرية .

وبالرغم من عدم نجاح الشيوعيين فى تكوين حزب متآلف متحد للطبقة العاملة ، فان الحركة الشيوعية أصبحت عنصرا هاما فى الحياة الاجتماعية للبلاد .

ولا تتوفر لدينا معلومات موثوق بها عن أعداد الجماعات الماركسية . ووفقا لبيانات الباحثين البرجوازيين ، فان عدد الشيوعيين النشطاء فاق الى حد ما الالف فرد حتى نهاية الحرب ، وازداد فى سنوات ما بعد الحرب (وحتى ثورة ١٩٥٢) ليصبح ٥ ــ ٧ الف (١٠٦ ، ١٩٤٩ ، المجلد الثالث ، رقم ٣ ، ٨٩ ، ص٤٣ ، ٤٦ ، ٩٠ ، ص٤٠٦ ، ٢٥ ، ص٤٠٨) .

وخلال السنوات الاخيرة من الحرب بدأت تحت قيادة الجماعات الشيوعية عملية النضال من أجل تخليص النقابات العمالية من نفوذ

---

(١) شبرا الخيمة احدى ضواحي القاهرة العمالية ، حيث كان يشتغل ما يقرب من ٣٥ الف عامل فى مصانع الغزل والنسيج الضخمة .

الاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وكذلك من النقابات الصفراء التى كان يترأسها النبيل عباس حليم[1] . كتب شهدى عطية الشافعى عن هذه الفترة يقول : « بدأ العمال يدركون مدى خطورة سيطرة العناصر الاقطاعية والراسمالية على النقابات وكذلك أذنابهم ومدى أهمية تخليص الحركة النقابية من نفوذ العناصر التى تضمر انعداء للعمال . . . وفى هذا الصدد اشتد الميل بين أوساط العمال لتكوين نقابات متحررة من تسلط القصر والاحزاب البرجوازية وممثليها » (٥٠ ، ص [illegible]) .

وتوضح البيانات التالية مدى نمو الحركة النقابية فى مصر خلال سنوات ما بعد الحرب . (٧٣ ، ص٣٥) .

العام	عدد النقابات	عدد اعضاء النقابات
١٩٤٤	٢١٠	١٠٢٨٧٦
١٩٤٥	١٨٩	٨٩٥٦٠
١٩٤٦	٤٨٨*	٩٥٥٣٨
١٩٤٧	٤٤١	٩١٦٠٤
١٩٤٨	٤٧٨	١٢٤٠٩٤
١٩٤٩	٤٦٥	١٢٣٠٠٥
١٩٥٠	٤٩١	١٤٩٤٣٤
١٩٥١	٤٤٨	......
١٩٥٢	٥٦٨	١٥٩٦٠٨
١٩٥٣	٩٤٧	٢٦٥١٩٢

* بناء على ما أورده محمد فهمى أمين من معلومات فقد بلغ فى بداية عام ١٩٤٦م عدد النقابات ٣٨٨ نقابة [١١٦ أ ص ٢٧] .

وتعطى الارقام السابقة مجرد فكرة تقريبية عن الحركة النقابية لانها تقيم عدد النقابات المسجلة فقط اى المعترف بها من قبل السلطات . والمهم أن

---

(١) ضعفت الحركة النقابية فى بداية الحرب . وكان يوجد فى مصر وقتئذ ثلاثة اتحادات عمالية نقابية احداهما تحت اشراف المجلس الاعلى التابع للحكومة ، والاخرى تحت حماية الملك ، والثالثة يتزعمها عباس حليم (أحد أفراد الاسرة الملكية) .

الجدول يعطى تصـــورا عاما وأمينا عن معـــدلات تطور الحركة النقابية فى السنوات الاولى التى أعقبت الحرب . وهناك استنتاج آخر يتبادر للذهن : فقد لوحظ فى فترات المد والنهوض للحركة التحررية زيادة أعـــداد النقابات زيادة سريعة (سواء من حيث عدد النقابات نفسها أو من حيث عدد الافراد المنضمين اليها) وأما فى فترات التدهور والركود فكانت الصورة مغايرة .

وكان الصراع الدائر لاحتـــواء الحركة العمالية ، ولا سيما النقابات يجرى أساسا بين ثلاث قوى أساسية ، وهى : حزب الوفـــد والجمعيات الاسلامية (وخاصة « الاخوان المسلمون ») والجماعات الشيوعية (ولاسيما الحركة المصرية للتحرر الوطنى) .

وتم فى ديسمبر ١٩٤٤ وبمبـــادرة من الحركة المصرية للتحرر الوطنى والجماعات الماركسية الاخرى تشكيل اللجنة التنفيذية لمؤتمر عمـــال مصر والذى كان يجب عليـــه تمثيل النقابات المصرية فى المؤتمر المرتقب لاتحـــاد النقابات العالمى . وكانت اللجنة التنفيذية تلقى الدعم والتأييد من ١٠٣ نقابة يبلغ عدد أعضـــائها ٧٨ ألف فرد . وعين محمد يوســـف أحمد المدرك(١) الماركسى والمخضرم المشهور فى الحركة النقابية رئيسا للوفد . وهو الذى بذل جهودا كبيرة فى دفع النشـــاط السياسى للنقابات . بيـــد أنه سرعان ما ظهرت جمعية أخرى وهى اللجنة التحضيرية لتشكيل اتحاد نقابات عمال مصر والذى يلقى الدعـــم والتأييد من نقابات تضم ٦٠ ألف عضـــو . وكان المـــاركسى داود فؤاد ناحوم(٢) وهو شخصية أخرى بارزة فى الحركة النقابية يترأس وفدها فى مؤتمر اتحاد النقابات العالمى .

وهكذا كان هناك وفدان من مصر يمثلان نقابات العمال فيها فى المؤتمر التأسيسى الاول لاتحاد النقابات العـــالمى الذى عقد فى باريس خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٤٥ .

---

(١) أعتقل فى ١٩٤٥ بسبب دعوته للاضرابات ، ولكن سرعان ما أفرج عنـــه .

(٢) نفى ناحوم فى عهد وزارة صدقى عام ١٩٤٦ الى ايطاليا [١٤٠ ، ٩/٢٩ ، ٤ ، ١٩٤٥/١٠/١٥] .

وبمجرد وصولهما الى باريس تم الاعتراف بهما ممثلين للعمال المصريين(١) وسرعان ما اتحدا ، وعلاوة على المدرك وناحوم كان الوفد المتحد يضم كلا من مراد القليوبى ومحمد عبد الحليم زايده وغيرهما . وكان العضوان من الحركة المصرية للتحرر الوطنى والاخرون من جماعات شيوعية أخرى . وانتخب المدرك عضوا فى المجلس العام لاتحاد النقابات العالمى .

وبعثت نقابات الامير عباس حليم بوفد ثالث . بيد أنه لم يسمح له بالاشتراك فى أعمال المؤتمر كممثل لمنظمة صفراء [١١٦ ، ص ٢٧ ، ١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ١٦ ، ص ١٢٦ ، ١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ١٧ ، ص ١٣٤] .

لم يقصر أعضاء وفد العمال المصريين الكلام فى تقاريرهم بالمؤتمر على المشاكل الاقتصادية . لقد كانت القضية الرئيسية بالنسبة لهم هى طرد الامبريالية البريطانية من وادى النيل . وجاء أحد قرارات المؤتمر يندد بالامبريالية البريطانية وأعوانها فى مصر [١٢٨ ، ص ٩٥] .

واتخذ أعضاء الوفدين المصريين فى مؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات قرارا بتأسيس لجنة تحضيرية لتكوين الاتحاد العام لنقابات مصر [٣٩ ، ص ١٤٨] . وقد تشكلت اللجنة هذه بعد الانتهاء من أعمال المؤتمر فورا .

وفى منتصف أكتوبر ١٩٤٥ كونت النقابات الديمقراطية بقيادة الحركة المصرية للتحرر الوطنى تنظيما سياسيا هو لجنة العمال المناضلين من أجل التحرر الوطنى والتى لعبت دورا حاسما فى تآزر صفوف العمال وتوحيدها للنضال من أجل تحقيق المطالب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وكان مقرها فى شبرا الخيمة [٩ ، ص ١٦٨] . ونشرت اللجنة برنامجها الذى تضمن المطالب الاتية : أسبوع العمل ٤٨ ساعة . يوم راحة كل أسبوع كامل الاجر . التأمين الاجتماعى . توفير فرص العمل للعمال الذين حرموا من أعمالهم بعد انتهاء الحرب . نقل ملكية فروع الاقتصاد الهامة للدولة . تأسيس البنك

---

(١) وصل المدرك وناحوم الى باريس بالطائرة أما الاخرين فلم يشتركوا عمليا لانهم سافروا عن البحر نظرا لان تكاليفه اقل فوصلوا عند نهاية المؤتمر .

الاهلى المركزى . النهوض بالمستوى الثقافى والفنى والمادى للعمال وكذلك صغار الموظفين وجنود الجيش والبوليس [١٤٠ ، ١٩٤٥/١٠/١٥ ، ٨٩ ، ص ٥٢ — ٥٣] . تحديد ملكية الاراضى الزراعية بمائة أو بخمسين فدان . تصفية الاوقاف الاهلية . تأسيس الجمعيات التعاونية . النهوض بالمستوى المعيشى للفلاحين [١٣١ ، ص ١٣٤] . اجلاء القوات الانجليزية من واد النيل واستقلاله . انتقال قناة السويس للادارة المصرية . اشراك مصر المستقلة فى الجهود الدولية لدعم الديمقراطية واستئصال شأفة الفاشية فى العالم أجمع . ابرام معاهدات الصداقة والاتفاقات الاقتصادية مع الدول الديمقراطية تدعيم الوضع الدولى لمصر وتحقيق السلام الفعلى فى الشرق الاوسط كله . تحويل جامعة الدول العربيـــة الى أداة للديمقراطية لخوض النضال ضـــد الامبريالية . مساعدة الشعوب الاخرى فى البلدان المستعمرة فى نضالها ضد الامبريالية [١٤٠ ، ١٩٤٥/١٠/١٥] .

وكان هـــذا البرنامج ديمقراطيا تماما . وكان يلبى المصـــالح الحيوية لاعرض طبقات الجماهير الكادحة فى الريف والحضر . وقد ترك نشر البرنامج الخاص بلجنة العمال انطباعا قويا فى أوساط الرأى العام التقدمى فى البلاد .

وهـــكذا ، كانت التنظيمات الديمقراطية للطبقة العـــاملة هى القوة السياسيـــة الوحيدة فى البلاد التى كان لهـــا برنامج اقتصادى واجتمـــاعى وسياسى راديكالى .

وبفضل النشاط الحيوى للحركة المصرية للتحرر الوطنى والجماعات الشيوعية الاخرى ازدادت بسرعة أعداد الاعضاء المشتركين فيها . يضاف الى ذلك أن عددا كبيرا من أبناء الطبقة العاملة لم يشترك فى النقابات حتى خلال فترة المد والنهوض بالحركة التحررية . وخلال السنوات التى أعقبت الحرب لم يشترك فى النقابات أزيد من ٣٠٪ من البروليتاريا فى ذلك الوقت ، واذا ما أضفنا اليهم العمال الاجراء فى المشاريع الصغيرة والمحدودة ، فان هذا الرقم ينكمش كثيرا [١٠٦ ، ١٩٤٩ ، رقم ٣ ، ٧٣ ، ص ٣٥] .

الصحافة اليسـارية

اصدرت التنظيمات الشيوعية والديمقراطية الاخرى عددا من الجرائد والمجلات . فأصدرت الحركة المصرية للتحرر الوطنى بالاشتراك مع لجنـة العمال التى تناضل من أجل التحرر الوطنى واللجنة التحضيرية فى ١٩٤٥ — ١٩٤٦ مجلة « الضمير » الاسبوعية الواسعة الانتشار ومجلة « الفكرالجديد » وفى ١٩٤٥ — ١٩٥٦ مجلة « العهد الجديد » . ونظم الطلبـة السودانيون فى القاهرة خلية شيوعية خاصة بهم ، كانت جزءا من الحركة المصرية للتحرر الوطنى وأصدرت مجلة « أم درمان » الاسبوعية الوطنية . وأصدرت جماعة « الفجر الجديد » المـاركسية فى ١٩٤٥ — ١٩٤٦ مجلة أسبوعية تحمل الاسم نفسه واسعة الانتشار وكان يحررها رشدى صالح . وأصدرت التنظيمات الماركسية واليسارية الاخرى كذلك سلسلة كاملة من الكتيبات التى تتناول بالدرس والتمحيص اهم مشاكل مصر . وقد لعبت هذه الـكتيبات دورا كبيرا فى الاعداد الايديولوجى وتوحيد صفوف الـكادحين للنضال ضد الامبريالية وأذنابها(١) .

وكان الوفديون اليســاريون واحدة من أهم القوى الثـورية المعادية للامبريالية خلال السنوات الاولى التى أعقبت الحرب . وكان طلاب المدارس الثانوية ومعاهد التعليم العالى وكذلك ممثلو المثقفين التقدميين هم عمادها . وكان الوفديون اليساريون يتعاونون مع الجماعات الماركسية .

واقتربت بعض جماعات الوفديين اليسارية اقترابا شديدا من الماركسية (اتحاد خريجى الجامعة) . والبعض الاخر أقبـل على اعتناق المفاهيـم

---

(١) صـــدرت على وجه الخصوص فى ١٩٤٦ فى القـاهرة كراسـات صادق سعد « مشاكل الفلاح » ، وعمر رشدى « قوميتنا » ، وفتحى الرملى « الاهداف الاشتراكية » و « الطريق الى الاستقلال » ، ومنصور الرضوانى « الفاشية فى مصر » ونشر فتحى الرملى كذلك مع زملائه كتيبـات « شرور الرأسمالية المصرية » و « قضية المرأة » [٨٩ ، ص ٣٠٥ — ٣٠٦] .

الماركسية مثل « الطليعة الوفدية » وهى جماعة من الطلاب والمثقفين معظمهم كان يعيش فى الاسكندرية . وكان يترأسها شخصيات سياسة وصحفيون بارزون مثل محمد مندور[1] وابراهيم النادى . وكان سلامة موسى[2] الكاتب والمثقف التقدمى والناقد الادبى والصحفى يتعاطف معها . وقد أصدر مندور بالاشتراك مع النادى وموسى فى ١٩٤٣ — ١٩٤٤ مجلة « المجلة الجديدة » .

ولقد أحدثت الصحافة الوفدية اليسارية اثرا هائلا مشبعا بروح الثورة بين أوساط الجماهير العريضة ، ولا سيما الطلاب . وكانت صحيفة « الوفد المصرى » اليوميـــة لسان حال الحزب والتى يترأس تحريرها محمد منــدور تتمتع بشهرة واسعة .

حركة الاضرابات والحملة المعادية للشيوعية

ان تدهور الاوضاع الاقتصادية للبروليتاريا المصرية ، الناجم عن غلاء المعيشة ، وكذلك البطالة التى بدأت تتفشى بعد الحرب والتى بلغت معدلات مهـولة حتى نهاية ١٩٤٦ ، اثارت سلســلة كاملة من الاضرابات فى المراكز الصناعية بالبلاد .

وكانت أول اضرابات تشهدها البلاد بعد الحرب على أيدى عمال شبرا الخيمة فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ . وكانت المظاهرات التى جرت فى يناير ١٩٤٦

---

(١) محمد مندور رجل تقدمى بارز وحاصــل على درجة الدكتوراة فى اللغة ، بروفيسور وعميد سابق لكلية الاداب جامعة الاسكندرية .

(٢) ولد سلامة موسى (١٨٨٧ — ١٩٥٨) فى مدينة الزقازيق فى أسرة قبطية غنيـــة ، أتم المرحلة الاولى من دراسته فى الزقازيق ، والثـــانوية فى القاهرة . وفى ١٩٠٩ أعلن فى كتابه « سوبرمان » عن ولائه للاشتراكيـــة . وفى ١٩١٣ نشر كتيب « الاشتراكية » . وعشية اندلاع الحرب العالمية الاولى أسس جريدة « المستقبل » . بيد أنه سرعان ما حرمت السلطات الانجليزية نشرها . و ١٩٢١ كان أحد المؤسسين للحزب الاشتراكى ، الذى برز منــه الحزب الشيوعى المصرى . الذى تم سحقه فى عام ١٩٢٤ ويمارس نشاطه من يومها فى ظروف من السرية التـــامة . وفى ١٩٣٠ نظم جامعة « المصريون يشترون البضائع المصرية » . الف العديد من الكتب . وللمزيد من التفاصيل انظر : ١٠٠ ، ١٣٥ .

اكثر جماهيرية واحسن تنظيما . وكان العمال يطالبون بأسبوع عمل ٤٨ ساعة وطرحوا مطالب سياسية واقتصادية أخرى . وتم القبض على ما يقرب من ٣٠٠ شخص [٦٠ ، ١٩٤٦/١/٣١] ، ونتيجة لهذا الاضراب أكثر البوليس من شن غاراته والقاء القبض على العمال والشيوعيين .

واتخذت حكومة النقراشي باشا تدابير صارمة ازاء المضربين والتنظيمات الديمقراطية . فمثلا ، قام البوليس في ليلة ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ في القاهرة بحملة كبيرة لتصفية المنظمات الشعبية . واشترك في العملية ٤٠٠ رجل من رجال البوليس ، وتم اعتقال ما يربو على ١٠٠ شخص (تم حجز ٣٠ مواطنا منهم). وكان من بين المعتقلين ممثلين لطبقة المثقفين والعمال والعسكريين .

وكانت الحكومة المصرية على امتداد سنوات عديدة تخصص اعتمادات مالية سرية لاستخدامها في مكافحة « الافكار الشيوعية » او حسب تعبير الصحافة الرسمية الساذج « الافكار الخطرة » وكان وزير الداخلية المصرية ينظم عمليات المكافحة هذه عادة بموافقة السفارة البريطانية ، بل وفي الغالب تحت قيادتها . وكان الضباط الانجليز ضمن القوات البوليسية التي تنفذ مباشرة هذه العمليات يؤدون دورا قياديا هاما . وفي الوقت نفسه ابدى البوليس لامبالاة تامة عندما دبر « الاخوان المسلمون » في ٢ نوفمبر ١٩٤٥ مظاهرة معادية لليهود تطورت فيما بعد الى عمليات للسلب والنهب والمجازر [١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ٣ ، ص ٢١ ، ١٢٦ ، ص ٢٨٣] .

وشهدت كبرى المدن المصرية في نوفمبر ١٩٤٥ مظاهرات معادية للانجليز . وشهدت القاهرة والاسكندرية في الثالث عشر من نوفمبر مظاهرات ضخمة وهو اليوم الوطني للنضال ضد الامبريالية البريطانية [٣٠ ، ص ٦٦] .

وفي يناير ١٩٤٦ دبرت موجة جديدة من الارهاب ضد الطبقة العمالية . ففي الثاني من يناير تم القبض على اثنين من أبرز النقابيين هما محمد يوسف أحمد المدرك ومحمود العسكري لاتهامهما بممارسة نشاط شيوعي [١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ١٧ ، ص ١٣٤] .

وفى أول يناير ١٩٤٦ تم القبض على كل من فتحى الرملى(١) الكاتب الماركسى الاجتماعى وأنور كامل الصحفى التقدمى وقد سجنا مع جماعة من الرفقاء . وكانت التهمة الموجهة اليهما هى القيام بدعاية شيوعية [١٣٦ ، ١٠ ، ١/٢١ ، ١ ، ٤ ، ١٩٤٦/٢/٢٣] . وقد أعلن فتحى الرملى الاضراب عن الطعام الذى امتنع عن تناوله خلال ستة أيام كاملة للاعراب عن احتجاجه .

وفى بداية ١٩٤٦ بلغت الحملة المدبرة ضد الشيوعيين من الضراوة والعنف ومن المعدلات الواسعة النطاق ، ما اثار السخط والاستياء لا فى داخل مصر وحدها ، بل وفى الشرق الاوسط كله . فمثلا ، بعثت جماعة من الاساتذة والعلماء السوريين فى الثانى والعشرين من يناير ببرقية الى القاهرة أعربوا فيها عن احتجاجهم على الحملة المدبرة ضد الشيوعيين والتهديد بوأد حرية الفكر فى البلاد [١٣٦ ، ١٩٤٦/١/٢٣] .

واستمرت عمليات الاضطهاد والتنكيل بالشيوعيين والعمال النشطاء خلال شهر فبراير سنة ١٩٤٦ كذلك . ففى الثانى من فبراير التى بوليس الازبكية فى منطقة باب الحديد على اثنين من العمال من مصنع شبرا الخيمة بتهمة التحريض على الاضراب [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٣] والقى القبض على خمسة مواطنين آخرين فى شبرا — احدى المناطق العمالية الاخرى بضواحى القاهرة — بالتهمة نفسها .

وكانت الرقابة الصارمة تعمل بضراوة ووحشية فى البلاد . ولم تتعرض للمطاردة المجلات والصحف الديمقراطية وحدها ، بل وصحف الوطنيين البرجوازيين كذلك . وتبعا لما أوردته صحيفة « الاهرام » فان النيابة العمومية قامت خلال الشهرين الاولين من ١٩٤٦ بالتحقيق مع عشرات الصحف من شتى الاتجاهات .

---

(١) كان فتحى الرملى فى بداية الاربعينات عضوا فى الوفد . ونشر فى عامى ١٩٤٣ — ١٩٤٤ عددا من المقالات والكتيبات كرسها لتعميم الايديولوجية الشيوعية والاشتراكية بأسلوب مبسط بين أوساط الجماهير العريضة . وفى الخمسينات أصدر مجلة « المعارضة » التقدمية .

فمثلا ، تعرضت صحيفة « مصر الفتاة » لسان حال الحزب الوطنى الاسلامى للاضطهاد [١٣٦ ، ١ ، ٣ ، ٥ ، ١٩٤٦/٢/٧] . وفى ٣١ يناير تم القبض على ابراهيم الزيادى رئيس تحرير هـذه الصحيفة . واستدعيت النيـابة العمومية أحمـد حسين ممثل هـذا الحزب . وفى أول ينـاير ١٩٤٦ القت السلطات القبض على (على الزيادى) محرر جريـدة « الحوادث » الوفدية الاسبوعية [١٣٦ ، ٧ — ١٩٤٦/١/٩] . وقـد وجهت اليه تهمـة الاهانة لجلالته والقذف فى حق رئيس مجلس الوزراء . وتم استدعاء عفيفى شاهين صاحب الجريدة للتحقيق معه .

وفى أواخر ينـاير ١٩٤٦ قامت النيابة بالتحقيق مع مجلة « الاثنين » الاسبوعيـة الواسعة الانتشـار وصحيفة « مسامرات الجيب » [١٣٦ ، ١٩٤٦/١/٣١] . وفى ينـاير ١٩٤٦ استدعت النيـابة مرتين محرر صحيفة « الـكتلة » [١٣٦ ، ١ ، ١٩٤٦/١/٩] ومجلة « روز اليوسف » [١٣٦ ، ٢١ ، ١٩٤٦/١/٢٤] بخصوص التحقيق .

وقد انهالت بشـكل خاص عمليات الاضطهاد والتنكيل على الصحافة التقدميـة ففى يناير ١٩٤٦ تم القبض على رئيس القسم العسـكرى بمجلة « الضمير » لسان حال لجنة العمال المناضلة من اجل التحرر الوطنى [١٣٦ ، ١/٤ ، ١ ، ١٩٤٦/٢/٧] وهو محمود محمد بتهمة نشر مقالات تدعو العمال للاضراب ، زد على ذلك ، انه قبض على الدكتور عبد الكريم السكرى ناشر المجلة وطه سعد عثمان سكرتير هيئة التحرير .

وحـكمت المحكمة فى اول عام ١٩٤٦ بسجن محمد عبـد القادر حمزة صاحب جريدة « البلاغ » الوفدية واسماعيل عبد المولى المحرر المسؤول عن الجريدة لمدة ستة اشهر [١٣٦ ، ٥ ، ٧ ، ١٥ ، ١٩٤٦/٢/٢٦] .

وتعرضت صحف وفدية أخرى لاعمال المطاردة من قبل الرقابة ، مثـل صـحيفتى « الوفد المصرى » و « المصرى » [١٣٦ ، ١١ ، ١٥ ، ٢/٢٦/ ١٩٤٦] . وفى ١٠ فبراير صادر البوليس صحيفة « الوفـد المصرى » بتهمة

نشر اخبار عن أحداث الجامعة(١) . وتم استدعاء محمد مندور المحرر المسئول عن الصحيفة مرتين للنيــابة . وفى ١٤ فبراير وللاسباب نفسها تم النظر فى قضية حسين ابو الفتح المحرر بصحيفة « المصرى » .

الاحزاب السياسية وطرائق النضال من اجل الاستقلال

كان الجو السياسى فى مصر يوحى فى الربع الاخير من عام ١٩٤٥ بأنه مشبع بأحلام الحرية . وفى هــذا الوقت لم يكن هناك مصرى واحد أو حزب سياسى واحد لا يطالب بجلاء القوات الانجليزية عن وادى النيــل ومنح مصر الاستقــلال . وكان السخط على سياسة حــكومة النقراشى يتزايد يوما بعــد يوم .

وقد مست حالة القلق العام هذه أصحاب الفكر الواحد المقربين لرئيس الوزراء فى الحزب وشركاه فى الوزارة .

وكانت أمزجة الشخصيات القيادية لاحزاب « الاقلية » قاصرة للغــاية على فهم المناخ السياسى المصرى فى هذا الوقت . وقد أدى ضعف وزعزعة حكومة النقراشى فى قضية النضــال من اجل الاستقلال الى نشوب خلافات حادة داخل الحزب الســعدى نفســه .

فقد أعلن الدكتور حامد محمود أحد قيادات الحزب فى منتصف اكتوبر ١٩٤٥ أنه وعشرين من زملائه السعديين الاخرين ينسحبون من الحزب لان النقراشى « يقوم فيه بدور الديكتاتور ، متجاهلا الروح الثورية ، المشبع بها برنامج الحزب » . ونوه بأن ١٧ من بين المنسحبين من الحزب من اعضــاء مجلس النواب والشيوخ . واعرب عن استيائه لمواقف النقراشى تجاه المطالب الوطنية [١٤٠ ، ١٩٤٥/١٠/٢٤] . كتب محمد حسين هيــكل زعيم حزب الاحرار الدستوريين فى « الاهرام » يقول : « قرر النقراشى اتباع تــكتيك التساهل مع وزارة الخارجية البريطانية ... وهناك بعض الاصوات التى توبخ هذا ... بيد أن التوبيخ لم يغير من تــكتيك رئيس الوزراء ، المنصب فى تبادل المجاملات » [٥٠ ، ص ١٢١] .

---

(١) لمعرفة مزيد من التفاصيل انظر لمواد الكتاب التــالية .

وفى مقال آخر نشر فى الوقت نفسه ، كرد على أحد مقالات صحيفة « التايمز » الانجليزية كتب هيكل يوضح موقف حزبه : « انتهج النقراشى باشا مع انجلترا سياسة مؤدبة وودية مراعيا الوضع الدولى لانجلترا . وينتقده الكثير بسبب هذا الموقف ، الذى يرون بأنه لن يعود بأى خير . بيد أن هذه الانتقادات لم تؤثر على رئيس الوزراء ولم تغير من خط الحكومة الرئيسى . ولقد كنا نتوقع أن الصحافة البريطانية ورجال الدولة سيقفون من مصر نفس الموقف وينظرون اليها بنفس الود الذى تنظر به مصر لانجلترا . الا ان « التايمز » نشرت مؤخرا مقالا تعترض فيه على تلبية مطالبنا الوطنية .. زد على ذلك أن « التايمز » كتبت تقول أن مصر ليس لها جيش يستطيع حماية البلاد ... وتتحدث الجريدة عن قوة مصر وكأن ميثاق الامم المتحدة ما هو الا قصاصة ورق وكأن الدورة المرتقبة للجمعية العامة للامم المتحدة ما هى الا مشهد مسرحى ليس لها اى أثر فى العالم كله . وكأن مجلس الامن عاجز عن حل النزاع وردع المعتدى . الموقف الحالى غير مفهوم للمصريين . وهم يرون أن السياسة القديمة لا مكان لها بعد ، وأن الغد سيتميز عن الحاضر . ان مقال « التايمز » لا يمكن أن يخدم اقامة سلام وطيد فى العالم بأسره » . [١٣٦ ، ١٩٤٦/١/٤] .

ولم يكن فى الامكان ، اصدار بيانات على نحو آخر من مصر فى ظل ظروفها خلال الاشهر الاولى التى أعقبت الحرب ، اذا كان زعماء الحزب السياسى أو ذاك لا يودون الحط من قدرهم والنيل من سمعتهم والتشهير بأنفسهم .

بيد أنه حتى فى التصريحات المذكورة آنفا على لسان زعماء حزب السعديين وحزب الاحرار الدستوريين يمكن أن نستشف الرغبة فى استمرار التعاون مع انجلترا . ويمكن أن نلمح بين السطور ، أن الحديث يدور فقط عن « تنازلات » محددة من جانب الاخيرة .

وهناك موقف آخر للوفد أكثر الاحزاب شعبية ويسارية بين الاحزاب الشرعية ، والذى استمر فى معارضته لكتلة السعديين والاحرار الدستوريين والمكرميين(١) .

---

(١) غالبا ما كانوا يطلقون هذه التسمية على أعضاء كتلة الوفد نسبة لزعيمها مكرم عبيد .

وقد نوه جون مارلو بخاصية هامة من خصائص حزب الوفد ، تنحصر فى أن صفوفه كانت تتحد وتتماسك عندما يكون فى المعارضة ، وعندما يصل للسلطة تدب فيه الخلافات وتشيع فيه روح الفرقة والانشقاق [٩٣ أ ص٣٣٣] . ويرجع السبب فى ذلك ، الى أن الحزب عندما يكون فى المعارضة ينتقد الحكومة ويناضل ضد السيطرة الانجليزية . وعندما كان يصل لمقاليد السلطة فى البلاد ، كانت قوى الوفد اليسارية تطالب القيادة باجراء الاصلاحات الاجتماعية الجذرية وخوض نضال أكثر حسما ضد الانجليز . الامر الذى لم يكن بمقدور زعماء الحزب الاقدام عليه ، لحرصهم على مصالحهم الطبقية الضيقة . وتكون من نتيجة هذه السياسة انصراف الجماهير الحزبية عن القيادة .

ووضحنا فى الباب الاول ، أنه فى نهاية الحرب العالمية الثانية تنامى كثيرا دور الطبقات المتوسطة فى الحياة السياسية للبلاد ، وكانت المرآة التى تعكس ميول وأمزجة هذه القوة الاجتماعية المتعاظمة هو (حزب الوفد) ، وبالتدقيق جناحه اليسارى أى الجيش العرمرم من بسطاء الوفديين .

وفى نهاية ١٩٤٥ وبداية ١٩٤٦ وجه الوفد انتقادات لاذعة للسياسة التوفيقية الموالية للامبريالية ونهج حكومة النقراشى(١) الرجعى بالنسبة للسياسة الداخلية .

وفى يولية ١٩٤٥ قام الوفد ـ فى محاولة منه لكسب عواطف الجماهير الشعبية وتعزيز سمعته كمناصر لاستقلال مصر ـ بتوجيه مذكرة للسفير البريطانى تتضمن مطلبين هما : جلاء القوات الانجليزية عن مصر ووحدة وادى النيل [٩٣ أ ، ص٣٣٤ ، ٩٨ ، ص٧٢] .

وفى السادس من يناير ١٩٤٦ ناقشت اللجنة التنفيذية للوفد قضية نظرة الحزب لتغيير معاهدة ١٩٣٦ الانجلوا مصرية . وكان زعماء الحزب النحاس وأبو علم(٢) وعثمان محرم وسراج الدين يرون « ضرورة الاقدام

---

(١) قاطع الوفد انتخابات يناير ١٩٤٥ ولم يمثل لا فى الحكومة ولا فى البرلمان . وكان له فى مجلس الشيوخ فقط مجموعة من الشيوخ الوفديين .

(٢) كان صبرى أبو علم وقتئذ أمين عام الحزب وزعيم المعارضة الوفدية فى مجلس الشيوخ .

على الخطوة الاولى فى مجال تهيئـة جو من الثقة والصـداقة بين انجلترا ومصر » .

من أجل هـذا يجب على انجلترا أن تناقش كافة المسائل مع « الممثلين الحقيقيين للشعب المصرى » والذين رفضوا اعتبار أعضاء الحكومة من بينهم . وكانوا يطالبون بجلاء كافة القوات الاجنبية وانتقال السودان للادارة المصرية .

وفى نهاية الحرب ظهر للوفد منافس خطير فى قيادة حركة التحرر الوطنى ممثلا فى جمعية الاخوان المسلمين . وأصـبحت الجمعية وقتها واحدة من أكثر التنظيمات السياسية نفوذا ووزنا فى مصر . وكان جزءا منها يمارس نشاطه علانية ويكرسه للعمل الثقافى والاجتماعى والدينى وجزؤها الآخر يعمل فى سرية وهو منظمة شبه عسكرية تقوم بأعمال ارهابية .

وتحولت الجمعية فى سنوات ما بعد الحرب الى حزب جماهيرى يضم عشرات الآلاف من الاعضـاء . ولم تنشر اية معلومات رسـمية عن تعداد « الاخوان المسلمين » . وتتفاوت آراء الباحثين بهـذا الصدد تفاوتا كبيرا ، اذ تتراوح أعدادهم من ٢٠٠ الف حتى مليونين وأكثر [٩٨ ، ص٨٨ ، ٨٣ ، ص٦٨ ، ٢٥ ، ص٤٠٥ ، ٩٠ ، ص٤٠٧ ، ١٢١ ، ص٤٨ ، ١٢٤] .

ووفقا لتأكيدات البنا فقد بلغ تعـداد أعضـاء الجمعية فى عام ١٩٤٦ نصف مليون عضو . وفى عام ١٩٤٨ تكرر ذكر هـذا الرقم فى وثيقة اخرى ، ولكن بالنسبة للاعضاء النشـطاء . ويمكن أن نضـيف اليهم عددا مماثلا من المتعاطفين . وبلغ عدد فروع الجمعية ٢٠٠٠ فرع (منها ٧٠ فى القاهرة) . وتنوه هاريس اسـتنادا لرأى عدد من الباحثين ووكالات الانباء أنه فى عام ١٩٤٨ ، أى لحظة الذروة لنشـاط الجمعيـة ، بلغ عدد أعضائها ٢ مليون عضو ، ولكنها ترجح أن عدد الاعضـاء كان مليون عضو (مع المتعاطفين) [٨١ ، ص١٥٩] .

ويبدو أن هـذه البيانات مبالغ فيها ، لان الشـهود أثناء التحقيق فى قضية « الاخوان المسلمين » فى عام ١٩٥٤ ذكروا رقم ٥٠٠ الف ، بما فى ذلك ٢٠٠ الف عضو يسددون اشتراكات حزبية (عشرة قروش شهريا) [١٠٥ ، ١٩٥٤ ، رقم ١٢] . والرقم الاخير الذى يوضح عدد الاعضاء النشطاء هو الاكثر احتمالا بالنسبة للاعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٩ كذلك .

وفى مجال التحالفات السياسية فقد تميزت قيـادة الجمعية بالتذبذب المطلق وعدم التمسك بالمبدأ بتاتا وفى شتى مراحلها كانت تتعاون مع مختلف القوى فى البلاد .

وفى الاعوام ١٩٤٤ ــ ١٩٤٧ كان الملك يشجع نشاط الجمعية كى يضمن وقوفها الى جانبه كثقل موازن للوفد . وكان « الاخوان المســلمون » خلال هــذه السنوات يقيمون علاقات وثيقة مع حكومات الكتلة المعادية للوفد .

وسـعى قادة حزبى السعديين والاحرار الدستوريين بدورهم للتحالف مع الجمعية . وكانوا يرون فى « الاخوان المسلمين » ذلك التنظيم الجماهيرى الواسع النفوذ ، الذى يمكنه صرف أنظار الكــادحين (مستغلين عواطفهم الدينية) عن خوض النضــال من أجل الحقوق الاقتصــادية والاجتماعية وتخــدير وعيهم الطبقى بتلويثــه بســموم الرجعيــة وعرقلة انتشــار المــاركسية اللينينية . وكانت حكومة النقراشى ترى أن التحالف مع الجمعية يمكن أن يكون ذا « قيمة سياسيا » [٩٠ ، ص٤٠٩] وبناء عليه لم تتعرض لنشــاط « الاخوان المسلمين » .

وبالرغم من أن حكومة النقراشى حرمت عامى ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ عقد اية مؤتمرات أو تجمعــات للتنظيمات والاحزاب الســياسية والتى كانت تطرح أثناءها للمناقشة المشاكل الوطنية ، فقد سمح « للاخوان المسلمين » بعقد مؤتمر وطنى عام [١١٥ ، ص٦٥] والذى تم افتتــاحه ٨ ســبتمبر ١٩٤٥ [١٢٤ ، ص٢٣] . واستطاع البنا القيام بجولات ســنوية فى البلاد وتنظيم الاجتماعات واللقاءات الجماهيرية فى المحــافظات . وكان الامر على نحو لم يستطع معه حتى مديرى المديريات والشخصــيات ذات المناصب الرفيعة الاخرى فى الجهاز الادارى بالمديرية التخلف عن حضور هــذه الاجتماعات مما كان يجب أن يبين بدوره للشعب مدى نفوذ « الاخوان المسلمين » على دوائر الحكومة . وكانت كل جولة من هــذه الجــولات تشــهد على قوة الجمعية المتنامية . وفى الوقت نفســه حرمت سلطة الســعديين والاحرار الدستوريين على الوفديين القيام بمثل هــذه الجولات ، سعيا منها لتقويض مركز الوفد وزعيمه .

وسمحت الحكومة بالمظاهرات التى كان ينظمها « الاخوان المسلمون » وكان البوليس يتغاضى عن غلمان الجمعية عندما يخرجون للشوارع مدججين بالخناجر والعصى . ولم تسفر هذه التظاهرات عن اية تصادمات مع البوليس أو أية ضحايا بشرية . وكان من الواضح ، أنها لم تكن موجهة ضد الحكومة والامبريالية بقدر ما هى موجهة ضد الوطنيين الاصلاء . [١١٥ ، ص٩١] .

وقد احتدم فى السنوات الاولى التى أعقبت الحرب التنافس الشديد بين الوفد و « الاخوان المسلمين » من أجل التأثير على الجماهير الشعبية وزعامة حركة التحرر الوطنى . وشنت الجمعية على صفحات جرائدها(١) حملة واسعة معادية للوفد . وردا على ذلك فقد أعلنت الصحافة الوفدية الاكثر عصرية وجماهيرية ، الحرب الشعواء على « الاخوان المسلمين » . وعادة ما كان الوفديون يتهمون الجمعية بمحاكاة الفاشية . وليس من قبيل التجنى تصويرها كمركز للشعوذة والدجل الدينى » وهتك سر « المرشد العام » « فى رغبته تزعم العالم الاسلامى كله وفى جنون العظمة » [٨٣ ، ص٤٢] .

وكانت قيادة الوفد قلقة ومهمومة بسبب تغلغل نفوذ « الاخوان المسلمين » بين صفوفه . وكانت اقسام الجمعية وفروعها المنتشرة فى عواصم المديريات والقرى والنجوع خاصة قوية . وأحرزت نجاحا كبيرا بين أوساط الطلاب الدارسين . وقد نجحت فى استقطاب أكثر الجماعات تخلفا ونزوعا للعصبية القومية الى صفوفها من بين البرجوازية الصغيرة والفلاحين والطبقة العاملة الذين كانوا من قبل ميالين للوفد وقد بذل قادة الجمعية جهدا كبيرا لاستقطاب اكثر الاعضاء نشاطا وحيوية الى صفوفها وابعادهم عن حزبهم الوفدى .

---

(١) فى أغسطس ١٩٤٢ بدأ اصدار مجلة « الاخوان المسلمين » . وكانت فى البداية تصدر مرة كل أسبوعين ، ثم أسبوعيا . وبدأت تصدر منذ ١٥ مايو ١٩٤٦ كصحيفة يومية صباحية تحمل الاسم نفسه . وظلت تصدر حتى ١٩٥٠ مع فترات من التوقف .

وغالبا ما كان الصراع بين الوفد و « الاخوان المسلمين » يتعدى حدود الجدل والنقاش الاكاديمى ويسفر عن مجازر جماعية مباشرة فى قاعات الدراسة أو فى شوارع المدن . فمثلا ، حدث فى الخامس من يولية ١٩٤٦ أن نظمت الفروع المحلية فى بور سعيد مظاهرة حزبية ، واستقبالا شعبيا حافلا « للمرشد العام » حسن البنا بمناسبة زيارته للمدينة(١) . وكان من نتيجة الاصطدامات بين أعضاء الجمعية وشباب الوفد خلال يومين أن قتل اثنان وجرح ٦٦ مواطن [١٤٠ ، ١٩٤٦/٧/١٠] .

ويجب ألا يفوتنا ، أن النظرة « للاخوان المسلمين » فى الدوائر الوفدية كانت متفاوتة : فنفس الوقت الذى كان فيه الوفديون اليساريون يرون بحق وانصاف أن الجمعية قوة رجعية يجب محاربتها ، كان اليمينيون برئاسة فؤاد سراج الدين يرون ضرورة التعاون المثمر معها كحصن أكثر مناعة لصد تغلغل الافكار الماركسية والاشتراكية [١٠٥ ، ١٩٥٤ ، رقم ١٢ ، ٨٩ ، ص٢٣٧] .

وقامت الجمعية بعد أن وضعت الحرب أوزارها بنشاط كبير غير عادى ، مما جعل بعض الكتاب المصريين المدافعين عنها يزعمون بأنها « قادت الحركة الشعبية » فى ١٩٤٥ — ١٩٤٩ [١٢٤ ، ص٢٣] . واذا كان هذا الزعم له ما يبرره بشكل أو بآخر بالنسبة لعام ١٩٤٨ ، فان « الاخوان المسلمين » لم يكونوا خلال السنوات ١٩٤٥ — ١٩٤٧ القوة الاساسية المحركة ، وبالاحرى لم يكونوا قادة التحرر الوطنى . بالعكس ، لقد أخفقت الجمعية خلال هذه السنوات فى انتزاع مركز القيادة للحركة الشعبية من الجماعات الماركسية والوفدية اليسارية .

وكانت وسائل نضال « الاخوان المسلمين » تعتبر نموذج لوسائل نضال البرجوازية الصغيرة فبدلا من العمل على توحيد كل صنوف القوى المعادية للامبريالية وتشكيل جبهة وطنية موحدة ، دعا قادة الجمعية لمقاطعة دروس

---

(١) كان يطوف بشوارع المدينة يرافقه حرس من ركاب الدراجات البخارية وعلى الجانبين كان يقف صفان متراصان من أعضاء الجمعية فى قمصان صفراء .

اللغة الانجليزية فى المدارس ومعـــاهد التعليم المختلفة واحراق كتب اللغة الانجليزية والتزود بالخناجر والخوذات والحراب وغيرها [١١٥ ، ص٨٦] . وكانت احدى الوسائل الاساسية التى تراها جمعية « الاخوان المسلمين » واجبة ضد السيطرة البريطانية هو الارهاب الفردى الموجه ضد الشخصيات السياسية المصرية الموالية للانجليز . وفى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ قتل احمد ماهر رئيس الوزراء وفى ٦ ديسمبر ١٩٤٥ دبرت محاولة فاشلة لاغتيال مصطفى النحاس وفى ٥ يناير ١٩٤٦ نجحت محـــاولة اغتيـــال أمين عثمان(١) وزير المـــالية الوفدى السابق [٩٦ ، ص٢١٥ ، ١٣٦ ، ٦/أ/١٩٤٦] .

مشكلة اعادة النظر فى معاهدة
١٩٣٦ الانجـــلو مصرية

ألقى رئيس الوزراء فى أغسطس ١٩٤٥ بضغط من الحركة المعـــادية للامبريالية المتنامية بيانا رسميا فى اجتماع مجلس الشيوخ عن نية الحكومة الدخول مع انجلترا فى مفاوضات لابرام معاهدة جديدة تأخذ فى الحســـبان جلاء القوات الاجنبية ووحدة وادى النيل [٩٣ أ ، ص٣٣٤] .

وفى ٢٣ سبتمبر ١٩٤٥ تم فى اجتماع مجلس الوزراء اعتماد بيان اللجنة السياسية(٢) وقد ورد فى هـــذه الوثيقة أن رأى الامة كلها يطـــالب بالاجماع بجلاء القوات البريطانية ووحدة مصر والسودان . ثم نوهت الوثيقة فيما بعد بضرورة الاسراع فى بدء المفاوضات مع بريطانيا العظمى على هـــذا الاساس .

---

(١) كان أمين عثمـــان أحد قادة الوفد ويد النحـــاس اليمنى . وكانوا يتنبئون وتتنئذ له برئاسة الوزراة . وأعلن قبل وفاته ببضعة أيام أن بعض الصـــحف تطلق عليـــه « كيســـلنج مصر » وأنهـــا تؤلب عليـــه « الجهلاء والمغتصبين » . وكان عثمان متزوجا من انجليزية وكان يعرف عنه فى أوساط رجال السياسة المصريين انه خير صديق لانجلترا . وكان يشتهر فى الدوائر السياسية بأنه وسيط بين الوفد وانجلترا .

(٢) اللجنة الســـياسية أو « لجنة الـــ ١٨ » التى شكلها أحمد ماهر هى جهاز اســـتشارى تابع لرئيس الوزراء وكانت تضـــم زعماء الاحزاب وغيرهم من الشخصيات الســـياسة الاخرى .

وفى الختام تم التأكيد على أن التوصل لمثل هـذا الاتفاق سيعزز من عرى الصداقة ويقوى من التعاون بين مصر وانجلترا [١٢٢ ، ص١٨٩] .

وتكرر التنويه برغبة الحكومة المصرية فى بدء المفاوضات مع انجلترا لاعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ فى خطاب رئيس الوزراء الذى القاه فى افتتاح البرلمان فى ١٢ نوفمبر ١٩٤٥ . [١٣٦ ، ١٩٤٥/١١/١٣] .

وأخيرا بعثت حكومة النقراشى فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ بمذكرة للحكومة الانجليزية تقترح فيها عليها بدء المفاوضات الخاصة باعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ . وجاء فى المذكرة أن معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية قد أبرمت فى ظل الازمة الدولية الطاحنة . وعندما اتضحت الحرب وافقت مصر على ابرام المعاهدة بالحاح من الضرورة وحدها وكى تثبت وتبرهن على اخلاصها . وعندما وافقت مصر على الحد من حريتها كانت تعنى أن المعاهدة تتسم بطابع مؤقت . وأن القيود يجب أن تزول بزوال الظروف التى أسفرت عنها . وتمت الاشارة فيما بعد أن الحكومة الانجليزية استخلصت من المعاهدة أكثر بكثير مما كان يقصده الإنجليز أنفسهم عند ابرامها . والآن وبعد أن تغيرت الظروف يجب اعادة النظر فى المعاهدة وفقا للموقف الدولى الجديد . وجاء فى المذكرة أن وجود القوات الاجنبية فى البلاد ينتقص من كرامة المصريين وعزتهم . وفى الختام أعربت المذكرة عن ثقتها فى أن الحكومة البريطانية ستحدد فى أقرب وقت تاريخ وصول الوفد المصرى الى لندن لبدء المفاوضات . ونوهت المذكرة على أن المفاوضات يجب أن تتطرق لتتناول مسألة السودان . [٦٠ ، ١٩٦٤/٢/٤] .

وكان النقراشى باشا المعبر عن مصالح الاقطاع والبرجوازية الكبرى يود الحفاظ على « التحالف » و « الصداقة » مع انجلترا . ان الحديث كان يدور فقط عن تغير الظروف التى فى ظلها أبرمت المعاهدة . واشاد الصحفيون بلهجة الحكومة المصرية المعتدلة غاية الاعتدال [١٠٢ أ ، ١/٣/ ١٩٤٦ ، ١٣٦ ، ١٩٤٦/١/٤] . كتب المؤرخ الانجليزى مارلو بهذا الصدد يقول : « ان الحكومة البريطانية ، للاسف ، اظهرت لا مبالاة عجيبة . ازاء حكومة النقراشى التى بذلت كل ما بوسعها لكبح جماح المشاعر الوطنية المتأججة » [٩٣ ، ص٣٥٥] .

وسلمت حكومة بريطانيا العظمى فى ٢١ يناير ١٩٤٦ فقط مذكرة الرد التى وافقت فيها على المفاوضات . الا انها اشارت الى ان المبادىء التى بنيت عليها معاهدة ١٩٣٦ ، هى فى رأى الحكومة الانجليزية « معقولة » وان بريطانيا العظمى تنتهج سياسة دعم وتعزيز « ذلك التعاون الوثيق الذى تم التوصل اليه بين مصر والامبراطورية البريطانية اثناء الحرب » . وهذا يعنى ان انجلترا ترغب فى ابقاء تبعية مصر الاستعمارية لانجلترا .

وعرضت الحكومة الانجليزية على سفيرها فى القاهرة اللورد كيلرن ومفوض انجلترا فى شركة قناة السويس اللورد هينكى بالبدء فى المفاوضات التمهيدية مع الحكومة المصرية(١) .

لقد نشبت بين التنظيمات والاحزاب السياسية خلافات جوهرية ازاء المحادثات مع انجلترا وازاء المذكرتين المشار اليهما آنفا .

وقد نشرت المذكرتان فى يوم واحد هو يوم ٣١ يناير ١٩٤٦ وأثارتا موجة من الغضب والاستياء العارم . وقد وجه الوفد للشعب بيانا وصف فيه المذكرتين بأنهما اسوأ كارثة فى تاريخ الشعب المصرى المعاصر . واتهم النقراشى باشا بالخيانة وقيم مذكرة رد الحكومة الانجليزية بأنها انعكاس للروح الامبريالية وازدراء للرأى العام المصرى . وقد حض الوفد الشعب على خوض النضال ضد الامبريالية الانجليزية وضد الحكومة المصرية سواء بسواء .

وأعلن « الحزب الوطنى » أن اية مفاوضات مع انجلترا ستكون عقيمة طالما كانت هناك قوات بريطانية على ارض مصر . وطالب الحزب الحكومة المصرية استئناف المفاوضات مع بريطانيا العظمى بعد اجلاء قواتها من البلاد [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٣] .

وقد تعرضت المذكرة المصرية للانتقادات اللاذعة فى البرلمان كذلك .

---

(١) وقد جرت المفاوضات التمهيدية كذلك فى لندن بين وزير الخارجية البريطانى بيفين وبين السفير المصرى فى انجلترا عبد الفتاح عمرو باشا [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٧] .

فقد أعلن النـــائب فكرى أباظة بك(١) فى مجلس النواب فى رده على رئيس الوزراء قائلا : « اننا نستنكر المذكرة الموجهة لوزارة الخارجية البريطانية لانها بنيت على أساس غير سليم من الاعتراف بمعاهدة ١٩٣٦ وطلب البدء فى اجراء المفاوضات لتغييرها » [١٣٦ ، ١٩٤٦/١/٨] .

وانهالت اللجنة التنفيذية العليا للطلاب(٢) التى تم تأســيسها فى نهاية يناير ١٩٤٦ بانتقادات أشد مرارة وعنفا على المذكرة المصرية . فقد أعلنت اللجنة : « أن جوانب المذكرة الضعيفة تنحصر فى أن الحكومة تغاضت عن القضايا الهامة . واغفلت أهم عنصر كان يجب أن تتضمنه وهو الطـــابع الدولى للمشكلة المصرية » . وطالبت اللجنة « بأن الدفاع عن مصر يجب أن تتحمله القوات المسلحة المصرية وحدها » . وفى الختـــام أكدت اللجنة أن « التعاون » مع بريطانيا العظمى يعنى بالنسبة لمصر الحماية والاســـتعمار والوصاية . وطالبت اللجنة الحكومة ببدء المفاوضات مع بريطانيا العظمى فقط على أساس استصدار بيان رسمى بريطانى حول جلاء القوات الانجليزية من مصر [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٧] .

وما هو رأى القمة الـــكومبرادورية الاقطاعية والحكومة الائتلافيـــة المصرية ازاء المفاوضات ؟ لقد كان سعيهـــم مركزا على مجرد تغيير شروط المعاهدة القائمة والمحافظة على « التحالف » الانجلو مصرى . يستدل على هـــذا من التصريح التـــالى الذى ادلى به رئيس الوزراء النقراشى باشا : « لقد بعثنا لوزير خارجة بريطانيا العظمى بمذكرة نطالب فيها بتحديد موعد المفاوضات فى أقرب وقت بغرض تغيير معاهدة ١٩٣٦ . واننا لعلى ثقة من أن نتيجة هـــذه المفاوضـــات ستكون تدعيمـــا للثقة المتبادلة بين الحليفين وتعزيزا لروابط الصداقة بين بلدينا » [١٣٦ ، ١٩٤٦/١/٨] .

---

(١) فكرى أباظة بك هو نائب فى البرلمـــان المصرى وأحد زعماء حزب الوطن ، وغالبا ماتزعم المعارضة اليسارية المعادية للامبريالية فى الحزب .

(٢) تم تشكيلها على أساس اللجنة التحضيرية لتكوين اللجنة الوطنية للطلاب (أنظر فيما بعد) .

وفى ٤ فبراير ١٩٤٦ صرح رئيس الوزراء فى مجلس الشيوخ بعد تلقيه الرد من الحكومة البريطانية قائلا : « قبلت الحكومة الانجليزية مطلب الحكومة المصرية ببدء المفاوضات لاعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ . وترى الحكومة المصرية أن من واجبها التحضير للبدء فى هذه المفاوضات وأن تتحرر من كافة القيود لدراسة المطالب الوطنية للبلاد » [١٣٦ ، ٥ ، ١٩٤٦/٢/١٢] .

ويستحق مقال اسماعيل صدقى باشا المكرس للمفاوضات العناية والاهتمام ، فهو من غلاة الرجعية وأكثر المثلين المقوتين للدوائر الكومبرادورية الاقطاعية المصرية والذى سرعان ما حل محل النقراشى باشا فى منصب رئاسة الوزراء . كتب بصدد المذكرة البريطانية يقول : « لا يساورنى الشك فى نجاح المفاوضات التى دعتنا اليها انجلترا ، لانه كما أعلن رئيس الحكومة ، فان المفاوضات ستكون متحررة من أية قيود او شروط » [١٣ ، ١٩٤٦/٢/٧] .

تشكيل اللجنة التحضيرية

لتأسيس اللجنة الوطنية للطلاب

تبوأ الشباب ، ولاسيما طلاب المدارس الثانوية ، ومعاهد التعليم العالى ، حركة النضال الوطنى للشعب المصرى ، كما كان خلال سنوات ما قبل الحرب .

وفى السابع من اكتوبر ١٩٤٥ ، عشية العام الدراسى الجديد عقد اجتماع فى جامعة القاهرة (فؤاد الاول وقتئذ) وبالتحديد فى كلية الطب بفضل جهود اللجنة الوطنية للطلاب(١) حضرتها وفود وقادة طلاب المدارس الثانوية ومعاهد التعليم العالى وممثلو التنظيمات والاحزاب السياسية المختلفة بغرض تكوين جبهة وطنية عريضة للنضال ضد الامبريالية وأعوانها

---

(١) اللجنة الوطنية التى اخذت زمام المبادرة لعقد الاجتماع المشار اليه آنفا لم يقم بانتخابها الطلاب لانها تكونت فى العطلة الصيفية . وقررت فى أقرب وقت اجراء انتخابات حرة فى كليات الجامعة حتى يمكن انتخاب لجنة جديدة تعبر عن ارادة وعزيمة الطلاب .

داخل البلاد . وناقش الاجتماع أهم المشاكل الوطنية وكذلك الطرائق والوسائل الواجب اتباعها لبلوغ الاستقلال .

وطرحت على بساط البحث قضية مبدئية هامة للغاية : ما هو الطريق الواجب اتباعه لنيل الاستقلال هل يتم بواسطة المفاوضات المذلة الطويلة مع انجلترا أم بطريق نضال الجماهير الشعبية العريضة ؟ وتم كذلك دراسة قضية ، ماهية كلمة « الجلاء »(١) نفسها : هل هو مجرد جلاء قوات عسكرية أم انه يجب أن يكون جلاء شاملا للمجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها [١١٥ ، ص٧٩ — ٨٠ ، ١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ١٢ ، ص٥١] . وكانت الاجابة على هذه التساؤلات بمثابة حجر عثرة لتحديد المواقف الاصيلة لكل تنظيم سياسى .

وقد تجلت بوضوح خاص خلال هذه الفترة الطبيعية الرجعية للاخوان المسلمين . فهم لم يعيروا أى اهتمام لمسألة توحيد صفوف كافة القوى الوطنية ، لتغلب النزعة الانانية عليهم فى توجيه الحركة الوجهة التى تتمشى مع أهوائهم ومآربهم .

واقترح مندوب « الاخوان المسلمين » عدم بدء الاجتماع والاكتفاء بالتصديق على قرارات مؤتمر اتحاد الشباب الذى عقد فى السادس من أكتوبر ، والتى تطالب بدعم موقف حكومة النقراشى والالتزام بالهدوء وتهيئة المناخ الملائم للمفاوضات . وعندما سئل عن عدد من حضروا هذا المؤتمر ، ذكر بأنهم ستة آلاف ، بالرغم من أن عددهم فى الحقيقة لم يتجاوز بضع مئات من شباب الجمعية المغرر بهم . وتم تفنيد ودحض هذا الاقتراح . وبعد أن منى شباب « الاخوان المسلمين » بالفشل الذريع فى محاولتهم لفرض السيطرة ، قاطعوا هذا الاجتماع [١١٥ ، ص٨١] .

وتجلى فى الاجتماع المعدن النفيس لطلاب القاهرة التقدميين ذوى العقل الناضج من أعضاء الجماعات الماركسية والوفديين اليساريين . واقر

---

(١) فحوى الامر أن كل الاحزاب السياسية فى مصر (بما فى ذلك الاحزاب الكومبرادورية الاقطاعية) كانت تطالب بجلاء القوات الاجنبية عن مصر ، بيد أنهم أولوا هذا الامر بشتى التأويلات .

المجتمعون ضرورة العمل على تنظيم الجماهير الشعبية وتوحيد صفوفها لخوض النضال ضد الامبريالية . واستفاد الطلبة من خبرة ثورة ١٩١٩ المصرية عندما كونت الجماهير الشعبية « لجان الثورة » فتوجهوا لممثلى كافة الطبقات الكادحة يحضونهم على الشروع فى تكوين « لجان وطنية » فى مواقعهم . وتم فى هذا الاجتماع تشكيل لجنة تحضيرية لتأسيس اللجنة الوطنية للطلاب [١٣٣ ، ص١٣] .

وبعد نقاش طويل وجدل عميق حددت اللجنة المبادىء الاساسية لنضال الشعب المعادى للامبريالية . والتى تتلخص فى الآتى :

١ — يجب لتحقيق الاستقلال الوطنى الا يكون النضال موجها ضد الاحتلال العسكرى وحده بل وضد السيطرة الامبريالية فى المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية كذلك .

٢ — ومن الضرورى تصفية طبقات المجتمع التى تمثل ركيزة اجتماعية للامبريالية وترتبط بالاحتكارات الاجنبية . ومن بين هذه الطبقات الاقطاعيون والبرجوازية الكبيرة .

٣ — ومن الضرورى لخوض النضال ضد الامبريالية توحيد صفوف كافة القوى المعادية للامبريالية فى جبهة وطنية واحدة .

٤ — بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، والهزيمة الساحقة التى لحقت بالنازية ، ونمو الاتجاهات الاشتراكية والنهوض بحركة التحرر الوطنى ستحاول الامبريالية بكل ما بوسعها ن تعزز مواقعها فى البلدان المستعمرة والتابعة باللجوء الى اساليب جديدة وستسعى جاهدة لاخماد انفاس حركة التحرر الوطنى باستخدام القوة والعنف مباشرة [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٢] .

ورفع الطلاب شعار : « المفاوضات مع الامبرياليين على حقوق الوطن — خيانة » [١٣٣ ، ص١٤] .

مذبحة كوبرى عباس

انتشرت فى اواخر يناير وبداية فبراير ١٩٤٦ شائعات قوية تروج بأن الدوائر الحاكمة فى مصر تستعد لتوقيع معاهدة خيانية مع بريطانيا العظمى

حول « الدفاع المشترك » الامر الذى من شأنه أن يعمل على ابقاء الاحتلال الانجليزى والانضمام لحلف عسكرى مع دولة امبريالية .

وفى أواخر يناير ١٩٤٦ أجرت اللجنة التحضيرية الانتخابات فى كليات الجامعة للجنة التنفيذية العليا للطلاب .

وقرر « الاخوان المسلمون » الاشتراك فيها للسببين التاليين :

أولا : لاطلاع الحكومة على نشاطها ، **ثانيا :** لتخريبها من الداخل [١١٥ ، ص٨٢ ، ١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٢] .

ولم تكن نتائج الانتخابات بالنسبة للجمعية مطمئنة . ولقد أصبحوا أقلية هزيلة فى اللجنة التنفيذية . وعندما اخفقوا فى هذه المرة فى الاستيلاء على قيادة الحركة الطلابية . حاولوا من جديد وبكل الوسائل التقليل من شأنها فى أعين الطلبة . [١١٥ ، ص٨٢] .

بيد أن سمعة هذا الجهاز الثورى المنتخب ، والذى ظهر للنور مستقلا عن الاحزاب التقليدية كانت كبيرة الشأن . ودعت اللجنة التنفيذية الى عقد اجتماع عام تشترك فيه الجماعات الطلابية الديمقراطية واتحاد طلاب المدارس الثانوية والمدارس الفنية والالزامية وغيرها من المدارس الاخرى .

وعقد صباح التاسع من فبراير ، اثناء فترة أجازة نصف السنة فى جامعة القاهرة اجتماع عام لطلاب المدارس الثانوية ومعاهد التعليم العالى فى القاهرة حضره ما يقرب من عشرة آلاف طالب [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٢] . وصدر عن الاجتماع قرار « حول الوضع السياسى » [١١١ ، ١٩٤٦/٢/١١] . وطرحت فى هذا الاجتماع ثلاثة مطالب سياسية غاية فى الاهمية :

١ ــ قطع المفاوضات الانجلو مصرية السرية .

٢ ــ الغاء معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية واتفاقية ١٨٩٩ حول حق السودان .

٣ ــ الاجلاء الفورى والكامل للقوات البريطانية عن البلاد . [١٣٣ ، ص١٦ ، ١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ص٥٢] .

وبعد الاجتماع توجهت مظاهرة طلابية الى قصر عابدين لتسلم مطالبها للملك ورئيس الوزراء وكانت هـــذه واحدة من أكبر المظاهرات التى شهدتها القاهرة منذ بداية الحرب العالمية . وكانت تتسم بشكل صارخ بطابع العداء للامبريالية . وطرح الطلاب شــــعار « لا مفاوضات بتاتا حتى اجلاء القوات الانجليزية » .

وما كادت المظاهرة الطلابية الغفيرة تصل حتى منتصف كوبرى عباس متجهة الى وسط المدينة حتى فتح الكوبرى وانهال البوليس عليهم من الخلف ينكل بهم تنكيلا وحشــــيا ضـــاريا وقفز الكثير منهم الى نهر النيل فى محـــاولة للنجاة . وكانت النتيجة بضع عشرات من القتلى وحوالى مائتين من الجرحى [١١١ ، ١٩٦٤/٢/١١ ، ١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٢] . وقـــد رأس اللواء سليم زكى(١) العملية .

وكان دور « الاخـــوان المســـلمين » فى هـــذا اليوم هو دور العملاء السريين والجواســـيس وكانوا هم بالـــذات الذين اقترحـــوا خط ســـير المظاهرة(٢) الا أن رؤساء شـــباب الجمعية الجامعيين بقيادة مصطفى مؤمن قرروا فى آخر لحظة عدم الخروج للشــــارع والاختباء فى الحرم الجـــامعى [١١٥ ، ص٨٣] .

وسطر التاريخ بأحرف من لهيب النار هـــذه المجزرة الطلابية الوحشية بأنها « مذبحة كوبرى عباس » .

ولم تخف « التايمز » رضاها عن التنكيل بالوطنيين المصريين حيث كتبت تقول : « تلقى طلاب القاهرة ، الذين كرسوا فى الاشهر الاخيرة للعمل

---

(١) سليم زكى عميل بريطانى وأحد قادة البوليس المصرى . نظم فرقة بوليسية « بلوك نظام » ويعرف كذلك بـــ « كتيبة الباشا » . وكان عملها الاساسى ينحصر فى تفريق المظاهرات الجماهيرية . وكانت هـــذه الفرقة بالذات هى التى نكلت بالطلاب وقامت بتنفيذ مذبحة كوبرى عباس .

(٢) كان خط سير المظاهرة يبدأ من شــــارع الجامعة ويخترق ميـــدان الجيزة وكوبرى عبـــاس ثم ينتهى عند وسط البلد فى ميدان عابدين ، حيث يوجد المقر الرسمى للملك .

السياسى وقتا أزيد بكثير من الوقت المكرس للدرس والتحصيل درسا قاسيا من بوليس القاهرة يوم السبت التاسع من فبراير عندما حاولوا تنظيم مظاهرات معادية لبريطانيا » [١١١ ، ١٩٤٦/٢/١١] .

وذاع فى العاشر من فبراير خبر مذبحة كوبرى عباس فى البلاد طولا وعرضا . وشهدت مصر بأسرها الاجتماعات الجماهيرية ومظاهرات الاحتجاج ، وهبت البلاد عن بكرة أبيها تدين هذه المجزرة الوحشية .

ومنذ الصباح الباكر ودوريات سلاح الفرسان تطوف بشوارع القاهرة . ورابطت وحدات كبيرة من الجيش فى الجيزة بالقرب من الحرم الجامعى . وتم حصار الجامعة كلها ، وسهرت القوات المسلحة على حراسة جميع الكبارى الضخمة .

وفى اليوم نفسه وجه رئيس الوزراء نداء للشعب بمناسبة الاحتفالات يوم ١١ فبراير بعيد ميلاد الملك فاروق الاول . وطلب رئس الوزراء من الشعب أن تكون الشعارات المرفوعة فى ذلك اليوم مقتضبة ومرتبطة باسم الملك المفدى . وأما ما يخص الشعارات الاخرى فلا طائل من ورائها الا أنها تلحق الضرر بقضيتنا . وهى لن تكون دليلا على تدفق المشاعر والاحاسيس ، بل ستكون شاهدا على خرق النظام ، مما سيجعلها عرضة لطائلة القانون » [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/١١] .

وفى الصباح الباكر من يوم ١٠ فبراير احتشد فى فناء الجامعة جمع غفير من طلاب جميع الكليات . وتم تنظيم اجتماع كبير . وقرر الطلبة بعد الاجتماع تنظيم مسيرة فى شوارع العاصمة ، الا أن الجامعة كانت محاصرة بقوات الجيش والبوليس . والمهم أن بعض الطلبة البواسل اقتحموا البوابة حيث كانت ترابط السيارات الحربية . ووقعت صدامات بين الطلبة والبوليس ، وقد قتل طالبان . ونظمت فى المدينة مظاهرة قام البوليس بفضها وتفريقها واعتقال ٣٤ طالبا ، وكان من نتيجة الصدام مع البوليس وجود عدد كبير من الجرحى .

وقرر طلاب الجامعة رغم أنف قوات البوليس تحويل مراسم جنازة الطالب الوطنى محمد على محمد الى مظاهرة احتجاج ضد الامبريالية الانجليزية وضد الحكومة المصرية الرجعية وتركوا جثة الطالب القتيل فى

الجامعة ، الا أن فرقة من قوات البوليس الخاص تسللت فى منتصف الليل ودخلت الجامعة لتأخذ جثة الشهيد وتدفنه .

وفى العاشر من فبراير نشرت صحيفة المصرى أن قوات بوليس الجيزة قامت بضرب الطالب وتعذيبه حتى الموت . ونشرت الصحيفة نفسها نبأ وفاة طالب آخر متأثرا بجراحه من بين أعداد الجرحى . وقامت فى الايام التالية قوات خاصة من فرق البوليس الاحتياطى بالعمل على حراسة شوارع القاهرة ليلا ونهارا .

ولم تشهد شوارع العاصمة وحدها المظاهرات الصاخبة المعادية للانجليز والمناهضة للحكومة ، بل شهدتها كافة المدن الاخرى بالبلاد . فقد وقع فى المنصورة فى العاشر من فبراير صدام بين الطلبة والبوليس ، تكبد على أثره كلا الجانبين العديد من الضحايا . واضطر رئيس الوزراء الى الاعتراف فى رده على احد الاسئلة بالبرلمان ، أن الوضع فى المنصورة — حسب المعلومات المتوفرة لديه — صعب للغاية . ولم يكن الحال بأفضل منه فى عاصمة مصر الثانية أى الاسكندرية . فقد نظم الطلاب فى التاسع من فبراير مظاهرة كبيرة تم القبض أثناءها على ٤٥ طالب فى ميدان السكة الحديد بكوم الدكة [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/١١] .

وفى العاشر من فبراير نظم طلاب جامعة فاروق الاول مظاهرة عارمة بالقرب من مبنى الجامعة فى حى محرم بك . ونتيجة الصدام مع البوليس بلغ عدد القتلى ثلاثة وعدد آخر من الجرحى وتم القبض على ثلاثين طالبا . وفى العاشر من فبراير قام البوليس فى عدة أحياء أخرى من مدينة الاسكندرية باعتقال ٦٢ متظاهر ، وقتل فى الزقازيق فى اليوم نفسه ثلاثة طلاب . [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/١١ ، ١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٢] .

وفى الثانى عشر من فبراير نظم طلاب جامعة الاسكندرية بدعوة من اللجنة التنفيذية مظاهرة ضخمة احتجاجا على مذبحة كوبرى عباس والتنكيل الوحشى بالطلاب . وقد اشترك فى اللقاء الحافل الذى نظمه الطلاب فى حى محرم بك ممثلو طبقات عديدة من المواطنين . وقرر المجتمعون التوجه لحى كرموز العمالى لعقد اجتماع شعبى كبير مشترك مع العمال . وقطع البوليس الطريق على المتظاهرين ، واضطرهم الى التقهقر [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٣] .

ووقعت صدامات راح ضحيتها ثلاثة من القتلى والعـديد من الجرحى [١١١ ، ١٣ /١٩٤٦/٢] .

وقد شهدت مدينة شبين الكوم ، عاصمة محافظة المنوفية والمركز التجارى الكبير وكذلك مركز اقليم هام لزراعة القطن والحبوب ، مظاهرات معادية للانجليز والحكومة [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/١١] .

« وفى الحادى عشر من فبراير علقت أضـواء الزينة فى حى الجامعة بالقاهرة بمناسبة الاحتفالات بعيد ميلاد الملك . وقابلت جماهير الشعب أضواء الزينة بصيحات الغضب الصاخبة وقذفتها بالاحجار . وألقى الطلاب بصورة للملك ضخمة كانت معلقة على واجهة الجامعة لتهوى على الارض وداسوها بالنعال ومزقوها اربا وأشعلوا فيها النيران ، وكانت تتعالى هتافاتهم أثناءها لعنان السماء قائلة « لا ملك الا الله » [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٣ ، ١٣٣ ، ص١٧] .

واستمرت المظاهرات الطلابية ضد الاحتلال الانجليزى خلال الايام ١١ ، ١٢ ، ١٣ من فبراير فى القاهرة [٦٠ ، ١٩٤٦/٢/١٧] . وكان من ضحايا الاصطدامات مع البوليس يوم ١٣ فبراير تسعة قتلى والعديد من الجرحى واعتقال ١٢ مواطن . ولم يسمح البوليس لطلاب الجامعة أن يصلوا للميدان المجابه لقصر الملك حيث كانوا ينوون القيام بمظاهرة كبرى ضد الحكومة والاحتلال الانجليزى . وقد أضرب جميع طلاب المدارس الثانوية بالبلاد .

تشكيل اللجنة الوطنية للعمال والطلاب

استخلص الطلاب من أحداث ٩ — ١٢ فبراير ١٩٤٦ عبرة هامة . وأدركوا المغزى الهام من وجود جهاز ثورى معبر عن ارادة الجماهير الشعبية وقادر على توحيد صفوف كافة القوى الوطنية غير مرتبط بالاحزاب الكومبرادورية والاقطاعية البرجوازية التقليدية من أجل خوض نضال مثمر ضد الامبريالية . وكان الشعار المرفوع وقتئذ هو « تكوين اللجان الوطنية » [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص ٥٣] . وأخذت تظهر فى كافة المدارس الثانوية ومعاهد التعليم العالى لجان الطلاب .

وانتخب طلاب جامعة القاهرة ومعاهد التعليم العالى الاخرى وكذلك طلاب المدارس نوابهم فى لجان الطلاب الوطنية . وكان معظم المنتخبين من بين ممثلى التنظيمات الطلابية الديمقراطية . واخيرا ، فى السابع عشر من فبراير وفى احدى قاعات كلية الطب جامعة القاهرة اعلن عن تشكيل اللجنة الوطنية للطلاب ، الذى اختار من بين أعضاءه لجنة تنفيذية .

وقد منيت محاولة التنظيمات الشبابية للاحزاب الرجعية لتقويض الاجتماع بالفشل الذريع . ونشرت اللجنة الوطنية للطلاب ميثاقا وطنيا مشهورا باسم « ميثاق ١٧ فبراير » . اليكم أهم بنوده الاساسية :

١ — الجلاء التام للقوات الانجليزية برا وبحرا وجوا ، وعن كل شبر من ارض وادى النيل .

٢ — تدويل القضية المصرية .

٣ — التحرر من العبودية الاقتصادية .

وانتهى الميثاق بالبيتين التاليين للشاعر أبو القاسم الشابى [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٤] :

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر(١)

وبقدر تعاظم شأن حركة التحرر الوطنى بدأ العمال فى تنظيم لجانهم الوطنية ، التى انتخبت بدورها فى أول شهر فبراير ١٩٤٦ اللجنة الوطنية الرئيسية للعمال . وكان مقرها شبرا الخيمة [١٣٣ ، ص١٩] وكان للشيوعيين الدور القيادى فيها .

وقرر طلاب وعمال مصر — وهم القوى الاكثر وعيا ووطنية — أن يوحدوا جهودهم للمزيد من النضال الناجح ضد الامبريالية .

وطيلة ليلة ١٧ فبراير عقدت الاجتماعات المشتركة بين ممثلى اللجنة الوطنية للطلاب وبين ممثلى اللجنة الوطنية للعمال . وفى ١٨ — ١٩ فبراير

---

(١) القصيدة مترجمة للغات أجنبية عديدة . وترجمتها سولوفيوفا للغة الروسية .

اتخذ الاجتماع الموحد الذى انعقد فى مبنى كلية الطب بالجامعة قرارا بتشكيل اللجنة الوطنية للعمال والطلاب ، جهاز الجبهة الوطنية الموحدة المعادية للامبريالية .

وهكذا انبثقت خلال فترة ازدهار حركة التحرر الوطنى قيادة شعبية جديدة متحررة من نفوذ كافة الاحزاب السياسية التقليدية . كانت تضم بين صفوفها ممثلى الوفديين اليساريين الذين يشكلون الغالبية العظمى من اعضاء الحزب القاعديين وكل المجموعات الشيوعية والاتحادات والمراكز النقابية المختلفة وكذلك جمعية الاخوان المسلمين . بالمفهوم الطبقى كان هذا اتحاد يضم البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية والمثقفين التقدميين .

وفى أواخر ١٩٤٥ وبداية ١٩٤٦ دب الخلاف بين جناحى الوفد اليسارى واليمينى بخصوص تشكيل جبهة وطنية عريضة معادية للامبريالية . وفى هذه الاثناء كان قد تبلور بشكل نهائى داخل الحزب الجناح الثورى من طلاب وشباب القاهرة والاسكندرية والمدن الكبرى الاخرى . وكان اليساريون يوجهون النقد المر لسياسة قادة الحزب المائعة تجاه الامبريالية البريطانية . وفى الوقت الذى كان الجناح اليسارى يعبر فيه عن ميول الطبقات المتوسطة والبرجوازية الوطنية المتوسطة والصغيرة وكذلك الفلاحين والطبقة العمالية ، كانت قيادة الحزب برئاسة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين تدافع عن مصالح الاقطاعيين والبرجوازية الاحتكارية الكبيرة . المرتبطة بالاحتكارات الاجنبية . وفى الوقت الذى أقدم فيه الشباب الوفدى على التعاون مع الشيوعيين والقوى اليسارية الاخرى داخل اطار الجبهة الوطنية المعادية للامبريالية ، أحجم فيه اليمينيون والوسط عن التعاون مع اللجنة الوطنية للعمال والطلاب .

وأرسل « الاخوان المسلمون » بممثليهم الى اللجنة الوطنية للعمال والطلاب بأمل توجيه الحركة الوجهة التى تتمشى مع اهوائهم ، وفى حالة الاخفاق يعملون على التشهير بالقيادة الشعبية .

وخلافا لموقف الحكومة وغالبية الاحزاب السياسية الاخرى كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة تناضل من اجل اجلاء القوات الانجليزية بلا قيد أو

شرط ، ومنح السودانيين حق تقرير المصير والوحدة مع الشعب السودانى فى خوض النضال المشترك ضـــد الامبريالية .

وكان موقف اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ازاء القضية السودانية مختلف عن الصياغة البرجوازية القومية لهذه المشكلة.طرحت أحزاب كبار الاقطاعيين والبرجوازية الاحتكارية واحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة (بما فى ذلك الوفد) شعار وحدة وادى النيل غير المشروطة أى مصر والسودان تحت رعاية الملكية المصرية الرجعية .

وصـــول حكومة صدقى للسلطة

لم يذهب نضال الشعب المصرى ، ولاســيما طلاب وعمـــال القاهرة والاســـكندرية والمنصـــورة وشبين الكوم وغيرها من المدن الاخـــرى أدراج الرياح . لقد ترك بصـــمته القوية على مجرى الاحـــداث اللاحق من مجالى السياسة الداخلية والسياسة الخارجية ســـواء بســـواء .

وادركت الحكومة البريطانية ، أن نظام العلاقات الانجلو مصرية المتجمد عند معاهدة ١٩٣٦ قد أصبح مهترءا وعقيما . واذا لم تستبدل بمعاهدة أخرى أكثر ملائمة ومسايرة للموقف الدولى فيما بعد الحرب ، فان الشعب المصرى سيتحرر نهائيا من اغلال الاحتلال التى يرسف فيها . لقد زلزلت أحداث ٩ — ١٢ فبراير لاول مرة صرح العلاقات الانجلو مصرية كله المقام على أساس من معاهدة ١٩٣٦ م .

وفى ١٤ فبراير حلق اللورد كيلرن ســـفير بريطانيا العظمى لـــدى مصر طائرا الى لندن . وبعد مضى عدة ايام أعلن هناك تعيين اللورد رونالد كيمبل خلفا له . [١١١ ، ١٩٤٦/٢/١٨ ، ١٠٤ ، ١٩٤٦/٢/٢٣] .

وكما أشرنا آنفا ، فان سياسة النقراشى فى اكتوبر وحتى ديسمبر ١٩٤٥ تعرضت للنقد اللاذع سواء من داخل الحزب السعدى الذى كان هو نفسه يتزعمه أو من قبل الاحرار الدستوريين المشتركين فى الحكومة الائتلافية معهم . وفى نوفمبر ١٩٤٥ قدم حافظ رمضان زعيم الوطنيين استقالته (من منصـــب

وزير العدل) [١٢٢ ، ص١٥٣] . وقد اتهم مكرم عبيد زعيم الكتلة الوفدية ووزير المـــالية النقراشى بالذل والخنوع أمام بريطانيا العظمى وقدم مع وزيرين آخرين من اعضاء هـــذا الحزب نفسه استقالتهم . ولكنهم سرعان ما سحبوا استقالتهم وتم تسوية الازمة [١٤ ، ١٩٤٦/٢/٢ ، ص١٧٠] .

وفى اواخر يناير ١٩٤٦ لوحظت من جديد بوادر أزمة حكومية واضحة . وقد أنقذ الموقف تدخل الملك وحده ودعوته للاحزاب الثلاثة (السعديين والكتلة الوفدية والاحرار) بتشكيل جبهة موحـــدة لانقاذ الموقف [١٣٦ ، ١/٢٧ ، ١٩٤٦/١/٢٨] .

ومع تعاظم حركة التحـــرر الوطنى تفاقمت حـــدة الخلافات داخل الحكومة .

وفى ١٣ فبراير شهد البرلـــان جلسة عاصفة استمرت حتى بعد منتصف الليل [٦٠ ، ١٩٤٦/٢/١٦] . واثنـــاء هـــذه الجلســـة وجه نواب الكتلة الوفدية النقد اللاذع للحكومة.وفى ١٤ فبراير قدم مكرم عبيد مع اثنينمن الوزراء الآخرين أعضاء فى الكتلة الوفدية كذلك استقالتهم من الحكومة . وكان الدافع الرئيسى وراء استقالتهم هو حسب ما جاء فى رســـالتهم « الخلاف فى وجهات النظر تجـــاه الاحـــداث الاخيرة » [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/١٦] . وقـــد القوا بالمسئولية كاملة عن التنكيل الدموى بالطلاب يوم ٩ فبراير على النقراشى [١١١ ، ١٩٤٦/٢/١٤] والذى أعلن أن الطلاب أنفسهم هم المذنبون فى هـــذه الاحـــداث .

وقد أثار خروج الوزراء من اعضاء الكتلة الوفدية أزمة وزارية واضطرت وزارة النقراشى الى تقديم استقالتها . وبالاضـــافة الى الحقائق السابقة فان أحد الأسباب الهامة فى اســـتقالة الحكومة يكمن فى احجـــام حزب الوفد عن الاشتراك فى الوفد المشـــكل من زعمـــاء كافة الاحزاب الســـياسية لاجراء المفاوضات مع بريطانيا العظمى [١١١ ، ١٦ ، ١٩٤٦/٢/١٩] . واشارت صحيفة « ايكونومست » البريطانية بهـــذا الصدد تقول « ان أى وفد حزبى يجب أن يضم بالطبع ممثلى حزب الوفد بصرف النظر عن انه قاطع الانتخابات الاخيرة وانه غير ممثل فى البرلـــان الحـــالى » [١٠٤ ، ١٩٤٦/٢/٢٣ ، ص٢٩٤] .

وكانت الرجعية المصرية خلال هـذه الفترة العصـيبة بالنسبة لها فى حاجة الى شخصية قوية الجانب تعمل على ايقاف المد المطرد للحركة المعادية للامبريالية والاقطاع وتعزيز سـلطة القمة الكومبرادورية الاقطاعية . وفى ١٥ فبراير كلف الملك اسماعيل صدقى باشا بتشكيل الحكومة [١٣٦ ، ٢/١٦/١٩٤٦][(١)] .

واقترح اسماعيل صدقى على زعماء الاحزاب الثلاثة التى اشتركت فى حكومة النقراشى [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/١٦] بالاشـتراك فى وزارته . الا ان الاحرار الدستوريين وحدهم وافقوا على الاشتراك فى الحكومة . التى كانت تضم ثلاثة وزراء من الاحرار وتسعة من اللا حزبيين[(٢)] .

وتولى اسماعيل صدقى ثلاثة من اكبر المناصب فى الوزارة دفعة واحدة وهى رئاسة الوزارة ووزارة الداخلية ووزارة المـالية . وفى ١٦ فبرار صرح

---

(١) ولد اسماعيل صدقى (١٨٧٥ ــ ١٩٤٨)فى اسرة اقطاعى كبير ، وهو نفسه من اكبر المـاليين فى البلد . وهو متخصص فى الاقتصاد والقانون . فى ١٩١٤ وزير للزراعة وفى ١٩١٥ وزير للاوقاف . انضم للوفد ونفى ١٩١٩ مع سعد زغلول الى جزيرة مالطة ، ولكنه فى صيف ١٩١٩ انسحب من الوفد ، ثم لعب دورا بارزا فى حزب الاحرار الدسـتوريين . وفى العشرينيات عين وزيرا للداخلية فى اكثر الحكومات المصرية رجعية . ومنذ ١٩٣٠ وحتى ١٩٣٣ شغل منصب رئيس الوزراء . وكان عهده عهد عربدة الرجعية وديكتاتورية البلاط . اوقف البرلـمان بعد حله وحكم بالاساليب الديكتاتورية . واسـماعيل صدقى هو واضع ادستور الرجعى ١٩٣٠ (فى نهاية ١٩٣٤ الغى دسـتور ١٩٣٠ وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ أعيد دستور ١٩٢٣) ومؤسس (١٩٣٠) حزب الشعب وزعيمه . والذى كان يعبر عن مصالح بطانة الملك . وفى بداية اندلاع الحرب العالمية الثانية انضم الى حزب « الاتحاد » ولكنه سرعان ما انحل . وكان اسماعيل صدقى على اتصال وثيق بالاحتكارات الانجليزية وكان عضوا بمجالس الادارة لـما يزيد على ٣٠ شركة أجنبية . وفيما بعد الحرب لم ينضم شكليا الى اى حزب من الاحزاب . وقبل أن يصبح رئيسا للوزراء كان رئيسا لاتحاد الغرف الصناعية المصرى .

(٢) فى سبتمبر ١٩٤٦ انضم الى وزارة اسـماعيل صـدقى عدد من الوزراء السـعديين .

صدقى باشا لمراسل وكالة رويتر قائلا بأن أهم بند من البنود الهامة لبرنامجه هو « توطيد علاقات الصداقة بشكل أكثر بين مصر وانجلترا » .

وقد أشاد المرسوم الملكى الصادر بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٤٦ بمناسبة تعيين رئيس وزراء جديد أن صدقى باشا بالذات هو الانسان الذى بمقدوره حكم مصر « عشية المفاوضات مع حليفتها العظمى » والخاصة باعادة النظر فى المعاهدة الانجلو المصرية . ورحبت صحف المحافظين الانجليزية بوصول صدقى للسلطة ، ونوهت بعين الرضى أن هذا يعنى خطوة جديدة على طريق المفاوضات الانجلو مصرية المباشرة [١١١ ، ١٩٤٦/٢/١٩] .

بيد أن الحكومة الجديدة كانت ضيقة التمثيل تماما . ولم تحظ حتى فى البرلمان الرجعى بالتأييد المطلوب(١) . وقد اتضح ذلك من أول جلسة ، حيث كان يتعين على البرلمان طرح الثقة بالحكومة الجديدة . وحصلت الحكومة على ١٠٥ صوت من أصوات البرلمان ، وصوتت ضدها ٣ أصوات ، وامتنع عن التصويت ٧٨ صوت [١١١ ، ١٩٤٦/٢/١٩] . واتبع السعديون والمكرميون (أعضاء الكتلة الوفدية) سياسة الترقب والانتظار ، واقتصر تأييد الحكومة على الاحرار وحدهم دون غيرهم ، لدرجة أن صحيفة « التايمز » اللندنية نوهت تقول ، ان حكومة اسماعيل صدقى « لا هى بالحكومة الديمقراطية ، ولا هى بالحكومة الواسعة التمثيل » [١١١ ، ١٩٤٦/٢/١٨] .

واتخذ الوفد موقفا عدائيا للغاية من الوزارة الجديدة . ووصفت الصحف الوفدية تعيين صدقى فى منصب رئيس الوزراء بأنه « عودة الجلاد » [١٠٤ ، ١٩٤٦/٢/٢٣ ، ص٢٩٤] وكون بعض الشيوخ الوفديين برئاسة صبرى أبو علم باشا جناحا للمعارضة فى مجلس الشيوخ [١١١ ، ١٩٤٦/٢/٢٦] .

---

(١) من بين ٢٦٤ مقعد نيابى فى مجلس العموم كان للسعديين ١٠٩ مقعدا وللاحرار الدستوريين ٩٠ مقعدا وللكتلة الوفدية ٣٠ مقعدا .

يوم الجـــــلاء

ان تولى الديكتاتور اسماعيل صدقى مقاليد السلطة فى البلاد لم يحبط من جهود حركة التحرر الوطنى ، بل على العكس من ذلك ، أدى الى احتـــدام ضراوتها وتأجج مشاعلها . فشـــهدت القاهرة فى ١٦ فبراير مظـــاهرة لطلاب جامعة الازهر الاسلامية وغيرها من معـــاهد التعليم العالى الاخرى [٦٠ ، ١٩٤٦/٢/١٨] . وانضم الى صفوف الطلبة مئات عديدة من المواطنين . وقد سارت المظاهرة فى شوارع العاصمة الرئيســـية حاملة شـــعارات معادية للحكومة والانجليز .

وجرى فى ١٨ فبراير تنظيم لقاء كبير فى فناء جامعة القاهرة . القى فيه الطلاب كلمات مشتعلة بالوطنية يدعون فيها رفاقهم الى نبذ الخلافات الحزبية وراء ظهورهم وتوحيد صفوفهم لخوض غمار النضال ضد الاحتلال الانجليزى ومن أجل وحدة وادى النيل . ثم نظموا مظاهرة عارمة تحت شعارات : « جلاء القوات الانجليزية ! » ، « فلتحيا وحدة وادى النيل ! » ، فلتسقط الخلافات الحـــزبية ! » .

وسار المتظاهرون عبر كوبرى الخديوى اســـماعيل ووصـــلوا لميدان عابدين حيث توجد السراى وعدد من الوزارات والمصالح الحكومية . وهناك انضم اليهم طلاب الازهر وطلاب المدارس الثانوية . توجه بعدها الطلبة الى شارع ابراهيم باشا ، واخترقت المظاهرة ميدان الملكة فريدة واندفعت لحى الازهر . وتوقفت لبضع دقائق عند ثكنات قصر النيل البريطانية(١) ، وصاحت الجموع الغفيرة : « فلتسقط انجلترا ! » ، « فليســـقط المجرم بيفين ! » . [١١١ ، ١٩٤٦/٢/١٩] .

وفى اليوم نفسه زار قصر عابدين وفد يمثل اللجنة التنفيذية الرئيسية لطلاب الازهر والجامعة وغيرها من المعاهد الدراسية العليا بالقاهرة . وسلم

---

(١) ثكنات قصر النيل كانت فى ميدان الاســـماعيلية (ميدان التحرير حاليا) فى المكان الذى اقيم عليه فندق « هيلتون » الضخم .

الوفد الملك عريضة يصرون فيها على اعلان تصريح بريطـانى يعترف بجلاء القوات البريطانية ووحدة وادى النيل كأسـاس للمفاوضـات وكذلك لطرح القضية المصرية على الامم المتحدة [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/١٩] . علاوة على ذلك ، طالبوا بالبدء فى اجراء تحقيق حوادث ٩ — ١٠ فبراير وبالافراج عن الطلبة المعتقلين وباعادة الطلبة المفصولين . توجه بعد ذلك اعضاء اللجنة التنفيذية الى مبنى مجلس الوزراء ، حيث كان فى استقبالهم رئيس الوزراء اسـماعيل صدقى . وسلمه الطلاب نسخة من عريضتهم . فصرح صدقى مخادعا بانه هو نفسه نصير اجلاء القوات البريطانية ووحدى ادى النيل [١٣٦ ، ٢/١٩/ ١٩٤٦] .

وفى ١٨ فبراير شهدت مدينة دمنهور مظاهرة طلابية سلمية معـادية للانجليز . وأعرب الطلاب أثناء اللقاء عن مطالبتهم باجلاء القوات الانجليزية ووحدة وادى النيل . وفى اليوم نفسه جرت مظـاهرة طلابية اخرى سـلمية طافت شوارع بنى سويف . ونظم لقاء كبير بالقرب من النصـب التذكارى للشهداءء من أجل حرية الوطن .

وفى ١٩ فبراير شهدت العاصمة مظاهرة اشتركت فيها جموع غفيرة . وقد اخترق المتظاهرون شوارع القاهرة الرئيسـية حـاملين الشـعارات الوطنية . وكانت تسير خلف كل طابور من طوابير المتظـاهرين سـيارة أو اثنتين محملة بالجنود . وقررت حكومة صدقى الافراج عن كثير من الطلاب المعتقلين اثناء حـوادث ٩ — ١٢ فبراير بغرض خلخلة الحركة واضـعافها [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٠] . ولكن الوقت كان قد فات . فما من شىء بمقدوره اعتراض ذلك الاعصار الجامح . ففى العشرين من شهر فبراير بلغت الحركة المعادية للانجليز ذورتها . وشهدت بالذات كل من القـاهرة والاسكندرية والمنصورة مظاهرات عاصفة معادية للانجليز .

وبمبادرة من اللجنة الوطنية للعمال والطلبة عقد فى رحاب جامعة الازهر اجتماع لممثلى الطلاب والعمـال . وبناء على قرار اللجنة الوطنيـة للعمال والطلبة جرى فى ميدان الاوبرا (ابراهيم باشا) تنظيم لقاء حـافل [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٥] . بعـده يجب أن يطوف المجتمعـون الشـوارع الرئيسية للقاهرة حتى ميدان الملكة فريدة . وقـد توجهت اللجنة الوطنيـة

لاتباعها بنداء تقول فيه : « أليس من الواضح لكم ، أن الاعداء كلهم يقفون فى خندق واحد ، يتربصون اى خطأ من جانبنا ، كى يستغلوه ذريعة للانقضاض علينا وتذفنا بالحجارة ؟ يجب أن تكون الحركة وطنية خالصة ، كى لا نعطى الاعداء حجة يتذرعون بها » [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢] .

وكان للقرار الذى اتخذته اللجنة الوطنية فى اليوم ذاته مغزى كبير الاثر بالنسبة لنضال الشعب اللاحق . فقد نص القرار على ما يلى : « قررت نقابات عمال مصر وطلاب الجامعات المصرية وطلاب الازهر والمعاهد الدراسية العالية الاخرى وطلاب المدارس الثانوية والمتخصصة أن يكون يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم الجلاء ، يوما للاضراب العام لكافة التنظيمات وجموع الشعب » [٥٠ ، ص١٢٦] .

وقد قوبلت مبادرة اللجنة الوطنية للعمال والطلاب بالتأييد والترحيب من كافة أوساط التنظيمات والاحزاب السياسية فى مصر المناهضة للامبريالية البريطانية وركيزتها الاجتماعية فى البلاد والمتمثلة فى القمة الكومبرادورية الاقطاعية وقررت اعلان يوم ٢١ فبراير يوما لجلاء القوات الانجليزية . وقد اصدرت شتى التنظيمات نداءات تدعو فيها للاشتراك فى المظاهرات الوطنية .

وتم الاعداد لهذا اليوم بدقة وتمحيص ، كى لا تكون هناك ثغرة ينفذ منها العملاء الاجانب والرجعية المحلية للاستفزاز . وفى هذه اللحظة الحرجة ظهر جوهر « الاخوان المسلمين » الرجعى على حقيقته . فقد اتخذت قيادة الجمعية قرارا بعدم الاشتراك فى المظاهرة واستدعاء مندوبيها من اللجنة الوطنية للعمال والطلبة خشية أن تنقلب المظاهرة العامة المعد لها جيدا نصرا حاسما جديدا للجنة الوطنية للعمال والطلبة . وتعللت الجمعية بسببين هما :

١ — الزعم بأن الحركة الوطنية واقعة تحت تأثير عناصر اجنبية .

٢ — لا يصح للمثقفين أن يتحدوا مع « الجماهير القليلة الثقافة » ، اى العمال .

وعندما وجهت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وفدا كبيرا « للمرشد العام » للرد على تصرفاته الخائنة ، صرح لهم البنا بأن الجمعية لن تشترك فى الاضراب بسبب عدم استعداد « الاخوان المسلمين » . [١١٥ ، ص٨٤] .

وسرعان ما عرف الجميع أن قيـــادة الجمعيـــة أقدمت على التآمر المباشر مع صدقى ومن ثم خيانة المصالح الوطنية . وأخذ أعضاء الجمعية يروجون فى تصريحاتهم بأن صـــدقى ١٩٤٦ ليس بصـــدقى الثلاثينيات وأنه « يبـــذل كل ما بمقدوره وفقا لرغبات الشعب » . وأما زعيم تنظيم « الاخوان المسلمين » فى الجامعة فقد صرح بأن صدقى « صادق فى وعوده » [١٣٩ ، ١٩٦٦/٢/٢١ ، ص٢٦ ، ١١٥ ، ص٨٥] .

وعشية المظاهرة اتخذ البوليس عدة تدابير . فانتشرت فى أحياء القاهرة المختلفة أعداد ضـــخمة من قوات البوليس . وداخل فناء مقر مدير المديرية كانت ترابط فصـــيلة كبيرة العدد من الســـيارات المدرعة . وأحاطت قوات البواليس بالمحال الكبيرة والبنوك والشركات للحراسة .

وفى فجر يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ توجه وفد اللجنة الوطنية للعمال والطلاب الى مختلف أحياء القاهرة لتنظيم الاضرابات والمظاهرات .

وفى صباح ٢١ فبراير ١٩٤٦ اغلقت جميع المطاعم والمصـــالح العامة والبورصة والمحال التجارية الكبيرة والصـــغيرة والقهاوى وغيرها ابوابها ، وكذلك لم تعمل فى هـــذا اليوم المشاريع الصـــناعية . تعطلت الدراســـة فى جامعة فؤاد الاول والازهر وفى جميع معاهد الدراســـة العالية والمتوســـطة والمدارس الثانوية . وتوقفت جميع وسائل النقل من ترام واتوبيس وسيارة أجرة .

ونظم الطلاب والعمال والطبقات الاخرى من المواطنين مظاهرات تحت شـــعارات : « جلاء القوات الانجليزية ! » ، « وادى النيل لا يتجـــزأ ! » ، « فلتسقط الخلافات الحزبية ! » . واشتركت فى المظاهرات جماهير الشعب الغفيرة من مصريين وسودانيين ، رجال ونساء ، شباب وشيوخ . وكتبت صحفية « الاهرام » فى اليوم التالى تقول « ان هـــذه الجموع الغفيرة المتماسكة سارت وكأنها رجل واحد ، حركتها ارادة وعزيمة واحدة ، ووحد صفوفهم والف بين قلوبهم هدف واحد » .

وتدفقت على ميدان عابدين من كل الاتجاهات آلاف من المتظاهرين . وكانوا يرددون الهتـــافات التـــالية : « فليســـقط بيفين ! » ، « فلتحيا مصر

والسودان ! » ، « فلتخرج القوات الانجليزية من مصر ! » ، « فلتحيا وحدة وادى النيل ! » وغيرها من الهتافات الاخرى وفى شتى أرجاء الميدان المختلفة كان الخطباء يلقون كلماتهم . وهناك كان يمكن أن تشاهد مواطنا فى زى العمل يخطب فى زملائه قائلا : « نحن جميعا على أتم الاستعداد للتضحية بأرواحنا فداء لمصر .. ونحن مستعدون للبذل والفداء والاستشهاد حتى يجلو آخر جندى انجليزى عن وطننا » [٦٠ ، ١٩٤٦/٢/٢٤ ، ١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢] .

واتجهت طوابير طلاب الجامعة والمدارس الثانونة الى وسط المدينة . وتغنى المتظـــاهرون بنشــيد الجلاء(١) واندفع ما يربو على ١٥ الف عامل فى طوابير متراصة من شبرا الخيمة . وانضم اليهم فى ميدان السكة الحديد عمال الضواحى الآخرين مثل العباسية ومصر الجديدة والزيتون والمطرية ، وبلغ عدد المتظاهرين ٤٠ الف مواطن .

وشهد ميدان الاوبرا لقاءا ضخما . تحدث فيه الخطباء من ممثلى مختلف التجمعات والتنظيمات المشتركة فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة . واتخذ المتظاهرون قرارا بالآتى : وقف المفاوضات الانجلو مصرية السرية ، والعمل للتوصل الى الجلاء التام للقوات الانجليزية من وادى النيل ، والغاء معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية واتفاقيتا ١٨٩٩ الخاصة بالسودان واتخذ كذلك قرارا بطرح طلب اجلاء القوات الانجليزية عن مصر والســـودان على مجلس الامن [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٥] .

واخترقت المظاهرات كذلك ميدان السكة الحديد وشارع لاظوغلى ثم شارع فم الخليج حتى ميدان الملكة فريدة . وكانت المظاهرات حتى الساعة ١٢ والنصف تتسم بالطابع السلمى . وكانت طوابير المتظاهرين تتجه وتتئذ الى ميدان الاسماعيلية (قصر النيل) فى وســط مدينة القاهرة . وعندما تحركت المظاهرة التى تضم ١٥٠ الف مواطن نحو ميدان الاسماعيلية رافعة الاعلام واللافتات ، اندفعت من ناحية شارع القصر العينى اربع سيارات انجليزية

---

(١) كتب كلمات النشيد واحد من أعضاء ســكرتارية اللجنة الوطنية للعمال والطلاب ، ووضع اللحن عدد من أعضاء اللجنة . ويمكن الرجوع الى نص النشيد فى مجلة « الطليعة » ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٥ .

مدرعة بأقصى سرعة متجهة ناحية ثكنات قصر النيل . فأفسح لها المتظاهرون الطريق ، الا أن واحدة منهـــا داهمت الحشـــد ، فقتلت على الفور اربعة ، واصابت كثيرين آخرين بعاهات مستديمة . [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢] . وفى هــذه الاثناء اقتربت سيارتان أخرتان من ناحية كوبرى الخديوى اسماعيل . فاعترض المتظاهرون طريقهما ، وجذبوا السائقين من السيارتين وضربوهما ، وبعدها أحرقوا الســـيارتين وحاولوا اقتحـــام بوابة الثكنات الانجليزية على شـــاطىء النيل .

وما كاد دخان السيارتين المشتعلتين يتفرق فى الهواء حتى انهالت طلقات المدافع الرشاشة تصب نيرانها على المتظاهرين بميدان الاسماعيلية . وبناء على البيانات والمعلومات التى نشرتها « الاهرام » [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٤] فقد قتل الانجليز فى هـــذه الحـــادثة ١٥ مواطنا وجرحوا ١١١ آخرين(١) وتوجهت جماعة من المتظاهرين لقائد الجيش المصرى تطالبه باتخاذ التدابير اللازمة فورا .

وكفن المتظاهرون جثمان احد الشهداء فى العلم الوطنى المصرى وحملوه على الاكتاف وطـــافوا به شـــوارع القاهرة . وأما الآخرون فقد جففوا دم الشهداء والجرحى الكثيرين الآخرين بقطع من القماش الابيض رفعوها لعنان السماء وســـاروا معهم . واصـــبحت المدينة على شـــفى هاوية من التوتر والاضطراب . ان اطلاق النيران على مظاهرة من العزل المسالمين فى ميدان الاسماعيلية ملأ كأس الصبر حتى الثمالة . وأخذ سكان القاهرة يهـــاجمون المنشآت البريطانية وبعض الافراد الانجليز .

وطاف رئيس الوزراء اسماعيل صـــدقى فى صـــباح ٢١ فبراير ما بين التاسعة والعاشرة بعض أحيـــاء المدينة راكبا ســـيارته يلقى الكلمات أمام المتظاهرين ، معلنا « انه ليس ضدهم فى التعبير عن مشـــاعرهم الوطنية ، بيد ان هـــذا يجب أن يكون ضمن اطار من الشرعية والنظام » وكان يوجد الى

---

(١) بناء على معلومات الرافعى ، اســـتشهد ٢٣ مواطنا وجرح ١٢١ (١٢٢ ، ص١٨٥) ، وتبعا لمعلومات عبد المنعم الغزالى استشهد ٢٣ مواطنا وجرح ١٢٣ آخرون .

جواره فى السيارة حسن البنا المرشـــد العام « للاخوان المسلمين » وكان هو الآخر يتحـــدث الى المتظـــاهرين ويحضـــهم على مراعاة النظام . [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢ ، ١٣٩ ، ١٩٤٦/٢/٢١ ، ص٢٦ ، ١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٦] .

وفى منتصف النهار ظهر فى ميدان الاسماعيلية (قصر النيل) قبيل حوادث المدرعات الانجليزية فصائل الكشـــافة « للاخوان المسلمين » مع مجموعات صغيرة من شباب احزاب السعديين والاحرار و « جبهـــة مصر » . وحاولوا توجيه مسار المظاهرة الى عابدين كى يسلمون مطالب الشـــعب للملك ، اى تحويل المظاهرة الوطنية الى مظاهرة منصـــاعة تابعة . وانطلت الحيلة على بعض طوابير المتظاهرين واتجهوا ناحية ميدان عابدين . واسرع الى هنـــاك ممثلو اللجنة الوطنية للطلاب والعمال كى يحافظوا على طابع المظاهرة المعادى للملكية . وكانت المظاهرة تحمل اللافتات التالية : « فلتسقط الامبريالية ! » ، « فلتسقط سلطة الباشاوات ! » ، « لا ملك غير الله ! » [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٦] .

وشهدت القاهرة كلها حوادث وصدامات مختلفة مع الانجليز . ودمرت جميع المحال التجارية التى يشتبه فى ان اصحبها لهم علاقة بالانجليز . وفتحت النيران من احد البيوت فى شارع رشدى باشا على المتظاهرين فاســـتشهد اثنان وجرح آخرون . [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢] . عندئذ اندفع المتظاهرون الى المنزل وحطموا بعض الشقق والقوا بالاثاث فى الشوارع واشعلوا النيران فى المنزل . وهاجم المتظاهرون كذلك دار سينما « ستراند » والكنيسة الانجليزية فى شارع ماسبيرو ، وفتحت النيران على جماهير المتظـــاهرين فى مكان آخر ، من داخل فندق « سيسيل » . وقام المواطنون باشـــعال النار فى المخـــازن والسيارات الانجليزية فى كل مكان . واحرقوا احـــدى الثكنات الانجليزية فى شارع الملكة نازلى . وارســـلت القيادة البريطـــانية القوات المسلحة لحماية الاهداف العسكرية ، واصـــطفت قوات البوليس المصرى فى اماكن الحرائق والتدمير .

وجرت اعتقالات بالجملة . واعتقل بوليس حى عابدين وحده ما يقرب من ٥٠ مواطنا . وتم استدعاء قوات الجيش للمدنية . الا ان هـــذه القوات

المصرية رفضت اطلاق النار على المتظاهرين . ولم يكتف الضباط والجنود المصريون بافساح الطريق أمام المظاهرات الشعبية ، بل سمحوا كذلك للمتظاهرين أن يكتبوا بالطباشير على السيارات والمصفحات العسكرية شعاراتهم الاكثر ذيوعا وشعبية خلال هذا اليوم . وسمحوا للخطباء بأن يتخذوا من سيارتهم المصفحة منابر يلقون من فوقها خطبهم الملتهبة . ولاول مرة فى تاريخ مصر شهد العالم فى هذا اليوم رفع شعار « الجيش مع الشعب » [١٣٣ ، ص٢٣] .

ووصف الصحفى أحمد حمروش كيف تم التقارب بين طلاب الجامعة وضباط الجيش . واثناء احدى المظاهرات الطلابية الحافلة فى شهرى يناير وفبراير ١٩٤٦ تلقت احدى الوحدات العسكرية المرابطة فى المناطة أمرا بالتوجه باكر كل صباح الى منطقة الجامعة فى الجيزة . وتلقى الضباط تعليمات بتحريم ومنع المظاهرات الطلابية ، وتفريقها ان وجدت ولو باطلاق النيران عليها . وعلى امتداد أربعين يوما كانت هذه الوحدة تتوجه فجر كل يوم الى الجيزة وتعود الى ثكناتها مع غروب الشمس . وكان الجنود يقفون صفوفا فى الشوارع مباشرة ، وأما الضباط فينصرفون للجلوس فى حديقة الاورمان يناقشون بحرص واهتمام ما يجرى فى البلاد من أحداث . واتخذ بعض الضباط هنا قرارا بعدم تنفيذ الاوامر باطلاق النار على المتظاهرين . وقد نجح ممثلو الطلبة فى اقامة اتصالات وثيقة بضباط الجيش . وتم التوصل فيما بينهما على الاتفاق التالى « الجيش لا يهاجم الطلبة ، والطلبة لا يقومون بأعمال عدائية ضد الجيش » . وعندما بدات فى فبراير المظاهرات العارمة امتنع ضباط الجيش عن تفريق المظاهرات وقمعها . وعندما بلغ الخبر صدقى ، أمر على الفور باستدعاء القوات من الجيزة « وكان واضحا انه يرتعد خوفا من التقاء أبناء الشعب فى الجيش مع أشقائهم من أبناء الشعب فى الجامعة » . [١٣٩ ، ١٩٦٦/٢/٢١ ، ص٢٤] .

ولقد كانت هذه الظاهرة جديدة وفى غاية الاهمية فى الواقع المصرى . فلأول مرة منذ بدء الاحتلال الانجليزى يتردد الجيش المصرى . وهكذا بدات عملية التحول التام للجيش ليقف الى جانب الشعب ، والذى قام بعد سبع سنوات ونصف بثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ المظفرة .

وشهدت الاسكندرية هى الاخرى المظاهرات المعادية للانجليز . [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢] .

فقد قرر طلاب جامعة فاروق بالاسكندرية وغيرها من المعاهد الدراسية العليا الاخرى بتنظيم مظاهرة كبرى معادية للانجليز يوم ٢١ فبراير ، للمطالبة بجلاء القوات الانجليزية ووحدة وادى النيل .

وفى صباح يوم ٢١ فبراير أغلقت جميع المحال التجارية والمصالح العامة أبوابها ، وتعطلت المواصلات تماما ، ولم تشهد البورصة أية عمليات . واحتشد جمع غفير من الطلاب بالقرب من مبنى الجامعة فى حى محرم بك ، وجمع آخر عند محطة الرمل واتجه طلاب الرمل الى المدينة وانضم اليهم فى الطريق العمال . وكانوا يحملون الشعارات المؤيدة ليوم الجلاء والاستقلال التام ووحدة وادى النيل . وقد وجهت السلطات العسكرية البريطانية عدة سيارات مصفحة لمواقع تمركز الاهداف العسكرية البريطانية . وتبعا لما نقله مراسل وكالة رويتر بالقاهرة ، ان من ضحايا اضرابات الاسكندرية ثمانية جرحى من المواطنين من بين موظفى البوليس الحربى أساسا [٦٠ ، ١٩٦٦/٢/٢٣] .

وفى ٢١ فبراير شهدت كل من طنطا والمنصورة وبور سعيد وأسيوط والاسماعيلية وغيرها من المدن الاخرى الكثيرة مظاهرات معادية للانجليز . وأغلقت المصالح الحكومية والمحال التجارية جميعا أبوابها . واشترك فى المظاهرات ممثلو جميع المعاهد الدراسية والنقابات العمالية . وفى ٢١ فبراير نظم فى دمنهور اضراب عام . واحتشد أعضاء نقابات السائقين وتلاميذ المدارس الثانوية والمهنية عند مقر مدير المديرية ونظموا هناك اجتماعا القى فيه بعض الخطباء كلمات تحض على النضال ضد القوات الانجليزية وفى ٢١ فبراير نظم تلاميذ المدارس الثانوية والالزامية فى كفر الزيات مظاهرة ترفع الشعارات التى تنادى : « الجلاء الفورى للقوات الانجليزية ! » ، « فلتحيا وحدة وادى النيل ! » وغيرها . واعلن عمال مصنع السكر التابع لرأس المال الاجنبى أساسا فى الحوامدية يوم ٢١ فبراير اضرابا عاما تضامنا مع كافة قوى الشعب المصرى [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢] .

وكتبت صحيفة « الاهرام » فى الخامس والعشرين من فبراير تقول :

« لقد كانت هـذه مظاهرة شاملة للشـعب كله ، للمطالبه بحقوقه الشرعية والطبيعية » .

وكانت مصر كلها فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ على وشك نشوب ثورة معـادية للامبريالية . ولقد استمرت بريطانيا العظمى فى سـيطرتها على البلاد بسبب تدخل القوات البريطانية وسياسة الحكومة الخائنة فقط . واظهرت احـداث ٢١ فبراير فى عواصم المديريات مدى وزن وتأثير اللجنة الوطنية للعمال والطلبة لا فى العاصمتين وحدهما ، بل فى البلاد بأسرها كذلك .

وكانت تتدفق رسائل وبرقيات الاحتجاج المفعمة بالسخط والاستياء من الاعمال الوحشية والاجرامية التى ترتكبها القوات الانجليزية والمطالبة بالحرية السياسية والاقتصـادية من كافة أرجاء البلاد ومن شـتى مختلف التنيظمات والاحزاب ومن شـخصيات اجتماعية متفاوتة العقـائد الدينية والسـياسية وانهالت الاحتجاجات من الحزب الوطنى وجمعية الشبان المسلمين ومن محامى المحاكم الشرعية ومنظمة شباب الكتلة الوفدية ومن علماء واسـاتذة جامعة الازهر الشريف ومن الاتحـاد النسائى ومن الجبهة القومية للشـباب واتحاد أصحاب التاكسيات ومن حزب المراة الوطنى ومن الحزب الوطنى الاسـلامى وغيرها كثير من التنظيمات والاحزاب المختلفة .

وقد ورد فى رسـالة حزب « مصر الفتـاة» ما يلى : « اننا نعرب عن احتجاجنا الساخط ازاء هجوم القوات الانجليزية على المتظاهرين العزل ممن نادوا بحق بلادهم فى الحرية والاستقلال . ولا يثير هـذا العمل الاستفزازى فى نفوس أبناء الشعب المصرى سوى مشاعر البغض وتفاقم الوضع المتوتر فى البلاد حتى جلاء آخر جندى انجليزى من القوات البريطانية فى القاهرة وفى مصر بأسرها » [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢] .

وكتبت هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى باسم نساء مصر رسائل لكل من رئيس وزراء بريطانيا العظمى وجميع السفراء والوزراء الاجانب المعتمدين فى مصر جاء فيها أن الحزن والكمـد الذى تكابده المراة المصرية دفعهـا لرفع صـوتها بالاحتجاج ضد الاعمال الاسـتفزازية التى يرتكبها الانجليز فى حق أبنائنا البررة .

ولقد اهتز الشرق العربى كله من اقصاه الى ادناه لاحداث ٢١ فبراير . فعمت سورية ولبنان وفلسطين والسودان وغيرها من الاقطار العربية الاخرى موجة عارمة من الاضطرابات والمظاهرات والاجتماعات تعبيرا عن تضامنها التام مع الشعب المصرى . فقد اعلن فى سورية ولبنان أن الرابع من مارس اضراب عام ضـد الاعمال الوحشية التى يرتكبها الانجليز فى مصر [٦٠ ، ٦ ، ١٩٤٦/٣/٧ ، ١٣٦ ، ١٩٤٦/٣/٦] . شهدت كافة المدن العربية المظاهرات الصـاخبة .

واقيمت خلال هـذه الفترة فى كبرى مساجد بيروت ودمشق وغيرهما من المدن الكبيرة الاخرى صلاة الحداد على روح شهداء الاحداث الدامية الاخيرة التى شهدتها مصر . وجرت فى الرابع من مارس مظـاهرة ضـخمة فى مدينة نابلس الفلسـطينية ، حيث انتهت باعلان الاضراب العـام . وكان الطلاب يرفعون عاليا أعلام مصر ويرددون شـعارات التضـامن مع مطالب الشعب المصرى .

ومساء ٢١ فبراير (شباط) اعربت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة عن احتجاجها على الاعمال الاستفزازية النكراء التى تقوم بها القوات البريطانية ضـد الشعب المسـالم الاعزل [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٢] . وطالبت اللجنة الحكومة المصرية بالعمل على سرعة ابعاد القوات البريطانية من داخل المدن الكبرى . ودعت اللجنة ابناء جلدتها بالامتناع عن الاعتراف بالحكومة الا اذا تقيدت بعدم اجراء المفاوضات الا على أساس اعلان انجلترا المبدئى باجلاء قواتها . واتخذت اللجنة الوطنية كذلك قرارا بنشر الميثـاق الوطنى ، الذى يجب أن يصدق عليه جميع الزعماء الوطنيين ودعتهم الى الالتزام بعدم الموافقة على رئاسة الحكومة الا فى حالة واحدة فقط وهى اصدار بريطانيا بيانا تعترف فيه بالجلاء التام عن وادى النيل كأساس لاجراء المفاوضات ودعت اللجنة الى عدم اللجوء الى التـدابير العنيفـة خلال ١٥ يوما لحين تلقى رد الحكومة البريطانية .

وفى ليل (٢١ — ٢٢) فبراير اعلن رئيس الوزراء فى كلمته بالاذاعة ان « الحكومة قررت استخدام كافة الوسائل المتاحة لها » بعدم تكرار القلاقل

وأمر النيابة العمومية بالبدء فى التحقيق لمعرفة المتسبب عن أحداث ٢١ فبراير [١١١ ، ١٩٤٦/٢/٢٨] .

وكتبت كثير من الصحف المصرية تقول مباشرة أن رئيس الوزراء خان قضية المصريين . فكتبت صحيفة « الوفد المصرى » لسان حال حزب الوفد تقول : « ان بيان رئيس وزراء مصر أمر عجيب . وعلى ما يبدو ، أنه ميال لالقاء تبعة الدم الذى أراقه الانجليز على المصريين أنفسهم » .

وفى ٢٢ فبراير (شباط) تقدم ممثل السفارة البريطانية لاسماعيل صدقى بمذكرة تطلب فيها معاقبة المصريين المتسببين فى « الاضطرابات » ، والتعويض عن الاضرار التى لحقت بالمصالح الانجليزية وضمان توفير الامن والنظام مستقبلا . وقد ذهل صدقى نفسه من هذه المذكرة . وقد علق عليها رئيس الوزراء تحت قبة البرلمان بقوله « اننى لا أستطيع أن أخفى دهشتى حيال هذه المذكرة المقدمة قبل اجراء التحقيق فى معرفة الجانى فى أحداث ٢١ فبراير » [١١١ ، ١٩٤٦/٢/٢٦] .

وقد القت الحكومة الانجليزية فى مذكرتها بتاريخ ٢٣ فبراير (شباط) المسؤولية عن الاحداث التى شهدتها البلاد على عاتق المصريين وطالبت بمعاقبة الجناة والا أوقفت المفاوضات [٦٠ ، ١٩٤٦/٢/٢٥] .

وقد أثارت هذه المذكرة موجة عريضة من الغضب والاحتجاج فى أوساط الشعب . فكتب محمد مندور فى صحيفة « الوفد المصرى » يقول ، أنه لا يجب على انجلترا أن تتقدم بمطالب الى مصر ، بل بالعكس ، مصر هى التى يجب أن تتقدم بمطالبها لانجلترا . وكتبت صحيفة وفدية أخرى وهى « البلاغ » تتساءل ، ألا يجب على رئيس الوزراء محاسبة الانجليز باسم الضحايا والشهداء [٦٠ ، ١٩٤٦/٢/٢٧] .

وقرر اسماعيل صدقى استخدام ابشع الاساليب لقمع حركة التحرر الوطنى . فألقى فى الرابع والعشرين من فبراير (شباط) على الشعب بيانا من الاذاعة يحرم فيه القيام بأية مظاهرات وتفريق أية تجمعات يزيد عدد افرادها على ثمانية اشخاص . بالاضافة الى ذلك توجه للصحافة القومية

وزعماء الاحزاب بنداء يدعوهم الى التوقف عن الدعاية والترويج « لوضع البلاد الحرج فى المرحلة الراهنة » [١١١ ، ١٩٤٦/٢/٢٥]. واتخذ عددا من التدابير لمنع المظاهرات فى القاهرة . وتمركزت فى المدينة حشود من قوات البوليس والجيش الموالية للحكومة ، كما وضعت المصالح ودواوين الحكومة الكبرى تحت الحراسة . وفى مساء يوم ٢٦ فبراير (شباط) القى اسماعيل صدقى كلمة من الاذاعة أكد فيها من جديد تحريم المظاهرات [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٧] .

وبدات الحكومة عمليات جديدة من التنكيل والاضطهاد ضد الوطنيين وبحجة « مكافحة الخطر الشيوعى » قامت الحكومة بحملة من الاعتقالات الواسعة .

وفى ٢٣ فبراير (شباط) وبمبادرة من اللجنة التنفيذية الرئيسية للطلاب ، الجهاز الثورى المتقارب للجنة الوطنية للعمال والطلاب وجهت الدعوة فى الجامعة لعقد اجتماع يحضره جميع طلاب معاهد التعليم العالى بالقاهرة وطلاب المدارس الثانوية والمهنية المتوسطة . وبالفعل حضر الاجتماع بضع آلاف من الطلاب .وقد اصدر الطلاب المجتمعون القرارات التالية :

أولا : ابتداء من الرابع من شهر مارس (آذار) ولمدة ثلاثة أيام يعلن الحداد العام تخليدا لذكرى شهداء أحداث ٢١ فبراير (شباط) (فتعطل الدراسة ، وتنظم مسيرات جنائزية صامتة فى كافة أرجاء البلاد مع اشراك جميع طبقات الشعب وطوائفه . المطالبة بوقف البرامج الاذاعية خلال فترة الحداد . ومنع اصدار الصحف الانجليزية أو بيعها) .

ثانيا : تأييد قرار اللجنة الوطنية للعمال والطلبة الذى يطالب باصدار بيان بريطانى حول الجلاء التام للقوات الانجليزية عن البلاد .

ثالثا : مطالبة رئيس الوزراء بتقديم استقالته فى حالة تقاعسه عن تحقيق المطالب الوطنية .

رابعا : مطالبة الحكومة بما يأتى :

١ ـ اطلاع الشعب على مذكرة انجلترا بتاريخ ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٤٦ الموجهة ضد الشعب المصرى ، والرد عليها .

٢ ــ اعلان بيان الحكومة عن رأيها فى مطالب البلاد .

٣ ــ تعيين مندوب آخر لمصر لدى الامم المتحدة يحل محل الحالى .

٤ ــ الاسراع بنشر نتائج التحقيقات فى أحداث ٩ ــ ٢١ فبراير (شباط) لمعرفة الجناة .

٥ ــ العمل فورا على انهاء خدمة جميع الموظفين الانجليز فى البوليس المصرى .

٦ ــ مقاطعة تدريس اللغة الانجليزية فى جميع معاهد التعليم .

٧ ــ مطالبة كافة الصحف وقف حملة تبادل الشتائم والاتهامات وتوجيه كافة القوى لتحقيق المهام الوطنية . [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٤] .

وفى الرابع والعشرين من فبراير (شباط) توجه مصطفى النحاس زعيم الوفد يدعو جميع المصريين بمواصلة النضال [١١١ ، ١٩٤٦/٢/٢٥] . وفى اليوم نفسه كررت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة قرارها الصادر بتاريخ ٢١ فبراير (شباط) الذى يطالب باصرار بالعمل فورا على ابعاد القوات البريطانية من المدن المصرية الكبرى بغرض أمن المصريين . وعضدت اللجنة قرار اللجنة التنفيذية الرئيسية للطلبة باعلان يوم الاثنين ٤ مارس (آذار) يوما للحداد العام . وطالبت الحكومة المصرية العمل على الحصول على تعويضات من الحكومة البريطانية لضحايا وشهداء الاحداث الاخيرة . وأعربت اللجنة عن استنكارها للمذكرة البريطانية وكذلك لسياسة الارهاب وأساليب العنف البريطانية المتبعة ازاء مصر . واتخذت اللجنة فى هذا اليوم قرارا هاما يهدف للمزيد من تكاتف صفوف العمال والطلاب وتلاحمها الوثيق ، حيث أدانت الاتجاهات الانفصالية بين حفنة ضئيلة من الطلاب الواقعين تحت تأثير « الاخوان المسلمين » . واستنكرت كذلك بشدة اى عمل أو بيان من شأنه دق اسفين بين الطلاب والعمال [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٥] .

وفى الخامس والعشرين من فبراير (شباط) تم تنكيس العلم المصرى فوق حرم الجامعة وفوق جميع مبانى المعاهد والمدارس كلها واضرب الطلاب عن دروس اللغة الانجليزية . وتعطلت الدراسة فى جميع كليات جامعة فاروق الاول بالاسكندرية واعلن الحداد تخليدا لذكرى شهداء وضحايا ٢١

فبراير (شـــباط) . واعرب الطلبة عن احتجاجهم الصـــارخ ضـــد موقف السلطات العســـكرية البريطـــانية ازاء المظـــاهرات الســـلمية [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٤] .

وشهدت كذلك كل من مدينة بور سعيد وشبين الكوم والفيوم واسيوط ودمياط والمنصورة وطلخا والمنزلة وشربين وسمالوط وغيرها من المدن المصرية الاخرى مظاهرات الحداد الصامتة .

وفى صباح ٢٧ من فبراير (شباط) وقع فى المنصورة صدام بين المتظاهرين والبوليس كان ضحيته كثير من الجرحى والقتلى من الجانبين . وبعد الظهر قتل تلميذ آخر نتيجة الصدامات مع البوليس [١٣٦ ، ١٩٤٦/٢/٢٨] .

وعموما فان المنصورة كانت خلال شـــهر فبراير (شباط) ١٩٤٦ هى ثالث مركز فى الاهمية للحركة التحررية . فقد شـــهدت المدينة طوال هـــذا الشهر اصطدامات دامية بين المتظاهرين والبوليس .

وفى أواخر شهر فبراير (شباط) انحسرت موجة الحركة الشـــعبية . ولم تشهد سوى الاسكندرية وحدها بعض المظاهرات الضخمة .

ففى أول مارس (آذار) قام طلاب جامعة فاروق الاول باحراق جميع كتب اللغة الانجليزية الدراسية فى فناء الجامعة . وبالاضافة الى ذلك ، طلب الطلاب من اصحاب المحال التجارية سحب جميع اللافتات وصور الشخصيات الانجليزية من البيع [٦٠ ، ١٩٤٦/٣/٤] .

ومنعت الحكومة الصحافة من نشر أية أخبار عن اللجنة الوطنية للعمال والطلبة أو ذكرها بالمرة . والادهى والامر أن اللجنة اســـتطاعت بطريقتها الخاصة مخاطبة ابناء الشـــعب المصرى كله ودعوتهم لاعلان يوم ٤ مارس (آذار) يوما للحداد الوطنى تخليدا لذكرى الشهداء والضحايا الذين سقطوا فى ٢١ فبراير (شباط) والقيام باضراب عام .

يوم الحـــداد الوطنى

أظهر الشعب المصرى ثانية فى الرابع من شهر مارس (آذار) تماسك صفوفه وعزمه الاكيد على خوض النضال ضد الامبريالية البريطانية .

فأغلقت فى هـــذا اليوم فى القاهرة جميع المصالح العامة والمؤسسات الصناعية ومعاهد التعليم بكل مراحلها ، وأصيبت شوارع المدينة بشلل تام . وكانت تلوح فى الشوارع مجرد أشباح رجال البوليس والجيش . ولم تصدر فى هـــذا اليوم أية صحيفة على الاطلاق ، حيث اتخذ اتحاد بائعى الصـــحف قرارا بدعم وتأييد الاضراب العام [١١١ ، ١٩٤٦/٣/٥] .

واذا كان الحداد الذى شـــهدته القاهرة فى ٤ مارس (آذار) يتســـم بالصمت والهدوء ، فانه فى الاسكندرية تميز بالتوتر والصخب . فقد نظمت بالمدينة مظاهرات ضخمة فى ذكرى شهداء ٢١ فبراير . ومزق المتظـــاهرون العلم البريطانى بعد أن أنزلوه من فوق نادى البحرية البريطانية وهـــاجموا فندق « سيسيل » وكباريه « فيينا » وغيرها من المواقع الاخرى التى كان يكتظ فيها الانجليز .

وكان أخطر الاصـــطدامات هو ما وقع فى ميدان سعد زغلول ، حيث هاجم المتظاهرون موقع البوليس الحربى الانجليزى وأحرقوا أحد الاكشاك وقتلوا من فيه من جنود [١١١ ، ١٩٤٦/٣/٥] .

وكان من ضحايا الاصطدامات مع البوليس والقوات الانجليزية ٢٨ قتيل و ٣٤٢ جريح من بن المتظاهرين [٥٠ ، ص١٣١](١) وبلغت خطورة الموقف حدا اضطر معه رئيس الوزراء اسماعيل صدقى للســـفر الى الاســـكندرية وبرفقته اللواء عطا الله باشا . ولم تهدأ حدة المظاهرات فى المدينة . وأعطى صدتى تعليماته بقمع الحركة ، مهما تكلف ذلك من ضحايا . وكانت النتيجة استشهاد عشرين شخصا واعتقالات بالجملة [١٣٦ ، ١٩٤٦/٣/٦] .

وبالرغم من حملات التنكيل والاضطهاد فقد اســـتمرت المظاهرات فى الاسكندرية حتى ٧ مارس (آذار) . وقد طاف العمـــال والطلبة بشـــوارع المدينة الرئيســـية يرددون الاغانى الوطنيـــة حاملين العلم الوطنى المصرى [٦٠ ، ١٩٤٦/٣/١٠] .

---

(١) بناء على معلومات « التايمز » قتل فى الاســـكندرية يوم ٤ مارس جنديان انجليزيان وثمـــانية مصريين وبلغ عدد الجرحى ٢١٣ جريح [١١١ ، ١٩٤٦/٣/٥] .

وفى ١٠ مارس (آذار) ١٩٤٦ أصدرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بيانا جاء فيه « نشرت اللجنة ميثاقها الوطنى الذى يعد تعبيرا أصيلا وصادقا عن ارادة الشعب المصرى والذى يقر بأن الشعب لا يعترف بهؤلاء الزعماء أو هـذه الوفـود التى توافق على اجراء المفاوضات مع بريطانيا العظمى ولا يطالبون بأن تحدد بريطانيا العظمى مسـبقا موعد الجلاء عن وادى النيل وفى أقرب وقت . هـذا هو الطريق الوحيـد لحمـاية اسـتقلال بلادنا . ولا تعترف اللجنة بالمفاوضات التى يخطط لها صـدقى باشا ومتأكدة من أن مفاوضـات على هـذا الغرار لن تؤتى أية ثمرة تذكر ، اللهم الا معـاهدة كاريكاتيرية لا تسـمن ولا تغنى من جوع ، ولا تنتقص من سـيطرة الهيمنة الامبريالية شيئا . وستواصل اللجنة نضالها من اجل الجلاء عن وادى النيل .

« فلتحيا مصر حرة مستقلة ! » [١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ١٣ ، ص١٠٢] .

ولقد أصاب اطلاق النيران وأعمال التنكيل والاضطهاد ضـد العناصر الثورية والرقابة الصارمة حركة التحرر الوطنى بالوهن لفترة ما .

وتعيننا الدراسة المتأنية لاحداث فبراير (شباط) ١٩٤٦ على التوصل — من وجهة نظر الموقف السائد فى البلاد خلال السـنوات الاولى التى أعقبت الحرب — الى استنتاج انها كانت نقطة الذروة فى تصـاعد حـركة التحرر الوطنى للشعب المصرى . وأمكن بواسطة تدخل القوات البريطانية والتدابير الصـارمة التى اتخذتها الحكومة المصرية فقط وقف موجة الحركة الشـعبية وتحاشى حدوث انفجار ثورى فى القاهرة قلب البلاد .

ولقد اصابت أحداث فبراير صرح الامبريالية البريطانية المتداعى أصلا بحاله من الضعف والوهن ووافقت من حيث التوقيت حركة التحرر الجبارة فى الهنـد .

وبمبادرة من اتحاد الشـبيبه الديمقراطى العالمى أعلن يوم ٢١ فبراير يوما للنضال ضد نظام الحكم الاستعمارى . ويذكرنا هـذا اليوم بثلاثة أحداث غاية فى الاهمية فى تاريخ نضال الشعوب المغلوبة على أمرها من اجل الحرية والاستقلال الوطنى : انتفاضة البحارة الهنود فى فبراير ١٩٤٦ ومؤتمر شباب دول جنوب شرق آسيا الذى عقـد فى شهر فبراير ١٩٤٨ وأحداث ٢١ فبراير

١٩٤٦ فى مصر . وفى هـذا اليوم يعرب كل شرفاء العالم من ذوى الضمائر الحية عن تضامنهم مع نضال الكادحين فى البلدان المستعمرة والتابعة .

ان أحداث ٢١ فبراير لها مغزى كبير هام فى تاريخ حركة التحرر الوطنى المصرية .

ولم يكن لدى الطبقة العاملة المصرية فى ١٩٤٦ حزب مناضل قوى من شأنه تزعم نضال الشعب . ولم تكن البرجوازية المتمثلة فى حزب الوفد قادرة على القيادة الفعلية للحركة . وفى غمرة النضال شكلت الجماهير الشعبية اللجنة الوطنية للعمال والطلاب كجهاز قائد للحركة اشتركت فيها كل القوى الوطنية فى البلاد بالاضافة الى الوفديين اليساريين وممثلى التجمعات والاحزاب الوطنية البرجوازية الاخرى . وقد لعب الشيوعيون وقادة النقابات من ممثلى الطبقة العاملة دورا نشيطا فيها .

التحضير للمفاوضات مع انجلترا
بخصوص اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦

تقدم اتلى وبيفين وموريسون ودالتون من زعماء حزب العمال فى انجلترا أثناء الحملة الانتخابية فى عام ١٩٤٥ بوعود للناخبين بتغيير نهج السياسة الخارجية للحكومة واقامة سلام ديمقراطى وطويل ووطيد فى حالة الفوز فى الانتخابات . ووصف زعماء حزب العمال فوزهم على أنه بداية مرحلة تاريخية جديدة فى حياة انجلترا وهى « مرحلة بناء الاشتراكية داخل اطار الرأسمالية » . وبالرغم من كل تصريحاتهم هـذه فقد اتضح أنهم من غلاة المتعصبين لرسوخ واستقرار النظام الاستعمارى . وانتهج الليبراليون سياسة التشدد المطرد فى استغلال الكادحين فى الامبراطورية والدول المستعمرة لصالح الاحتكاريين الانجليز . ولم تتميز السياسة الخارجية لحكومة الليبراليين هى الاخرى فى شىء عن سياسة المحافظين . « فقد انتهجوا سويا مع المحافظين وكبار الراسماليين الامريكيين سياسة خارجية امبريالية واحدة » [٥٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٣ ، ص٤٩] .

وكانت سياسة حكومة اتلى وبيفين رجعية على وجه الخصوص تجاه شعوب الامبراطورية التابعة والمضطهدة . ولم تكون هـذه الحكومات تريد ،

بل لم تستطع أن تستوعب تلك التحولات العميقة الى شهدتها هـذه البلاد خلال سـنوات الحرب العالمية الثـانية .وكانت ، كغيرها من حكـومات المحافظين ، من الد اعداء حركة التحرر الوطنى وحاولوا ايجاد أساليب جديدة لاضطهاد الشعوب . ولم يكن من قبيل المصادفة أن ونستون تشرشل زعيم حزب المحافظين غالبا ما كان يبدى استحسانه ورضـاه لسـياسة بيفين الخارجية . وكان تشرشل مثل بيفين يعارض جلاء القوات البريطانيـة عن مصر ويعارض كذلك وحـدة وادى النيل [١٤٠ ، ١٩٤٦/١١/١٥ ، ١١١ ، ١٩٤٦/١١/١٥] .

وكان الشـيوعيون هم الوجـه الاصـيل المعبر عن ارادة الشـعب الانجليزى ، حيث قالوا : « ليس من مصلحة الشعب الانجليزى الاستمرار فى احتلال قواته لمصر . ان مصـلحتنا تنحصر فى المسـاعدة على بناء مصر المستقلة ذات السيادة ، والتى تتمكن فيها القوى الديمقراطية والطبقة العاملة من ازالة آثار الاقطاع وتهيئة حياة سـعيدة للملايين من الراسفين فى اغلال الاستغلال الامبريالى . ان المصالح الحيوية للشـعب البريطـانى مثلها مثل المصالح الحيوية للشـعب المصرى تكمن فى القضـاء على نفوذ وسـلطة راس المـال الاحتكارى على الشعب المصرى والشعوب المضطهدة الاخرى . وبدون ذلك لا يمكن تصـفية الفوضى الراسـمالية فى بريطـانيا العظمى » [٧١ ، ص٣٠] .

وقـد ورد فى برنامج الحزب الشـيوعى البريطانى ما يلى : « ان كل العلاقات القائمة بين شعوب الامبراطورية المعاصرة والمبنية على العبـودية السـياسة الاقتصادية والعسـكرية يجب أن تتوقف ويحل محلها علاقات تقوم على المساواة والاسـتقلال الوطنى التام . وهـذا يتطلب اسـتدعاء جميع القوات المسلحة من أراضى البلدان التابعة المستعمرة ومنح السـيادة للحكومات المنتخبة بحرية من قبل شعوبها » [٥٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٣ ، ص ٥٥] .

لقد أرغم النهوض العنيد لنضـال التحرر الوطنى للشعب المصرى فى شهر فبراير (شباط) وأوائل شهر مارس (آذار) ١٩٤٦ الحكومة الليبرالية للبدء فورا فى اجراء المفاوضات الانجلو مصرية المباشرة .

وفى ٣٠ مارس (آذار) أخبر رونالد كيمبيل السفير البريطانى فى مصر اسماعيل صدقى أنه مفوض من قبل حكومته أن يجرى المفاوضات مع الجانب المصرى . بيد أن صدقى طالب بتمثيل بريطانيا العظمى بوفد أكثر هيبة وأوسع اختصاصا [٧٨ ، ص٨٧] .

وفى الثانى من شهر ابريل (نيسان) حدد ارنست بيفين وزير الخارجية البريطانى أعضاء الوفد البريطانى الذى يجب عليه اجراء المفاوضات مع الحكومة المصرية لاعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ [١٣٦ ، ١٩٤٦/٤/٣] . وضم الوفد علاوة عليه السفير البريطانى فى القاهرة ووزير الطيران اللورد ستنسجيت . وتم تعيين كل من كينهام كورنويلز(١) وآرنولد ايفرتون والادميرال وليم تينانت والجنرال بيرنارد بيدجيت ومارشال الطيران تشارلز مايد هرست مستشارين عسكريين ومدنيين للوفد . وقرر بيفين ترأس الوفد » عندما تصل المفاوضات لمرحلة أكثر اهمية » [١٠٤ ، ١٩٤٦/٤/٢٠ ، ص٦٣٢] . والحقيقة أن اللورد ستينسجيت هو الذى ترأس الوفد ، لان بيفين مع كل هذا لم يحضر للقاهرة .

ويتضح لاول وهلة أن الوفد كان يضم ممثلين عن الجيش والطيران والبحرية . ولم يكن هذا محض صدفة ، لان الهدف الاساسى الذى وضعته حكومة أتلى — بيفين نصب عينيها هو التوصل لابرام اتفاق مع مصر لتشكيل مجلس دفاع مشترك تستطيع بموجبه الحفاظ على مواقعها داخل مصر بشكل متخف . واليكم ما كتبته مجلة « ايكونومست » ذات الانتشار الواسع عشية المفاوضات الانجلو مصرية : « طالما تواصل بريطانيا العظمى حماية وسائل

---

(١) كان كورنويلز يعمل منذ عام ١٩٠٦ فى مكتب المحافظ العام بالسودان . وأثناء الحرب العالمية الاولى كان يراس جهاز المخابرات السياسى فى الشرق العربى وشغل خلال الفترة من ١٩١٦ وحتى ١٩٢٠ منصب مدير « المكتب العربى » وانتقل فى عام ١٩١٩ الى مصر ، حيث اشتغل لفترة من الوقت مساعدا لرئيس جهاز المخابرات السياسى . وفى عام ١٩٢١ رافق الامير فيصل الاول (الذى صار ملكا فيما بعد) فى العراق . ومنذ عام ١٩٢١ وحتى ١٩٣٥ تولى كورنويلز منصب مستشار وزير الداخلية فى الحكومة العراقية ومنذ ١٩٤١ وحتى ١٩٤٥ عمل سفيرا لبريطانيا العظمى فى بغداد .

المواصلات الامبراطورية فى حوض البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط ستكون مشكلة العلاقات الانجلو مصرية هامة وحيوية لا بالنسبة للمملكة المتحدة وحدها ، ولكن أيضا بالنسبة لجميع أعضاء الكومنولث البريطانى ... أن بريطانيا تريد تأمين وسائل اتصالاتها ، ولذا فان مصر هى البلد المفيد والملائم ، لحماية ثرواتها بدون أى عون خارجي ، بالرغم من شدة ضعفها من الناحية العسكرية » [١٠٤ ، ١٩٤٦/٤/٢٠] .

وكانت الحكومة المصرية تجابه عشية المفاوضات مشاكل عويصة جمة ، على رأسها مشكلة اعادة « الهدوء والنظام » للبلاد .

ففى السابع والعشرين من فبراير (شباط) القى اسماعيل صدقى باشا فى مجلس النواب طالب فيه بأن تستعيد الشرعية والنظام مكانتها فى البلاد قبل بدء المفاوضات مع انجلترا [١١١ ، ١٩٤٦/٢/٢٨] . وكتبت « التايمز » تقول ان « المفاوضات يمكن أن تعقد فى جو من الهدوء فقط والحكومة البريطانية لعلى ثقة من أن الوزراء المصريين سيضطلعون بهذه المهمة على خير وجه ويوفرون الجو الملائم لهذا » [١١١ ، ١٩٤٦/٤/٢] .

ولقد شدد اسماعيل صدقى من عمليات مطاردة وملاحقة الطلاب والعمال والمثقفين التقدميين بهدف تهيئة « الظروف » المناسبة « للمفاوضات المعتادة » .

وفى ١٩ أبريل (نيسان) تم اعتقال مجموعة كبيرة من طلاب جامعة القاهرة واساتذتها [٦٠ ، ١٩٤٦/٤/٢٢] .

وفى ٣٠ ابريل (نيسان) امتنع طلاب جامعة فاروق الاول بالاسكندرية عن الدراسة وحاولوا تنظيم مظاهرة احتجاجا على سياسة الحكومة غير الوطنية . وتدخل البوليس وكان من ضحايا الاصطدامات ١٢ جريحا .

وفى أبريل (نيسان) حرم اسماعيل صدقى القيام بمظاهرات طلابية تحريما باتا . وفى ليل اول مايو احتلت قوات من الجيش المصرى مبانى جامعة الاسكندرية ، كما تم اعتقال بضع طلاب . غير أن هذا لم يزعزع من ثقة الطلاب فى انفسهم . وكان من ضحايا الاصطدام مع البوليس اثناء مظاهرات الاول من مايو قتل ضابط وشاويش مصريين وجرح ١٧ من البوليس و ٥٠ من الطلبة [١١١ ، ١٩٤٦/٥/٢ ، ٦٠ ، ١٩٤٦/٥/٣] .

ومن ثم ، فقد أخفقت عملية « تنقية الجو السياسى » لبدء المفاوضات الانجلو مصرية .

وانهار مخطط صدقى فى تشكيل وفد مصرى من رجال جميع الاحزاب السياسية ليضفى انطباعا وهميا عن سعة تمثيله .

وبادىء ذى بدء حاول صدقى الاتفاق مع الوفد الذى كان يهاجم وقتئذ سياسة الحكومة ، وأدرك صدقى استحالة تشكيل اى وفد كان لا يضم بين أعضائه ممثلين عن حزب الوفد . [١٠٤ ، ١٩٤٦/٣/٩ ، ص٣٦٨] . فالتقى فى الثانى والثالث والرابع من شهر مارس (آذار) عدة مرات فى البرلمان بصبرى أبو علم باشا زعيم المعارضة فى حزب الوفد . علاوة على ذلك فقد شوهد مع على الشمسى باشا(١) وفؤاد سراج الدين زعيم الجناح اليمينى فى الوفد [١١١ ، ١٩٤٦/٣/٦] . وقد رجاهما العمل على اقناع النحاس بالموافقة على اقتراحه بتشكيل جبهة موحدة من جميع الاحزاب السياسية .

وفى الرابع من شهر مارس (آذار) وجه صدقى للنحاس اقتراحا بالاشتراك فى المفاوضات . وقد اشترط الوفد لموافقته الطلبات التالية :

١ — ان يراس النحاس باشا الوفد المصرى .

٢ — ان تكون غالبية أعضاء الوفد من حزب الوفد .

٣ — التعهد بتقديم الضمانات الكافية لحزب الوفد باجراء انتخابات برلمانية فى أقرب وقت . وكان هذا يعنى بالفعل الرفض .

ورفض كذلك الحزب الوطنى اشراك مندوبه فى الوفد المصرى المرتقب ، اذ كان يتمسك بالمبدأ القائل « لا مفاوضات مع الانجليز الا بعد جلاء قواتها » [١٢٢ ، ص١٩٠] .

وفى السابع من مارس (آذار) أعلن اسماعيل صدقى عن تشكيل الوفد المصرى للمفاوضات مع بريطانيا العظمى . وكان الوفد يضم ١٢ شخصا من بينهم ثمانية لا حزبيين (اسماعيل صدقى ، محمد شريف صبرى ، على ماهر ،

---

(١) على الشمسى باشا عضو سابق بقيادة الوفد واحد زعماء الوفديين اليمينيين . وفى عام ١٩٤٦ لم يكن عضوا فى الوفد .

عبد الفتاح يحيى ، حسين سرى ، احمد لطفى السيد ، على الشمسى وحافظ عفيفى) واثنين من السعديين (النقراشى ، وابراهيم عبد الهادى) ومحمد حسين هيكل زعيم الاحرار الدستوريين ومكرم عبيد زعيم الكتلة الوفدية [١١١ ، ١٩٤٦/٣/٨ ، ١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ١٣ ، ص١٠٣] . وكان جميعهم تقريبا يرون أن مصر يجب أن توطد من تعاونها مع انجلترا . وكان بعض أعضاء الوفد ممن شاركوا فى المفاوضات السابقة التى انتهت بابرام معاهدة ١٩٣٦ وشخصيات ذات وزن ملموس فى الانقلابات المعادية للدستور والمدبرة من قبل دوائر القصر .

ونوه النحاس بأن هذا الوفد لا يمثل سوى ٢٠٪ من أبناء الشعب المصرى ، وشبه وضع مصر بالسفينة الموشكة على الغرق ودعا ابناء الوطن للتحرك النشيط قائلا : « عندما تهوى السفينة الى القاع ، يتحتم على الجميع العمل والحركة . ومن الضرورى مشاركة الجميع لاننا لو غرقنا سنغرق جميعا » . وقد أعرب عن شكوكه فى أن الحكومة ستسمح بحرية الرأى وأعرب عن مخاوفه ازاء « الزام الصحافة بالصمت الرهيب كما هو حادث الآن » [٦٠ ، ١٩٤٦/٥/٢٧] .

وكان اخفاق صدقى باشا فى محاولاته تشكيل وفد يضم ممثلى جميع الاحزاب السياسية نذيرا باجراء المفاوضات فى جو من المعارضة السياسية الخطيرة .

فشل المفاوضات مع انجلترا

وصل الوفد الانجليزى فى ١٥ أبريل (نيسان) برئاسة اللورد ستينسجيت الى القاهرة [١١١ ، ١٩٤٦/٤/١٦] [١٣٦ ، ١٩٤٦/٤/١٦] وبدأت فى اجراء مفاوضات غير رسمية . واقتصرت المفاوضات فى مرحلتها الاولى على كل من اللورد ستينسجيت والسير رونالد كيمبيل من جانب ومن الجانب الآخر صدقى وحده . واقدمت الحكومة البريطانية بيومين قبل بدء المفاوضات الرسمية على حركة غير متوقعة ، لتخفيف حدة الوضع داخل البلاد ولتخدير يقظة الشعب المصرى الذى وضع العراقيل بنضاله البطولى امام الحكومة الكومبرادورية الاقطاعية ومنعها من ابرام اتفاقية عسكرية مع انجلترا .

فقد أعلن اتلى رئيس وزراء بريطانيا العظمى فى السابع من شهر مايو (آيار) فى مجلس العموم موافقـــة الحكومة الانجليزية باجلاء قواتها البرية والبحرية والجوية من مصر ونوه بأن هـــذا الاقتراح سيقدم فى القاهرة للوفد المصرى [١١١ ، ١٩٤٦/٥/٨] . وقد أشار هربرت موريسون أحد شخصيات حزب الاحرار البارز فى كلمته التى القاها فى نفس الجلسة لمجلس العموم مدافعا عن قرار الحكومة قائلا : « بأنه الوسيلة الفعالة الوحيدة التى تسمح بابقاء التطور الدائم الملائم للمفاوضات مع مصر » . وأضاف « أن البديل (للجلاء عن مصر) هو الثورة » [١١١ ، ١٩٤٦/٥/٨ ، ١٠٤ ، ١٩٤٦/٥/١١] .

وقد أثار بيان اتلى موجة عاصفة من قبل معارضة حزب المحافظين التى طالبت بحماية مصـــالح بريطانيا العظمى والدول التابعة لها فى شرق البحر الابيض المتوسط .

والحقيقة أن قرار الحكومة البريطانية كان أكثر ايهاما على الورق منه فى الواقع ، فهو لم يمس من قريب أو بعيد مصالح انجلترا فى مصر حيث كان مشروطا بشرطين هما :

١ — سيتم جلاء القوات الانجليزية على عدة مراحل يتفق عليها مع المصريين .

٢ — يتعهد الجانبان بالاتفاق على التعاون المتبادل وقت الحرب أو فى حالة التهديد بالحرب ، زد على ذلك ، أن أتلى لمح بلا مواربة أنه فى حالة عدم ابرام معاهدة جديدة ، ستظل معاهدة ١٩٣٦ سارية المفعول [١١١ ، ٥/٨/١٩٤٦] .

وقد أعربت مجلة « ايكونومست » — بعد تحليل مستفيض للمناقشات التى دارت فى مجلس العموم — عن شكوكها فى أن بيان رئيس الوزراء سيلعب دورا فى كسب « ود مصر » . [١٠٤ ، ١٩٤٦/٥/١١] .

لم يتضمن بيان اتلى بتاريخ ٧ مايو (آيار) اى شىء جديد بناء بالمقارنة ببيـــان بيفين فى مجلس العموم الذى القاه فى مارس (آذار) ١٩٤٦ . تكلم وقتئذ بيفين قائلا : « من الواضح بجلاء ، أن معاهدة ١٩٣٦ ستبقى حتما على ما هى عليه ، فى حالة عدم التوصل لابرام معاهدة أخرى تحل محلها » ، وقـــد

أكد بيفين مرارا وتكرارا فى تصريحاته المتوالية خلال شهرى ابريل (نيسان)، ومايو (آيار) أن القوات البريطانية ستجلو عن مصر بشرط أن تدخل مصر مع انجلترا فى حلف عسكرى يمنح القيادة العامة للامبراطورية صلاحيات واسعة فى مصر » . وصرح المتحدث باسم وزارة الخارجية البريطانية فى ٧ مايو (آيار) ١٩٤٦ أن هذا الحلف العسكرى هو « حجر الزاوية للمعاهدة الجديدة » [٧١ ، ص٥] .

وقد زود بيفين الوفد الانجليزى فى مصر بالتعليمات التالية : « يجب الاصرار على ما يأتى أثناء المفاوضات الانجلو مصرية :

أولا : بقاء القوات الانجليزية فى منطقة قناة السويس طالما أن القوات المصرية لم تتلق التدريبات الكاملة ليكون بمقدورها الدفاع عن هذه المنطقة وحمايتها .

ثانيا : المحافظة على حق بريطانيا فى تقرير الوقت الذى يتعرض فيه أمن مصر للخطر .

ثالثا : سيطرة انجلترا على جميع القواعد الجوية والبحرية والعسكرية المصرية عندما تنشأ هذه الحالة [٦٠ ، ١٩٤٦/٥/٢٩] .

وعقد فى التاسع من مايو (آيار)، ١٩٤٦ أول لقاء رسمى بين الوفدين الانجليزى والمصرى وجرت المفاوضات فى جو من السرية التامة . وكان رجال السياسة المصريين المشتركين فى المفاوضات يدلون بتصريحات مبهمة [١٤٠ ، ١٩٤٦/٥/٢٣] .

وطالب الوفد الانجليزى بالتالى :

١ ــ تشكيل « مجلس الدفاع المشترى عن مصر وقناة السويس » يمنح حقوقا واسعة ويتمتع بامكانية التدخل فى الشؤون المصرية الداخلية ، حتى تتمكن القوات الانجليزية من احتلال مصر تلقائيا فى حالة نشوب حرب أو وجود خطر حرب .

٢ ــ موافقة مصر على استخدام قواتها المسلحة لصالح بريطانيا العظمى فى العمليات العسيكرية خارج حدود البلاد ، ولا يقتصر الامر على التحركات العسكرية المشتركة فى حالة تعرض احدى الجارات (فلسطين

وليبيا والسودان) لخطر الحرب ، بل وكذلك فى حالة تعرض أية دولة من دول الشرق الاوسط لخطر الحرب(١) .

وطالب كذلك اللورد ستينسجيت بابقاء المطارات المصرية الاربعة : الماظة وأبو قير والاسماعيلية ومرسى مطروح خاضعة للقوات الانجليزية [١١١ ، ١٩٤٦/٥/١] .

ولم تلق الشروط التى طرحتها انجلترا أى قبول أو استحسان حتى لدى صدقى الشديد الميل للاتفاق معهم . لان مسألة الاحلاف العسكرية كانت حجر الزاوية بالنسبة للشعب فى تقييمه لاية حكومة مصرية [٧١ ، ص٨] .

وكان الموضوع الهام الآخر فى المفاوضات هو مسألة جدولة جلاء القوات الانجليزية وكان الانجليز يأملون الاكتفاء فى المرحلة الاولى باجلاء قواتهم عن القاهرة والاسكندرية وغيرهما من المدن المصرية الكبرى الاخرى فقط ونقل قوات الاحتلال فى منطقة قناة السويس . [١١١ ، ١٩٤٦/٥/١] .

وكانت الدبلوماسية البريطانية تأخذ فى عين الاعتبار أن الركيزة الوحيدة لحكومة صدقى هى زمرة ضئيلة من كبار الاقطاعيين والاحتكاريين البرجوازيين وكانت هـذه القوى الرجعية المتحدة حول القصر تنظر بطبيعة الحال الى جيش الاحتلال البريطانى فى مصر على أنه ضمان أمين للمحافظة على مواقعها الاقتصادية والسياسية فى الحفظ والصون . وبهـذا الصـدد كتبت مجلة « ايكونوميست » تقيم موقف الحكومة المصرية برئاسة اسماعيل صدقى بالنسبة لمسألة جلاء القوات الانجليزية تقول : « ان الحكومة المصرية تود ابرام المعاهدة . وهى ليست من التهور لتطالب بالجلاء الفورى والتام للقوات الانجليزية ، كما أنها ليست من العناد لتطلب رحيل قوات الدفاع البريطانية بعيدا » [١٠٤ ، ١٩٤٦/٣/٩ ، ص٣٦٨] .

---

(١) اقترح الوفد المصرى بعـدم سريان مفعول البند الخاص بالدفاع المشترك فى حالة اذا ما كانت انجلترا هى المعتدية . بيد أن الوفد البريطانى عارض هـذا .

بيد ان الجانب المصرى عندما قابل الاقتراح الانجليزى بفكرة الجلاء التام للقوات الانجليزية ، طلب الوفد البريطانى فى البداية مدة خمس سنوات يمكن لانجلترا خلالها اجلاء قواتها عن مصر . واختصرت المدة فيما بعد لتصبح ثلاث سنوات . واقترح الوفد المصرى أن يتم الجلاء الشامل عن مصر خلال عام واحد .

وقد طلب الشعب المصرى الذى هب ثانية منذ شهر يونيه عن بكرة أبيه يدافع عن مصالحه الحيوية ويدين الحكومة بالخيانة طالبا الجلاء الفورى للقوات الانجليزية عن مصر . [١٤٠ ، ١٩٤٦/٨/٤ ، ٧١ ، ص٦] .

وظهرت خلافات مبدئية بشأن البند الثالث من المعاهدة وهو اعقد بنود المعاهدة كلها ، اذ كان الوفد المصرى يسعى لوحدة وادى النيل مصر والسودان . ورفض الجانب البريطانى دراسة هذه المسألة بحجة أن هذا الموضوع خارج على نطاق المفاوضات ولا علاقة له بها . وكانت حكومة الليبراليين تروج لمقولة ان السودانيين غير مستعدين للحكم الذاتى والسيادة . فمثلا ، صرح بيفين فى السادس والعشرين من شهر مارس (آذار) أى قبل بدء المفاوضات الرسمية ، انه من الضرورى فى المرحلة الاولى على السودانيين تشكيل « ادارة مستقرة » تنحصر مهمتها الاولى فى تكوين أجهزة الحكم الذاتى كخطوة أولى على طريق الاستقلال التام وذلك لضمان توفير « السلامة » للسودانيين . ثم استطرد قائلا بنفاق ، أنه يجب « تسريع عملية تعيين سودانيين فى المناصب الرفيعة بالدولة » وتنشئة « القدرة لدى جماهير الشعب للمواطنة الفعالة ، مؤكدا ان مهمة الحكومة السودانية الحالية يجب أن تتركز فى هذا الامر بالذات . [٦٦ ، ص٢١٧ ، ١١١ ، ١٩٤٦/٣/٢٧] .

وأعلن اتلى وبيفين بأن انجلترا لا تنوى تغيير الاوضاع السائدة حاليا فى السودان « حتى اتمام المشاورات مع السودانيين أنفسهم عبر القنوات الدستورية المشروعة » [٦٦ ، ص٢١٨] .

واتضح بجلاء خاص فى المسألة السودانية عدم رغبة حكومة اتلى بيفين « العمالية » الاستجابة لمطالب الشعب السودانى الوطنية . ولم يكن من قبيل الصدفة أن حظى موقف العماليين ازاء مسألة مستقبل السودان بالتأييد التام

من جانب المحافظين . فقد صرح انتونى ايدين فى ٢٦ مارس (آذار) فى مجلس العموم ، انه متفق تمام الاتفاق مع مستر بيفين بالنسبة لمسألة تطور السودان [٦٦ ، ص ٢١٨] .

لقد ترك النضـــال البطولى للشعب المصرى من أجل اســتقلاله خلال السنوات التى أعقبت الحرب بصماته البارزة والقوية على الحركة السودانية المناهضة للامبريالية [٢٣ ، ص١٠٩ ، ١١٠] .

وفى أواخر ١٩٤٥ وأوائل ١٩٤٦ شــهدت مدن الســـودان مظاهرات ولقاءات واضرابات معادية للانجليز طالب أثناءها العمال والطلبة والحرفيون وممثلو المثقفين والبرجوازية الوطنية بتصفية نظام الحكم المشــترك وجلاء القوات الانجليزية وتشكيل حكومة ديمقراطية وطنية [٢٨،ص١٠٤ — ١٠٥] .

وقد عمل « المؤتمر العام لخريجى معاهد التعليم العالى » على توحيد صفوف جميع الاحزاب المناضلة ضــد السيطرة الانجليزية . وفى ٢١ مارس (آذار) ١٩٤٦ دعا المؤتمر لعقد اجتماع يضم ممثلى سبعة احزاب طالب بالغاء الحكم المشترك وتشكيل حكومة ديمقراطية فى السودان .

وقد أصدر رئيس البوليس فى الخرطوم فى أوائل شهر مارس (آذار) ١٩٤٦ أمرا بتحريم المظاهرات [١٣٦ ، ١٩٤٦/٣/١٠] . وجابهت الامبريالية الانجليزية فى آن واحد تحركات الشــعبين المصرى والســـودانى . وانهالت السلطات الانجليزية بالاضطهاد والتنكيل ضد الوطنيين السودانيين . وبدأت حملة اعتقـــالات بالجملة . وأغلقت معظم معـــاهد التعليم العالى . وشن الامبرياليون فى البلاد حملة شعواء معادية لمصر .

وقد وصل الى القاهرة فى أواخر شهر مارس (آذار) ١٩٤٦ وعشــية بدء المفاوضات الانجلو مصرية وفد المؤتمر الوطنى السودانى ، وقد تقــدم ببرنامج تشكيل حكومة ديمقراطية فى السودان تقرر كيفية اتمام عملية الوحدة بين مصر والسودان ، وقد انقسم هـــذا الوفد على نفسه فيما بعد الى قسمين : طالبت العناصر المعـــادية للامبريالية بخروج الانجليز من الســـودان واتمام الوحدة مع مصر ، وطالب ممثلو الاقطاعيين والطوائف الدينية فى السودان « استقلال » السودان (عن مصر) و « الاتحاد » (اى الخنوع) مع انجلترا .

وكان القسم الثاني يمثل حزب « الامة » السوداني الذى كان يترأسه الاقطاعى الكبير عبد الرحمن المهدى(١) .

وفى ١٧ أبريل (نيسان) صرح محافظ السودان الجنرال جوبرت هادلسون ، أن السودانيين سيحصلون على الاستقلال بعد عقدين من الزمان ، وأنهم غير مستعدين لتحمل أعباء الحكم الذاتى . وقد اثارت هذه الكلمات عاصفة من السخط والاستياء فى كل من مصر والسودان . وكانت الصحف المصرية دائمة التنويه بأن المحادثات الخاصة باعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ يجب أن تتضمن ضمن بنودها مسألة السودان ، بينما تصريحات الجنرال المحافظ تنزع هذه المسألة من جدول أعمال المفاوضات [٦٠ ، ١٩٤٦/٤/٢٢] .

بيد أن الامبرياليين الانجليز كانوا ينطلقون من منطلق الحرص على المصالح الاحتكارية البريطانية وحدها ، والتى كانت تحرص أشد الحرص على تبعية السودان لها كمصدر يدر الارباح نتيجة استغلال الثروات الطبيعية وكوسيلة للضغط على مصر .

وأثارت كذلك مسألة الصياغة الجديدة للبند السابع من معاهدة ١٩٣٦، خلافات خطيرة . وهو البند الذى يتضمن التزام البلدين تجاه الدفاع عن مصر .

وكانت المفاوضات تسير بخطى السلحفاة وانقطعت فى مايو . وعاد رؤساء الوفد البريطانى الى لندن .

وكان السبب الرئيسى فى فشل المفاوضات يكمن فى الجو غير الملائم لها . فالارهاب وعمليات المطاردة التى كانت تقوم بها الحكومة ضد الوطنيين ، لم تؤد الى التنقية المطلوبة فحسب بل زادت الطين بله مما أساء الى الحوار الانجلو مصرى .

وتناولت الصحف المصرية فورا بعد توقف المفاوضات هذا الحدث بالتعقيب الواسع . واستشفت صحيفة « صوت الامة » بشكل جيد المزاج

---

(١) هو ابن المهدى محمد أحمد ، زعيم انتفاضة السودان ومؤسس دولة المهدية (١٨٨١ — ١٨٩٨) .

العام السائد وقتئذ فكتبت تقول « ان مصر تسود رحيل الوفد الانجليزى بلا رجعة » [١٤٠ ، ١٩٤٦/٥/٢٦] .

وقد نشر حامد سلطان فى صحيفة « الاهرام » مقالة تاريخية مطولة غاص فيها فى أعماق تاريخ العلاقات الانجلو مصرية وأوضح بجلاء أن بريطانيا العظمى قدمت مرارا وتكرارا الوعود بالجلاء عن مصر بشرط منحها الحق فى العودة اليها « فى حالة خطر الحرب » . وأوضح بأن العهود التى قطعها الانجليز على أنفسهم فى عام ١٩٤٦ لا تختلف فى شىء عن تصريحاتهم ١٨٨٧ .

ونشر ابراهيم عبد القادر المازنى أحد كبار الكتاب فى مصر فى صحيفة « المصرى » ومحمد مندور فى صحيفة « الوفد المصرى » مقالات لاذعة معادية للانجليز تطالب بوقف المفاوضات [١٤٠ ، ١٩٤٦/٥/٢٧] .

ونشرت صحيفتا « الوفد المصرى » و « المصرى » بيان اللجنة الوطنية للعمال والطلبة جاء فيه « ان النوايا العدائية التى يضمرها الانجليز لمصر كانت واضحة فى جميع المراحل وفى كل التصرفات . وهذا يؤكد أنهم امبرياليون مغتصبون لن يتورعوا عن سلب الحقوق المغتصبة طالما لم ننتزعها نحن بأنفسنا منهم » . وأدانت بشدة اللجنة الوطنية للعمال والطلاب حملة الارهاب التى تشنها الحكومة .

وفى ١٥ مايو (آيار) بدأت محاكمة قيادات النقابات المصرية . وتم اعتقال مجموعة من القيادات النقابية البارزة من بينها المدرك وزملائه أعضاء هيئة تحرير مجلة « الضمير » وسجنتهم لما يزيد عن أربعة أشهر . وتحت وطأة العديد من الاحتجاجات عرضت السلطة أخيرا قضيتهم على القضاء . وقد أخذ عبد الرحمن الرافعى أحد كبار المؤرخين المصريين والمحامى المشهور والاستاذ زهير جرانة رجل القانون الكبير على عاتقهما مسؤولية الدفاع عن الشخصيات النقابية . ووجهت الى أعضاء هيئة تحرير مجلة « الضمير » تهمة نشر مقالات تحرض على اسقاط النظام القائم وغيرها من التهم الاخرى .

وبفضل الدفاع الرائع حكمت المحكمة ببراءة المدرك ومحمود محمد السكرى وحكمت بالغرامة على الدكتور عبد الكريم السكرى (صاحب المجلة) وبالسجن ثلاثة اشهر على طه سعد عثمان ، وحتى هو لم يسجن نظرا للاكتفاء بمدة الحبس الاولية . [١٤٠ ، ٢ ، ١٩٤٦/٦/٣] .

وبعد فترة أفرج عن الشيوعيين أحمد رشـــدى صالح (رئيس تحرير مجلة « الفجر الجديد » وشهدى عطية الشـــافعى(1) من السجن [١٤٠ ، ١٩٤٦/٧/١١] .

تشـــكيل مؤتمر نقـــابات عمال مصر

وكان ربيع ١٩٤٦ بمثابة تتويج للحركة العمالية ونهضة جبارة لها .

وفى مايو ١٩٤٦ عقدت اللجنة التنفيـــذية لمؤتمر نقـــابات مصر واللجنة التحضيرية لتشكيل الاتحاد العام للنقابات واللجنة الوطنية للعمال والطلاب مؤتمرا وطنيا عاما لنقابات مصر . وقد حضر المؤتمر ممثلون عن النقـــابات العمالية فى كل من القاهرة والاســـكندرية وبور ســـعيد ودميـــاط ودمنهور والزقازيق والمحلة الكبرى وبنها وغيرها من المدن المصرية الكبرى الاخرى . وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات من بينها السياسية (جلاء القوات الانجليزية عن مصر) والاقتصادية (تحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للعمال) . وطالب مؤتمر النقابات الحكومة الاعتراف بأول مايو (آيار) عيدا رسميا للطبقة العاملة . واتخذ قرار بتوحيد النقابات المصرية فى مؤتمر نقابات عمال مصر [م ن ع م] . وكان المؤتمر يضم ممثلين عن مائة نقابة وأكثر [١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ٣١ ، ص٢٤٦] .

وفى يونيه (حزيران) ١٩٤٦ كان مؤتمر نقـــابات عمال مصر يضم ١٣٥ نقابة تمثل ١٥٠ ألف عامل [٧١ ، ص٢٢] . وقد قام المؤتمر بتحمل عبء كبير ، ولعب دورا هاما بين أوساط البروليتاريا المصرية ، وساعدها فى خوض غمار النضـــال من أجل اســـتقلال الوطن ومن أجل نيل الحقـــوق الاقتصـــادية والســـياسية .

---

(1) ولد شهدى عطية الشافعى فى الاســـكندرية عام ١٩١١ ، وقضى نحبه فى سجن أبو زعبل ١٩٦٠ . صـــاحب البحث المعروف « تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨٨٢ ــ ١٩٥٦ » [٥٠] . وقـــد ترجم هـــذا البحث الى لغات عديدة وترجمها للغة الروسية سوليوف .

وبالرغم من كل ذلك فقد كان النجاح المتحقق نجاحا جزئيا ، لان مؤتمر نقابات عمال مصر لم يستطع أو يوحد بين صفوفه حتى نصف بروليتاريا المصانع فى ذلك الوقت ، بصرف النظر عن المجموعات الكبيرة من عمال وحرفيي المشاريع الصغيرة والبسيطة . وكما ذكرنا آنفا ، فقد كان المؤتمر يضم فى شهر يونية (حزيران) ١٩٤٦ (أى فترة ازدهاره) ١٣٥ نقابة ، بينما الاحصائيات الرسمية تشير الى وجود ٤٤٨ نقابة فى البلاد ، والبعض الآخر يقول بوجود ٦٠٠ نقابة . وكان من بين النقابات المشتركة فى مؤتمر نقابات عمال مصر نقابات رجعية اصلاحية ظلت خاضعة لنفوذ « الاخوان المسلمين » أو الاحزاب البرجوازية الاقطاعية (مثل نقابة عمال الترام القوية) [١٠٦ ، ١٩٤٩ ، رقم ٣ ، ص٢٨٢ — ٢٨٤] . والجدير بالذكر أن كثيرا من النقابات الاصلاحية انسحبت من مؤتمر النقابات وكانت تعارض بالذات نقطة اقامة علاقات بين المؤتمر وبين اتحاد النقابات العالمى .

وفى نهاية مايو (آيار) نظم مؤتمر نقابات عمال مصر عددا من الاضرابات الضخمة من اهمها اضراب عمال الغزل والنسيج فى شبرا الخيمة الذى اشترك فيه ٢٠ الف عامل . وقد احتل العمال المصنع (حتى لا يسمحوا بتسلل العناصر التى تعمل على احباط الاضراب الى هناك) . وقد حوصر المضربون بقوات من الجيش مزودة بالدبابات والسيارات المصفحة . وقد قطع عنهم الماء والكهرباء . ومنعت قوات البوليس تزويدهم بالطعام . وبعد ثلاثة أيام أرغم الجوع العمال على مغادرة المصنع ، الا أن الاضراب ظل مستمرا على ما هو عليه .

وتم استدعاء ١٦ من ممثلى العمال الى البوليس للتفاوض . بيد أنه بمجرد وصولهم الى هناك تم اعتقالهم . واحتجاجا على هذا العمل الخائن أعلنوا الاضراب عن الطعام ، وتم نقلهم بعد خمسة أيام الى المستشفى فى حالة صحية سيئة . وقد بلغ عدد المعتقلين من العمال حتى بداية شهر يونيه (حزيران) بناء على الاحصاءات التى أوردتها صحيفة « الوفد المصرى » (بالرغم من تحذير الحكومة بنشر أية أخبار عن الاضراب) ٨٠ معتقلا .

ومنع البوليس العمال من الجلوس فى قهوة شبرا الخيمة . وبالرغم من ذلك فقد اجتمع العمال واتفقوا فيما بينهم على طرح المطالب التالية :

١ — الافراج عن كافة المعتقلين .

٢ — العمل فورا وبلا اى قيد او شرط على فتح جميع المصانع والمشاريع المغلقة بسبب الاضراب . ؟

٣ — التوقف عن أعمال العنف والتعسف ازاء العمال .

٤ — أن تقوم لجان التحكيم باصـــدار احكام عادلة فى المنازعات بين العمال وأصحاب العمل .

وبعث العمال برسالة لنواب البرلمـــان يطالبون فيها حمايتهم من عسف واستبداد أصحاب العمل [١٤٠ ، ١٩٤٦/٦/٥ ، ١٤٣ ، ١٩٤٦/٥/٣٠ ، ١٩٤٦/٦/٣] .

واستمر الاضراب طيلة شهر يونيو (حزيران) كله والثلث الاول من شهر يوليو (تموز) . وكان هـــذا الاضراب يعد بمثابة أضخم اضراب تشهده البلاد فى فترة ما بعد الحرب من حيث دقة تنظيمه وطول مدته وكثرة أعـــداد المشتركين فيـــه .

وقد تزامن اضراب شبرا الخيمة فى التوقيت مع اضراب عمال مصانع الحكومة فى الاســـكندرية ، والذى اشـــترك فيه ١٢ الف عامل [٢٦ ، ص٣٨٢ — ٣٨٤] .

وكانت اللجنة الوطنية للعمـــال والطلبة قد وجهت فى احد اجتماعاتها بالاسكندرية نداء للشباب تستنكر فيه اشتراك مندوبين عن الحكومة المصرية فى احتفالات لندن (فى العاشر من يونية (حزيران) بمناسبة يوم النصر . ودعت اللجنة الى اعتبار هـــذا اليوم اضرابا وحدادا عاما وطالبت باستدعاء الوفد المصرى من انجلترا ، التى رفضت تلبية « المطالب المقدمة » للشعب المصرى . واختتم النداء بالشعارات التالية : « فلتحيا مصر ! » « ولتســـقط الامبريالية وأعوانها » .

وقد حظى قرار اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بالدعم وتأييد مؤتمر نقابات عمال مصر الذى توجه لرئيس الحكومة بنداء يعرب فيه له عن مطالب العمال . وقد اتخذت اللجنة التنفيذية لمؤتمر نقابات عمال مصر قرارا باعتبار العـــاشر من شـــهر يونية (حزيران) ١٩٤٦ اضرابا شـــاملا احتجاجا على تصرفات

الحكومة . وتضمن البيان ضـــمن فقراته أن « عمال مصر كلهم عزم واصرار على تحقيق مطالبهم مهما كانت الصعاب والعقبات التى يتحتم عليهم تذليلها » [١٤٠ ، ١٩٤٦/٦/٩] .

وقد انضم فيما بعـــد الى جانب الطلاب والعمال ليشـــتركوا معهم فى الاضراب بنشـــاط وفعالية الموظفون من مدرسين ومهندسين وفنيين وأطباء والعاملين فى المستشـــفيات وعمال المواصلات واللاسلكى بل وحتى رجال البوليس [١٣٧ ، ١٩٤٦/٧/٢ ، ١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ٣١ ، ص٢٤٦] . وردا على هـــذا أعدت الحـــكومة فى الثالث من شـــهر يوليو (تموز) ١٩٤٦ مشروع قانون يقضى بمعـــاقبة موظفى الدولة ممن اشـــتركوا فى الاضرابات [١٣٧ ، ١٩٤٦/٧/٣] . وكان القانون ينص على توقيع عقوبة السجن الذى تتراوح مدته من ٣ أشهر وحتى عام وغرامة مالية قدرها ٥ جنيه (خمســـة جنيهات مصرية) وأكثر .

والجدير بالذكر حقا أن الآلاف من الوطنيين المصريين قد اشـــتركوا فى الحملة المعادية للامبريالية . « وكانت قوة هـــذه الحركة تنبع من نضـــال البسطاء من أبناء شعب مصر من أجل حياة أفضل ، مطالبين بالجلاء كخطوة أولى على طريق تحسين أحوالهم الاجتمـــاعية والاقتصادية . وقد كان لهم بالفعل ما أرادوه » [٧١ ، ص٢٠] .

ونشرت اللجنة التنفيذية لمؤتمر نقابات عمال مصر فى النصف الثـــانى من شـــهر يونيه (حزيران) بيانا تستنكر فيه سياسة الحكومة تجاه العمال . وفى هـــذا الصدد توجه مؤتمر نقابات عمال مصر بنداء لعمال مصر كلهم يدعوهم فيها باعتبار الخامس والعشرين من شهر يونيه (حزيران) ١٩٤٦ اضرابا عاما . وقد وقع على البيان كل من حسين كاظم وطه سعد عثمان أمينا عموم مؤتمر نقابات عمال مصر [١٣٧ ، ١٩٤٦/٦/٢٣] وقد تم اعتقالهما عشـــية اضراب عمال مصر كلها المرتقب [١٣٧ ، ١٩٤٦/٦/٢٦] . وفشلت عملية الاعداد والتنظيم لاضراب شامل ، بيد أنه ، ليس من الانصاف أن نرجع السبب فى فشل اضراب يوم ٢٥ يونيه (حزيران) الى المطاردة والتعقب وحـــده . ويرجع السبب فى ذلك أول ما يرجع الى أن عددا من النقابات المشـــتركة فى

مؤتمر نقابات عمال مصر كانت خارج نفوذ المجموعات الشيوعية والماركسية . وكان الصراع الدائر بين هذه المجموعات من العوامل التى أصابت المؤتمر بالضعف والوهن . وقد أنزلت الدعاية التى كانت تروج لها جمعية « الاخوان المسلمين » وغيرها من الجماعات الاسلامية القومية الاخرى الضرر البليغ بوحدة صف الحركة العمالية .

وقد أدركت حكومة صدقى تمام الادراك مدى الخطورة التى تنطوى عليها أنشطة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ومؤتمر نقابات عمال مصر على نظام الحكم فى البلاد . ولهذا السبب فقد عملت بكل وسعها على تشجيع التنظيمات الشبابية « للاخوان المسلمين » والذين شكلوا بالاشتراك مع شباب أحزاب « الاقلية » « اللجنة القومية » لتجابه اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وتقلص من تأثيرها ونفوذها [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٩] .

وقد تشكلت فى مقر قيادة الجمعية اللجنة التنفيذية العليا للطلبة لاخماد جذوة اللجنة التنفيذية الرئيسية للطلبة [١١٥ ، ص٨٥] .

ولم يأل صدقى جهدا فى بذل الغالى والرخيص من أجل اللجنة القومية ، وبينما حرم على اللجنة الوطنية للعمال والطلبة نشر أية بيانات أو نداءات وعلى العكس من ذلك كانت اللجنة القومية تتمتع بامكانيات واسعة لنشر وبث دعايتها على صفحات الجرائد والمجلات الرجعية . وكانت هذه محاولة أخرى من سلسلة المحاولات التى تبذلها جمعية « الاخوان المسلمين » للاستيلاء على قيادة حركة التحرر الوطنى ، بيد أنها فى هذه المرة أقدمت على ذلك بالتواطؤ مع القمة الحاكمة والتآمر مع السفارة الانجليزية . وقد قامت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بفضح هذا المخطط الرخيص فى بيان خاص تضمن ما يلى : « منذ بداية الفترة الراهنة من النهضة الوطنية وجمعية الاخوان المسلمين تعمل جاهدة على تنظيم المؤامرات وتحيك الدسائس بغرض القضاء على الحركة الوطنية أو محاولة توجيهها الوجهة التى تمشى مع أهوائهم من العدول عن تحقيق المطالب المطروحة عليها . وبذا تقدم العون للامبريالية وحدها » .

ويستطرد البيان قائلا ونظرا لان اللجنة الوطنية للعمال والطلبة هى منظمة شرعية تمثل الطلاب والعمال والموظفين ومنتخبة بطريق ديمقراطى حر

ومشكل لقيادة النضال المناهض للامبريالية على مستوى طبقات الشعب المختلفة ، فان « الاخوان المسلمين » تسعى للنيل من شأنها والحط من قدرها . ولهذا السبب شكلت الجمعية لجنة عمال وطلاب لا تمثلهم فى شىء على الاطلاق ، اللهم الا لنشر البيانات المضادة والمعادية للجنة الوطنية الشرعية . وقد شكلت كذلك « اللجنة القومية » التى فاضت روحها وهى فى المهد . ووضحت للجميع نوايا الجمعية فى الوقت الراهن التى تدعو للعزلة الدينية واحداث صدع فى وحدة الشعب لصالح الامبريالية . وتخوض الجمعية صراعا ضاريا ضد اللجنة التنفيذية الرئيسية للطلبة مستخدمة فى ذلك احط الاساليب الفاشية والارهابية لحد استخدام العصى الغليظة . واتبع « الاخوان المسلمون » الاساليب نفسها ضد عمال شبرا الخيمة . ويستنكر مؤتمر نقابات عمال مصر الاعمال العدائية للجمعية ، الموجهة ضد اللجنة التنفيذية الرئيسية للطلبة ويطالب الحكومة باتخاذ التدابير الحاسمة كى يقطع الطريق عليها . وينوه مؤتمر نقابات عمال مصر أن جميع العمال المشتركين فى التنظيم فى مصر يؤيدون اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وحدها وتحذر زملائها العمال من الانضمام الى اية لجنة أخرى تشكلها جمعية « الاخوان المسلمين » .

وانتهى البيان بالشعارات التالية : « فلتحيا اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » فلتسقط الفاشية ! فلتسقط الامبريالية ! » [١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٥٩] .

وواصلت اللجنة الوطنية مسيرة النضال بالرغم من مطاردة وتعقب أعضائها وقادتها . ونشرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة فى الثامن من يولية (تموز) ١٩٤٦ نداء ضمنته مطالبها التالية للحكومة :

١ — قطع المفاوضات مع انجلترا .

٢ — دراسة مشكلة وادى النيل على انها قضية دولية يجب طرحها على مجلس الامن فى الامم المتحدة .

٣ — العمل فى ١١ وليو (تموز) وهو اليوم الذى قصف فيه الانجليز

الاسكندرية(١) بالقنابل على تجديد الحرب المقدسة من أجل الاستقلال الوطنى .

وفى العاشر من يولية (تموز) ١٩٤٦ وقع ممثلو ١٥ تنظيم ديمقراطى (من بينهم تنظيمات شبابية لاحزاب الوفد والوطنى والكتلة الوفدية) نداءا جاء فيه : « غدا ينصرم عام آخر على الذكرى الحزبية . واننا لندعو كل طبقات الامة وتنظيماتها لتظهر فى هذا اليوم عواطفها الحقيقية الاصيلة رمزا لانصهار الآلام مع النضال الحاسم من أجل الحرية [١٤٠ ، ١٩٤٦/٧/١٢ ، ١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٦٠] . ودعت كافة الصحف الوطنية للمظاهرات . وبهذا الصدد أصدرت الحكومة قانونا جديدا يحرم المظاهرات والاضرابات [١٤٠ ، ١٩٤٦/٧/١٢] .

وبالرغم من أعمال الاضطهاد والتنكيل ، الا أن الحركة الرامية لقطع المفاوضات الانجلو مصرية والجلاء الفورى للقوات الانجليزية ازدادت اتساعا وعمقا .

ضرب اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ومؤتمر نقابات عمال مصر

قررت حكومة صدقى باشا تسديد ضربة قاسمة للحركة الديمقراطية . فقام بوليس القاهرة وغيرها من المدن الاخرى فى السابع من شهر يولية (تموز) ١٩٤٦ بحملة واسعة من التفتيش والاعتقالات .

وقد اعتقل عدد كبير من الشباب والفتيات بتهمة الترويج للافكار الشيوعية [١٣٦ ، ١٩٤٦/٧/٨] . وفى التاسع من شهر يونيه (تموز) ١٩٤٦ تم اعتقال ستة من العمال والطلاب .

---

(١) ١١ يولية (تموز ١٨٨٢ بدأت اساطيل انجلترا البحرية تقصف مدينة الاسكندرية بوابل من قنابلها . اعلانا منها ببدأ فترة السيطرة الانجليزية على البلاد وتأتى فى ١١ يولية (تموز) ١٩٤٦ الذكرى الـ ٤٦ لهذا الحدث الاليم .

ونشرت الصحف المصرية فى العاشر من شهر يولية (تموز). مشروع قانون جديد حول « مكافحة الشيوعية » ينص على عقوبة السجن لمدة عشر سنوات لكل من تخول له نفسه العمل على اسقاط نظام الحكم القائم [١٣٦ ، ١٩٤٦/٧/١٠ ، ١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ٣١ ، ص٢٤٦] .

وتضمن القانون كذلك عقوبة السجن الرادعة والغرامة المالية الضخمة لكل من تسول له نفسه الاشتراك فى الحركة الشيوعية . ومنح القانون السلطات القضائية حق حل التنظيمات الشيوعية ومصادرة أملاكها وأموالها . وكان من الواضح ، أن مشروع القانون هذا يراد به اشهار السيف على اللجنة الوطنية للعمال والطلبة التى تتزعم نضال الشعب المعادى للامبريالية ، وطعن مؤتمر نقابات عمال مصر الذى كان يعمل لتوحيد صفوف جميع نقابات مصر داخل اطار تنظيم نضالى واحد .

ولقد قررت الرجعية المصرية انزال ضربة قوية وسريعة بالحركة الديمقراطية بعد أن تيقنت من أن كل محاولاتها لاحداث شرخ فى وحدة صف المناضلين من أجل الاستقلال الوطنى باءت بالفشل ، بعد أن أحست بالخطر الداهم من المد الجديد للحركة المعادية للامبريالية .

فبدأت فى ليلة الحادى عشر من يولية (تموز). حملة من الاضطهاد والتنكيل ضد التنظيمات التقدمية كانت حكومة صدقى قد دبرت لها منذ عهد بعيد . فتم فى القاهرة والاسكندرية وبور سعيد وغيرها من المدن المصرية الكبيرة الاخرى اعتقال زعماء نقابيين وطلبة صحفيين وفديين « واشتراكيين متعاطفين مع الشيوعيين » [١٤١ ، ١٩٤٦ ، ١٠ ، ص١٦] وكتاب تقدميين . وداهمت الحكومة معاقل ١١ تنظيم موال للشيوعية كانت تضم دوائر المثقفين ذات الميول التقدمية [٩١ ، ص١٧٣] .

وبلغ عدد المعتقلين حتى ١٢ يولية (تموز) ١٩٤٦ ما يزيد على ٢٠٠ مواطن . وكان من بين المعتقلين شخصيات بارزة فى حركة التحرر الوطنى من كبار الكتاب التقدميين المصريين مثل عبد الرحمن الشرقاوى(١) وسلامة

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوى من مواليد ١٩٢١ له العديد من القصص =

موسى[1] ومحمد مندور العالم البارز ورئيس تحرير مجلة « البعث » ورئيس القسم السياسى بصحيفة « الوفد المصرى » فتحى الرملى وأحمد رشدى صالح[2] ونور كامل وهم من الكتاب الاجتماعيين المشهورين ومن ذوى الميول الماركسية والمدرك وفؤاد ناحوم ومراد القليوبى من قادة الحركة النقابية ، وهنرى كوريل من مؤسسى الحركة المصرية للتحرر الوطنى وصاحب محل لبيع الكتب الاشتراكية ، وجمال غالى أحد قادة الطلبة المشهورين ومحمد عبد المعبود الجبيلى ولبيب حنا جرجس وسعد زغلول ورمسيس يونان وأسعد حليم وعمر رشدى واحمد كامل قطب والدكتور محمد بلال وسيد هلال ومصطفى كامل منيب وأبو بكر نور الدين والدكتور محمد الشحات وأبو سيف يوسف أبو سيف ونعمان عاشور ومحمد متولى ولطف الله سليمان ومراد الياس وعبده دهب وعلى الصيرفى وغيرهم من رجال السياسة اليساريين المشهورين كذلك ومنهم الماركسيين والاشتراكيين والوفديين اليساريين [١٤٠ ، ١٩/٧/ ، ٤ ، ١٩٤٦/٨/٩ ، ١١٢ ، رقم ٣١ ، ص ٢٤٦] .

أصدرت الحكومة منذ بدء المفاوضات مع انجلترا سلسلة كاملة من القوانين الرجعية ، تحرم على الطلاب القيام بأية مظاهرات أو تنظيم أية اضرابات أو الاشتراك فى الحياة السياسية وتحرم على العمال تنظيم أى نوع

= والروايات منها «الارض» و «الشوارع الخلفية» ومجموعة قصصية مكرسة لنضال الشعب المصرى من أجل الاستقلال . وفى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينيات تزعم معسكر « الشباب » فى « الجدل المشهور بين الجيل القديم وبين الشباب » كان يناظر فيه الكاتبين العملاقين طه حسين وعباس محمود العقاد .

(١) نشر سلامة موسى فى ١٩٢٧ كتابا مكرسا لتاريخ النضال من أجل الحرية فى البلدان العربية فى أوربا . وأصدر فى عام ١٩٤٦ كتاب « حرية الفكر فى مصر » طالب فيه بتغيير قانون الصحافة الذى يحد من حرية النشر والكتابة وتصفية ادارة شئون الصحافة التى يستحيل بدون اذنها اصدار أية صحيفة أو مجلة [١٠٠ ، ص١٤٠]

(٢) كان هذا هو الاعتقال الثالث لاحمد رشدى صالح خلال سبعة اشهر فى عام ١٩٤٦ .

من الاضراب وفى الوقت نفسه سمحت بالطرد التعسفى من العمل ، وارغمت هيئات القضاء والتحكيم على حماية مصالح أصحاب العمل . وحرمت على الصحافة توجيه أى انتقاد للحكومة أو نشر أية أخبار عن المظاهرات والاضرابات أو نشر أية مواد تعمل على افساد جو المفاوضات الانجلو مصرية . وحرمت تكوين أى نوادى سياسية وكانت هناك عدة قوانين تستهدف النيل من الحركة الشيوعية [١١٢ ، ١٩٤٦ ، رقم ٣١ ، ص٢٤٦] .

وقد تم اغلاق ١١ صحيفة ومجلة وفدية واشتراكية منها « البعث » و « الوفد المصرى » و « الفجر الجديد » و « الطليعة » و « الضمير » و « اليراع » و « أم درمان » و « الجبهة » والتى كانت تنتقد وتهاجم سياسة الحكومة الموالية للامبريالية ، ولاسيما مشروع تكوين نظام « الدفاع المشترك » مع انجلترا .

وبناء على تعليمات من صدقى باشا تم توجيه تهمة « التآمر الشيوعى » الى مجموعة الصحفيين المعتقلين . وأرسل الصحفيون رسالة للنيابة العمومية يحتجون فيها على الاتهام المبنى على وشاية « مخبرى البوليس السياسى » وطالبوا بالافراج عنهم فى أسرع وقت [١٤٠ ، ١٩٤٦/٨/٤] . وبعد بضعة أيام أعلنوا الاضراب عن الطعام احتجاجا على تصرفات السلطات غير الشرعية (لم يتناول أحد المتهمين وهو أحمد محمد على الشاعر الطعام على مدى شهر كامل وساءت حالته الصحية بشكل خطير ، وقام الاطباء بعملية نقل الدم اليه) . وخلال شهرى يولية (تموز) وأغسطس (آب) بعث المعتقلون بعدة رسائل احتجاج [١٤٠ ، ١٩٤٦/٨/٩] وأعرب عدد من كبار المحامين عن التطوع للدفاع عن المتهمين فى « قضية الشيوعية » .

وأغلقت الحكومة عددا كبيرا من المراكز الثقافية ، بما فى ذلك دار الابحاث العلمية واتحاد خريجى الجامعة ، واتحاد خريجات الجامعة ، ولجنة نشر الثقافة الحديثة ، واتحاد الشباب الوطنى ، ودار « القرن العشرين » ، واتحاد فتيات الجامعة والمعاهد ، « ورابطة أم درمان » ومركز الثقافة الشعبية ، ونادى « الشرقية » [١٤٠ ، ١٩٤٦/٧/١٩] .

واصدرت النيابة العامة قرارا يحظر بمقتضاه على الصحافة نشر أية أخبار عن مجرى التحقيق فى « قضية الشيوعيين » وتحريم نشاط ١١ صحيفة ومجلة وكذلك تحريم الاضرابات . وبالرغم من هذا ، فقد صبت الصحافة جام غضبها على الحكومة لسعيها لوأد حرية الفكر والصحافة وقامت كل من صحيفة « مسامرات الجيب » و « المصرى » و « الكتلة » و « المقطم » ومجلة « المصور » و « روز اليوسف » بالدفاع عن الجماعات الماركسية والوفديين اليساريين . وكانت جميعها تنوه بأن الحكومة تعمل على قهر الحريات الديمقراطية تحت شعار مكافحة الشيوعية . فمثلا كتبت صحيفة « مسامرات الجيب » تقول : « اننا فى دهشة من أمر الوزارة التى وجهت كل قوتها لضرب حرية الفكر فى البلاد تحت ستار حماية النظام الاجتماعى القائم من خطر الشيوعية » [١٤٠ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٩٤٦/٧/٢٤] .

وهبت الصحف التقدمية فى كل من سورية ولبنان وغيرها من بلدان الوطن العربى تدافع عن الوطنيين المصريين ، فى الوقت الذى لم تخف فيه الصحافة الانجليزية اعجابها بسياسة صدقى باشا . فقط صحيفة « الديلى وركر » كتبت تقول فى تعليقها : « ان الحملة التى تشنها حكومة صدقى باشا ضد الاحزاب اليسارية والحركة الوطنية التقدمية فى مصر لخير دليل على مدى الرعب الذى تشعر به الحكومة أمام الشعب المصرى ، والذى لا يوجد وسط أبنائه ، مواطن واحد يؤيد الاتفاق مع بريطانيا العظمى » [١٠٣ ، ٧/١٣ /١٩٤٦] .

واحتدم النقاش تحت قبة البرلمان المصرى . ففى ١٥ من يولية (تموز) طرح صبرى أبو علم باشا زعيم المعارضة الوفدية على مجلس الشيوخ مناقشة موضوع الغاء بعض الصحف [١٤٠ ، ١٩ ، ١٩٤٦/٧/٢٥] .

وردا على هذا القى صدقى باشا خطبة عصماء طويلة فى البرلمان حاول أن يبرر فيها حملة الارهاب التى دبرتها حكومته ويبرهن على أن الصحف المحظور نشاطها هى اجهزة شيوعية .

وقد ضمن صدقى باشا خطبته هذه فقرات اقتبسها من صحيفة « الوفد المصرى » و « الطليعة » وغيرها من الصحف التقدمية الاخرى . فهى تعطى صورة عن هوية وايديولوجية القيادة الشعبية الجديدة .

« الحكومة تجعل من الاثرياء أكثر ثراء ، ومن الفقراء أكثر فقرا . ان الجزء الاعظم من ثروات مصر حكر على حفنة ضئيلة من الاقلية التى لا تتمنى للشعب سوى الفقر والجهل والمرض . الباشاوات الرأسماليون أعضاء فى مجالس ادارات العديد من الشركات التى تعمل على استغلال الشعب بوحشية وضراوة ولا هم لها سوى جمع الارباح الطائلة » .

« ان الشعب كله عزم وتصميم على تغيير الاوضاع الاجتماعية » .

« ان القوانين فى معظمها تهدف لخدمة الرأسماليين » .

« على الجماهير الشعبية أن تلعب دورا أكبر اليوم فى الحركة الوطنية ، لان الطبقات الحاكمة تتعاون فى الوقت الراهن مع الامبريالية » .

« ان تقسيم الثروات الوطنية الظالم يتطلب اعادة توزيع الارض ، وتوزيعها على الفلاحين على شكل قطع أرض صغيرة مع بناء النظام التعاونى » [١٣٦ ، ١٩٤٦/٧/١٦ ، ١٤٢ ، ١٩٦٦ ، رقم ٢ ، ص٦٠ ، ٥٠ ، ص ١٣٦] .

واضطر حسين هيكل باشا زعيم حزب الاحرار الدستوريين ورئيس مجلس الشيوخ أن يعترف فى الاجتماع التالى للمجلس بأن قوانين ١١ يولية (تموز) تتناقض مع الدستور المصرى . وقد أعلن ، على وجه الخصوص « ليس من صلاحيات السلطة التنفيذية توجيه التحذيرات الى الصحف أو تحريم نشاطها من الناحية الادارية بحجة حماية النظام الاجتماعى طالما لم يتم وضع تشريع خاص بهذا » [١٤٠ ، ٢٥ ، ١٩٤٦/٧/٢٨] .

وكى تجد الحكومة مخرجا من المأزق الذى وقعت فيه ، عمل صدقى على بث نشاط عاصف « لضبط » و « توفيق » موقفها مع الشيوخ الاحرار الدستوريين . فقد ألقى بيانا مقتضبا فى جلسة مجلس الشيوخ التالية وعد فيه بأن تصدر الحكومة فى أقرب وقت قانون الصحافة والاشخاص المدنيين « لحماية النظام القائم » . واعتبر هيكل ان الحجج التى ساقها رئيس الوزراء مقنعة وبناءة ووافق عليها .

وفى الاجتماع التالى للمجلس والذى خصص لدراسة قانون « مكافحة الشيوعيين » الذى أعدته وطرحته للمناقشة لجنة التشريعات المنبثقة عن

المجلس ، تحدث فكرى أباظة(١) نقيب الصحفيين وانتقد ذلك القانون انتقادا لاذعا . فأعلن أن هذا القانون مناف للدستور وأن البرلمان لا يستطيع التطاول على الدستور الا اذا غيره بآخر . ثم استطرد قائلا بأن هذا المواطن أو ذاك فى الدول الديمقراطية ممن يعتنقون المبادىء الشيوعية أو الاشتراكية ، فان ذلك لا يتعارض مع الدستور . ثم نوه بعد ذلك أن أعضاء اللجنة ممن وضعوا قانوا « مكافحة الشيوعية » لم يدرسوا بعمق كاف معنى الاشتراكية أو الشيوعية ثم أسهب فى تعريف كل مبدأ من هذين المبدئين ، ووضح الفرق بينهما . وذكر — على سبيل المثال — نموذج الاتحاد السوفيتى فقال « ان النظام القائم حاليا فى الاتحاد السوفيتى هو النظام الاشتراكى . ثم انه بقدر نمو الانتاج ووفرة البضائع سيتطور الى النظام الشيوعى » [١٤٠ ، ٢٥ ، ١٩٤٦/٧/٢٨] .

وبالرغم من الانتقادات الحادة والعنيفة من جانب عدد من النواب ، فان البرلمان الرجعى المشكل أساسا من ممثلى أحزاب « الاقلية » و « المستقلين » من الباشوات وافق على مشروع القانون المشار اليه آنفا .

وفى يوليـة (تموز) ١٩٤٦ وتحت وطأة ضربات الرجعية اختفت من الوجود كل من اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ومؤتمر نقابات عمال مصر .

واذا ما حاولنا تحديد أهم الاسباب التى عملت على ضرب اللجنة الوطنية للعمال والطلبة فيمكن أن نتوصل للاستنباطات التالية :

١ — لم تكن هناك وحدة تجانس بين ممثلى القوى السياسية المتفاوتة والمشتركة فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة . ولم تكن هناك وحدة تجانس أيديولوجية وتنظيمية سواء داخل أوساط الوفديين اليساريين ، أو داخل أوساط الجماعات الماركسية .

٢ — فشلت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة فى تعميق جذورها بين أوساط الجماهير الشعبية وانشاء شبكة واسعة من اللجان فى معاهد التعليم المختلفة وفى المصانع والمشاريع والمؤسسات وغيرها .

---

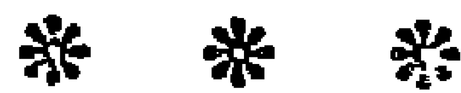
(١) كان فكرى أباظة رئيس تحرير مجلة « المصور » .

٣ ــ قصرت اللجنة الوطنية نشاطها على سكان المدن ، وتغاضت عن الغالبية العظمى من السكان وهم الفلاحون .

٤ ــ كانت قيادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة من الشباب أساسا قليلى الخبرة بالعمل الثورى وارتكبت القيادة عدة أخطاء يسارية جسيمة ، ذات طبيعة تكتيكية أساسا . فمثلا ، فى شهرى يونية (حزيران) ويولية (تموز) ١٩٤٦ أى خلال فترة اضمحلال حركة التحرر الوطنى واستبداد الرجعية ، وعندما لم تكن الظروف الموضوعية مهيأة لقيام اضراب عام حاولت اللجنة الوطنية عدة مرات دون جدوى تنظيم اضراب جديد شامل على غرار تلك التى كانت فى فبراير (شباط) ومارس (آذار) ١٩٤٦ . وعلى ما يبدو ، كان الواجب فى هذه الحالة تغيير تكتيك النضال ، والانسحاب بلا خسائر لصون اللجنة التنفيذية والتنظيمات القيادية الاخرى للجبهة الوطنية .

٥ ــ لم تقدم اللجنة الوطنية للعمال والطلبة من بين صفوفها قائدا معترفا به (أو قيادة معترف بها) الامر الذى له أكبر الاثر وعظيم الاهمية فى ظروف الاقطار العربية .

٦ ــ لقد لعبت جمعية الاخوان المسلمين دورا سلبيا للغاية ، حيث انضمت فى البداية الى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، ثم بعد ذلك كرست جهودا كبيرة للتشهير بالجبهة الوطنية واضعافها وشقها .



واستمرت حملة الارهاب طوال شهر أغسطس (آب) ١٩٤٦ . وقد تعرض المثقفون والعمال والوفديين اليساريين من ذوى الميول الوطنية الى أعمال المطاردة والتعقب [١٤٠ ، ٤ ، ١٩٤٦/٨/٥] .

وكان صدقى يرغب عن طريق الارهاب الوحشى أن يعمل على شل النضال المعادى للامبريالية للشعب المصرى ، بينما كان فى الوقت نفسه يدلى بتصريحات ديماجوجيه عن أن حكومته تقوم بحماية مصالح الشعب بل انه هو نفسه ... اشتراكى ! .

فقد نشرت صحيفة « أخبار اليوم » القريبة من دوائر القصر بيانا لصدقي باشا زعم فيه بأن حكومته اشتراكية والدليل على ذلك أنها رصدت في الميزانية مبلغ ٢ر٥ مليون جنيه مصرى لمكافحة الفقر والجهل والمرض . وكتبت صحيفة « الدخان » بهذا الصدد تقول : « اننا دائما نتوقع من السيد صدقي باشا التصريحات السفسطائية بسبب وبدون سبب . الا أن دهشتنا فاقت كل حد عندما أعلن صدقي باشا انه نصير الفقراء وان حكومة سيادته في مصاف الحكومات الاشتراكية والاصلاحية ..

لقد فضح صدقي باشا بالمبلغ الذى رصده فى الميزانية لهذه الاشتراكية . ويالالمصيبة ، وكأن الاشتراكية تشترى بالنقود » [١٤٠ ، ٤ ، ١٩٤٦/٨/٥] .

ولقد كانت الحكومة تنتهج سياسية ترمى الى اخضاع مصر لنفوذ بريطانيا العظمى . وفى عهد صدقي عمل الانجليز على زيادة حجم بناء وانشاء ثكنات وقواعد عسكرية زيادة فاحشة . وتم ابرام معاهدة لانشاء شركة طيران انجلو مصرية ومدت اتفاقية الاستيراد من انجلترا وهى الاتفاقية التى تتنافى مع مصالح مصر .

كتبت صحيفة « البلاغ » تنتقد انشاء شركة طيران مشتركة ، تقول : « ان حلف الطيران الجوى المبرم بين انجلترا ومصر ليس صفقة تجارية ، وانما هو معاهدة سياسية بين البلدين . وهذا الحلف يمنح انجلترا حق الاشراف على سمائنا » [١٣٧ ، ١٩٤٦/٥/١٤] .

وأشارت مجلة « الايكونوميست » تقول أن صدقي جابه مشاكل كبيرة بعد عمليات الاضطهاد والتنكيل فى شهر يولية (تموز) وتعرض لضغوط من جانب ثلاث قوى : الراى العام المصرى ، وحزب الوفد وبعض اعضاء الوفد المصرى (مكرم عبيد وغيره) [١٠٤ ، ١٩٤٦/٧/١٣] .

وكان الارهاب من جانب والطنطنة الاجتماعية من الجانب الآخر تساعد — على حد زعم صدقي — على تحسين الجو السياسى فى مصر لابرام معاهدة مع انجلترا يحافظ بها الانجليز على سيطرتهم على البلاد فعليا ، بينما توحى شكليا بالتنازل لمصر .

جولة جـــديدة من المفاوضـــات
لاعادة النظر فى معـــاهدة ١٩٣٦

أقدمت انجلترا على مناورة جديدة بجلائها الجزئى عن القاهرة وبعض المناطق الاخرى فى البلاد سعيا منها لاضعاف الحركة الرامية لقطع المفاوضات والجلاء الفورى للقوات الانجليزية . وكانوا يعلقون الآمال الكبار بالذات على جلاء قواتهم من القلعة(١) . وكانت صـــحيفة « التـــايمز » تأمل بأن « يترك هـــذا الحدث انطباعا كبيرا فى نفوس الشعب المصرى » .

وكانت مجلة « الايكونومست » تعتقد هى الاخرى « فى اقامة الافراح والليالى الملاح بمناسبة تسلم الجيش المصرى موقعين جليلين من مواقع تمركز الجيش الانجليزى » هما القلعة وثكنات قصر النيل ، مما يؤدى الى تهيئة الجو المناسب للتوصل الى اتفاقية مع مصر [١٠٤ ، ١٩٤٦/٣/٦ ، ص٣٦٨] .

وفى الرابع من شهر يولية (تموز) أقيم احتفال مهيب بمناسبة تسلم ممثلى الجيش المصرى القلعة . بيد أن مناورة القوات الانجليزية لم تنطل على أحـــد . فنوهت صحيفة « الوفد المصرى » أن هـــذه المناورة هدفها صرف الاهتمام « عن السياســة الحقيقية لانجلترا فى مصر » وكتبت صحيفة « الكتلة » تقول : أن جميع الوطنيين المخلصين اســـتقبلوا هـــذا الخبر بفتور ، وكتبت صحيفة البلاغ تقول « يغادر الانجليز القلعة ، ولكن الى أين يمضون ؟ .. انهم يتجهون لثكنات قصر النيل ، والعباسية ومنطقة قناة الســـويس أو الى « أى مكان آخر يشاؤونه » . « أيها الانجليز ، كفوا عن اهانتنا ! ... اننا ســـنبتهج فقط ، يوم يغادر آخر جندى انجـــليزى أرض الكنـــانة » [٦٠ ، ١٩٤٦/٧/٦ ، ١٩٤٦/٨/٥] .

رجع اللورد ستينسجيت الى القاهرة فى السابع من شـهر يولية (تموز) [١٣٦ ، ١٩٤٦/٧/٨] ونوهت مجلة « ايكونومســـت » أن رئيس الوفـــد

---

(١) بنيت القلعة فى القرن الثانى عشر وهى احدى الآثار التـــاريخية بالقاهرة . ومنذ ١٨٨٢ كانت ترابط بالقلعة حامية انجليزية صغيرة يرفرف فوقها العلم البريطانى .

البريطانى يختار وقتا مناسبا لعودته ، حيث انه تزامن مع جلاء القوات الانجليزية عن القلعة وجلاء القوات البحرية البريطانية عن ميناء الاسكندرية . زد على ذلك ان مجلة « الايكونومست » كانت تعلق الآمال على ان تجد « مشكلة الدفاع الحرجة لها حلا ومخرجا » وان « تؤدى الى تشكيل مجلس للدفاع المشترك » [١٠٤ ، ١٩٤٦/٧/١٣] .

وقد حاول ممثلو القصر وبخاصة الامير محمد على قريب الملك واحد كبار الاقطاعيين العمل بشتى الوسائل على تضييق هوة الخلافات بين الوفدين وتقريب وجهة نظرهما [١١١ ، ١٩٤٦/٥/١] .

وفى هذه المرة طرح ستينسجيت الشروط التالية :

١ — توافق بريطانيا العظمى على اجلاء قواتها عن مصر خلال ثلاثة أعوام بشرط تشكيل مجلس انجليزى مصرى مشترك للدفاع عن مصر . كما تصر بريطانيا العظمى على الاعتراف بحقها فى نقل قواتها الى مصر فى أى وقت ترى فيه — من وجهة نظرها — أن أمن مصر معرض للخطر .

٢ — ضرورة ابقاء القواعد البحرية والجوية الانجليزية فى مصر . ويجب أن تقف مصر الى جانب بريطانيا العظمى فى حالة الحرب مع الدول المجاورة لمصر فى الشرق الاوسط .

٣ — من الضرورى العمل على ابقاء الوضع الراهن فى السودان . وطالب الوفد المصرى انهاء عملية الجلاء فى خلال عام وتوحد مصر والسودان .

واصبح واضحا بجلاء فى النصف الثانى من شهر اغسطس (آب) أن موقف الجانبين متباعد أشد البعد ولا يمكن التوافق بينهما . وازداد الامر تعقيدا بالنسبة للمسألة السودانية . وقطعت المفاوضات فى نهاية أغسطس (آب) .

وفى ١٧ سبتمبر (أيلول) حضر اللورد ستينسجيت من جديد الى القاهرة . وفى ١٩ سبتمبر (أيلول) قام طلاب الاسكندرية بتنظيم مظاهرة كبيرة تهتف قائلة « فلتسقط انجلترا ! » « فليحيا الاستقلال » [٦٠ ، ١٩٤٦/٩/٢٠] . وبعد بضعة أيام وصلت الى خليج الاسكندرية عدة سفن

حربية انجليزية . وكان الهدف الاساسي من هـذه الزيارة « المحافظة على النظام » فى حالة قيام مظاهرات عقب فشل المفاوضات [٦٠ ، ١٩٤٦/٩/٢٩].

وأدخل الوفد البريطانى فى منتصف شهر سبتمبر (أيلول) عدة تعديلات على مشروعه :

١ — تخفيض مدة جلاء القوات الانجليزية الى عامين .

٢ — ابقاء مخطط تشكيل مجلس دفاع مشترك بدون أية تغييرات جوهرية .

٣ — تم دحض ادعاءات مصر فى السودان . وأعربت الحكومة الانجليزية عن استعدادها فقط بالاخذ فى عين الاعتبار بالمصالح الاقتصادية لمصر فى السودان بعد ابرام المعاهدة الانجلو مصرية الجديدة .

ولم يوافق الوفد المصرى فى هـذه المرة كذلك على هـذه المقترحات . وتعثرت المفاوضات ثم قطعت مرة أخرى .

وفى ٢٠ يونية (حزيران) نشرت صحيفة « الوفد المصرى » مقالا لمحمود عزمى تناول فيه المفاوضات الانجلو مصرية . وقد كتب فى هـذا المقال معبرا عن رأى كافة القوى التقدمية فى البلاد يقول : « يجب على انجلترا أن تفهم أنه ما من مصرى واحد يستطيع التوقيع قسرا على أية وثيقة . واذا وجد هـذا المصرى الذى يوافق على أن يوقع مثل هـذه الوثيقة — وهـذا مستحيل فان الرأى العام المصرى سيقتص منه » [١٤٣ ، ١٩٤٦/٦/٢٠] .

وهـذه العبارة تعكس بحق وصدق الوضع فى مصر خلال فترة المفاوضات ١٩٤٦ ، حتى أن انصار « التحالف » و « الصداقة » مع انجلترا السافرين والذين كانوا يشكلون غالبية أعضاء الوفد المصرى لم يجرؤوا على التآمر معها خوفا من غضبة الشعب .

ونشر وفدى يسارى هو عزيز فهمى مقالا فى صحيفة « صوت الامة »(١) بعنوان « الشعب المصرى يدحض الحجة الثالثة » جاء فيه أن المحتلين كانوا

---

(١) بدء صدور جريدة « صوت الامة » من أول اغسطس ١٩٤٦ بدل صحيفة « الوفد المصرى » المحرمة .

يتذرعون خلال الفترة الاولى من السيطرة الانجليزية بحجتين رئيسيتين لابقاء قواتهم فى مصر وهما « حماية الاجانب » و « المحافظة على طرق الامبراطورية » . وقد فقدت هاتين الحجتين منذ زمن بعيد كل مغزاهما . واختلق الامبرياليون حجة جديدة للابقاء على سيطرتهم وهى « مكافحة الشيوعية » .

ونبه فهمى كذلك الى أن شرف الفضل فى هذا الاختراع يرجع للنازيين وليس للانجليز . وكتب فهمى فى ختام مقاله متطرقا لمسألة تكوين مجلس دفاع مشترك يقول : « ان الخداع الذى ينطوى عليه تشكيل مجلس دفاع مشترك هو بمثابة شبكة تنصب من حولنا » [١٤٠ أ ، ١٩٤٦/٨/٩] .

وكتب عزيز فهمى فى مقال آخر نشرته الصحيفة نفسها ، يقول : « ضحت مصر فى نضالها من أجل الاستقلال بالعزيز النفيس من دم ابنائها . وسوف تواصل مصر هذا النضال حتى يرحل آخر جندى بريطانى عن أرض وادى النيل » . ثم استطرد قائلا : « فليتذكر العجوز تشرشل وأتلى وبيفين أن الهدوء الحالى هو هدوء ما قبل العاصفة » [١٤٠ ، ١٩٤٦/٨/٩] .

وقد أعرب كبار كتاب وأدباء مصر من أمثال طه حسين وابراهيم عبد القادر المازنى وغيرهما عن غضبهم ذودا عن حرية واستقلال وطنهم فى تلك الحقبة الحاسمة من التاريخ المصرى . فقد كتب طه حسين عميد الادب العربى مقالا فى صحيفة « صوت الامة » بعنوان : « الحرية » انهال فيه بكل قوته على حملة الارهاب ووصف فيه المعتقلين من اليساريين الوفديين والديمقراطيين وقادة النقابات العمالية بـ « خيرة المناضلين » من أجل استقلال مصر . ونوه ، بأن الامبرياليين البريطانيين يشنون حملة « مكافحة الشيوعية » لابقاء سيطرتهم على مصر . وفى ختام المقال ، توجه لكل الكتاب والمثقفين يحضهم على النضال من اجل الحرية بلا هوادة او وجل . ونوه بأن الدستور لا يبيح للمواطنين الانقياد لحكام ينتهكونه ، وأن مثقفى وكتاب مصر مصر ينبذون الطغيان ولا يثنيهم الارهاب عن عزمهم ، ولا تخيفهم السجون أو تحريم الصحف .

وقد وصف طه حسن فى مقال آخر له بصحيفة « صوت الامة » المفاوضات الانجلو مصرية بأنها « الهاء » للشعب المصرى عن انجاز المهام

الوطنية الرئيسية وهى اجلاء القوات الانجليزية عن وادى النيل ووحدة مصر والسودان وكذلك عن مشكلة الفقر والبؤس . ونوه بأن حكومة صدقى عاجزة عن حل المشكلة الوطنية الرئيسية وكذلك عن حل المشاكل الاجتماعية الداخلية [١٤٠ ، ٧، ١١ — ١٩٤٦/٨/١٢] .

ونشر المازنى أحد كبار الكتاب المصريين مقالا فى صحيفة « المصرى » بعنوان « مجلس الدفاع المشترك » دارت فكرته الاساسية عن أن مجلس الدفاع المشترك هذا أمر غير ملائم لمصر على أية صورة وفى اى حال [١٤٠ ، ١٩٤٦/٧/٢٤] .

وانتقد بعض أعضاء الوفد المصرى ممن اشتركوا فى المفاوضات مع انجلترا فكرة انشاء مجلس دفاع مشترك . فأعلن ، على سبيل المثال مكرم عبيد أن مجلس الدفاع المشترك ما هو الا شكل من أشكال فرض الحماية . ونوه بأن الجانب البريطانى يعول كثيرا على مغزى هذا المجلس ، اذ أنه يجب أن يحل محل المعاهدة العسكرية التى ترفضها مصر رفضا قاطعا . وأضاف قائلا ، بأن وفد المفاوضات الانجليزى يزعم بأنه لن يستأنف المفاوضات الا بعد قبول الجانب المصرى مبدئيا لفكرة تشكيل مجلس دفاع مشترك . ثم أشار الى أن زملائه قد وافقوا بالفعل على صياغة بند خاص ضمن نص المشروع المصرى ، ولكنه اختلف معهم [١٤٠ ، ١٩٤٦/٧/١٩] .

وأخذت المجموعة الصغيرة من أنصار صدقى تتلاشى من حالها وتتبدد يوما بعد يوم . وفى ٢٨ سبتمبر (أيلول) قدم رئيس الوزراء استقالته . وقبل الملك استقالة حكومة صدقى وكلف شريف صبرى باشا بتشكيل حكومة ائتلافية من ممثلى كافة الاحزاب . وكانت الدوائر الحاكمة تهدف من وراء تشكيل حكومة شريف صبرى الى الايحاء بوحدة جميع القوى الوطنية لانهاء المفاوضات مع انجلترا بنجاح .

بيد ان محاولة تشكيل حكومة ائتلافية منيت بالفشل الذريع وطلب الملك فى أول أكتوبر (تشرين الاول) من صدقى الاستمرار فى رئاسة الوزارة [١٢٢ ، ص١٩٥] .

واحتدم الموقف فى البلاد لدرجة أعلنت معها حالة الحصار فى أول اكتوبر

(تشرين الاول) . وقد وجه الوفد فى هـذا اليوم للشعب منشـورا تتلخص أهم نقـاطه فيما يلى :

١ — يعارض الوفد الحلف العسكرى مع بريطانيا العظمى .

٢ — من حق الامم المتحدة وحدها اتخاذ التدابير لضمان الامن فى مصر .

٣ — يشجب الوفد فكرة مجلس الدفاع المشترك (وليست انجلترا من الدول المجاورة لمصر كما انه ليس لهما أعدء مشتركين) .

٤ — استحالة المفاوضات طالمـا القوات البريطانية تحتل مصر .

واعلن المنشور أن الوفد لا يعترف بنتائج المفاوضات الجارية فى الوقت الراهن ويرى فى معاهدة ١٩٣٦ معـاهدة باطلة لا حول لها ولا قوة . ووجه الوفد للامم المتحدة نداء للعمل على حل القضية المصرية . وطالب الوفد باجراء انتخابات حرة فى البلاد [٧١ ، ص٢٣] .

وبالرغم من حلول موعد الانتخابات البرلمـانية فقد أعلن الملك رسميا بأنه لن يسمح بأى حال من الاحوال باجراء هـذه الانتخابات ، التى ربمـا تؤدى الى الاطاحة بحكومة صدقى باشا الديكتاتورية الرجعية ، التى ترتكز على حزبى السـعدين والاحرار الدستوريين وهما حزبان لا يتمتعان بشعبية كافيـة فى البلاد ، فى الوقت الذى سـيحصل فيـه حزب الوفد على اغلبية سـاحقة من الاصـوات .

واتسع داخل البلاد نطاق الحركة الرامية الى قطع المفاوضات نهائيا وطرح النزاع الانجليزى المصرى على الامم المتحدة . ووقف مندوب الاتحاد السوفيتى لدى هيئة الامم المتحدة وقتئذ الى جانب حقوق الشعوب الصغيرة ، والى جانب سحب القوات الاجنبية من البلدان الاعضاء فى الامم المتحدة التى شاركت فى الائتلاف المعادى للهتلرية . وتقدم الوفد السوفيتى فى مجلس الامن باقتراح يطالب فيه ببيانات عن قوات الحلفاء المرابطة فى البلدان غير المعـادية وقد لاقت مقترحات الوفد السوفيتى (خلال الفترة من سبتمبر (أيلول) وحتى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٦) بسحب القوات الاجنبية من أراضى الدول الاعضاء فى الامم المتحدة صدى طيبا فى نفوس المناضـلين من أبناء الشـعب المصرى من أجل الاسـتقلال . وكتبت صـحيفة « الكتلة » تقول : « أرغى

الانجليز وازبدوا عن الدعاية السوفيتية فى مصر والشرق الاوسط ، ولكننا نصرح بأن عدو المصريين فى الشرق الاوسط هى اولا وأخيرا القوات الانجليزية المتواجدة هنا » [٦٠ ، ١٩٤٦/٩/٤] .

معاهدة صدقى بيفين

سافر صدقى باشا فى ١٧ أكتوبر (تشرين الاول » الى لندن لاستئناف المفاوضات مع انجلترا ضاربا بعرض الحائط الرأى العام داخل البلاد ، بل ورأى أعضاء الوفد المصرى كذلك الذى كان يضم شخصيات تتمشى مع أهوائه ومآربه ومستهينا باحتجاجات الغالبية العظمى من التنظيمات والاحزاب الوطنية . كتبت صحيفة « الحوادث » موجهة كلامها لصدقى باشا ، تقول : « فلتسافر دولتكم مصحوبا بعدم الرضى العام . وأنتم خير من يعرف مغزى كلمة « عدم الرضى » « فلتسافر أيها الانسان الصبور لترى بأم عينيك كيف ينظر الانجليز اليكم والى تأويلاتكم . فلتسافروا وتمكث هناك أسبوعا أو شهرا أو عاما فأكثر فهذا لن ينجيكم من النهاية المحتومة » [٦٠ ، ١٩٤٦/١٠/١٩] .

وقد شهدت كل من القاهرة والاسكندرية وبورسعيد وطنطا وأسيوط وغيرها من المدن المصرية الكبرى الاخرى مظاهرات ضخمة عارمة أشرف على تنظيمها العمال وشباب الوفد احتجاجا على سفر رئيس الوزراء [١٤٠ ، /١٠/٢٠ ، ١٩٤٦/١٠/٢١] .

وجرت المفاوضات فى لندن فى جو من السرية التامة . وقد اشترك فيها الفيلد مارشال مونتجمرى وسميتس وكذلك عبد الرحمن عزام أمين عام جامعة الدول العربية ونوقشت فى الاجتماع مسألة تشكيل مجلس دفاع مشترك [١٤٠ ، ١٩٤٦/١٠/٢٣] وكذلك المشكلة السودانية . وقد بعث عبد الرحمن المهدى زعيم حزب « الامة » الرجعى ببرقية لكل من صدقى وبيفين يطالبهما فيها بمنح السودان الاستقلال .

وفى ٢٥ أكتوبر (تشرين الاول) وقع صدقى باشا وبيفين على معاهدة انجلو مصرية جديدة . وتم قبول جميع المطالب الانجليزية الهامة . وقد نصت المعاهدة على ما يلى :

١ — تشكيل مجلس دفاع مشترك .

٢ — اشتراك مصر فى أى حرب تخوضها انجلترا على أرض مصر أو داخل أراضى البلدان المجاورة لها لصالح انجلترا .

٣ — استمرار الاحتلال البريطانى لمدة ثلاثة أعوام أخرى أى حتى ١ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٩ .

٤ — ابقاء معاهدة الحكم الثنائى فى السودان ١٨٩٩ بدون أى تغيير وسريان مفعول جميع بنودها وكذلك الملحق للمعاهدة ١٩٣٦ الخاص بالسودان [١٢٢ ، ص ١٩٦ — ١٩٩] .

وأدرك الشعب المصرى على الفور مدى الخطورة التى تنطوى عليها معاهدة صدقى بيفين . وهبت البلاد عن بكرة أبيها تحتفل يوم ١٣ نوفمبر (تشرين الثانى) بيوم النضال الوطنى من أجل الاستقلال . والقى زعماء كثير من التنظيمات والاحزاب كلمات بهذه المناسبة . والقى مصطفى النحاس خطابا مسهبا أعلن فيه أن انجلترا لا تكتفى بفرض الحلف العسكرى على مصر وحدها بل تفرضه كذلك على الشرق الاوسط كله . ونوه زعيم الوفد بأن مصر ساعدت انجلترا على الدوام عندما اقتضى الامر ذلك داخل حدودها . والآن تأتى انجلترا لتطالب مصر بالمشاركة فى جميع الحروب التى ستشنها الامبراطورية . واشار النحاس فى معرض حديثه عن معاهدة صدقى — بيفين الى أن هذه المعاهدة المشؤومة ستؤدى الى أمرين : « نهاية استقلال مصر وتسليم السودان لانجلترا » . وطالب بجلاء القوات البريطانية فورا وبلا قيد أو شرط ووحدة ادى النيل مع منح الاستقلال التام لكل من مصر والسودان . وانتقد النحاس موقف جامعة الدول العربية وفى نهاية خطابه طرح الخطة التالية للتحرك :

١ — قطع المفاوضات مع انجلترا .

٢ — فسخ معاهدة ١٩٣٦ .

٣ — عرض النزاع الانجليزى المصرى على الامم المتحدة .

واعلن مكرم عبيد زعيم الكتلة الوفدية فى خطـــابه أن معاهدة ١٩٣٦ أصبحت لاغية واما معاهدة صدقى بيفين فتعطى الانجليز حق التدخل فى شئون مصر من خلال مجلس الدفاع المشترك وهـــذا يعرض البلاد للتبعية ويحرمها من الاستقلال . ودعا مكرم عبيد المصريين لخوض النضال ضـــد مخططات الامبريالية ومن أجل وحدة واستقلال البلاد [١٤٠ ، ١٧ ، ١٨/١١/١٩٤٦] .

وقد انتقدت جمعية الاخوان المسلمين هى الاخرى سياسة رئيس الوزراء الخائنة وانضمت الى صـــفوف المعارضـــة .

اســـتقالة حكومة صـــدقى

ازداد فى النصف الثانى من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) اتساع نطاق المظاهرات المعـــادية للانجليز والحكومة . فأعلن طلاب جامعة القاهرة فى ١٨ نوفمبر (تشرين الثانى) الاضراب احتجاجا على معاهدة صدقى ــ بيفين . واحتشدوا حول نصب شهداء حركة التحرر الوطنى ونظموا هناك لقـــاء كبيرا . وقد حرم مدير الجامعة ورئيس البوليس على الطلاب عقد المؤتمرات وأغلقوا أبواب الجامعة . بيد أن الطلاب هشموا بوابة الجامعة ودعوا الى عقد مؤتمر فى قاعة الاحتفالات اتخذ قرارا بتشكيل جبهة شباب وادى النيل(١) تضم بين صفوفها ممثلى مختلف التنظيمات . وقد حضر الاجتماع ما يربو على خمسة آلاف طالب كانوا يرفعون الشعارات التالية : « فليسقط بيفين ! » « فلتسقط المعاهدة الانجلو مصرية ! » . وتمت الموافقة على برنامج الجبهة التـــــالى :

١ ــ المطالبة باقصاء أية حكومة لا تتمسك بمبدأ جلاء القوات البريطانية التام عن وادى النيل ولا تعمل على الذود عن الحريات الديمقراطية للشعب المنصوص عليها فى الدستور : حل البرلمـــان . طرد حكومة صدقى وتشكيل حكومة من العناصر الوطنية تتمتع بتأييد الشـــعب وتستبعد اى تحالف كان مع انجلترا . ويجب على هـــذه الحكومة أن تبعث بمنـــدوبيها الى مجلس

---

(١) تبعا لبعض البيانات الاخرى ، كانت تسمى الجبهة الوطنية لطلاب وادى النيل .

الامن التابع للامم المتحدة للعمل على حل القضية المصرية والتحضير لاجراء انتخابات حـــرة .

٢ ـ اعلان فسخ معاهدة ١٩٣٦ ، ووقف المفاضات الدائرة حاليا .

٣ ـ بدء نضال الطلاب والعمال والفلاحين وباقى القوى الوطنيـــة الاخرى فى البلاد .

٤ ـ العمل على اقامة الصلات مع التنظيمات الطلابية والديمقراطية العـــالمية .

٥ ـ ســـحق الحصـــار الاقتصـــادى واتخاذ التدابير ضد المقاطعة الاقتصادية المفروضة من قبل انجلترا .

٦ ـ تشـــكيل حكومة ديمقراطية على أساس الانتخابات الحرة وذات سياسة داخلية وخارجية واضـــحة المعالم .

واشار البرنامج الى أن السياسة الداخلية والخارجية يجب أن تهـــدف على أقل تقـــدير الى ما يلى :

(أ) المطالبة بجلاء القوات الانجليزية التام من وادى النيل دون الدخول فى أية مفاوضات .

(ب) الابتعاد عن أية أحلاف عسكرية أو التزامات اقتصادية من شأنها أن توقع البلاد فى حبائل الامبريالية وتكبلها بأغلالها .

(جـ) الغاء كافة الاتفاقيات والقوانين المعمول بها حاليا والمنافيـــة لروح الدستور والمعرقلة للحريات العامة [١٤٠ ، ١٩٤٦/١١/٢٠] .

وكان هـــذا برنامجا ديمقراطيا يستجيب ومصالح الغالبية العظمى من أبناء الشعب المصرى . ولم يطالب البرنامج باجراء الاصلاح الزراعى وخلع الملكية بهدف تشكيل جبهة وطنية عريضة .

ولم ينضم للجبهة الطلاب من أنصار الحزب السعدى وحزب الاحرار الدســـتوريين . ولعب الدور الرئيسى فيها الوفديين اليساريين وممثـــلى المجموعات المـــاركسية .

وحرمت السلطات فى ٢٠ نوفمبر (تشرين الثانى) نشر اية اخبار عن الاضرابات والمظاهرات .

وشهد وسط العاصمة وضواحيها اصطدامات دموية عنيفة . ورابطت قوات البوليس والجيش فى جميع ميادين وأحياء القاهرة تحرس المعاهد الدراسية والمصالح العامة [١٤٠ ، ١٩٤٦/١١/٢١] .

وقامت فى القاهرة فى ٢٥ نوفمبر (تشرين الثانى) مظاهرة كبرى من الطلاب والعمال واقيمت المتاريس ووقعت صدامات قوية بين المتظاهرين والبوليس . وانفجرت فى مبنى قيادة القوات الانجليزية قنبلة بسيطة الصنع . وجرى اعتقال ٤٠٠ طالب . وشهدت الاسكندرية هى الاخرى مظاهرات معادية للانجليز . ووقع نتيجة الصدامات كثير من الشهداء من بين المتظاهرين والبوليس [١٦٠ ، ١٩٤٦/١١/٢٧] .

وأثارت سياسة صدقى موجة عاتية من السخط والاستياء لدى الغالبية الساحقة من أبناء الشعب ، باستثناء زمرة ضئيلة من المتعاونين مع العدو . ووجهت مختلف التنظيمات وبعض الشخصيات نداء الى نواب البرلمان تدعوهم فيل الى شجب معاهدة صدقى بيفين . وكان غالبية أعضاء الوفد الذى اجرى المفاوضات يعارض هذه المعاهدة . وفى الخامس والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) نشروا بيانا بعدم الاعتراف بمشروع معاهدة صدقى – بيفين(١) . وقام صدقى فى اليوم التالى بحل الوفد .

ووجهت جبهة شباب وادى النيل فى الخامس والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) بيانا لنواب البرلمان تدعوهم فيه لرفض مشروع معاهدة صدقى – بيفين . وفى السادس والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) غادر ٥٧ من نواب البرلمان فى بداية جلسته المنعقدة لمناقشة معاهدة صدقى

---

(١) وقع البيان سبعة أعضاء من بين ١١ عضوا هلم اعضاء الوفد المصرى ، وهؤلاء الاعضاء هم : شريف صبرى وعلى ماهر وعبد الفتاح يحيى وحسين سرى وعلى الشمسى وأحمد لطفى السيد ومكرم عبيد . ولم يوقع البيان كل من : محمد حسين هيكل ومحمود فهمى النقراشى وحافظ عفيفى وابراهيم عبد الهادى .

ـ بيفين الجديدة احتجاجا على المعاهـدة . وهكـذا تم رفض معـاهدة صـدقى ـ بيفين .

وظلت الاضطرابات مستمرة فى القاهرة كان من ضحاياها ثلاثة ضباط جرحى وكذلك ٢٢ من رجال البـوليس . وبلغ عدد الضـحايا فى القاهرة والاسـكندرية يوم ٢٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ٧ قتـلى و ٢٢ جريح من بين المتظاهرين . واضرب جميع طلاب جامعـة الاسـكندرية وطلاب المدارس الثانوية فى المدينة [٦٠ ، ١٩٤٦/١١/٣٠] . وقد اسـتخدم المتظـاهرون فى بعض أحياء المدينة القنـابل اليدوية ضـد البوليس . واعتقل فى مدينة الاسكندرية ما يزيد على مائة طالب . وأعطى صدقى أوامره للسلطات بتفريق المظـاهرات والاجتماعات « التى تؤدى الى تقويض النظـام الاجتمـاعى » [٦٠ ، ١١/٢٨، ١٩٤٦/١٢/٢] . وظلت المظاهرات المعارضـة لاتفاقية صدقى ـ بيفين مشتعلة خلال هـذه الايام فى كل من طنطا والمنصورة والمحلة الكبرى وغيرها من المدن الاخرى .

وتوجه النحاس فى الرابع من شـهر ديسـمبر (كانون الاول) للامم المتحدة باحتجاج ضد سياسة التحكم من جانب بريطانيا ومطاردة وتعقب العناصر الديمقراطية . وأشار النحاس الى أن الاحداث التى تشهدها مصر تشكل تهديدا لقضية الامن والسلام ودعا الامم المتحدة للتدخل فى النزاع القائم بين مصر وانجلترا وارغام الاخيرة على « احترام مبـادىء الحرية العـالمية » [٦٠ ، ١٩٤٦/١٢/٩] .

وتعرض صدقى لحملة من الشـكوك والنيل من سـمعته واضـطر الى تقديم استقالته بعد أن أعلن رسـميا الجنرال محافظ السـودان فى التاسع من ديسمبر (كانون الاول) بقرار انجلترا فصل السودان عن مصر .

وشكل النقراشى زعيم السعديين فى اليوم نفسه حكومة جديدة ضمت ستة من السعديين وستة من الاحرار الدستوريين . وقد حذا حذو صدقى سواء على صعيد السياسة الداخلية أو الخارجية .

وكانت أولى خطوات الحكومة الجديدة تحريم المظاهرات . وكان على رئيس الوزراء ان يلقى خطابه فى منتصف شهر ديسمبر (كانون الاول) أمام

جلسة موحدة تضم اعضاء مجلس النواب والشيوخ . وكان الوضع بالغ الصعوبة والتعقيد لدرجة اضطر معها لاصدار أوامره الى قوات البوليس لحماية البرلمان . ومنع أى فرد من دخول البرلمان ماعدا رجال الصحافة [١٤٠ ، ١٩٤٦/١٢/١٤] وأعلن النقراشى فى البرلمان أن أمام الحكومة المصرية طريقان لا ثالث لهما : استمرار المفاوضات مع انجلترا أو طرح المشكلة المصرية على مجلس الامن بالامم المتحدة [١٤٠ ، ١٩٤٦/١٢/١٨] .

وقد سار النقراشى فى الطريق الاول واستأنف المفاوضات مع انجلترا . ولكن موجة الحركة الشعبية عرقلت الحكومة الجديدة عن ابرام معاهدة مزرية تحط من قدر مصر ومكانتها وظهرت فى يناير (كانون الثانى) ١٩٤٧ خلافات تحتم معها وقف المفاوضات . واضطر النقراشى فى العاشر من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٦ أن يعلن أنه فى حالة فشل المفاوضات سيلجأ الى عرض القضية على مجلس الامن فى الامم المتحدة . زد على ذلك أن بيفين أعلن فى يناير (كانون الثانى) ١٩٤٧ أن معاهدة ١٩٣٦ سارية المفعول وأن انجلترا ستبقى قواتها فى مصر تبعا لنصوص هذه المعاهدة .

النزاع الانجليزى المصرى أمام مجلس الامن فى الامم المتحدة

تقدمت حكومة النقراشى فى ٨ يولية (تموز) ١٩٤٧ بطلب للامم المتحدة تدعوها فيه بالعمل على حل القضية المصرية . وقد ورد فى رسالة النقراشى الى السكرتير العام للامم المتحدة ما يلى : « توجد قوات انجليزية داخل الاراضى المصرية رغما عن ارادة الشعب المصرى . أن وجود قوات أجنبية على أرض دولة عضو فى الامم المتحدة دون موافقة حرة من شعبها يعد اهانة لكرامته وسيادته ويعرقل من تطوره المعنوى ويخالف المبادىء الرئيسية للمساواة فى السيادة بين اعضاء المنظمة الدولية . ومن ثم فهو يتنافى مع ميثاق الامم المتحدة نصا وروحا والقرار الذى وافقت عليه بالاجماع الجمعية العمومية بتاريخ ١٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٦ » . وطلب رئيس الوزراء من مجلس الامن اتخاذ قرار بجلاء القوات الانجليزية عن مصر والسودان جلاءا تاما وفوريا والغاء الحكم الثنائى فى السودان [٦٠ ، ١٩٤٧/٧/١٣] .

واستمرت مناقشة القضية المصرية فى مجلس الامن خلال الفترة من ٥ اغسطس (آب) وحتى ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٧ وقد كرست لهذه

القضية عشر اجتماعات . وقد حاول كادوجان مندوب انجلترا منذ الاجتماع الاول عدم تقييد شكوى مصر ضمن جدول الاعمال . وزعم بأن طلب مصر لا اساس له من الصحة . وان مصر ليس من حقها بتاتا المطالبة باجراء مفاوضات لاعادة النظر فى هذه المعاهدة حاليا . فمصر ليس لديها الحق لاجراء مفاوضات لاعادة النظر فى هذه المعاهدة عن طريق طرح دعوى لا سند لها من القانون على مجلس الامن » [٥ ، ص٢١] .

وقد وصف النق راشى رئيس الوفد المصرى بيان الوفد الانجليزى بأنه « دفاع جنونى عن امبريالية القرن التاسع عشر » [٥ ، ص٦٣] .

ويمكن أن نعتبر موقف الاتحاد السوفيتى من النزاع الانجلو مصرى نموذجا للحل الاممى النزيه والمبدئى لاعوص المشاكل الدولية . وكانت كلمة المندوب السوفيتى سندا معنويا هائلا واى سند لمندوبى مصر لدى مجلس الامن .

وقد عمل مندوب الاتحاد السوفيتى — على عكس ممثلى الدول الامبريالية — على تأييد مصر تأييدا تاما فى قضية جلاء القوات الانجليزية عن مصر والسودان ، منوها بأن وجود القوات الانجليزية على الارض المصرية أمر يتنافى مع ميثاق الامم المتحدة وقرار الجمعية العامة بتاريخ ١٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٦ [٣ ، ص٣٦٧] . وعلاوة على ذلك اشار الى أن الحكومة المصرية طرحت على مجلس الامن بالفعل قضيتين وبالرغم مما بينهما من اتصال وثيق فهما منفصلتان :

١ — جلاء القوات الانجليزية من مصر والسودان .

٢ — مستقبل السودان [٥ ، ص٢٠٢] .

ونوه المندوب السوفيتى فى معرض تناوله للقضية السودانية بأن صدور أى قرار بشأنها امر سابق لاوانه . واعلن « اننا لا نعرف ماذا يريد السودانيون أنفسهم . وبدون المعرفة الدقيقة لما يبغيه الشعب السودانى فانه من الصعب على مجلس الامن اتخاذ أى قرار مهما كان بصدد هذه القضية » [٥ ، ص٢٠٣] .

وقوبل موقف الاتحاد السوفيتى بالتأييد من وفدين فقط هما وفد جمهورية بولندا الشعبية والوفد السورى [٥ ، ص١٢٠ ، ٢٧٤] .

واقترح مندوب البرازيل بعرض مشروع قرار استئناف المفاوضات بين

الطرفين على المجلس ، وفى حالة الاخفاق نوصى باتباع الوسائل السلمية الاخرى لحل النزاع [٥ ، ص٢٠٢] .

وكان مشروع قرار الوفد البرازيلى يلقى التأييد من مندوبى انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وبلجيكا وغيرها من الدول الرأسمالية الاخرى .

وقد انتقد المندوب السوفيتى المشروع البرازيلى ونوه بثلاثة نواقص تؤخذ على هذا القرار ، وهى :

١ — أنه يتجاهل حقيقة فشل المفاوضات بين مصر وبريطانيا العظمى وأن استمرارها يشكل تهديدا للامن والسلام .

٢ — يطالب المشروع باجراء مفاوضات بين دولتين احداهما محتلة بقوات الاخرى . والنتيجة أن تكون احداهما فى وضع متميز تماما .

٣ — ان قبول هذا القرار يعنى بحق تجاهل مجلس الامن واستبعاده عن حل هذه القضية الهامة [٥ ، ص٣٠٢] .

ولم يحظ مشروع القرار البرازيلى على عدد الاصوات المطلوب [٥ ، ص٣١٢] .

وتقدم بعد هذا مندوبو الكتلة الغربية بمشروع جديد (تقدم به مندوب كولومبيا) يتلخص معناه فى أن انسحاب القوات الانجليزية من مصر والسودان مرهون بابرام اتفاق أنجلو مصرى « بخصوص حرية الملاحة وتأمينها فى قناة السويس » . وكان هذا المشروع منحازا لانجلترا باعتباره متضمنا للمطالب التى نادت بها انجلترا أثناء المفاوضات الانجلو مصرية عام ١٩٤٦ .

وقد رفض مجلس الامن كذلك مشروع القرار الكولومبى تماما مثل رفضه لمشروع قرار الوفد الصينى فى الجلسة الاخيرة (الذى لا يختلف فى حقيقة الامر عن مشروع القرار البرازيلى) [٥ ، صص١١] .

وهكذا لم يتوصل مجلس الامن فى نهاية المطاف لاى قرار وتم تأجيل دراسة القضية المصرية لاجل غير مسمى .

واتضح أن مجلس الامن عاجز عن حل المشكلة المصرية بسبب كثرة

عدد الدول الدائرة فى فلك الكتلة الانجلو أمريكية اساسا . وكان الاتحـــاد السوفيتى هو الدولة الوحيدة من بين الدول الاعضاء المستديمة الخمس فى مجلس الامن الذى وقف الى جانب المطالب المشروعة لمصر .

وقـــد بددت نتائج دراســـة القضـــية المصرية فى روقة مجلس الامن أوهام كثير من المصريين الذين كانوا يعتقدون فى الزعم القائل بامكـــانية حل النزاع الانجليزى المصرى بالطرق السلمية . وقد تبلور الراى بجلاء اكثر فى أن الحصـــول على الاســـتقلال واجلاء القوات الانجليزية من مصر لن يتأتى الا بالنضـــال المســـلح .

الباب الثالث

الحرب الفلسطينية (١٩٤٨ — ١٩٤٩)

واستفحال الازمة الداخلية

المد الجديد لحركة التحرر الوطنى

ان النضال البطولى للشعب المصرى عام ١٩٤٦ أرغم الحكومة الانجليزية على سحب قواتها من المدن المصرية الكبرى . فجلت القوات البريطانية فى منتصف شهر مارس (آذار) ١٩٤٧ ، ولكنها لم تجل عن البلاد ، بل انتقلت لتتمركز فى منطقة قناة السويس .

وبالرغم من عدم انقطاع مظاهرات الطلاب البطولية وبعض اضرابات العمال فى المراكز الصناعية الكبرى ، فان حركة التحرر الوطنى أصيبت بركود الى حد ما فى أوائل عام ١٩٤٧ وفى أواسطه بالذات الامر الذى عبر عنه بعض المؤرخين العرب « بالهدوء النسبى » [١٢٦ ، ٣١٥] .

الا ن هذا « الهدوء النسبى » لم يستقر على حاله طويلا . فقد بدأ فى نهاية عام ١٩٤٧ وأوائل عام ١٩٤٨ مد جديد للحركة المعادية للامبريالية .

وبمجرد أن عرف الشعب أن مجلس الامن أخفق فى اتخاذ أية قرارات بناءة لتلبية المطالب الشرعية للشعب المصرى ، اندلعت فى البلاد مظاهرات معادية للانجليز والامريكان . وتجددت المظاهرات فى بور سعيد والاسكندرية فى العاشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٤٧ (أى اليوم الاخير فى دورة انعقاد مجلس الامن) . وكانت المظاهرات تحمل شعارات تحض على خوض النضال ضد الامبريالية الانجليزية . وفى الوقت نفسه كان المتظاهرون يرددون هتافات الشكر للاتحاد السوفيتى وبولندا وسورية لتأييدها لموقف مصر فى مجلس الامن . وكان البوليس يقوم بحراسة القنصليات الانجليزية والامريكية ، وقامت مجموعة من الشباب فى بور سعيد فى ١١ سبتمبر (أيلول) بقذف القنصلية الامريكية والمنشآت الانجليزية بالحجارة . وتمكن البوليس بمساعدة قوات الجيش فقط من تفريق المتظاهرين .

وشهدت الاسكندرية فى اليوم نفسه اضرابا اشترك فيه ما يربو على أربعة آلاف عامل من عمال الغزل والنسيج ، ونظموا مظاهرة تحت شعار « فلتسقط الامبريالية ، فلتسقط انجلترا ! » وكان من ضحايا الاصطدامات مع البوليس كثير من الجرحى من الجانبين [٦٠ ، ١٩٤٧/٩/١١] . وفى هذه الايام حطم الوطنيون فى بور سعيد تمثال فرديناند ديليسبس [١١١ ، ١٩٤٧/٩/١٥] وأعلنت الحكومة حالة الطوارىء ردا على مظاهرات الطلاب والعمال [١٢٦ ، ص٣١٦] فى كلتا العاصمتين مع استدعاء وحدات من الجيش لحراسة السفارات .

وبالرغم من التدابير التعسفية التى لجأت اليها الحكومة ، فان المظاهرات والاضرابات لم تتوقف ، بل على العكس اتسع نطاقها لتشمل مدنا أخرى وكانت تحمل شعارات معادية للامبريالية . فمثلا نزع المتظاهرون علم الولايات المتحدة الامريكية من فوق مبنى قنصليتها فى الاسكندرية ومزقوه وداسوه بالاقدام [١٢٦ ، ص٣١٦] .

ورجع رئيس الوزراء النقراشى الى القاهرة فى ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٧ . وقد أعدت له الصحافة الشبه رسمية والدوائر الحاكمة استقبالا حافلا ووضعته فى مصاف المدافعين عن المصالح الوطنية . ولتدعيم هذه النغمة توجه النقراشى باشا عبر الشوارع المزدانة بالاعلام الوطنية بادىء ذى بدء لزيارة ضريح قادة حركة التحرر الوطنى مصطفى كامل وسعد زغلول وبعد ذلك فقط عاد الى مقر عمله [١١١ ، ١٩٤٧/٩/٢٢] .

وشنت صحف الوفد حملة جديدة معادية للحكومة معلنة أن مهمة النقراشى قد منيت بالفشل الذريع . وأكد النحاس فى رسالته الى النقراشى أن رئيس الوزراء أقدم على تنازلات للامبرياليين وعجز عن حماية المصالح الوطنية لمصر ولذا فان زعيم الوفد نصحه بالاستقالة « وانتظار حكم الامة » [١١١ ، ١٩٤٧/٩/٢٢] .

وشهدت الاسكندرية فى ٢٢ سبتمبر (أيلول) مظاهرات ضخمة ، رمى خلالها المتظاهرون القنصلية الانجليزية وغيرها من المنشآت الانجليزية

الاخرى بالاحجار وكانوا يرددون عندئذ الشعارات المعادية للانجليز . وقد إعتقل فى هذا اليوم بعض الوطنيين ، وكان من ضحايا الاصطدامات مع البوليس جريح واحد من البوليس وعشر جرحى من المتظاهرين [١١١ ، ١٩٤٧/٩/٢٣] .

وعقب ذلك أعلن طلاب جامعة القاهرة والازهر الاضراب ونظموا المظاهرات . وتبعهم فى ذلك طلاب جامعة الاسكندرية .

وقد حققت الحركة الشيوعية خلال هذه الفترة بعض النجاحات النسبية . واضطرت بعض الجماعات لتوثيق تعاونها مع المجموعات الشيوعية بعد حملة الارهاب ضدها والتى بلغت ذروتها فى صيف ١٩٤٦ خاصة ، وبدأت فى شتاء ١٩٤٧/١٩٤٦ المفاوضات بين قيادات أكبر مجموعتين شيوعيتين مصريتين هما الحركة المصرية للتحرر الوطنى و « الشرارة » لتوحيد صفوفهما فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، والتى أصبحت أكبر جماعة شيوعية فى مصر . وكانت تضم بين صفوفها ١٤٠٠ عضو(١) الا أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى لم تنجح فى خلق تنظيم متجانس أيديولوجيا وتنظيميا .

وتجددت بعد بضعة شهور الخلافات القدمة بين التيارين الرئيسيين فى الحركة وسرعان ما ظهر تكتل جديد برئاسة سليمان الذى طالب بفصل هنرى كوريل وهلال شفارتز وهم من قدامى قادة الحركة المصرية للتحرر الوطنى و « الشرارة » من القيادة بحجة تعريب الحزب . وقد اتخذ الجدل أحيانا من التكتلات داخل الحركة الديمقراطية صورا بالغة العنف . وبالطبع ، كان هذا الموقف هو السبب الرئيسى فى فشل أكبر جماعة شيوعية ذات تأثير نسبى فى أن تصبح حزبا نضاليا للطبقة العاملة .

ونجحت النقابات الديمقراطية المصرية فى عام ١٩٤٧ فى استئناف علاقاتها مع اتحاد النقابات العالمى . وقد مثل المدرك فى يونية (حزيران) ١٩٤٧ النقابات المصرية فى دورة براغ لانعقاد المجلس العام لأتحاد النقابات العالمى .

---

(١) بناء على رأى لاكير ، يعتبر هذا مبالغة واضحة [٨٩ ، ص٤١] .

وقد اقترح على المجلس العام أن يرسل لجنة الى مصر لتقصى حقائق القوانين المعادية للعمال والديمقراطية التى سنتها الحكومة . وكان يتعين على هـــذه اللجنة اعداد تقرير للمجلس الاقتصادى والاجتماعى لدى الامم المتحدة ، كى يوفر الاخير الظروف العادية لنشاط النقابات العمالية والتنظيمات الديمقراطية الاخـــــرى .

وقد اعتقل المدرك بعد عودته مباشرة للوطن [١١٢ ، ١٩٤٧ ، رقم ٢٩ ، ص٣٤٨] .

وبالرغم من تعقب ومطـــاردة قادة النقـــابات الديمقراطية فقـــد بلغت موجة الاضرابات ذروتها من جديد فى النصـــف الثـــانى لعام ١٩٤٧ . وغالبا ما كانت تشتعل الاضرابات فى مصـــانع الغزل والنســـيج بشـــبرا الخيمة والاســـكندرية .

بيد أن أضخم اضراب عرفته البلاد خلال شـــهرى سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٧ كان فى مصـــانع الغزل والنســـيج بالمحلة الكبرى . وتم تنظيم ضراب تحت قيـــادة مؤتمر نقـــابات عمـــال مصر الذى استعاد نشاطه بتأثير من الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى واستمر لمدة ٤٥ يوما . واشترك فيه ما يقرب من ٣٥ الف عامل . وكان هـــذا أكبر تحرك للبروليتـــاريا المصرية فى ســـنوات ما بعد الحرب لمـــا يتسم به من العنـــاد والاصرار . وقد قامت الحكومة البرجوازية الاقطاعية بقمعه بوحشـــية . وكان من ضـــحايا الاصطدامات مع البوليس أربعة قتلى وأربعين جريحـــا من العمـــال [١٠٦ ، ١٩٤٩ ، رقم ٣ ، ١٠٧ ، ١٩٥٠ ، رقم ٧ — ٨ — ، ٨٩ ، ص٥٣ ، ٨٢ ، ص١٨٩] .

وعمت البلاد خلال شـــهر اكتوبر (تشرين الاول) موجة جـــديدة من الاضرابات [١١١ ، ٢٠/١٠ ١٩٤٧] الا أن اضراب عمال المحلة الكبرى كان آخر أكبر تحرك لعمال مصر حتى عام ١٩٥٠ عندما بدأ المـــد الجديد للحركة العمـــالية .

وكان أحد الاسباب فى الســـخط الشعبى العام اندلاع وباء الكوليرا فى

محافظة الشرقية فى سبتمبر (أيلول) ١٩٤٧ ثم تفشيه فى معظم مدن وقرى البلاد فى شـــهر أكتوبر (تشرين الاول) . وقد أودى الوباء الخبيث بأرواح ما يربو على عشرة آلاف مواطن [١٢٢ ، ص٢٣٥] .

وكانت الحركة المعادية للانجليز والامريكان فى هــذه الفترة تكتسب طابع العداء المتزايد للملكية .

فقد عقد فى جامعة القاهرة فى ١٩ يناير (كانون الثانى) ١٩٤٨ مؤتمر طلابى قام المشتركون فيه بتمزيق صور الملك فاروق . وكان الطلبة يرددون هتاف « لا ملك الا الله ! » [١٢٦ ، ص٣١٦] . ونظم طلاب وعمال الاسكندرية مظاهرة مشتركة تحت شـــعار ، فليســـقط الملك ! » .

وبلغت الازمة مداها فى أبريل (نيسان) ١٩٤٨ عنـــدما وقف البوليس الى جـــانب الشـــعب .

فقد توجه ضباط البوليس وموظفو وزارة الداخلية فى بداية خريف ١٩٤٧ا للحكومة يطالبونها برفع الاجور ومساواتهم بزملائهم من ضباط الجيش وموظفى وزارة العدل . ووعد رئيس الوزارة بتلبية هـــذا المطلب ولكنه لم يتخـــذ أية اجراءات فعلية لتنفيذ هـــذا الوعـــد .

وأعلن ضباط البوليس فى العاصمتين وغيرهما من المدن الكبرى الاخرى الاضراب فى ١٤ أكتوبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ . ونجحت الحكومة بواسطة التدابير العاجلة والمكافآت الوضيعة فى احتواء الاضراب فى مرحلته الاولى المبكرة . وقد أحيلت قيادات حركة البوليس ذات النفوذ الكبير المؤثر على المعاش ونقل الآخرون الى المحافظات النائية . الا أن الحكومة لم تلب الطلب . وتمت فى ١٨ مارس (آذار) ١٩٤٨ الدعوة لعقد اجتماع عام لضباط بوليس العاصمة ، وقرروا انه فى حالة عدم الاستجابة لطلبهم حتى يوم ٢٥ مارس (آذار) يكون يوم ٥ ابريل (نيسان) اضرابا شاملا . ولم تعر الحكومة هـــذا القرار التفاتا كبيرا . عندئذ أعلن ضباط البوليس يوم ٥ أبريل (نيسان)(١) اضرابهم فى القاهرة والاسكندرية وعواصم المديريات [١٢٢ ، ص٢٥٢] .

(١) بدأ الاضراب بالتحديد آخر مساء يوم ٤ أبريل (نيســـان) .

واحتشد فى نادى ضـــباط البوليس بالقـــاهرة ما يقرب من ألف ضابط أعلنوا اعتصامهم فى أماكنهم بالنادى لحين الاستجابة لمطلبهم . وانضم اليهم ضباط البوليس فى المدن الاخرى وتوجهوا فى مجموعات صغيرة الى العاصمة ، وتبع الضباط جنود البوليس العـــاديين .

وقد أصر المضربون من حراس الامن العـــام على الاستجابة لمطالبهم الاقتصادية الآنفة الذكر وكذلك اعادة زملائهم الذين أحيلوا على الاستيداع أو المنقولين عقابا لهم واتاحة الفرصة أمامهم للتدرج فى سلم الترقى الوظيفى وغيرها من المطالب الاخرى .

لقد ترك اضراب البوليس انطباعا مخيفا فى نفوس الطبقة الحاكمة لان ركيزة من الركائز التى تعتمد عليها فى ســـيطرتها قد هوت . وعقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء امتد طيلة الليل من مســـاء ٤ أبريل حتى فجر ٥ أبريل (نيســـان) . وفى صباح الخامس من أبريل (نيسان) أعلنت حالة الطوارىء فى العـــاصمتين .

وقد قام الطلاب وبروليتاريا شـــبرا الخيمة بتأييد البوليس . وحاول العمال التوجه الى وسط البلد للانضمام الى المتظاهرين ولكن قوات الجيش اعترضت طريقهم . وكانت المظـــاهرات تنادى بسقوط الحكومة والملك . [١١٢ ، ١٩٤٨ ، رقم ٢٠ ، ص٢٠٧] .

واستدعت الحكومة قوات الجيش لسحق الاضراب . وبدأت المعارك بين البوليس وقوات الجيش . وطلب مجلس الوزراء من رجال البوليس العودة للقيام بمهام أعمالهم فى السادس من أبريل (نيسان) . وفى حالة العصيان توقع عليهم عقوبة الطرد وتقديمهم للمحاكمة العسكرية .

وما أن انتهى اضراب رجال البوليس حتى أعقبه تحرك منظم تنظيما جيدا للممرضين بمستشفى القصر العينى وكانت مطالبهم تنحصر فى تحسين أوضاعهم المـــادية . واســـتدعيت قوات الجيش مرة أخرى ،وتم اعتقـــال الكثير من قادة هـــذا الاضراب وقدموا للمحاكمة [١٢٢ ، ص٢٥٢] .

لقد كان تحول البوليس لجانب الشعب والحركة الجماهيرية المعادية

للملكية بشائر تنذر بسرعة انهيار النظام القائم . وكانت خير دليل على اتساع نطاق الازمة التى تعانى منها مصر الملكية شبه المستعمرة .

وفى الرابع من مايو (آيار) ١٩٤٨ أقر مجلس النواب قانونا جديدا لمكافحة الشيوعية يحظر بمقتضاه نشاط الحزب الشيوعى ، كما ويعتبر كل من يشترك فيه متهما بالخيانة للدولة . ويعتبر هذا القانون « اكثر تجويدا » عن القانون الصادر عام ١٩٤٦ بشأن مكافحة الشيوعية . وأصدر المجلس فى الاجتماع ذاته قانونا « لمكافحة الاضرابات » ، يعتبر بمقتضاه اعلان الاضراب عملا من أعمال الخيانة للدولة [١٣٦ ، ١٩٤٨/٥/٥ ، ١٠٣ أ ، ٣/٢٨ /١٩٦٤] ويا له من قانون غير ديمقراطى .

الحرب الفلسطينية

ولجأت الطبقات الحاكمة الى اسلوب معروف جيدا أخذته عن ترسانة الدول الامبريالية ويكمن فى توجيه « شحنة الغضب والسخط المتراكمة ناحية العدو الخارجى » لمكافحة حركة الشعب التحررية [٧٢ ، ص١٦٠!] . فقد قررت اضرام نيران النزاع المسلح لاستخدام الوضع العسكرى فى قمع المعارضة واخماد أنفاسها .

انتهى سريان مفعول الانتداب البريطانى فى فلسطين فى منتصف ليلة الرابع عشر من مايو (آيار) ١٩٤٨ . وتم فى اليوم نفسه اعلان انشاء دولة اسرائيل(١) . وبعدها ببضع دقائق أعلن الرئيس الامريكى ترومان اعتراف بلاده بالحكومة المؤقتة الاسرائيلية .

وأعلن النقراشى باشا رئيس الوزراء قبل وقوع هذا الحدث ببضعة أيام فى جلسة مغلقة لمجلس الشيوخ أن مصر لا تنوى محاربة الدولة اليهودية

---

(١) لقد أرغمت الحركة التحررية للشعب الفلسطينى ضد الانتداب الانجليزى انجلترا على طرح قضية الوضع المقبل فى فلسطين على الامم المتحدة . وقد أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة فى التاسع والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ قرارا يقضى بانشاء دولتين احداهما يهودية والاخرى عربية على أرض فلسطين .

المقبلة . بيد أنه ألح فى الاجتماع التالى بنية الحكومة فى ارسال قواتها الى فلسطين . وأصبح من الواضح للجميع أن الملك هو الذى يقف وراء التغيير الذى طرا على السياسة المصرية . وقد عمل فاروق على اقحام البلاد فى الحرب دون مناقشة المسألة فى مجلس الوزراء أو البرلمان ، وكان الملك والزمرة المحيطة به يؤملون فى نصر سريع وسهل وكانوا يخططون لانشاء فلسطين عربية تابعة لمصر .

ولم يعط رئيس الوزراء وقتئذ أى « جواب شاف أو مطمئن بتاتا » بالنسبة لدرجة استعداد البلاد للحرب [٧٢ ، ص١٥٩] .

واجتازت القوات المسلحة المصرية فى الخامس عشر من مايو (آيار) ١٩٤٨ الحدود . وقبلها بيومين أعلنت فى الثالث عشر من مايو (آيار) حالة الحرب فى مصر . وفى الوقت نفسه تم تعيين النقراشى باشا رئيس الوزراء حاكما عسكريا للبلاد .. ولم تساور الشكوك أى فرد فى البلاد ، أن اعلان حالة الحرب كان المقصود به محاولة القمة الحاكمة التنكيل بالحركة الشعبية الناهضة . وكانت الحرب ضرورة من الضروريات الرئيسية للدوائر الحاكمة فى مصر كذريعة ملائمة لتشديد قبضة الرجعية .

وكان من بين التدابير المرتبطة باعلان حالة الحرب شن حملة « اعتقالات الشخصيات الخطرة على الامن » واتخذت الحكومة قرارا خاصا ببناء معتقلين أحدهما فى العباسية والآخر فى حلوان [١٣٦ ، ١٤ ، ٥/١٦/ ١٩٤٨] .

وسارعت أجهزة البوليس فى القاهرة وبعض المدن الكبرى الاخرى فى صباح ١٤ مايو (آيار) فورا اعلان حالة الحرب باعتقال « اليهود الارهابيين والعناصر الخطرة والشيوعيين » . وجرى خلال اليومين الاولين اعتقال ٣٤٠ مواطن كانوا أساسا من الشباب وكان من بين المعتقلين ٢٢ فتاة [١٣٦ ، ١٩٤٨/٥/١٦] . وزج فى السجون بالكثير من القيادات النقابية العمالية والطلاب والصحفيين (ولاسيما الوفديين اليساريين) وتم على وجه الخصوص اعتقال المدرك (لرابع مرة منذ ١٩٤٥) وحسن عبد الرحمن رئيس نقابات سائقى التاكسى ومحمود العسكرى رئيس نقابة عمال الغزل

والنسيج ومحمد على عامر رئيس نقابة عمال الغزل والنسيج فى القاهرة خليل ترك رئيس نقابة السائقين . وحلت الحكومة ١٥٠ نقابة عمالية واتخذت كذلك تدابير للحد من نشاط النقابات المتبقية [١١٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٤٣ ، ص٤٦٩] .

واعتقل فى الخامس عشر من أبريل (نيسان) هنرى كوريل احد مؤسسى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وبائع الكتب الثرى [١٣٦ ، ١٩٤٨/٥/١٧] .

وكان هناك كثير من اليهود الشيوعيين المصريين . واثناء الحرب فى فلسطين كانت تلفق التهم ضد الجماعات الماركسية والشيوعية المصرية فى موالاتها للصهيونية . وكانت الغالبية الساحقة من الشيوعيين فى المعتقلات حتى نهاية ١٩٤٩ [١٠٣ أ ، ١٩٦٤/٣/٢٨] .

وقد اعتقل ما يقرب من مائة مواطن شيوعى فور اعلان حالة الحرب فى البلاد [٨٩ ، ص٤٥] .

وبلغ اجمالى عدد المعتقلين الشيوعيين بعد بداية الحرب فى فلسطين ما يقرب من ٥٠٠ شيوعى من قادة النقابات التقدمية والطلاب والعمال النشطاء [١٠٧ ، ١٩٥٠ ، رقم ٧ ، ٨] .

وكانت الموجة الجديدة من المطاردة والتعقب للشوعيين وكذلك الصراع الدائر داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وبين بعض المجموعات الشيوعية من الاسباب التى أدت الى اضعاف الحركة الشيوعية وتأثيرها على النقابات العمالية اضعافا شديدا . وانقطعت أواصر الصلة من جديد بينها وبين الاتحاد العالمى للنقابات . توقف تقريبا نشاط المجموعات الشيوعية والنقابات التقدمية على سطح الحياة السياسية العلنية من مايو (آيار) ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٠ .

وسرعان ما اوضحت العمليات العسكرية فى فلسطين عدم استعداد مصر لهذه الحرب بتاتا وان دخولها هذه الحرب كان بمثابة مغامرة طائشة .

وسلم الملك فاروق مقاليد الجيش المصرى لجنرالات جهلة مأجورين . ولم يكن هناك أى تفاهم متبادل بين الدول العربية . كما ولم يكن لديهم قيادة موحـــدة [٧٢ ، ص ١٦١ ، ١٢٢ ، ص٢٣٥] . وكانت النتيجة أن حطمت القوات الاسرائيلية الجيوش العربية كل على حدة . وقدمت الولايات المتحدة الامريكية العون الكبير لاسرائيل . وعلى النقيض من ذلك كانت تحاول ايهام العرب أنها المدافع عن قضيتهم .

وتحطم الجيش المصرى فى فلسطين . وعندما توغلت القوات الاسرائيلية فى ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ داخل الاراضى المصرية طالبت انجلترا بوقف العمليات الحربية وسحب القوات الاسرائيلية .

وتم وقف تبـادل اطلاق النيران فى السابع من يناير (كانون الثانى) ١٩٤٩ ووقعت اتفاقية الصلح فى ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٤٩ .

وتقبلت الجماهير الشعبية المتحمسة بسبب الدعاية ذات النزعة القومية الهزيمة على أنها كارثة وطنية . واشتعلت المظاهرات الجماهيرية المعــادية للحكومة فى جميع المدن المصرية .

وكان جمال عبد الناصر خير من عبر عن ميول وأحاسـيس الجنــود والضباط المصريين أثناء حرب فلسطين ، حيث قال : « لقــد كنا نحارب فى فلسطين بينما أرواحنا فى مصر . وكنا نوجه رصاصنا لصدور العدو المتربص فى الخنادق أمامنا ، بينما قلوبنا لم تبرح أرض الوطن البعيد ، الذى كانت تمزقه وتنتذ الذئاب الضــارية » .

ويستشـهد جمال عبد الناصر بكلمات (أحمد عبد العزيز قبل استشـهاده) والذى كان قائدا للمتطوعين المصريين فى حرب فلسطين : « ان أكبر معاركنا ستنشب فى مصر » [٦٩ ، ص١٢ ، ١٣] .

مـا أن بدأت الحرب بين العرب واسرائيل ، حتى القى « الاخـوان المسلمون » بثقلهم فى معمعة الاحداث . فشنوا حملة واسعة النطاق لتقديم العون وجمع التبرعات لصالح العرب الفلسطينيين . وكان حسن البنا يلقى الخطب فى الاجتماعات الكبيرة لتأييد الحاج أمين الحسينى مفتى فلسـطين والحكومة الفلسطينية المؤقتة(١) التى كان يترأسها .

وقد أتيحت الفرصة للجمعية فى أن توسع من نشـاطها فى جميع أرجاء مصر . وقـد بدأ « الاخوان المسـلمون » فى هـذه الفترة بالذات تشكيل كتيبتهم(٢) والتي كانت بمثـابة الهيكل العظمى لجيش المتطوعين برئاسـة أحمد عبد العزيز(٣) الذى كان يقوم بأعبـاء العمليات العسـكرية فى حرب فلسطين . وكانت الكتائب تضم أساسا العمال والطلاب . وعاد أعضـاء الكتائب الى مصر بعد أن منوا بالهزيمة فى ميدان القتال يملؤهم الغيظ والسخط

---

(١) أعلن فى غزة فى سبتمبر (أيلول) ١٩٤٨ تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة برئاسة الحسينى . بيد أن هـذه الحكومة لم يكتب لها أن تصـبح قوة فعلية بسبب موقف الملك عبد الله ملك الاردن على وجه الخصوص لسعيه الدائب لضم أجزاء من فلسطين لملكته . وبناء على أوامره تم اعفاء الحسينى من منصـبه كمفتى للديار الفلسـطينية .

(٢) تكونت « كتائب الاخوان المسلمين » أو « النظام الخـاص » من المتطوعين . وكانت الوحدة الاساسية للكتيبة هى خلية سرية مكونة من عشرة أفـراد . وكانت كل عشرة تنتخب قائدها . وكانت كل أربع عشرات تكون وحدة أكبر هى العشيرة . وكل خمسة عشائر تكون رهطا (٢٠٠ فرد) وأخيرا كل خمسة أراهط تتحد وتكون كتيبة (١٠٠٠ فرد) . وقد حظيت كتـائب الجمعية المسـلحة السرية بالتطور اللاحق أثناء الحرب الفدائية فى منطقة قناة السويس ١٩٥١ — ١٩٥٢ (أنظر الباب السـادس) .

(٣) اشترك فى الحرب العالمية الاولى برتبة رائد فى الجيش التركى . وتوفى عام ١٩٥١ .

(تماما مثل جنود الجيش النظامى) . وقد جلبوا معهم كميات هائلة من العتاد والذخيرة مما جعل منهم قوة مؤثرة خطيرة .

وقد دعا « الاخوان المسلمون » الشعب للانتفاضة المسلحة واسقاط الملكية واعلان الخلافة التيوقراطية برئاسة الجمعية . وتبعا لرأى الرافعى فقد كان حسن البنا يعول على توليه السلطة بطريق كسب الغالبية المطلقة من سكان البلاد الى صفه . كتب حسن البنا فى مارس (آذار) ١٩٤٦ يقول ان « الاخوان المسلمين » لا تسعى للاستيلاء على السلطة واغتصابها وتكتفى بتوضيح « مبادئها الرفيعة » بين الاوساط الشعبية .

وأضاف قائلا بأن هذه المبادىء لو انتشرت واعتنقتها الغالبية العظمى من سكان البلاد ، فان « السلطة نفسها ستسعى الينا » [١٢٢ ، ص٢٦٤] .

وقد اشتد كثيرا فى عام ١٩٤٨ نفوذ العناصر المتطرفة فى الجمعية . وينوه الرافعى قائلا : « تسعى ، بكل تأكيد ، العناصر الارهابية فى هذه الجمعية الى السلطة ، وكانت ترى أن اعداد الرأى العام لبلوغ هذا الهدف عن طريق الانتخابات أمر يطول شرحه للغاية . وكانوا يعتقدون أن القوة هى أفضل طريق لاغتصاب السلطة » [١٢٢ ، ص٢٦٤] . وأخطأ الرافعى عندما ظن أن البنا سينتظر « حتى يغزو الغالبية العظمى من السكان ويكتسبهم الى جانبه » .

وكان أهم شىء بالنسبة « للمرشد العام » اغتصاب السلطة أما ما يخص الوسائل والطرائق المتبعة ، فكانت هذه المسألة غير مبدئية . وكان البنا يتمسك بالحكمة القائلة : (الغاية تبرر الوسيلة) .

واخذت الجمعية بعد أن أحست بقوتها تركض ركضا لاغتصاب السلطة . واذا كانت الجمعية فى السنوات الغابرة لم تنتهج خطا سياسيا ثابتا وكانت تعمل على تأييد مختلف الاحزاب والتنظيمات السياسية ابتداء من البلاط الملكى والسعديين حتى الوفد تبعا لتقلبات الوضع السياسى ، بل وانضمت فى بعض المراحل الى تنظيم الجبهة الوطنية الموحدة المعادية

للامبريالية فان « الاخوان المسلمين » فى النصف الثانى من عام ١٩٤٨ انتهجوا خطا سياسيا مســـتقلا .

وقامت الجمعية فى نهاية ١٩٤٧ وبداية ١٩٤٨ بنقد سياسة الحكومة نقدا لاذعا لعجزها عن انجاز المهام الوطنية الرئيســـية لمصر . ووجه البنا للملك تكرارا ومرارا الرسائل المتتالية . فمثلا ، نجده يتهم النقراشي فى احدى رسائله بتاريخ يناير (كانون الثانى) ١٩٤٨ بعجزه عن التوصل لحل القضية المصرية حلا مرضيا فى مجلس الامن وبذل أقل جهد ممكن لتوحيد وادى النيل وكذلك لالغاء الاتفاقيات الانجلو مصرية ١٨٩٩ ومعاهدة ١٩٣٦ . وطلب فى ختام رســـالته من الملك اقـــالة حكومة النقراشى وابدالها بغيرها [١٣٦ ، ١٩٤٨/١/١٤] .

وكانت احدى الخصائص المميزة دائما « للاخوان المسلمين » تعصبهم القومى المتسم بالطابع المعادى للغرب . واكتسب بعد الحرب الفلســـطينية اتجاها واضـــح العداء لاسرائيل . وكانت هـــذه « العصـــبية القوميـــة العدوانية » تبدو فى أعين كثير من المصريين غير الملمين بأصول السياسة عملا ثوريا وبطوليا . ولذا فان أى تهجم على الجمعية كان يقابل على أنه تهجم على القومية المصرية وعلى أنه عمل من « أعمال الطغيان ضـــد الوطنيين الاصـــلاء » . ويجب ألا ننسى ازدياد سمعة « الاخوان المســـلمين » خلال السنة الاولى من الحرب الفلسطينية بفضل المشـــاركة الفعـــالة فى العمليات العسكرية ورجولتهم الاكيدة [٩٣ ، ص٣٥١ — ٣٥٢] التى كانت من عوامل الجذب الواضح خاصة اذا قورنت بلا مبالاة وخمول الدوائر الحاكمة .

وبينما كانت الجمعية ترفع الشعارات المعادية للامبريالية كانت تخوض فى الوقت نفسه صراعا ضـــاريا ضد الافكار والتنظيمات التقدمية ، لذا فان الاحزاب الرجعية الحاكمة كانت تعمل على تأييد وتشجيع « الاخوان المسلمين » على عزل الجماهير الشعبية عن التنظيمات الديمقراطية الاصيلة .

ويمكن أن نرجع اتســاع نطاق نفوذ « الاخوان المسلمين » خلال العامين من ١٩٤٧ وحتى ١٩٤٨ الى عدة أسباب منها :

١ — فى الوقت الذى كانت تتعرض فيه التنظيمات الديمقراطية للطبقة العاملة والمتمثلة فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ومؤتمر نقابات عمال مصر لضغوط الملاحقة والاضطهاد العنيف ، لم يتعرض « الاخوان المسلمين » خلال السنوات من ١٩٤٥ وحتى ١٩٤٧ الى ملاحقة تذكر من جانب السلطات . وكانت الوزارات المعادية للوفد خلال السنوات ١٩٤٤ وحتى ١٩٤٩ ترى ان التحالف السياسى مع الجمعية أمر بالغ الاهمية والضرورة [٩٠ ، ص٤٠٩ ، ٩٣ ، ص ٣٥٢] .

٢ — انخفضت شعبية الوفد خلال فترة ما بعد الحرب انخفاضا كبيرا لكثير من الاسباب . زد على ذلك أن الوفديين تعرضوا لاعمال الملاحقة والاضطهاد من جانب السلطات .

٣ — وتدل الشواهد كلها على أن الملك كان يتغاضى تماما عن أعمال الجمعية بهدف وضعها فى مجابهة الوفد . ولهذا يرجع الفضل فى نجاح الجمعية الى الملك فاروق الذى كان يقدم لها العون المادى [٩٠ ، ص٤٠٨] . وبناء على تأكيدات بعض الباحثين فان الجمعية كانت تتلقى كذلك المعونات المالية من الوفد [٩٢ ، ص٥٣ ، ٩٣ ، ص٣٥٢](١) .

٤ — ويرجع الفضل فى ازدياد شعبية الجمعية وتفوذها الى شخص حسن البنا الى حد ما .

٥ — وكانت الشعارات الديماجوجية المعادية للامبريالية ولاسيما المعادية للانجليز تجتذب عواطف الجماهير الشعبية . زد على ذلك أن « الاخوان المسلمين » كانوا يضعون نصب أعينهم العاطفة الدينية المتغلغلة فى نفوس الشعب المصرى وكانوا يروجون فى دعايتهم للوحدة الاسلامية . واستطاع « الاخوان المسلمون » فى سبتمبر (أيلول) ١٩٤٧ أن يشكلوا كتلة موحدة من ١٥ جمعية وجماعة وحزب اسلامى وقومى ويتزعموها . وكانت الكتلة تضم كلا من جمعية الاخوان المسلمين والحزب الوطنى و « مصر الفتاة » وجمعية الشبان المسلمن وجبهة مصر (بزعامة على ماهر) وحزب

---

(١) ذكر فى الباب الثانى الكثير عن الصلات التى كانت تربط بينها وبين على ماهر وانصاره .

العمال(٨) وجبهة الدعوة لوحدة وادى النيل ولجنة التحرير واللجنة الوطنية للازهر والنادى العربى ، واتحاد طلاب السودان واللجنة التنفيذية لطلاب الجامعة والمدارس واتحاد وادى لنيل واتحاد المحامين واتحاد الثقافة الشعبية . وسميت هذه الكتلة « باتحاد شباب الاحزاب والهيئات » [٨٣ ، ص٤٧] .

وقد عمل تشيكل « اتحاد شباب الاحزاب والهيئات » على ازدياد نفوذ « الاخوان المسلمين » فى البلاد ، وبالرغم من أن اتحاد شباب الاحزاب والهيئات لم يكن تحالفا متجانسا فقد كان يمثل قوة مهولة عاتية ، لا يمكن لاية حكومة مهما كانت أن تتجاهلها . فمثلا ، لم توجه القمة الحاكمة جزءا كبيرا من القوات المسلحة الى فلسطين بالذات تحسبا لتحركات « الاخوان المسلمين » وأعوانهم غير المتوقعة فى العاصمة [٨٣ ، ص٦٩] .

وكانت المهمة الرئيسية لاتحاد شباب الاحزاب والهيئات تنحصر فى تحقيق الاستقلال الاصيل لمصر فى أقرب وقت ممكن عن طريق فسخ معاهدة ١٩٣٦ فسخا أحادى الجانب . وطالب الاتحاد رفض اجراء أية مفاوضات مع انجلترا طالما هناك جندى واحد من الجنود البريطانيين باقيا على أرض مصر .

وقررت الجمعية تنظيم حركة من العصيان العام ضد بريطانيا العظمى . وكانت تشهر سلاح المقاطعة ضد الانجليز على اعتبار أنها الوسيلة الرئيسية للنضال ضدهم . وطالبت الجمعية بانهاء خدمة جميع الموظفين البريطانيين واقصائهم من مناصبهم ، وامتناع أصحاب البيوت عن تأجير بيوتهم وشققهم للانجليز ، وعدم تعامل المصريين بأى حال من الاحوال مع الانجليز . وعمل « الاخوان المسلمون » على تهيئة جو فى البلاد يستحيل فى ظله على أى رجل من رجال السياسة المصريين اجراء المفاوضات مع الانجليز . وكان الهدف النهائى من المقاطعة تحويل حياة الانجليز الى جحيم لا يطاق مما يدفعهم الى الرحيل عن مصر [٨٣ ، ص٤٤] . ودبر « الاخوان المسلمون » اعمالا

---

(٨) كان هذا الحزب حزبا عماليا باللفظ فقط .

ارهابية ضد الانجليز ممن يشغلون المناصب المرموقة وضد المصريين المتعاونين معهم .

وشكل النشاط الارهابى « للاخوان المسلمين » فى عام ١٩٤٨ تهديدا خطيرا للقمة الحاكمة . وامتنع الملك وجميع أعضاء الوزارة خلال الفترة من أكتوبر (تشرين الاول) وحتى ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ عن الظهور فى أى مكان عام خوفا من رصاص ارهابيى الجمعية .

وفى الوقت نفسه بدأت تنصرف جماهير شعبية غفيرة ولاسيما سكان المدن عن الجمعية وتنسحب منها بسبب نشاطها الارهابى وخيبة أملها فى « ثوريتها » .

واتخذ رئيس الوزراء مستغلا سلطاته كحاكم عسكرى ومتوسما التأييد من جانب الملك والبرلمان وكذلك الرأى العام قرارا ببدء مكافحة الجمعية . وكان النقراشى مقتنعا أن بامكانه عن طريق الاجراءات الصارمة وحدها احباط القدرة المتزايدة « للاخوان المسلمين » وتصفيتهم كقوة سياسية واقعية والعمل على استقرار الاوضاع فى البلاد .

وقد وقعت بعض العقوبات فى نهاية أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٨ على « الاخوان المسلمين » . وأصدر رئيس الوزراء فى الثامن والعشرين من أكتوبر (تشرين الاول) أمرا باغلاق فروع الجمعية فى كل من الاسماعيلية وبور سعيد . وحرم على أعضاء هذه الفروع عقد الاجتماعات أو القيام بأعمال الدعاية وغيرها من الانشطة الاخرى ، كما وأنه تم التنويه ، بأن أى مخالفة للحظر المشار اليه سيقابل بالعقوبة الصارمة [١٣٦ ، ١٩٤٨/١٠/٢٩] ، وكان هذا الاجراء بمثابة محك من نوع خاص لاختبار رد فعل الجمعية ازاء تحركات الحكومة التعسفية ، وتوضيح صدى هذا العمل داخل البلاد .

وأثناء هذه الفترة راجت فى القاهرة اشاعات باستئناف المفاوضات مع بريطانيا العظمى . وقد عمل « الاخوان المسلمون » سويا مع الوفديين بنشاط على معارضة اجراء أية مفاوضات مع انجلترا وطالبوا بالغاء معاهدة ١٩٣٦ من جانب واحد .

وقد وصل مع أوائل شهر نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٨ الى القاهرة عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر لدى بريطانيا العظمى والمعروف بتعاطفه مع انجلترا . وكان يتعين عليه ابلاغ الحكومة بوجهة نظر الحكومة الانجليزية وتوضيح الموقف المصرى وذلك للعمل على تهيئة الجو لاستئناف المفاوضات .

دبر « الاخوان المسلمون » فى الفترة ما بين شهر أكتوبر) تشرين الاول) وحتى ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ سلسلة متصلة كاملة من الاعمال الارهابية ضد رجال السياسة ممن كانوا ينتقدون برامج ومبادىء وأساليب الجمعية وكذلك ضد المصريين والاجانب ممن كانوا يتعاونون مع الانجليز . وقد أطلق « الاخوان المسلمون » فى الثالث من نوفمبر (تشرين الثانى) النيران على منزل عمرو باشا [٣ ، ١٩٤٨/١١/٤] ، وفى الثامن من نوفمبر (تشرين الثانى) أطلقوا نيرانهم على منزل الزعيم الوفدى النحاس باشا المعروف فى القاهرة كلها . وأعلنت الحكومة ردا على ذلك حالة الطوارىء [١٣٦ ، ١٩٤٨/١١/١٠] .

واشتعلت نيران حرب حقيقية بين الحكومة والجمعية . ودبر « الاخوان المسلمون » عدة هجمات فى القاهرة (وفى وقت واحد) على مكاتب ومراكز المراسلين الصحفيين لبعض الصحف الاجنبية الكبرى وفجزوا العديد من المبانى فى أحياء القاهرة المختلفة مما نجم عنه الكثير من الضحايا الابرياء والخسائر المادية الفادحة .

وتم فى السادس عشر من نوفمبر (تشرين الثانى) اعتقال ما يقرب من ٣٠ عضوا من أعضاء الجمعية بتهمة تدبير مؤامرة « ضد أمن البلاد وسلامتها » [٨٣ ، ص٧٥] . واخيرا ، تم فى الثامن والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) اعتقال الامين العام للجمعية [١٠٩ ، ١٩٤٨/١١/٢٩] .

وبلغ الصراع ذورته فى الثلث الاول من شهر ديسمبر (كانون الاول) .

وقد نشبت فى الرابع من ديسمبر (كانون الاول) أثناء مظاهرة كبيرة معادية للحكومة نظمها « الاخوان المسلمون » على أرض جامعة فؤاد الاول بالقاهرة معركة ضارية بين البوليس والطلاب الاعضاء فى جمعية الاخوان المسلمين . وقد قتل فى هذا اليوم فى الجامعة اللواء سليم زكى رئيس بوليس

القاهرة وأحد ركائز الرجعيـــة . فقــد توفى على أثر القاء قنبلة يدوية عليه . وقد قتل وجرح الكثير من بين الطلاب والبوليس واعتقل مئات الطلبة [١٢٢ ، ص٢٦٩ ، ٨٣، ص٧٥] .

وأصدر النقراشى فى الثـــامن من ديسمبر (كانون الاول) أمرا بتحريم نشاط الجمعية ومصادرة كل وثائقها ومطابعها وأموالها وممتلكاتها وكذلك غلق مقر قياداتها وأقسامها وأنديتها [١٣٦ ، ١٩٤٨/١٢/٩] .

واتضـــح أثناء هــذه العمــلية الكبيرة بجلاء ، كيف أن « الاخوان المسلمين » استعدوا تمام الاســـتعداد للاســـتيلاء على السلطة . وأعلن فى العشرين من ديسمبر (كانون الاول) خبرا رسميا عن اكتشـــاف مخـــازن للاسلحة والذخيرة فى شتى أنحاء البلاد تتبع الاخوان « المسلمين » [١٣٦ ، ١٩٤٨/١٢/٢٠] . وأصدر رئيس الوزراء فى اليوم نفسه قرارا بـــ تجميد جميع أرصدة « الاخوان المسلمين » لدى البنوك ، كما وضعت الحراسة على جميع الهيئات والمصالح التابعة للجمعيـــة .

وقد حتم الامر على رئيس الوزراء أن يدفع الثمن غاليا جزاء عمليات القمع الوحشـــية لنشاطات « الاخوان المسلمين » . فقد قتل النقراشى أحـــد الارهابيين من أعضاء الجمعية باطلاق ثلاث رصاصات عليه من الخلف عندما كان متواجدا فى مبنى وزارة الداخلية يوم ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ [١٢٢ ، ص٢٧١] .

وبعد وفاة النقراشى رأس الحكومة زعيم جديد من زعماء حزب السعديين هو ابراهيم عبد الهادى الذى كان يشغل منصب وزير الخارجية فى حكومة صدقى ووقع معه المعاهدة مع بيفين التى رفضها الشعب المصرى . لم يجرؤ ابراهيم عبد الهادى على المخـــاطرة باعتقال « المرشـــد العام » « للاخوان المسلمين » . ولكنه دبر قتله بموافقة صامتة من الملك(٩) .

---

(٩) قدم ابراهيم عبد الهادى فى عام ١٩٥٣ للمحاكمة . وكانت التهمة الموجهة اليه اشتراكه عندما كان رئيسا للوزراء ١٩٤٨ — ١٩٩ فى تدبير قتل حسن البنا . واتهم كذلك باتباع سياسة الارهاب فى البلاد وأنه كان واحدا =

وقتل حسن البنا فى الثانى عشر من فبراير (شباط) ١٩٤٩ على يد فاعل « مجهول » بينما كان خارجا من مقر قيادة جمعية الشبان المسلمين [١٢٢ ، ص٢٧٩] . وكان قد نصب نفســـه قبلها بقليل « خليفـــة الاسلام » [٨٣ ، ص٧٦] . وهكـــذا كانت النهاية السياسية للبنا . وبموته زالت فترة عنفوان الجمعية . وكان موت « المرشد العام » خسارة لا تعوض بالنسبة « للاخوان المسلمين » . وبدأ داخل الجمعية صراع بين الجماعات .

وقد أعتقل آلاف الاعضاء من الجمعية وزج بهم فى غياهب المعتقلات . بيد أن « الاخوان المسلمين » لم يقلعوا على الفور عن نشاطهم الارهابى . زد على ذلك أنهم كانوا يتربصون السوء ويترصدون الموت لرئيس الوزراء الجـــديد [١٢٢ ، ص٢٨٠] .

وقد انهال ابراهيم عبد الهادى بدوره بقســـوة على الجمعيـــة تنكيلا واضطهادا . وقد أصيب نشاطها بالشلل التام ابتداء من فبراير (شـــباط) ١٩٤٩ وحتى ربيع ١٩٥٠ .

وقد اتخذ رئيس الاوزراء محاولة مستميتة لتشكيل جبهة من الاحزاب البرجوازية بما فى ذلك الوفد ، لادراكه تمام الادراك أن الحكومة المكونة من السعديين والاحرار الدستوريين لا سند لها على الاطلاق بين أوساط الجماهير الشـــعبية . الا أن زعماء الوفد رفضـــوا الاشـــتراك فى حكومة ابراهيم عبد الهادى . وعندئذ اتجه للحزب الوطنى ، الذى فقد منذ زمن بعيد نفوذه وهيبته . والمهم أن رئيس الوزراء أشرك فى الحكومة اثنين من الحزب الوطنى مما كان له طابعا رمزا خالصا ولم يغير بحال من الاحوال وضع الاشـــياء . [١٢٢ ، ص٢٧٨] .

= من المبادرين لنقل قوات الجيش المصرى للاشتراك فى حرب فلسطين دون استعداد كاف (١٩٤٨) للدخول فى عمليات عسكرية . وقد حكم عليه بالاعدام ثم خفف حكم الاعدام بالسجن المؤبد . وأفرج عنه فى فبراير (شـــبا ط) ١٩٥٤ [١٢٣ أ ، ص٩٦] .

سقوط حكومة أحزاب « الاقلية »

بالرغم من توقف العمليات العسكرية فى فلسطين فى السابع من يناير (كانون الثانى) ١٩٤٩ وتوقيع اتفاقية بين الجانبين المتحاربين فى ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٤٩ ، اتخذ مجلس الوزراء قرارا بمد حالة الطوارىء لمدة عام آخر ينتهى فى ١٥ مايو (آيار) ١٩٥٠ . وكان هـذا دليلا على عمق أزمـة الحكومة السعدية وعجزها المطلق فى ادارة البلاد على نحو مرض . واضطرت الى تقديم استقالتها فى شهر يولية (تموز) ١٩٤٩ .

وشـكلت حكومة ائتلافية برئاسـة حسين سرى بعد سقوط حكومة السعديين . وحل الرئيس الجديد مجلس النواب وحدد الانتخابات البرلمـانية فى يناير (كانون الثانى) من العام التالى .

وكانت هزيمة الجيش المصرى فى حربه ضد اسرائيل أحد الاسـباب التى عجلت بسقط حكومة عبد الهادى وكان لحرب فلسطين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ آثار بعيدة المدى . وقد كشفت عن عجز وفساد الملكية الشبه مستعمرة فى مصر . وكان الجنودالمصر يون يسلمون الاسلحة والذخيرة الفاسدة عن عمد . وقد كشف التحقيق فى هـذه القضـية عن مجموعة كبيرة من الشـخصيات المختلسة والمنحرفة . واتضح ن مئات من الجنود والضباط اسـتشهدوا فى هـذه الحرب بسبب انحراف هـذه القمة المرتشية . وانتهت خيوط التحقيق فى القصر وشـارت الى ن المجرمين الرئيسـيين هم الملك فاروق نفسـه وحاشيته . وتدخل فاروق فى سير التحقيق كى ينقذ أقرب المقربين اليه من أعوانه ويخفى جرائمه الشنعاء التى ارتكبها هو بنفسه . الا أن الشـعب كله كان على علم بأن الملك هو المسئولل عن تورط مصر فى هـذه الحرب وعن هزيمتها سـواء بسـواء . ومنذ هـذا الوقت وكراهية الشـعب ازدادت أكثر للملك .

ويرى معظم المؤرخين المصريين أن أحد الاسباب الرئيسية فى قيام ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ يرجع الى هزيمة مصر فى حرب فلسطين . وكما كانت الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ — ١٩٠٥ مقدمة لسقوط القيصرية ، كانت هزيمة الجيش المصرى فى حرب فلسـطين بشـيرا بزوال الملكية المصرية وسـقوطها .

الباب الرابع

المفاوضات الانجلو مصرية ١٩٥٠ ــ ١٩٥١

والغـاء معـاهد ١٩٣٦

سيطرة الجناح اليمينى على الوفد

جرت فى الثالث من ينـاير (كانون الثانى) الانتخابا تالبرلمـانية التى أسفرت عن فوز الوفد .

وشـكل مصطفى النحاس فى الثـانى عشر من يناير (كانون الثانى) الوزارة الجديدة . وكانت هـذه هى الوزارة الوفدية الخامسة برئاسـة النحـاس .

وأعلن الوفد فى برنامجه الانتخابى أن البلاد سادها فى السنوات الخمس الاخيرة الاستبداد والطغيان . وأشار البرنامج الى أن حزب السعديين متهم فى هزيمة مصر فى الحرب الفلسـطينية . وحمله مسـؤولية استمرار احتلال القوات الانجليزية للاراضى المصرية . واتهم حزب « الاقلية » فى تقاعسه عن النضال من أجل وحدة وادى النيل . ووعد الوفد بالقضاء على « نظام حكم الاستبداد والطغيان » والعمل علىانسحاب القوات الانجليزية من البلاد وعلى وحدة مصر والسودان . وتضمن البرنامج وعودا ديماجوجية بالاصلاح .

ويرجع الفضـل فى فوز حزب الوفد فى الانتخابات أسـاسا الى تأييد الجماهير الشعبية التى كانت تعلق الآمال فى أن تقضى الحكومة الوفدية على نظام حكم الارهاب والرجعية وانهاء حالة الحرب والسماح ببعض الحريات الديمقراطية واخيرا اتخاذ التدابير لتحسين الوضع الاقتصادى للكادحين(١) .

---

(١) أدى تخفيض قيمة الجنيه المصرى فى سبتمبر (أيلول) ١٩٤٩ الى الهبوط المطرد لمستوى معيشة الكادحين [٥٣ ، رقم ٣ ، ١٩٤٩/٩/٢٠] . وطبق =

زد على ذلك أن « الاخوان المسلمين » أعطوا أصواتهم للوفد على أمل استئناف نشاطهم فى ظل الحكومة الوفدية . ولعب كذلك الشعور بالقلق ازاء الازمات الحكومية المتلاحقة والذى كان سائدا فى دوائر الاحتكارات الاجنبية العاملة فى مصر دورا معروفا فى فوز الوفديين . ويجب الا نغفل اهتمام الحكومة البريطانية بـ تولى الوفد مقاليد السلطة فى البلاد ، اذ أن الوفد بالذات هو الذى كان يتعاون مع انجلترا فى أحرج اللحظات [١٩٣٦ ، ١٩٤٢ — ١٩٤٤] . وكان الانجليز يعولون فى هذه المرة كذلك على أن يقدم الوفديون على الحلول الوسط ويهيئون الرأى العام المصرى لتقبل ابرام معاهدة جديدة مع انجلترا .

وبالرغم من هذا فقد حصل المرشحون « المستقلون » فى بعض الدوائر الانتخابية على معظم أصوات الناخبين ، لانهم كانوا يطالبون باجراء الاصلاح الزراعى وانتهاج سياسة التصنيع وفرض الحماية الجمركية . ويدل نجاح المرشحين « المستقلين » (الذين حصلوا على ٣٢ مقعدا فى البرلمان) على أن برنامج الوفد لم يلب تماما تطلعات الجماهير الشعبية [١٣٠ ، ص٥٣ — ٩٤] .

وخيبت الحكومة الوفدية الآمال المعقودة عليها بعد توليها السلطة . والحق ، فهى قد أفرجت عن معظم المعتقلين السياسيين(٢) ورفعت الاجور

= نظام البطاقات من جديد لصرف السلع الغذائية الضرورية وبالرغم من ذلك اضطر المواطنون الى السوق السوداء التى كانت أسعارها أزيد بمقدار ثلاث أو أربع مرات عن الاسعار التى حددتها الدولة . وارتفعت أسعار المواد الغذائية حتى يولية (تموز) ١٩٤٩ بنسبة ٢٩٨٪ بالنسبة لاسعار عام ١٩٤٥ . وازدادت الاجور خلال هذه الفترة بنسبة ٤٠٪ [١٣٠ ، ص٩٣] .

(٢) بلغ عدد المعتقلين السياسيين فى السجون والمعتقلات حتى أوائل عام ١٩٥٠ ما يقرب من ثلاثة آلاف معتقل سياسى معظمهم أساسا من « الاخوان المسلمين » والوفديين اليساريين وكذلك أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وبعض المجاميع الماركسية الاخرى . وتم الافراج عن المعتقلين خلال عدة شهور .

بعض الشيء لمجابهة الغلاء ، ولكن الوفديين عجزوا عن تحسين أوضاع السلع الغذائية فى البلاد وظلت الاسعار فى الارتفاع [٧٢ ، ص١٦٥] . ولم تفعل شيئا لخفض قيمة ايجارات الاراضى الزراعية ، ولمكافحة التهريب والمضاربة فى الاسعار التى استفحل داؤها ولخفض ايجارات الشقق السكنية ، وبعبارة اخرى لم تتخذ أية اجراءات تؤدى لرفع وتحسين مستوى الجماهير المعيشى .

وقررت الحكومة أخيرا فى مايو (آيار) ١٩٥٠ انهاء حالة الحرب . بيد أن هذا العمل كان يتسم بطابع محدد ، **أولا** : لم يشمل محافظتين (هما سيناء والبحر الاحمر) ، **ثانيا** : مازال عدد من القرارات العسكرية سارية المفعول (مثل ، حل جمعية « الاخوان المسلمين ») ، **ثالثا** : ظلت الرقابة قائمة على الخطابات والتلغرافات والطرود .

وأساء كثير من الوفديين استغلال مناصبهم المرموقة وانتهزوها فرصة لتهريب المواد الغذائية والمضاربة فى قوت الشعب [٧٢ ، ص١٦٦] . ولم يتوقف نهم الثراء عند حد البيروقراطية الوفدية ، بل تعداه كذلك ليشمل الزعماء الحزبيين كذلك . حتى مصطفى النحاس نفسه احد مشاهير رجال السياسة فى مصر لم ينج هو الآخر من هذه الآفة خلال سنوات ما بين الحربين العالميتين . ومما دل على هذا أن قرينته كانت تمتلك حتى عام ١٩٥١ فقط ما يقرب من ٧٥٠ فدانا من الاراضى الزراعية [٥١ ، ص١٠٣] .

وتغيرت علاقة الوفد بالقصر . فاذا كان الوفد ينتقد الملكية مر النقد فى السنوات الماضية ، فانه فى ١٩٥٠ وحتى ١٩٥٢ كان يتملق الملك وافراد عائلته بكل السبل ليبقى فى السلطة .

واذ عانا منهم على مداهنة الملك لم يصر قادة الوفد على التحقيق فى قضية الاسلحة الفاسدة [٧٢ ، ص١٦٥ ، ١٦٨] .

كتب سلامة موسى بهذا الصدد فى مذكراته يقول : « اتذكر أننى كنت عند مصطفى النحاس فى بيته قبل تشكيل الحكومة الوفدية الاخيرة بفترة قليلة . وكان هناك اجتماع يضم ما يزيد على مائة فرد . وألقى الزعيم الذى

كنا نكن له الاحترام العميق خطبة يمتدح فيها الملك فاروق ، واعلن أن الحكومة الوفدية ستتخذ التدابير الصـــارمة لقمع أية حركة موجهة ضد جلالة الملك . ودهش جميع الحاضرين ، ولكن رد الفعل هـــذا لم يؤثر بحال من الاحوال على الزعيم . واســـتمر يشرح ويوطـــد من دعائم التحـــالف الجديد بين الوفد والسراى » [١٠٠ ، ص٢١٦] .

وكانت قيـــادة الوفد فى ســـنوات ما بعد الحرب تجنح أكثر فأكثر الى اليمين ، حتى أصبحت فى عام ١٩٥٠ فى قبضة كبار المـــاليين والاحتكاريين . وأخذت شعبية النحاس الذى كان يناهز السبعين من عمره تهبط مع كل عام وخضع الجهاز الحزبى بالفعل لسلطة الامين العام فؤاد سراج الدين الذى كان يشغل منصب وزير الداخلية والمـــالية فى حكومة النحاس . وترأس بعد وفاة صبرى أبو علم الجماعة الحزبية فى البرلمـــان . وكان صديقه المقرب عبود باشا صاحب مصانع السكر وواحد من أثرى المصريين . وكان عبود باشا يتمتع بنفوذ كبير داخل حزب الوفد وقد منح الوفديون مؤسساته ومشـــاريعه امتيازات خاصـــة [٧٢ ، ص١٦٧ ، ٥١ ، ص١٠٢ ، ١٠٨] . وكان يقدم العون المـــالى الهـــائل للوفد .

وكان فؤاد سراج الدين على اتصـــال بحزبى الســـعديين والاحرار الدســـتوريين .

وعمل فؤاد سراج الدين على بقاء النظام الملكى الاقطاعى والمحافظة عليه وغرس فى الحزب الولاء للملك والعداء للشـــيوعية . وألقى النحـــاس بايعاز من سراج الدين أول خطاب له ضد الشيوعية فى مايو (آيار) ١٩٤٨ ، وأعلن فيه الولاء للملكية .

وقام سراج الدين من آن لآخر بتطهير الحزب وابعاد العناصر اليسارية عن مراكز القيادة . واقصى عددا من الوفديين اليســـاريين من الحزب متهما اياهم « بالشيوعية » وفى آواخر ١٩٤٨ احبط المؤتمر الذى كان يعد له شباب الوفد اليسارى لمناقشة الاوضاع داخل الحزب . وبعد أن صار مالكا لبعض صحف الحزب غير بشدة من اللهجة العامة لصحافة الوفد واكســـبها طابعا أكثر رجعية [٤٣ ، ص٨٠] . واخضع فؤاد سراج الدين صحافة الوفد كلها

تقريبا لاشرافه ورقابته بعد أن طرد محمد مندور وأبو الخير نجيب وغيرهم من الصحفيين التقدميين المشـــهورين . وغير بشكل واضح منذ ١٩٤٨ الخط السياسى للحزب لصبح — يمينيا خالصا . ومع ذلك لم يتورع عن القاء الخطب المعادية للامبريالية من آن لآخر لخداع الراى العام المصرى .

ويجب التنويه بعاملين هامين فى نهاية تناولنا لشخصية فؤاد سراج الدين وهما : انه كان يتمتع برضاء الملك وحظوته وأنه كان عدوا لدودا للشيوعيين . كتب ياكو فيللو الصحفى الايطالى التقدمى يقول : « فؤاد سراج الدين باشا واحد من الد الاعداء للشيوعيين فى مصر . وفى السجون يصبون عليه وعلى اسمه اللعنات » . [٥١ ، ص١٠٢] .

وظهرت رجعية قيـــادة الوفد على الصـــعيديين الداخلى والخارجى ســـواء بســـواء . فمثلا طرح سراج الدين على البرلمـــان مشروع قانون المشتبهين السياسين فى مايو (آيار) ١٩٥٠ عن « الاشتباه السياسى » والذى كان يدبره لانزال ضربة بأية حركة معارضة للوفد ولاسيما الحركة الديمقراطية . وقوبل مشروع القانون هـــذا بالسخط والاستهجان من جميع أعضاء الحزب العاديين . ووقع ما يقرب من مائتى محام على مذكرة يستنكرون فيها بشـــدة مشروع القانون ، الذى لا يتمشى مع « مبادىء الحرية والقضاء والدستور » .

وفى أغسطس (آب) ١٩٥١ طرحت القمـــة الوفدية على البرلمـــان مشروع قانون مشين عن الصحافة لدراسته ، والذى بمقتضاه يحق للحكومة منع أية صحيفة أو مجلة عن الصدور . وفى حالة صدور هـــذا القانون تكون حرية الصحافة قد قضى عليها تماما . وأعلن العاملون فى الصحافة فى السابع من أغسطس (آب) ١٩٥١ الاضراب لمدة ٢٤ ســـاعة احتجاجا على هـــذا القانون ، وانضم اليهم الصحفيون والطلاب وعمال النقل والمواصلات . وكان يتزعم حملة المعارضة زعماء الوفد اليســـاريين من أمثال عزيز فهمى وأحمد أبو الفتح رئيس تحرير صحيفة « المصرى » القاهرية الواسعة الانتشـــار [٧٢ ، ص١٦٩ ، ١١٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٣٦ ، ص٣٩١] .

وكانت الطبقة العاملة والطلاب وممثلو المثقفين التقدميين هى القوة التى عرقلت من اصدار مشاريع القوانين الرجعية هـــذاه فى البرلمـــان .

وكانت قيادة الوفد تراهن أساسا على الولايات المتحدة الامريكية على صعيد السياسة الخارجية ، والتى كانت تضيق الخناق شديدا على الانجليز فى الشرق الاوسط وفى مصر خاصـــة فى الفترة التى أعقبت الحرب . وكانت الولايات المتحـــدة الامريكية قد أحرزت بعض النجاح فى التســـلل الى مصر اقتصاديا وسياسيا عندما وصل الوفديون للسلطة . وساعد الوفديون أمريكا على التوسع المطرد . ففى الخامس من شهر مايو (آيار) ١٩٥١ وقعت مصر مع الولايات المتحـــدة الامريكية اتفاقا بشأن التعاون التكنيكى وفقا للنقطة الرابعة من « برنامج ترومان » ١٣٠ ، ص٩٤ [١٣٠ ، ص٩٤] . واصبح من حق الولايات المتحدة ارسال خبرائها وفنييها المتخصصين لوضع خطط التطور الاقتصادى للبلاد . وتحت ستار التعاون اقامت الولايات المتحـــدة العلاقات الانجارية مع أصحاب الجاه والنفوذ من ممثلى البرجوازية الاحتكارية المصرية . وقدمت الولايات المتحدة الامريكية من ١٩٤٥ وحتى مارس ١٩٥٢ لمصر معونة لا ترد تقدر بنصـــف مليون دولار وقرضا بمبلغ ١٨ مليون دولار . [٢٥ ، ص٣١٧] .

ولم تكن قيادة الوفد اليمينية لتمانع فى احلال سادة ما وراء المحيط الاكثر جاها وثراء محل السادة الانجليز . الا ان الوفديين العاديين كانوا يدركون كل الخطورة التى تكمن وراء التغلغل الامريكى فى البلاد وتعمل بكل الوســـائل على كبح جماح قيادة الحزب فى هـــذه المســـألة .

مظـــاهرات العمال والطلاب

نهض العمال من جديد فى ١٩٥٠ يخوضـــون النضال من أجل حقوقهم السياسية والاقتصادية . وقد عمت مصر كلها تقريبا فى شهر مارس (آذار) الاضرابات . وكان العمال يطالبون بالاضافة الى حقوقهم الاقتصادية ببعض المطالب السياسية وعلى راسها الجلاء الفورى للقوات الانجليزية والغـــاء معـــاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية .

وقد أمكن اخماد اضراب العمال فى ورش السكة الحديد فى أبو زعبل بعد أن احتلت الدبابات هـــذه المنطقة . وفى مصنع « نصر ١ » فى شـــبرا

الخيمة استولى العمال على المصنع وصمدوا فيه صمود الابطال لمدة اربعة أيام حتى أرغمهم البوليس بأبشع الوسائل الهمجية على ترك المصنع ومغادرته . وأضرب العمال فى مصنع « النزهة » أربع مرات واستمرت الاضرابات فى مصنع « نصر ٢ » لمدة أربعة أسابيع . واستمرت الاضرابات كذلك فى مصانع الحرير وفى مصانع « حمص » بالاسكندرية وفى غيرها من المصانع والمشاريع الاخرى .

وفى مايو (آيار) أضرب عمال مصنع السكر بالحوامدية (احدى ضواحى القاهرة)، أحد مصانع عبود . وفى آواخر مايو (آيار) وأوائل يونية (حزيران) نظم عمال القطاع العام (ورش السكة الحديد ، والترسانة ، والمطابع ، والتليفونات والتلغراف وغيرها)، المؤتمرات والمظاهرات عدة مرات والتى كانت تتجه لمنزل النحاس . وكان العمال يطالبون رئيس الوزراء بتحسين أوضاعهم الاقتصادية . وقد انقض البوليس فى السادس من يونية (حزيران) على مظاهرات العمال السلمية ، وكان نتيجة الصدامات وقوع ضحايا عديدة . وتمكن البوليس بشق الانفس تفريق المتظاهرين .

وأزهقت أرواح كثيرة عندما قام البوليس بقمع اضراب عمال مصنع « سباهى » للغزل والنسيج بالاسكندرية فى أوائل شهر يونيه (خزيران)، . وكان من ضحايا الاصطدامات مع البوليس استشهاد ثلاثين عاملا وجرح العديد من العمال الآخرين . وأضرب من جديد فى شهر ديسمبر (كانون الاول)، ٣٦٠٠ عامل فى مصنع السكر بالحوامدية .

وتوقفت كثير من الاضرابات أو منعت بعد تدخل مكتب العمل بوزارة الشؤون الاجتماعية وتكونت بمبادرة منه لجان تحكيم نجحت فى العديد من الحالات فى التوصل الى حلول سلمية للنزاعات .

وبالرغم من جهود الحكومة لم يقل عدد الاضرابات . ففى عام ١٩٥٠ بلغ عدد الاضرابات ٤٩ اضرابا وفى ١٩٥١ حوالى ٧٦ وفى النصف الاول من عام ١٩٥٢ حوالى ٣٠ اضرابا [٧٣ ، ص٣٧] .

وشهدت القاهرة فى منتصف شهر نوفمبر (تشرين الثانى)، ١٩٥٠ مظاهرات ضخمة للطلاب والعمال انتقلت فيما بعد الى مدن اخرى كبيرة مثل

الاسكندرية وبور سعيد وغيرها من المدن الاخرى . وطالب المتظاهرون بالغاء معاهدة ١٩٣٦ وجلاء القوات الاجنبية من منطقة قناة السويس فورا وبدون أى قيد أو شرط(٣) . واتخذت المظاهرات نطاقا واسع المدى لدرجة ان الحكومة الوفدية خافت معه من حركة شعبية عريضة واسرعت لاتخاذ التدابير الضرورية لسحقها . فأعلنت فى الثالث والعشرين من نوفمبر (تشرين الثانى) حالة الطوارىء فى ثلاث من المدن الكبرى وهى القاهرة والاسكندرية وبور سعيد [١٢٦ ، ص٣٢٨] .

السياسة الخارجية

لحكومة الوفد

بالرغم من مطالبة الجماهير الشعبية بعدم الدخول فى مفاوضات عقيمة مع بريطانيا العظمى ، فقد بذلت القيادة الوفدية كل ما بوسعها لتمهيد الجو لاجراء المفاوضات . وكان الوفديون يرون فى كل مراحل نشاطهم أن أهم وسيلة لبلوغ الاستقلال هى المفاوضات مع الامبرياليين البريطانيين . وكانت هذه المقولة تنبع من الجوهر الطبقى للقيادة الوفدية وتعكس ضعف البرجوازية المصرية وذعرها من الحركة الشعبية الجماهيرية . وكانوا يعتقدون أنه من الاهون عليهم بكثير الاقدام على تنازلات للامبرياليين ، عن معايشتهم لثورة شعبية عارمة .

وبعثت الحكومة المصرية فى مارس (آذار) ١٩٥٠ بمذكرة الى بريطانيا العظمى أشارت لها فيها أنه من الافيد « التنبه للرأى العام المصرى وكذلك تطور الوعى الوطنى » فى مصر . وأن المفاوضات بين البلدين ستكون مثمرة فقط فى حالة الجلاء التام للقوات المسلحة البريطانية عن مصر والاعتراف بوحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى وأن « مصر لن تكون فى خدمة

---

(٣) كانت ترابط فى منطقة قناة السويس قوات من الجيش الانجليزى قوامها ٦٥ الف فرد . وكانت توجد فى مصر قيادتان للقوات الانجليزية (فى مصر وفى الشرق الاوسط والادنى) وكانت القيادة الثانية تشرف على قوات منتشرة على مساحات مترامية من الشمال حتى حدود تركيا وايران وجزر مالطة والشرق حتى باكستان والجنوب حتى كينيا [١١٤ ، ص٥٢] .

السلام العام وأن تسهم بنصيبها الوافر الا بصون حقوقها الوطنية كاملا » .
وجاء فى ختام المذكرة ، أن مصر تنتظر سرعة الرد ، لان الرأى العام المصرى قلق للغاية بسبب تعليق مشكلته الوطنية ومصير السلام فى الشرق الاوسط [١١٤ ، ص٢] .

وكما يتضح فى المذكرة فان الحكومة الوفدية كانت تتعجل الدخول فى المفاوضات مع بريطانيا العظمى ، الا ان ما ورد فى المذكرة عن « قلق » الرأى العام المصرى كان وصفا ضعيفا للغاية للتعبير عن حقيقة الاوضاع فى مصر .

ومع ذلك فان الحكومة البريطانية لم تتعجل الدخول فى المفاوضات الرسمية . ورأت فى ١٧ مايو (آيار) ١٩٥٠ فقط انه من الضرورى الرد على مذكرة مارس للحكومة المصرية .

وكما ورد فى المذكرة الانجليزية ، فان الحكومة البريطانية كانت ترى انه من الملائم أكثر بدء مناقشة المشكلة المصرية فى المرحلة الاولى من الناحية العسكرية فقط ، أى المسائل التى تهم انجلترا وحدها . وكان يجب على رئيس القيادة العامة للامبراطورية الفيلد مارشال وليم سليم أن يصل الى مصر لاجراء مفاوضات غير رسمية بخصوص هذه المسائل فى أوائل شهر يونيو (حزيران) [١١٤ ، ص٣] . وفى الوقت نفسه لم تشمل المذكرة أية كلمة عن الجلاء أو عن وحدة وادى النيل . وهكذا ، فان بريطانيا العظمى منذ البداية دحضت تلك المبادىء التى على أساسها اقترحت الحكومة المصرية بدء المفاوضات وطرحت فى المقام الاول مسألة تشكيل حلف عسكرى بين البلدين كى تطبع الاحتلال الانجليزى لمصر بغلاف أكثر تمويها . وكان الانجليز يسعون منذ عام ١٩٤٦ لمثل هذا التحالف .

ووصل سليم الى القاهرة فى أوائل شهر يونية (خزيران) ١٩٥٠ وعقد عدة لقاءات مع النحاس ومحمد صلاح الدين وزير الخارجية وغيرهما من رجالات الدولة . وكان النحاس يسعى مهما كلفه الامر للاتفاق مع انجلترا . وقال لسليم : « يجب أن تفهموا أن جلاء القوات الانجليزية من مصر أمر ضرورى . وأنه اذا تم فسنعمل سويا كتفا الى كتف وسيسود الوفاق القلبى بيننا » [١١٤ ، ص١٩] الا أن سليم وصل ومعه تعليمات محددة . ولم يجد سليم فى محادثاته مع النحاس وصلاح الدين شيئا أفضل من أن يخيف مصر من

الخطر المزعوم من جانب الاتحاد السوفيتى [١١٤ ، ص٦ — ٧ ، ١٢ — ١٣] . الا انه بعد ذلك تفوه بالحكمة المأثورة مرتين ، والتى أوضحت نواياه الحقيقية . « ان مصر هى المفتاح للشرق الاوسط ، ومن يمتلك مصر يمتلك الشرق الاوسط كله » [١١٤ ، ص٨ ، ١٣] . ونظرا لان انجلترا كانت تدرك المغزى الاقتصادى والاستراتيجى الكبير لمصر أرادت توريطها فى الاشتراك معها فى حلف عدوانى موجه أولا ضد الاتحاد السوفيتى وبلدان الديمقراطية الشعبية وثانيا ضد الحركة التحررية لشعوب الشرق الاوسط ولاسيما ضد الشعب المصرى نفسه . وصرح سليم قائلا : « اننا نريد التوصل الى اتفاق عسكرى وهذا الاتفاق سيكون دفاعيا محضا يوفر لمصر الامن والسلامة » [١١٤ ، ص٩] .

وتحدث الفيلد مارشال باسهاب عن المفهوم الجديد لمبدأ السيادة الذى وضعته الدول الموقعة على حلف شمال الاطلنطى العدوانى . وأورد بريطانيا العظمى كمثال لدولة وافقت على اقامة قواعد عسكرية أمريكية على اراضيها [١١٤ ، ص١٣] . وفى احدى المحادثات بين رالف ستيفنسن السفير البريطانى(٤) وصلاح الدين ذكر « مثال » آخر وهو القاعدة البحرية الامريكية فى كوبا . وزعم ستيفنسون أن الكوبيين يحيون الوجود الامريكى على أراضيهم(٥) [١١٤ ، ص٤٩] .

وتكلم النحاس يرد على هذا قائلا : « اننى لا استطيع بتاتا أن أوافق أو أن اقنع الشعب بأن تواجد قوات أجنبية فى بلادنا فى وقت السلم يعنى شيئا آخر سوى نوع من الاحتلال وانتقاص السيادة » [١١٤ ، ص١٥] . الا أن سليم اصر بعناد على « أنه سيكون من الصعوبة البالغة أن يسدى النصح للحكومتين بالجلاء التام . ولا اعتقد انه يمكنكم الدفاع عن انفسكم فى حالة انسحاب القوات البريطانية من مصر . وهذا له أثر ضار على الحرب

---

(٤) عين سفير لبلاده فى مصر فى ١٥ يونية (حزيران) ١٩٥٠ محل رونالد كيمبيل) .

(٥) أوضح التاريخ رأى الشعب الكوبى الحقيقى فى الامريكيين « المحسنين » .

الباردة مع روسيا » . واستطرد قائلا : « اننى لا أفهم ، كيف يمكن الدفاع عن مصر بدون وجود بعض أعداد من القوات البريطانية » [١١٤ ، ص١٩] .

واقترح الوفديون عدة نقاط لانهاء الخلافات هى :

١ — الجلاء التام للقوات البريطانية عن مصر .

٢ — تتخذ مصر أقصى جهد ممكن لدعم جيشها وتزويده بالذخيرة والاسلحة العصرية واعطاء عناية خاصة للدفاع الجوى . وعلى بريطانيا العظمى أن تقدم لمصر العون فى ذلك .

واذا ما ظهر خطر مخدق فى الشرق الاوسط فان الحكومتين تتبادلان الرأى بهذا الصدد .

٤ — وفى حالة الاعتداء على مصر أو دخول بريطانيا العظمى فى الحرب نتيجة الاعتداء من جانب دولة مجاورة لمصر تقدم مصر وبريطانيا العظمى كل العون الممكن الواحدة منهما للاخرى . وروعى وضع شرط يقضى برحيل القوات البريطانية عن أرض مصر بعد انتهاء العمليات العسكرية [١١٤ ، ص٢٥] .

وأخفق سليم فى محاولته استمالة القادة المصريين للدخول فى حلف للدفاع المشترك عن مصر بشرط ابقاء القوات البريطانية المحتلة . وهكذا أصيبت مأمورية الفيلد مارشال التى امتدت شهرا ونصف الشهر بالفشل .

وبدأت المرحلة التالية من المفاوضات فى أغسطس (آب) ١٩٥٠ بين السفير الانجليزى فى القاهرة ووزير الخارجية المصرى .

وبالرغم من التنازلات الجدية من قبل الجانب المصرى أصر الانجليز على احتلال منطقة قناة السويس فى وقت السلم . وغالبا ما ذكر النحاس وصلاح الدين الانجليز فى هذا الصدد بمعاهدة صدقى بيفين فى ١٩٤٦ ومصيرها ، والتى رفضها الشعب المصرى .

ورفض الانجليز أثناء المفاوضات التى جرت عامى ١٩٥٠ — ١٩٥١ الموافقة حتى على الشروط التى وافقوا عليها عام ١٩٤٦ . فوفقا لمشروع معاهدة صدقى بيفين يجب أن ينتهى احتلال القوات المسلحة البريطانية لمصر حتى أول سبتمبر (أيلول) ١٩٤٩ . ورفض الجانب البريطانى عموما عامى ١٩٥٠ — ١٩٥١ الاعتراف بمبدأ الجلاء .

وكتبت مجلة « الايكونومست » الانجليزية ، تنتقد موقف الحكومة المصرية ، قائلة : « بالطبع ان النظرية المصرية ، التى تنادى بأن عدم وجود قوات بريطانية هناك أى فى مصر — يعد فى حد ذاته ضمانا من أية اعتداءات ، لا تبدو مقنعة فى الوقت الراهن » [١٠٤ ، ١٩٥٢/١/٥ ص٤] . ولم تمضى خمس سنوات على كتابة هـذه الاسطر حتى شهد العالم بعد جلاء القوات الانجليزية عن مصر أنها لم تتعرض للعدوان من جانب تلك القوى التى اشار اليها الانجليز ، بل من جانب بريطانيا العظمى نفسـها .

الا أن الجانب الانجليزى لم تكن لديه النية فى تقديم أية تنازلات . وأكد الدبلوماسيون البريطانيون استنادا على رأى العسكريين العظام ان :

١ — الجيش المصرى عاجز عن حماية البلاد وحده . ولذا فلابد من نظام الدفاع المشـترك .

٢ — يجب على الانجـليز الاشراف على القاعدة العسكرية فى مصر لا فى وقت الحرب فحسب بل وفى وقت السلم كذلك .

٣ — يمكن تحقيق الدفاع الجوى لمصر عن طريق القواعـد الجوية الانجليزية وحدها .

وصرح ستيفنسون أثناء المفاوضات لصلاح الدين قائلا : « يجب على الحكومة المصرية أن تعترف وتقر بالحقيقة المرة . التى تتلخص فى ان الجلاء الفورى والتام للقوات الانجليزية لا يتمشى مع الدفاع عن البلاد . ويجب أن نجد وسـيلة للجمع بين مطالب الدفاع العاجلة للبلاد وبين الكرامة الوطنية لمصر » [١١٤ ، ص٩١] . وأجاب وزير الخارجية المصرى ان هـذا الاقتراح سيقابل بالرفض من جانب كل المصريين بالاجماع وانه لا يعبر عن رأيه الشخصى فقط بل ورأى زملائه كلهم فى البلاد [١١٤ ، ص٩٢] .

ورفض الانجليز قبول مطلب الجلاء الفورى والتام ، لان هـذا من شأنه ان يضع عليهم الاشراف على مصر ، وبالتالى على الشرق الاوسط كله . اما ما يخص الحكومة المصرية فانها لم توافق على الشروط الانجليزية لانها كانت تعانى من وطأة ضغوط قوية من جانب جماهير الشـعب التى تطالب بسحب القوات الانجليزية بلا قيد أو شرط . وذكرت مجلة « ايكونومست » بحـزن وأسى ، وهى تعبر عن أمزجة المحافظين الانجليز قائلة ان التجربة

الاخيرة فى الشرق الاوسط توضح لنا ان خروج القوات الانجليزية لا يبعث على الصداقة مع بلدان هـذه المنطقة ، بل يثير مجرد سيل من الاهانات يمكن ان يترك بلا عقاب بعد جلائها [١٠٤ ، ١٩٥٢/١/٥ ، ص٥] .

وظهرت التناقضات الانجلو مصرية بحدة اكبر عندما بدأ الجانبان فى مناقشة مسالة السـودان .

وصرح صلاح الدين ، انه يلزم فترة مرحلية لا تتعدى السنتين لجلاء القوات الانجليزية وتصفية نظام الحكم الثنائى . وخلال هـذه الفترة يجب تشـكيل حكومة فى السـودان تعمل على تهيئة الظروف للوحـدة مع مصر تحت سلطان التاج المصرى فى مجال السياسة الخارجية والجيش والمـالية وغيرها من المجالات الاخرى . وذكر ، كما صرح من قبل بذلك مرارا وتكرارا الانجليز ، انهم يعملون فى السودان باسم مصر وان « وجودهم فى السودان يعد أثرا من آثار احتلالهم لمصر » [١١٤ ، ص١٠٠ ، ١٠٣] .

واستمر موقف انجلترا من المسـألة السودانية جامدا لا يتغير . وصرح السفير الانجليزى ، أن أصحاب السودان الشرعيين هو الشعب الذى يعيش فيه وأن بريطانيا العظمى ستسلم البلاد لاصـحابها الاصليين عندما يحين الاوان . الا انه اضاف ، بأن الحكومة البريطانية ترى أن السـودانيين لم ينضـجوا بعد لتحمل مسـئوليات الحكم الذاتى . وأما ما يختص بالفترة الانتقالية فان عامين مدة غير كافية ، وأنه يلزم لهـذا على اقل تقدير عشر سنوات . وصرح ستيفنسون ، أن خروج القوات الانجليزية من السودان أمر غير ممكن بالفعل ، لانه سيؤدى لاعمال الفوضى [١١٤ ، ص١٠٠ ، ١٠٤] .

وكان شعار « وحدة وادى النيل » بالاضافة الى مطلب الجلاء الفورى والتام للقوات الانجليزية واحـد من اهم الشـعارات التى طرحتها الحركة التحررية فى مصر فى فترة ما بعد الحرب . الا أن هـذا الشعار كان عرضة لشتى التأويلات . ففى الوقت الذى كانت ترى فيه القوى التقدمية فى مصر انه يعنى فى المقال الاول اتجاه معادى للامبريالية اى جبهة موحدة لشعبين شقيقين هما مصر والسودان ضد الامبرياليين الانجليز ، كان ممثلى الطبقات الرجعيـة ودوائر البلاط الملكى تفهمـه على أنه اتحاد ميكانيكى بين بلدين « تحت سلطان التاج المصرى » .

وكان مطلب وحدة مصر والسـودان « تحت سلطان التاج المصرى » مطلبا رجعيا لسببين : اولا : عدم مراعاة رغبة الشعب السودانى . ثانيا :

يجب أن تتم الوحدة تحت اشراف واحدة من أعتى الملكيات رجعية فى العالم لصالح البورجوازية المصرية الكبيرة .

وكان الموقف السديد الوحيد ازاء المسألة السودانية هو التى اتخذته الطبقة العاملة فى كل من مصر والسودان الممثلة فى اتحاد النقابات لهاتين الدولتين : لقد قررا توحيد جهودهما لخوض النضال ضد الامبريالية الانجليزية ، مطالبين عندئذ بجلاء القوات الانجليزية وجهاز الاحتلال من السودان ومنح الشعب السودانى تقرير المصير(٦) .

أما ما يخص انجلترا ، فان سياستها فى السودان تنحصر فى دق أسافين فى الحركة المعادية للامبريالية وعزلها عن الحركة التحررية للشعب المصرى . وبدأت السلطات الانجلزية تتلاعب بتصريحات الحكومة المصرية وتصورها للشعب السودانى والرأى العام السودانى وكأن مصر تنوى « ابتلاع » السودان ، وذلك فى محاولة منها لابقاء سيطرتها الاحتلالية فى السودان . وكانت سياسية الحكومة الوفدية حيال القضية السودانية تخدم موضوعيا الامبرياليين الانجليز [٢٨ ، ص١١١] .

وكانت مناقشة القضية السودانية تؤدى الى التباعد بين موقف البلدين أكثر فأكثر ، وهكذا فقد انتهت المرحلة التالية من المفاوضات الانجلو مصرية فى صيف ١٩٥٠ بالفشل .

وقد لعبت مصر فى هذه الحقبة دورا هاما لا فى مخططات المستعمرن الانجليز وحدهم بل فى مخططات شركائها كذلك فى حلف شمال الاطلنطى الذين كانوا يولون أهمية خاصة للشرق الاوسط ولاسيما مصر كمنطقة استراتيجية فى غاية الاهمية تجاور الاتحاد السوفيتى مباشرة وبلدان الديمقراطية الشعبية . وكانت دول الغرب ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية تقدم العون لانجلترا بشكل سافر وتضغط على مصر من كل جانب لتقبل الشروط المجحفة التى تمليها عليها انجلترا .

عقد فى لندن خلال شهر مايو (آيار) ١٩٥٠ مؤتمر اشترك فيه كل من وزراء خارجية الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا وفرنسا مكرس لدراسة مشاكل الشرق الاوسط . وصدر فى الخامس والعشرين من شهر مايو (آيار) بيان ثلاثى « ازاء الخطر المحدق فى الشرق الاوسط » وأعلنت الدول

---

(٦) أنظر لمزيد من التفاصيل فى الباب الخامس .

الثلاث أنها « لن تقف مكتوفة الايدى » فى حالة وقوع عدوان من قبل أية دولة من دول الشرق الاوسط .وأعلنوا عن استعدادهم لتصدير السلاح لكل من اسرائل والبلدان العربية سواء بسواء . ونوهت دول الغرب بالذات عن حقها الاحتكارى فى توريد الاسلحة الى بلدان الشرق الاوسط . وتضمن البيان تهديدا بحرمان الدولة « العاقة » من توريد الاسـلحة [١٠٣ أ ، ١٩٥٠/٦/٥ ، ٤٤ أ ، ص٥٣] .

وزعمت هـذه الدول بأنها حصلت على « تأكيدات » من دول الشرق الاوسط بعدم استخدام هـذه الاسلحة لمصارعة بعضها ضد بعض .

ولم يخف المشتركون فى المؤتمر ان معظم هـذه الاسلحة المرتقبة ستكون « لدعم النظام الداخلى » أى للضغط على الحركات التحررية والديمقراطية فى البلدان العربية واسرائيل [٥٥ أ ، ١٩٥٠/٥/٢٨ ، ١٠٤ أ ، ١٩٥٠/٥/٢٧] . وهكـذا قررت دول الغرب توريد الاسلحة الى منطقة لم تعرف السلام الا شـكلا . زد على ذلك أنهم كانوا مستعدين لاضرام نار الحرب ، التى لم يهدأ أوارها بعـد .

وكان اعلان الدول الثلاث بمثابة وثيقة للدبلوماسية الامبريالية لفترة سـادت فيها سـياسة « من موقع القوة » بهدف تشـكيل حلف فى الشرق الاوسط يكون اضافة لحلف شمال الاطلنطى . وكان البيان موجها ضد حركة التحرر الوطنى ولحماية النظم الحاكمة الرجعية المتعفنة فى عدد من الدول العربيـة .

وناقشت جامعة الدول العربية أثناء انعقـاد دورتها البيـان الثلاثى وقابلته بالرفض لمـا ينطوى عليه من تهـديد لسـيادة واستقلال الدول العربية ومعاداته للسـلام والامن فى الشرق الاوسط . واعلنت مصر وسورية والسعودية العربية ولبنان واليمن والعراق والاردن فى مذكرة مشتركة بتاريخ ٢١ يونيـة (حزيران) ١٩٥٠ بأنهـا لن تسـمح « بأية تحركات من شـأنها الانتقاص من سيادتها أو استقلالها » [١٢٦ ، ص٣٤٢ ، ٤٤ أ ص٣٥] .

ووصل محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرى الى نيويورك فى شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٥٠ كرئيس للوفد المصرى فى دورة عادية للجمعية العامة للأمم المتحـدة . وأثناء اقامته بنيو يورك اتصل به عدد من الشخصيات السياسية المرموقة فى الولايات المتحدة الامريكية يحاولون اقناعه بشـتى الطرق بالتساهل فى علاقاته مع الغرب . وفى كل مرة يصرحون له بأن مصر ستلقى الدعم من الولايات المتحدة لو قبلت الشروط التالية :

١ ــ الموافقة على ابرام معاهدة دفاع مشترك عن الشرق الاوسط .

٢ ــ التوصل لصيغة بصدد التفاهم المتبادل مع انجلترا وقبول مشروعها بانشاء قاعدة عسكرية انجليزية فى منطقة قناة السويس .

٣ ــ الاعتراف باسرائيل وابرام معاهدة سلام معها .

الا ان صلاح الدين رفض هذه الشروط .

فى الوقت نفسه اقترح وزير الدفاع الامريكى على صلاح الدين مشروع اتفاق يتلخص فى التالى :

١ ــ الدخول فى حلف مع الدول الغربية للنضال ضد « العدوان الشيوعى » .

٢ ــ ارسال بعثة عسكرية امريكية خاصة الى مصر لتقصى الحقائق عن الجيش المصرى وتلبية مطالبه من السلاح .

٣ ــ ابقاء الوضع الراهن على ما هو عليه فى فلسطين مع مراعاة الهدنة وانتهاج سياسة تتمشى مع روح البيان الثلاثى(٧) .

٤ ــ ابرام معاهدة مع انجلترا تتحول بمقتضاها منطقة قناة السويس الى قاعدة عسكرية لدول الغرب الكبرى [١٢٦ ، ص٣٤٣ ــ ٣٤٥] .

وكما هو واضح من المشروع المشار اليه أن أمريكا تحاول استثمار سخط الدوائر الحاكمة والجيش المصرى بسبب عرقلة انجلترا عملية تسليح الجيش المصرى لتحل محلها فى البلاد . وبالرغم من هذه التناقضات استمرت أمريكا وانجلترا تعملان سويا . وبذلت كل منهما قصارى جهدها لتوريط مصر والبلدان العربية الاخرى للدخول معها فى حلف عدوانى وتحويل منطقة الشرق الاوسط كلها الى رأس جسر استراتيجى لمهاجمة الاتحاد السوفيتى من الجنوب . وكان معنى قبول هذا المخطط ان مصر تستبدل بالسيطرة الانجليزية سيطرة انجلو امريكية .

وتوقف صلاح الدين فى طريق عودته من نيويورك فى بداية شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٠ فى لندن ليواصل المفاوضات مع وزير الخارجية

---

(٧) المقصود هنا الهدنة بين اسرائيل ومصر ١٩٤٩ والبيان الثلاثى الصادر فى ٢٥ مايو (آيار) ١٩٥٠م .

البريطانى ، ونشر بعد المفاوضات بيان مشترك من سبعة أسطر تقول أن المحادثات جرت « فى جو من الصداقة والتعاون وكانت فرصة طيبة لتبادل الآراء » . وكان واضحا ان الجانبين لم يتقدما قيد انملة عن طريق فض التناقضات الانجلو مصرية العويصة .

واستونفت المظاهرات فى مصر فى ١٣ يناير (كانون الثانى) ١٩٥١ بمناسبة عودة صلاح الدين واحتشد جمع غفير من المواطنين المصريين أمام مبنى وزارة الخارجية المصرية ولاسيما الطلبة وكانوا يحملون شعار « فلتسقط انجلترا ! » ويطالبون بجلاء القوات القوات الانجليزية فورا عن مصر . وقدم المتظاهرون عريضة للحكومة تضمنت المطالب التالية :

١ ــ الغاء معاهدة ١٩٣٦ .

٢ ــ الغاء اتفاق السودان لعام ١٨٩٩ .

٣ ــ وقف المفاوضات وانسحاب القوات المسلحة البريطانية من منطقة قناة السويس .

٤ ــ رفض اية اتفاقات للدفاع المشترك [١٢٦ ، ص٣٢٩] .

ومن المفيد ان ننتبه لمعلومة هامة ، اوردها المؤرخ امين سعيد : قام البوليس المصرى اثناء مظاهرات يناير بحماية كل من السفارة الانجليزية والسفارة الامريكية فى القاهرة . « ان كراهية الشعب للحكومة الامريكية كانت تتزايد باستمرار بسبب السياسة العدائية نحو العرب » [١٢٦ ، ص٣٢٩] .

وعين هربرت موريسون وزيرا للخارجية البريطانية فى مارس (آذار) ١٩٥١ . ولم يؤد هذا الى تغيير الموقف البريطانى على الاطلاق نحو مصر وقضيتها ، كما كان يأمل بعض المراقبين المصريين والذين كانوا يعتبرون بيفين انسانا صعب المراس .

واعرب موريسون فى رسالته الشخصية بتاريخ ٢٤ مارس (آذار) ١٩٥١ الى صلاح الدين عن اسفه ازاء تأخر المفاوضات ، الذى فسره بضرورة دراسة هذه القضية . وكتب يقول : « اننى أعتقد أنه من الخطأ ، التعجيل بمناقشة القضية ، بالرغم من علمي بمدى الصعوبات التى تجابهها الحكومة المصرية ، واعد ببذل الجهود لاتخاذ كل ما هو ضرورى لعدم السماح بمناقشة هذه القضية قبل الاوان » .

ويشير رد صلاح الدين على أنه لا يزال لم يفقد الامل بعد فى بدء المفاوضات على نحو مرض . وكان الرجاء الوحيد لوزير الخارجية المصرى هو « العمل على عدم تأخير عودة السفير » الذى كان يجب عليه أن يحمل معه الى القاهرة المقترحات الجديدة للحكومة الانجليزية [١١٤ ، ص١٥٢ ، ١٥٣] .

وبدأت المرحلة التالية من المفاوضات فى ١١ أبريل (نيسان) ١٩٥١ بمحادثات بين ستيفنسون وصلاح الدين . واقترح الجانب الانجليزى كالسابق ابقاء معاهدة ١٩٣٦ سارية المفعول مع تغيير طفيف لبعض بنودها فقط وفقا للبند ١٦ من هذه المعاهدة .

وصرح السفير البريطانى من جديد « تقديرا منه » للصعوبات الجمة التى تواجهها الحكومة المصرية أن حكومته لا تستطيع أن توافق على اجراء أية تدابير من شأنها الاضرار بالجهد العسكرى لانجلترا فى هذه المنطقة وذلك نظرا للوفاء منها بالتزاماتها أمام حلفائها . وأضاف بأن ضمان حماية الشرق الاوسط أمر ممكن فقط فى حالة اذا ما أمكن تشغيل القاعدة المصرية فور وقوع حرب وكذلك توفير الدفاع الجوى لمصر .

وتوقفت المفاوضات من جديد فى ٢٤ أبريل (نيسان) ، ولكنها استؤنفت فى يولية (تموز) ودارت هذه المرة أساسا حول السودان ، ولكن لم يقدم أى طرف من الطرفين ية تنازلات . وتكلم صلاح الدين فى معرض تلخيصه لنتائج مناقشة المشكلة السودانية قائلا : « وبناء عليه فان كل ما تسعون اليه هو تطوير فترة الوضع القائم حاليا فى السودان . أى بعبارة أخرى ، ابقاء النفوذ البريطانى كى يتمكن فى نهاية المطاف من تنفيذ أغراضه ومآربه على أنها طموحات السودانيين » [١١٤ ، ص١٩٨] .

واضطر الجانبان فى ٢٦ يولية (تموز) ١٩٥١ الى الاعتراف بأن المفاوضات وصلت لطريق مسدود . وأعرب السفير البريطانى عن أمله فى ألا يصرح وزير الخارجية المصرى بشىء حاسم فى البرلمان يستحيل أن يتنصل منه فى المستقبل ويؤدى الى تعقيد استئناف المفاوضات [١١٤ ، ص١٩٨] . والادهى أنه تم الادلاء بتصريح حاسم بعدها بثلاثة أيام ولكن فى البرلمان الانجليزى وليس فى البرلمان المصرى .

فقد ألقى موريسون فى ٣٠ يولية (تموز) ١٩٥١ فى مجلس العموم خطابا مطولا ، صرح فيه أن مصر أصبحت تعاند وتصر على مطالبها ، اذ أن « وجود القوات البريطانية فى مصر لا يعتبر حاليا مشكلة بريطانيا وحدها بل تتحمل بريطانيا العظمى المسئولية أمام بلدان التحالف الغربى والكومنولث البريطانى » .

ولام مصر زاعما انهـــا لا تنتهج سياســـة واقعية وترى أنه يمكن تجنب خطر العدوان بابعاد بريطانيا العظمى عن المشـــاركة فى تنظيم الدفاع عن هـــذه المنطقة . ثم استطرد يقول : « اننا ندعو المصريين للمشاركة على قدم المساواة

فى الجهود العامة الرامية لحماية الامن الدولى . ونحن نود أن نبنى علاقاتنا على أساس جديد تماما . واذا ما رفضت مصر هـــذه الدعوة ، فنحن لن نسمح بوضع يعود بالضرر على التزاماتنا الدولية » . ثم دعا موريســـون الولايات المتحدة « لابداء مزيد من الاهتمام » لمـــا يحدث فى ايران ومصر لان « الاهمية الاستراتيجية » والمعنوية لايران ومصر وعلاقاتهما بنظام حـــلف الاطلنطى تمس الى حد كبير المصالح الامريكية » [١١١ ، ١٩٥١/٧/٣١] .

ويدل التوجه لطلب المعونة الامريكية على القلق العميق للدوائر الحاكمة فى بريطانيا العظمى نظرا لضعف موقفها فى الشرق الاوسط . ولم تكن فكرة الحصول على دعم شامل من الولايات المتحدة لابقاء سيطرتها فى مصر بالفكرة

الجـــديدة فكان اول من طرح هـــذه الفكرة هو ونســـتون تشرشـــل زعيم المحافظين ، والذى كان يحافظ على علاقاته باســـتمرار مع الشـــخصيات السياسية المرموقة فى امريكا عندما كان فى موقف المعارضة . وكان يحـــاول اقناعهم بابقاء قوات تابعة لهم أكثر مما هى عليه حاليا فى الشرق الاوسط . وفى الوقت نفســـه كان المحـــافظون ينتقـــدون الحكـــومة العمالية بســـبب « ليبراليتها » ازاء مصر وايران . وكان المحافظون يدركون أن بريطانيا العظمى أقل من أن تحتفظ بقواتها فى هـــذه المنطقة ولاسيما فى مصر بدون مســـاعدة

أمريكا وتأييدها . وبالطبع كانوا واثقين من ان أمريكا لن تســـاعدهم لوجه الله ، بل على العكس ســـتحاول مزاحمتهم فى هـــذه المنطقة . الا أنهم كانوا يرون أنه من الاهون السماح لامريكا بالدخول الى مصر عن أن يتركوها تضيع من أيديهم نهائيا . وارتاح موريسون أخيرا فى ٣٠ يولية (تموز) عندما قوبل خطابه فى مجلس العموم بايماءة من الراس علامة على استحسان تشرشل ورضاه وتصفيق من نواب حزب المحافظين [١٠٣ ، ١٩٥١/٧/٣١] .

وكان النحاس باشا قد صرح فى ١٦ نوفمبر (تشرين الثانى) فى البرلمـــان عن نية الحكومة المصرية فى الغاء معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية فى حالة فشل المفاوضات وكذلك الاتفاقين الخاصين بالحكم الثنائى فى السودان لعام ١٨٩٩ [١٣٦ ، ١٩٥٠/١١/١٧ ، ١٢٦ ، ص٣٢٨] .

واعلن صلاح الدين فى رده على بيان موريسون فى ٦ اغسطس (آب) ١٩٥١ فى اجتماع موحد لكلا المجلسين البرلمـــانيين المصريين ، ان الخطاب الاخير لوزير الخـــارجية البريطـــانى فى مجلس العموم اغلق الباب فى وجه

المفاوضات وان مصر قررت الغاء معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية وفى اقرب وقت [١١٤ ، ص٢١٣ ، ١٢٦ ، ص٢٣٣] .

وشكلت لجنة سياسية خاصة برئاسة مصطفى النحاس ، كان يتعين عليها وضع عدة مشاريع قوانين ترتبط باعلان الحكومة ، وتعرضها فى البداية على مجلس الوزراء للنظر وابداء الراى ثم على البرلمان لاقرارها .

وكان رد الفعل العنيف على خطاب موريسون امرا مباغتا للدوائر الحاكمة البريطانية ففى ٨ اغسطس (آب) نشرت السفارة البريطانية بيانا لفتت فيه نظر النحاس الى التفسير الخاطىء المحتمل لكلمة موريسون فى ٣٠ يولية (تموز) . وفى اليوم التالى بعث السفير البريطانى خطابا شخصيا للنحاس وارفق به مقتطفات من خطاب موريسون فى ٣٠ يولية (تموز) وكذلك ترجمته باللغة العربية . واعربت الرسالة عن الامل فى ان تتفهم الحكومة المصرية بعد دراسة نص خطاب موريسون انه لا يجب ان يكون ذريعة لوقف المفاوضات [١١٤ ، ص٢١٤ ، ٢١٥] .

وبعد اسبوع فى ١٧ اغسطس (آب) عندما لم يتلق موريسون اى رد يفيده بعث الى النحاس وصلاح الدين خطابين اعرب فيهما عن قلقه ازاء رد فعل الحكومة المصرية تجاه خطابه فى ٣٠ يولية (تمرز) ١٩٥١ [١١٤ ، ص٢٢١ ، ٢٢٣] . واشار النحاس فى رده ان مسالة جلاء القوات البريطانية هو نصف المشكلة فقط ، وان النصف الثانى هو مسالة وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى وان المسالتين كل لا ينفصل الواحد منهما عن الآخر . وحذر من ان تصريحا واحدا فقط للوزير الانجليزى ازاء السودان كاف لوقف المفاوضات [١١٤ ، ص٢٣٣] .

وكان الوفديون يعلقون الامل على احتمال حدوث تغييرات فى الحياة الدولية تضطر معها بريطانيا الى التنازل عن موقفها المتشدد ، دون ان يتخذوا اية خطوات فعالة ولكن سياسة الترقب الوفدية لم تجلب لهم اى شىء وكما هو واضح من رسالة موريسون فى ٢١ سبتمبر (ايلول) ١٩٥١ للنحاس لم يكن لدى الحكومة الانجليزية اية مشاريع بالنسبة للدفاع عن مصر لانها تود فى البداية اجراء المشاورات مع حلفائها [١١٤ ، ص٢٣٠] .

ومن المفيد ان نتامل موقف امريكا بهذا الصدد .

صرح وزير الخارجية الامريكى اتشيسون فى ١٩٥٠ ان الحكومة الامريكية

لا ترى فى وجود القوات الانجليزية فى مصر عملا عدوانيا [١١٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٤٣ ، ص٤٦٨] . وايدت أمريكا امتناع بريطانيا العظمى عن اجلاء قواتها من بلدان الشرق الاوسط ولاسيما مصر لان هـذا يعد كما نوهت بانصـاف مجلة « ورلد نيوز آندفيوز » ضربة للامبريالية البريطانية والتى تعـد قواتها جانبا مجسـدا للسيطرة الامبريالية فى الشرق الاوسط ويعد ضربة بالتجهيزات الانجلو امريكية » للحرب [١١٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٤٢ ، ص٤٥٥] .

وكان الامبرياليون الامريكيون يدركون تمام الادراك ان انتشـار القوات الانجليزية فى شتى مناطق الشرق الاوسط يحافظ فى الوقت نفسه على مصالحهم الذاتية ، كما أن وجود القوات الانجليزية فى مصر كان يتيح التفوق المعنـوى للامريكيين .

وكانت الدوائر الحاكمة البريطانية تقيم الوزن الكبير لتأييد الولايات المتحدة الامريكية فى المسألة المصرية ، وكتبت مجلة « ايكونوميست » تقول : « ان موقف بريطانيا العظمى من مصر له جوانبه الضـعيفة والقوية . ومن الجوانب الايجـابية والهامة ان بريطـانيا العظمى تلقى التأييد والدعم من الولايات المتحـدة الامريكيـة » [١٠٤ ، ١٩٥١/١١/١٠ ، ص١٠٩٤] . وهكـذا ، فان سـياسة أمريكـا فى مصر كانت تنزل الضرر البليغ بحركة التحرر الوطنى الديمقراطية فى هـذا البلد .

واذا كان الامريكيون فى الفترة السـابقة كانوا يعملون ، كالعادة ، من وراء ظهر الانجليز أو كانوا يلجأون لوسـاطة تركيا لجذب الدول العربية للاحلاف العدوانية ، فانهم الآن يفضلون العمل بأنفسهم على المكشوف . ففى فبراير (شباط) ١٩٥١ تم ارسال ماكجى نائب وزير الخارجية لشـئون الشرق الاوسط لدراسة الوضع على الطبيعة . وطار عدة مرات الى القاهرة واجتمع هناك بوزير الخارجية المصرى [١٢٦ ، ص٣٥٦] .

واقترح السـفير الامريكى فى القاهرة جيفرسـون كيفرن فى ٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ على الحكومة المصرية مشروعا أمركيا لتسوية النزاع الانجلو مصرى . وكان يتلخص فى التالى :

١ ـ تبقى القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ، ولكن تحت قيادة المصريين .

٢ ـ توافق مصر مع انجـلترا على الدفاع المشـترك عن منطقة قناة السـويس بواسـطة اعـداد متكافئة من القوات الانجليزية والقوات المصرية فى هـذه المنطقة .

٣ — يوقع الاتفاق لمدة عشر سـنوات .

٤ — ونظرا لان نظـام الدفاع عن القناة يعد حلقة من اهم حلقات الدفاع عن الغرب ، فان القيادة الامريكية ستوجه الى كل من مصر وانجلترا مراقبين وكذلك أسلحة وتزود الجانبين بكل احتياجاتهما .

٥ — تقدم أمريكا لمصر المساعدة المـالية والفنية للنهوض بمسـتوى الشعب وتطوير الاقتصاد المصرى [١٢٦ ، ص٣٥٨] .

وكانت الفكرة الاساسية للمشروع الامريكى تنحصر فى ابقاء الاحتلال البريطانى لمصر لمدة عشر سنوات وفى الوقت نفسه العمل على زيادة النفوذ الامريكى فى البلاد بشـكل كبير . ومن الطبيعى جدا أن هـذا المشروع قوبل بالرفض من قبل الحكومة المصرية .

الغـاء معـاهدة ١٩٣٦

كانت جميع الاحزاب السـياسية والمنظمات العامة فى مصر تطـالب بالعمل فورا على وقف المفاوضـات والغاء معاهدة ١٩٣٦ .

وفى ٢٦ اغسطس (آب) ١٩٥١ ، اى ذكرى مرور خمسة عشر عاما على توقيع المعاهدة ، جرى فى جميع المدن المصرية الكبرى تنظيم اجتماعات حافلة بالجموع الغفيرة تحدث فيها ممثلو كافة الاحزاب السـياسية والمنظمات العامة المتفاوتة الاتجاهات بكلمات يطالبون فيها بسرعة الغاء معاهدة ١٩٣٦ وينتقدون سياسة حكومة الوفد . وكانت المظـاهرات ترفع الشـعارات التالية : « فلتسـقط معـاهدة ١٩٣٦ ! » ، « فلتسقط الامبريالية ! » ، « فلتحيا مصر حرة مسـتقلة ! » ، « فليحيا السلام فى العالم أجمع ! » ، « لا ، للاحـلاف الامبرياليـة ! » [١٣٦ ، ١٩٥١/٨/٢٧ ، ١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم ١٠] .

وطالب آلاف المصريين المحتشـدين أمام مبنى مبنى وزارة الخـارجية المصرية بفسخ معاهدة ١٩٣٦ فورا . ثم اتجهت طوابير المتظاهرين بعد ذلك الى السفارتين الامريكية والانجليزية والتى كانت قوات من البوليس المعزة بالاسلحة تقوم بحراستهما . واسـتخدام البوليس القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين . وجرح عدد من البوليس والمتظاهرين .

وشهدت العاصمة فى هـذا اليوم اجتماعا حاشدا للاحتجاج ضـد بقاء القوات المحتلة الانجليزية فى مصر .

وأخذت الحكومة البريطانية تضغط على الملك فاروق لإبعاد الوفديين عن الحكم بعد أن تأكدوا من صلابة موقف الزعماء الوفديين [٧٨ ، ص١٥٠] . ونوهت مجلة « أيكونوميست » فى أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ تقول « لاشك فى سقوط النحاس واحلال شخصية أكثر تعقلا محله » [١٠٤ ، ١٠/٢٠/ ١٩٥١ ، ص٨٩٧] .

وكان الوفديون أنفسهم يدركون انهم فشلوا تماما فى حل أهم مشكلة أمام الشعب المصرى وهى الجلاء الفورى لقوات الاحتلال البريطانى من مصر وفسخ معاهدة ١٩٣٦ ، بالرغم من رغبتهم فى الاتفاق مع الانجليز . واوضحت الحياة مدى خطأ وضرر المقولة الوفدية فى أن البلاد يمكنها الحصول على الاستقلال عن طريق المفاوضات مع الامبرياليين . وأدرك قادة الوفد بكل الحزن والاسى أن المشكلة المصرية فى أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ أى بعد ١٩ شهر من المفاوضات العقيمة كانت أبعد ما تكون عن الحل ، حتى بالمقارنة بعهد حكومة الخائن صدقى فى عام ١٩٤٦ .

وكان أمام الوفديين مخرج واحد لاستعادة مركزهم المهزوز فى نظر الرأى العام بالبلاد وكذلك للحصول على تأييد الشعب ضد الملك (الذى كان ينوى اقالة حكومة النحاس) وهو : اعلان الغاء معاهدة ١٩٣٦ . ونوهت مجلة « ايكونوميست » بهذا الصدد تقول أن الحكومة الوفدية التى عجزت عن القيام بالاصلاحات الاجتماعية أو توفير السلع الغذائية الضرورية للشعب ، كان يجب أن تظهر على أقل تقدير أنها قادرة على تغذية « المشاعر الوطنية » [١٠٤ ، ١٩٥١/١٠/٢٠ ، ص٨٩٨] .

وفى ٨ من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ القى النحاس خطابا أمام اجتماع موحد ضم نواب المجلسين . وطرح أربعة مشاريع قوانين : الغاء معاهدة ١٩٣٦ والاتفاقان المبرمان مع انجلترا عن الحكم الثنائي فى السودان لعام ١٨٩٩(٨) ، وثلاث مشاريع قوانين أخرى بخصوص السودان الذى أعلن انه جزء لا يتجزأ من المملكة المصرية . وبناء على هذا تم اقتراح تعديل الدستور المصرى ليتناسب مع الوضع الجديد [ص١٥٩ ، ١٦٠] وحصل ملك مصر على لقب « ملك مصر والسودان » . واقترح النحاس تشكيل نظام حكم من نوع خاص هناك مراعاة لظروف السودان المتميزة . وكلف المجلس

---

(٨) توقف سريان مفعول القانون ٨٠ بتاريخ ١٩٣٦/٨/٢٦ ، والقانونين ١٣ ، ١٤ لسنة ١٩٤١ عن الامتيازات الممنوحة للقوات البريطانية فى مصر واتفاقيتان عن الحكم الثنائى فى السودان من ١/١٩ ، ١٨٩٩/٧/١٠ .

التأسيسي للسودان بوضع دستور خاص ضمن اطار الدولة الموحدة مع مصر وذكر النحاس عدة أمثلة من التاريخ العالمي بما في ذلك الغاء الحكومة السوفيتية لكل المعاهدات المجحفة التي ابرمت في عهد روسيا القيصرية ليدعم شرعية هـذه المقترحات [١١٤ ، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، ١٢٦ ، ص٢٦٧] .

وعشية عرض مشاريع القوانين هـذه على البرلمـان المصري للدراسة والاقرار قامت الدول الامبريالية ببـذل محاولات يائسـة لمنع اقرار هـذه المشاريع . وقام سفراء الدول الاربع أمريكا وانجلترا وفرنسا وتركيا في ١٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ بخطوة سياسية جماعية . وطالب السفراء الاجتماع مع صلاح الدين وزير الخارجية المصري لتسليمه مشروع المعاهدة الجديدة ، حول ما اسموه في هـذه المرة بقيادة الشرق الاوسط الذي يجب أن يكون مركزها في مصر حسب مخططات واضعية . الا ان صلاح الدين اصر على استقبال كل سفير على حـدة ، حتى لا يتحول الاجتماع المشترك الى مظاهرة . وقد سلم السفير البريطاني رالف ستيفنسون نص المشروع الجديد ، اما سفراء ، أمريكا جيفرسـون كيفري وفرنسـا كوف دي مورفيل وتركيا فؤاد خالوصي توجاي وقد رددوا في صـيغة شـفهية مقترحات السـفير البريطاني .

ووافقت الحكومة البريطانية على استدعاء قواتها المسلحة من مصر بشرط ان يحل محلها قوات الدول المشتركة في « قيادة الشرق الاوسـط » أي القوات الانجليزية والامريكية والفرنسـية والتركية . بمعنى ، ابدال الاحتلال الانجـليزي ، باحتلال دولي . وحتى يحتفظ الانجليز بالقيـادة الكاملة روعي اخضاع قوات اسـتراليا ونيوزيلنده واتحاد جنوب افريقيا التي اعربت عن « رغبتها » في الاشتراك في الدفاع عن الشرق الاوسـط للقيـادة الموحـدة .

وقد عبرت مجلة « ايكونوميست » بشـكل سـافر عن الفكرة التي تضمنتها مقترحات الدول الاربع تقول : « واضح أن بريطانيا العظمى تريد الخروج من مصر والعراق والاردن من البوابة العمومية بين تصـفيق الجموع وتهليلها ثم تعود بعد ذلك اليها من الباب الخلفي كعضو في القوات الدولية » [١٠٤ ، ٢٠/١٠/١٩٥١ ، ص٨٩٨] .

وحسب مخطط واضعي المشروع ، فان اتفاق « قيادة الشرق الاوسط » يجب ان يحل محل معاهدة ١٩٣٦ وتتحول منطقة قناة السويس الى قاعدة عسكرية للحلفاء ويصبح الجيش المصري وقوات دفاعه الجوي تابعة تبعيـة

مباشرة لدول الغرب وورد فى المشروع أن « قيادة الشرق الاوسط » ستكون تحت ادارة حلف شمال الاطلنطى .

وعلى نفس المنوال تم « حل » المشكلة السودانية : اقترح تشكيل لجنة دولية « للاشراف على التطور الدستورى للبلاد » وتحقيق « التعاون » المصرى والانجليزى مع السودان مع الاحتفاظ لاجل غير مسمى بالحكم الثنائى فى السودان ، اى السيادة الانجليزية على هذا البلد . ومن ثم ، فان المشروع البريطانى لحل القضية السودانية لم يتضمن أى شىء جديد بالمقارنة بالفترة السابقة [١٢٣ ، ص٣٠ — ٣٣] .

وكانت احدى مهام الدبلوماسية الغربية فى هذه الفترة هى عدم السماح للدول العربية أو لغيرها من دول آسيا وأفريقيا انتهاج سياسة الحياد الايجابى وعدم السماح لها بالخروج من نطاق نفوذ الدول الامبريالية أو العالم الحر كما يسمونه .

وقررت الحكومة المصرية فى ١٤ أكتوبر (تشرين الاول) رفض مقترحات الدول الاربع . وقد تم اعلان هذا فى اليوم التالى بالبرلمان [١٣٦ ، ١٦/١٠/١٩٥١] . وفى نفس اليوم صدق بالاجماع مجلس النواب ثم مجلس الشيوخ على قوانين بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقى ١٨٩٩ حول السودان . وسارع الملك فاروق خوفا من غضبة الشعب بالتصديق عليها [٩٩ ، ص١٢٦](٩) .

وقد اثار هذا الحدث حماسا غير عادى واستحسانا منقطع النظير بين أوساط الشعب المصرى . وكان يمكن تجسيد قرار حكومة الوفد فى ظل المد الكبير لحركة التحرر والتاييد الواسع النطاق والنشيط من جانب كل طبقات الشعب . ولم يحدث بتاتا بعد ثورة ١٩١٩ أن كانت شعبية الوفد على هذا النحو العظيم مثلما كانت عليه فى هذه الآونة .

---

(٩) علاوة على أن الملك كان يريد أن يعزز من مركزه المهزوز كثيرا ويستعيد شعبيته .

الباب الخامس

الكفاح المسلح فى منطقة قناة السويس
ومؤامرة الرجعية (١٥ اكتوبر ١٩٥١ — ٢٧ يناير ١٩٥٢)
تصاعد حركة التحرر الوطنى بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦

كان الغاء معاهدة ١٩٣٦ علامة وضاءة فى تاريخ حركة التحرر الوطنى المصرى . وفى الوقت ذاته كان نضال الشعب المصرى ضد الامبريالية الانجليزية حلقة هامة للغاية فى سلسلة النضال العام المتصل لشعوب البلدان المستعمرة والتابعة ضد النظام الاستعمارى للامبريالية العالمية المتهاوى تحت وطأة ضربات حركة التحرر الوطنى .

وكان الوضع الدولى مهيأ تماما لنمو الحركة التحررية فى مصر . فقد أعلن فى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٩ بعد حرب تحررية مريرة طويلة عن قيام جمهورية الصين الشعبية والتى سارت على طريق البناء الاشتراكى . ومنيت مغامرة الامبريالية الامريكية فى كوريا بالفشل الذريع وتحت وطأة ضربات القوى التحررية انسحب الغزاة الفرنسيون بالتدريج من فيتنام . وخاض الشعب الاندونيسى نضالا مظفرا ضد المحتلين الهولنديين . وهب الشعب المغربى فى فبراير (شباط) ومارس (آزار) ١٩٥١ يدافع عن بلاده ضد الامبرياليين الفرنسيين . وكان لاحداث ايران أثر كبير فى ازدياد عنفوان الحركة التحررية فى مصر ، حيث صدر فى مارس (آذار) ١٩٥١ قانون بتأميم شركة النفط الانجلو ايرانية ، مما كان بمثابة صفعة مدوية للامبريالية البريطانية فى الشرق الاوسط .

كل هذا شد من أزر الشعب المصرى وقوى من ثقته فى النصر القريب .

لقد حيا الشعب المصرى بالاجلال والتقدير قرار الحكومة الوفدية بالغاء معاهدة ١٩٣٦ وكتب الصحفى السوفيتى كريو تشكوف الذى كان متواجدا فى القاهرة ١٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ يصف رد فعل الجماهير الشعبية بالنسبة لهذا القرار التاريخى على النحو التالى :

« ازدحمت شوارع القاهرة بالجماهير الغفيرة . وكانت جموع المواطنين تقف بالقرب من الميكروفونات تتابع المذيع وتريد أن تعرف بسرعة هل نفذ مجلس النواب مطالب الشعب أم لا ؟ وهل الغيت معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية المجحفة أم لا ؟ . وعندما أعلن المذيع الغاء المعاهدة ، كانت فرحة الشعب بلا حدود . وكان الكثيرون يرون أن مصر أصبحت حرة منذ تلك اللحظة . وعندما ظهرت طبعات الجرائد المستعجلة تحمل أخبار البرلمان وقراراته كنت تشاهد الفلاحين المصريين البسطاء يشترون الصحف بما تبقى لديهم من ملاليم زهيدة . وعلى الفور يرجون آخر ليقرأه عليهم بصوت عال . ثم يطوون فى حرص وعناية الصحيفة ليروها لاترابهم » [٥٩ ، ١٩٥٢ ، رقم ٢٩ ، ص ٢٥] .

واستمرت احتفالات الشعب ثلاثة أيام كاملة فى كل أرجاء البلاد . [١٢٦ ، ص٣٦٧] .

وشهدت القاهرة والاسكندرية فى ١٥ ، ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) مظاهرات ضخمة للطلاب والعمال وممثلى طوائف الشعب الاخرى ، وكانت ترفع شعارات كتب عليها : « نريد السلاح ! » « أيها الشباب ، هيا الى قناة السويس ! » ، « هيا أبناء النيل الى فايد ! » ، « صفعة فى ايران وصفعة فى مصر ! » وحاول البوليس بكل ما فى وسعه من قوة وقف مظاهرات الشباب وتفريقها .

وعقد اجتماع فى السادس عشر من أكتوبر (تشرين الاول) فى فناء جامعة فؤاد الاول بالقاهرة تحدث فيه بالاضافة الى طلاب الجامعة العمال وطلاب المدارس الثانوية وبعد الاجتماع جرى تنظيم موكب حافل فى شوارع العاصمة . وتحركت طوابير مظاهرة أخرى من شبرا الخيمة الى وسط البلد .

وانتهت مظاهرة العمال والطلاب فى الاسكندرية بالصدام مع البوليس وكان من نتيجته ٥ جرحى من البوليس واثنان من العمال واعتقل ما يربو على ٣٠ طالبا وعاملا .

وشهدت كذلك المدن المصرية الكبرى الاخرى مثل طنطا والزقازيق وبلبيس وغيرها مظاهرات للعمال والطلاب [١٣٦ ، ١٦ ، ١٩٥١/١٠/١٧] .

واعلنت الحكومة فى ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ بعد أن شعرت

بالخوف من اتساع نطاق الحركة الشعبية ، حالة الطوارىء فى القاهرة والاسكندرية وحرمت القيام بالمظاهرات . وبالرغم من ذلك شهدت الاسكندرية فى ١٨ اكتوبر (تشرين الاول) مظاهرات ضخمة لعمال صناعة الغزل والنسيج وطلاب المدارس الثانوية كانت تدعو الشباب للتضحية بأرواحهم فى سبيل قضية الاستقلال . وكان الشباب يرد على محاولات البوليس تفريق المظاهرات بالحجارة مما تسبب عنه جرح ١٦ جندى من جنود البوليس وضابط واحد وجرح أربعة واعتقل تسعة من بين المتظاهرين .

وفى اليوم نفسه نظم طلاب المدارس الثانوية بالاسكندرية اجتماعا كبيرا طالب المشتركون فيه الحكومة بتطبيق سياسة التجنيد العام وتشكيل الكتائب الشعبية .

وفى ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) اتخذ اساتذة وعلماء جامعة الاسكندرية قرارا فى اجتماعهم بتأييد نضال الشعب ضد الامبرياليين والمشاركة مشاركة فعالة فيه . واعربوا عن احتجاجهم على تحركات الانجليز العدوانية فى منطقة قناة السويس .

واحتذى أساتذة وعلماء جامعة القاهرة حذو زملائهم فى جامعة الاسكندرية واتخذوا بالاجماع فى مؤتمرهم بتاريخ ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) قرارا بالمشاركة الفعالة فى النضال الشعبى .

وكانت المظاهرات فى هذه الايام تعم مدن بنى سويف والمنصورة وغيرها من المدن الاخرى [١٣٦ ، ١٩، ٢٠ /١٠/١٩٥١] . وقام طلاب المدارس الثانوية فى طنطا والزقازيق والمنصورة بطرد المفتشين البريطانيين من المدارس .

وشهدت مدن القناة فى هذه الايام أحداثا مأساوية . فقد جرت فى ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) فى بور سعيد والاسماعيلية مظاهرات سلمية . وأرسلت القيادة البريطانية عدة عربات عسكرية الى الاسماعيلية بهدف الاستفزاز مما أثار حفيظة المصريين وغضبهم . وهاجم البعض العربات وتدخل البوليس وقام بتفريق المتظاهرين . وفجأة اندفعت السيارات المدرعة الانجليزية الى شوارع الاسماعيلية وفتحت نيرانها الهمجية على المتظاهرين .

وحدث الشىء نفسه فى بور سعيد . فقد قابل المتظاهرون الانجليز بوابل من الاحجار . ثم اشعلت بعد هذا مجموعة من المتظاهرين النيران

فى مخزن انجليزى وتوجهت جماعة أخرى الى المعسكرات البريطانية وقوبلت بالنيران وثالثة ألقت الحجارة على مبنى البوليس البريطانى وتعرضت للطلقات النارية . وحاول المتظاهرون مهاجمة القنصلية الامريكية والفرنسية ولكن البوليس لم يمكنهم من ذلك .

وقد احتلت القوات البريطانية أضخم مبانى الاسماعيلية وبورسعيد وفرضت الرقابة على الطرق الرئيسية المؤدية للمدينة بحجة حماية الرعايا الانجليز .

وكان من نتيجة أعمال الانجليز العدوانية فى ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) فى الاسماعيلية ٧ قتلى و٤٠ جرحى وفى بور سعيد ٥ قتلى وكثير من الجرحى المصريين وكان من بين القتلى أفراد من البوليس المصرى [١٣٦ ، ١٧ ، ١٨/١٠/١٩٥١] .

وهكذا بدأت انجلترا حربا غير معلنة ضد الشعب المصرى .

وقد أثارت أعمال الانجليز العدائية تجاه مواطنى منطقة قناة السويس المحتلة موجة من الغضب والاستياء فى أنحاء مصر كلها .

وأعلن يوم ٢٣ أكتوبر (تشرين الاول) فى القاهرة والاسكندرية يوما للحداد العام تخليدا لذكرى شهداء العدوان الانجليزى فى منطقة القناة . وأغلقت جميع المصالح والمحال التجارية . وشملت مظاهرات الطلاب والعمال والموظفين مختلف أحياء العاصمتين . وطالبوا بمقاطعة البضائع الاجنبية والنضال ضد الامبرياليين الانجليز ودعوا لعدم نسيان ضحايا الاعتداء الانجليزى والانتقام لهم . واستعمل البوليس الهراوات والقنابل المسيلة للدموع . ووقع كثير من الضحايا من بين أفراد البوليس نتيجة الاصطدامات .

وتعطلت جميع وسائل النقل والمواصلات فى القاهرة لمدة نصف ساعة تلبية لقرار الاتحاد العام لنقابات عمال النقل والمواصلات . كما تعطل العمل لمدة نصف ساعة فى جميع المصالح والمصانع بالاسكندرية تضامنا مع الحداد . واتخذ الشباب فى الاجتماعات المختلفة قرارات بتنظيم فرق المتطوعين لخوض النضال ضد الانجليز وطالب بمقاطعة البضائع الانجليزية .

وشهدت كذلك كل من طنطا ودمنهور والمنصورة وكفر الشيخ وطوخ وكمشيش وبنها ورشيد ودمياط واسوان وبلبيس وطهطا والقنطرة وغيرها

ويوم ٢٣ أكتوبر (تشرين الاول) توقف العمل تماما فى جميع المصالح والمحال التجارية والملاهى وكذلك المشاريع الصناعية كما أصيبت بالشلل التام حركة وسائل النقل والمواصلات وقطع التيار الكهربائى فى مدن بور سعيد والسويس والاسماعيلية التى يحتلها الانجليز وقد طمست معالم كثير من اللافتات المكتوبة باللغة الانجليزية .

واطلقت السفن الصغيرة صفاراتها لمدة خمس دقائق [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٤] .

وقد حرمت السلطات المظاهرات المؤيدة لقرار الحكومة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ خوفا من اتساع نطاق الحركة الشعبية . واعلن فؤاد سراج الدين تحريم القيام بمظاهرات بسبب محاولات بعض العناصر المغرضة الاساءة بالحركة الوطنية والنيل من قدرها [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٤] .

لقد آثار الغاء معاهدة ١٩٣٦ مدا وطنيا بين أوساط الطبقة العاملة المصرية .

وعشية تصديق البرلمان على مشروع القرار بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وبمبادرة من نقابات كثيرة ، عقدت اجتماعات ونظمت لقاءات اتخذ اثنائها العمال قرارات بتأييد الحكومة ، والاحجام عن كل صور التعاون مع المحتلين الانجليز فى منطقة قناة السويس . وقد اظهرت مجاميع العمال التى تعمل مباشرة فى خدمة القوات الانجليزية مثل عمال النقل والمواصلات السلكية واللاسلكية والموانىء وعمال البناء حماسا منقطع النظير فى هذا المجال .

وعقد فى ١٤ أكتوبر (تشرين الاول) اجتماع للاتحاد العام لسائقى القطارات ومساعديهم اتخذ القرارات التالية :

١ — تأييد الحكومة فى مسألة الغاء معاهدة ١٩٣٦ .

٢ — الامتناع كلية عن التعاون مع القوات الانجليزية المحتلة الموجودة فى منطقة قناة السويس .

٣ — التضحية بالنفس والنفيس فى النضال من أجل تحقيق الاستقلال للوطن المفدى [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/١٥] .

واتخذت نقابات أخرى فى مختلف مدن القناة مثل نقابة عمال السكك الحديدية وسائقى التاكسى وعمال الموانىء والمواصلات السلكية واللاسلكية وغيرهم قرارات مماثلة .

وعلاوة على الاجتماعات والمؤتمرات المنظمة بمبادرة من النقابات المختلفة كان العمال المصريون المشتغلون أساسا فى تشييد المشاريع العسكرية فى منطقة قناة السويس يحتشدون فى اجتماعات عفوية يتخذون فيها قرارات بالامتناع عن العمل واستخدام سلاح المقاومة السلبية ضد القوات الانجليزية أو مغادرة منطقة الاحتلال نهائيا .

وعقدت لقاءات للعمال المصريين المشتغلين فى المعسكرات البريطانية ففى ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) عقد اجتماع فى التل الكبير (حضره ما يقرب من أربعة آلاف عامل) وفى ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) عقد اجتماع فى أبو صوير (حضره ما يقرب من ثلاثة آلاف عامل) وفى الايام التالية عقدت الاجتماعات فى جميع المعسكرات الانجليزية تقريبا [١٣٦ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩٥١/١٠/٢٠] .

وامتنع عمال أحواض السفن المصرية عن تزويد السفن الانجليزية بالذخائر وامتنع عمال وموظفى السكك الحديدية عن نقل الجنود الانجليز وشحن الحمولات المخصصة لقوات الاحتلال وتوقف عمال المواصلات السلكية واللاسلكية عن تأدية عملهم مما نجم عنه قطع الخط التليفونى بين السفارة الانجليزية فى القاهرة ومقر القوات البريطانية فى فايد وأضرب المرشدون البحريون عن العمل .

وفى ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) قطع عمال السكك الحديدية الطريق على عدة قوافل عسكرية انجليزية ومنعوها من الوصول الى المعسكرات الانجليزية فى فايد والعريش . واضرب عمال البرق والتليفونات والسكك الحديدية فى اليوم نفسه فى فايد حيث كانت توجد معسكرات كبيرة عن تقززهم من خدمة المحتلين . وفى ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) رفض عمال ميناء السويس استقبال باخرة انجليزية كانت محملة بالعتاد الحربى ولم يوافق عمال السكك الحديدية فى بور سعيد على نقل القوات الانجليزية [١٣٦ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩٥١/١٠/١٩] .

ودعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العام لنقابات عمال مصر الشعب لمقاطعة البضائع الانجليزية والامريكية والفرنسية وتشكيل جبهة وطنية معادية للامبريالية من جميع القوى الوطنية فى البلاد [٥٥ ، ١٩٥١ ، رقم ٢٣ ، ص١٩] .

ونتيجة المقاطعة الشاملة احتشدت على مدى بضعة أيام فى القناة ما يزيد على ١٧ سفينة انجليزية لم تفرغ حمولتها . وتبعا لبعض الاحصاءات فقد تكبد الانجليز فى الاسبوع الاول التالى لالغاء معاهدة ١٩٣٦ خسائر تزيد على ٢ مليون جنيه استرلينى [٥٥ ، ١٩٥١ ، رقم ٢٣ ، ص١٩ ، ١٢٣ ، ص٤٣] .

وكانت الطبقة العاملة المصرية فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ البلاد نموذجا رائعا ومثالا يحتذى فى الوطنية والتنظيم . فاستجابة لنداء الحكومة والنقابات بعدم التعاون مع المحتلين ومقاطعتهم بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ امتنعت الغالبية المطلقة من العمال المصريين المشتغلين فى المعسكرات الانجليزية وتشييد المشاريع الحربية وورش الصيانة والاصلاح وفى المصانع عن العمل وهاجروا منطقة الاحتلال مضحين بمصدر رزقهم الوحيد الذى يتعيشون منه هم وأسرهم . واضطرت مجلة « ايكونوميست » للاعتراف بأن « أعداد العمال التى تركت العمل فى المشاريع العسكرية كانت أكثر من المنتظر بكثير . وأن ما تبقى منهم بالفعل فى السويس وبورسعيد كان شيئا لا يذكر على الاطلاق » [١٠٤ ، ١٩٥١/١١/١٧ ، ص١١٩٦] .

وقد هجر حوالى ٦٠ الف عامل مصرى عملهم فى المعسكرات الانجليزية خلال بضعة أسابيع بعد الغاء المعاهدة(١) وسافر عدد كبير منهم تصحبهم

---

(١) تبعا للاحصاءات الرسمية ، رحل ما يقرب من ٥٨ الف عامل مصرى عن المعسكرات الانجليزية حتى ١٧ نوفمبر [١٣٦ ، ١٩٥١/١١/١٧] . وتقول مصادر اخرى بأن عدد العاملين المصريين كان ٦٠ الف عامل مصرى . توقف بالفعل ما يزيد على ١٥٠ الف عامل عن العمل ورحلوا عن منطقة القناة . ونجحت القوات الانجليزية فى ابقاء ما يقرب من ١٥ ــ ٢٠ الف عامل بالقوة والعنف فى منطقة الاحتلال .

أسرهم للعمل فى المدن . وقد ظهرت فى ميادين القاهرة والمدن الاخرى معسكرات نصبت فيها الخيام .

واعربت الصحافة الانجليزية عن عدم رضاها تقول أن « هذه المقاومة السلبية التطوعية كانت بعون وتأييد من الحكومة » [١٠٤ ، ١١/١٧ /١٩٥١ ، ص١١٩٦] . ووعدت الحكومة بدفع تعويضات للعمال وايجاد فرص عمل وبناء مساكن لهم . ولكنها استعدت بشكل ردىء لهذه الحملة مما أساء كثيرا لوضع العمال [١٢٣ ، ص٤٥] .

ولم يقدر المستعمرون الانجليز وطنية الطبقة العاملة المصرية حق قدرها . فى أكتوبر — نوفمبر ١٩٥١ تنبأت مجلة « أيكونوميست » تقول : « قليل هم العمال (المصريين) الذين ستبلغ وطنيتهم الى حد مقاطعة القوات الانجليزية مهددين بالبطالة أو على أحسن تقدير مقابل منحة تساوى ٥٠٪ من المرتبات التى يتقاضونها حاليا » [١٠٤ ، ١٩٥١/١١/١٧ ، ص١١٩٧] .

وقد أوضحت المقاطعة المنظمة ورحيل العمال المصريين للحكومة البريطانية أن القاعدة العسكرية فى منطقة القناة والتى كانت من وجهة نظرها قلعة حصينة بريطانية فى الشرق الاوسط لا تصلح لان تكون حصنا أمينا عندما تحاط بالسكان المعادين من كل جانب . وأوضحت وطنية وبطولة الطبقة العاملة المصرية مدى وهن وعجز وضع القوات الانجليزية فى البلاد .

وعلاوة على مقاطعة العمال المصريين بدأ المقاولون والموردون الذين يزودون القوات الانجليزية بالمؤن والسلع الغذائية مقاطعتهم . وبالرغم من الخسائر المادية فقد امتنع التجار والحرفيون والزراع المصريون عن التعاون مع القوات المعادية . بيد أنه لم تلاحظ حماسة جماهيرية مماثلة لحماس العمال بين أوساط هذه الفئة من السكان . فقد اضطر الكثير منهم الى قطع علاقاته بالانجليز والرحيل فورا عن منطقة القناة بعد تلقيهم خطابات تهديد بالموت من تنظيم الشباب المحلى للمقاومة (« الاخوان المسلمين » وجمعية الشبان المسلمين وغيرها) . واذا تسرب خبر عن أن أحد من التجار أو المواطنين يتعامل مع الانجليز كانت تقام له محاكمة ذاتية ، فمثلا تمكن البوليس بشق الانفس انقاذ إحد المواطنين من غضبة الشعب [١٣٦ ، ٢٠ ، ١٩٥١/١٠/٢٤] .

سياسة انجلترا فى مصر
بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦
(أكتوبر ١٩٥١ — يناير ١٩٥٢)

أذاعت السفارة الانجليزية فى القاهرة مساء الثامن من اكتوبر (تشرين الاول) بيانا اكدت فيه ان قيام الحكومة المصرية بالغاء المعاهدة من جانب واحد يعد عملا غير مشروع . واعلنت الدوائر الرسمية فى لندن يوم ١٥ اكتوبر اى اليوم الذى صدر فيه قانون بالغاء المعاهدة أن بريطانيا العظمى ستقابل هذا العمل بالتجاهل وأن القوات الانجليزية ستبقى فى مصر . وكتبت صحيفة « التايمز » لسان حال هذه الدوائر تقول : « بالطبع لقد احرزت التدريبات البرلمانية المصرية النجاح ولكن فقط على الورق . وصرحت الحكومة البريطانية فى ٩ ، ١١ (تشرين الاول) (عن طريق المذكرات) عن عزمها بالتمسك ببنود معاهدة ١٩٣٦ فى مصر والسودان حتى توقع اتفاقات جديدة على أساس من الاقتراحات التى رفضتها مصر من قبل » [١١١ ، ١٦/١٠/١٩٥١] .

وصرح باتريك جوردون ووكر وزير شئون الكومنولث قائلا « لقد أبرمت معاهدتنا مع مصر لصالح العالم الحر كله لان الدفاع عن قناة السويس كان عاملا هاما وحيويا لامن وسلامة العالم الحر . ويمكن تغيير المعاهدة بموافقة الجانبين فقط .. ان لنا قوات مسلحة كبيرة فى مصر وسوف تعمل بصلابة على الدفاع عن حقوقنا التى لا نزاع عليها » [١١١ ، ١٥/١٠/١٩٥١] .

وصرح هربرت موريسون فى كلمته التى القاها بالاذاعة فى ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) قائلا : « ان قناة السويس أمر هام وحيوى بالنسبة لنا وبالنسبة لتجارتنا البحرية وبالنسبة لحياة دول الكومنولث وللدفاع عن الشرق الاوسط ، ولامن وسلامة العالم الحر كله . واستطرد وزير الخارجية العمالى يقول : ان لنا قوات مسلحة فى منطقة القناة . وهى موجودة هناك على أساس من القانون الدولى وعلى أساس دعم وتأييد جميع اصدقائنا وحلفائنا . وستظل هذه القوات فى مكانها طالما لم نتوصل الى اتفاق جديد للدفاع عن الشرق الاوسط كله » . واما بالنسبة للسودان فقد أدلى موريسون بتصريحات ديماجوجية يقول فيها : « اننا لن نخون

الحرية للشعب السودانى فى المستقبل من أجل أى اتفاق حول الدفاع » [١١١ ، ١٩٥١/١٠/١٨] .

ووجهت الحكومة البريطانية الاتهامات للسلطات المصرية فى منطقة القناة لانها عاجزة عن اقرار النظام وحماية الرعايا الانجليز وممتلكاتهم لتبرر أعمالهم العدوانية . وأعربت الحكومة البريطانية بدورها فى مذكرتها بتاريخ ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) التى ترد فيها على الاحتجاج المصرى ضد الاعمال العدوانية للقوات الانجليزية عن احتجاجها على « الفوضى » الضاربة أطنابها فى منطقة القناة وأعلنت أن الحكومة المصرية « مسؤولة » مسؤولية تامة عن سلامة أرواح جميع الانجليز وغيرهم من الاجانب الآخرين وعن حماية ممتلكاتهم فى مصر » . وحاولت الحكومة البريطانية تبرير هجمات قواها العدوانية البربرية أن السبب هو تعرض رعاياها للخطر ، كما زعمت كذلك « بسبب العجز التام للسلطات المصرية عن اقرار النظام والعمل على استتبابه » [١١١ ، ١٩٥١/١٠/٢٠] .

وشكل ونستون تشرشل حكومته الجديدة الثانية فى ٢٧ أكتوبر (تشرين الاول) بعد فوز المحافظين فى الانتخابات البرلمانية فى انجلترا .

وكان تشرشل قد وجه انتقاداته فى ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) أثناء الحملة الانتخابية فى « جلاسجو » لسياسة العمال فى الشرق الاوسط وطالب بسياسة أشد ضراوة تجاه مصر وايران . وقال تشرشل : « ان ضعف مستر أتلى ومستر موريسون فى عبدان هو واحد من الاسباب الرئيسية التى حدت بغوغاء المصريين الخروج عن الطاعة . ان السياسة الصارمة والحاسمة فى عبدان من شأنها أن تصون مصالحنا الحيوية والهامة هناك وتمنع اراقة الدماء ، كما هو حادث فى الوقت الراهن فى مصر » [١١١ ، ١٩٥١/١٠/١٨] .

وكان أول عمل من أعمال السياسة الخارجية لحكومة تشرشل هو ارسال قوات جديدة الى مصر مما نجم عنه زيادة خطر الحرب كثيرا فى هذه المنطقة [١٠٣ ، ١٩٥١/١٠/٣١] . وكانت سياسة حكومة المحافظين تجاه مصر أشد صلافة .

وكانت الولايات المتحدة الامريكية تؤيد السياسة الاستعمارية لبريطانيا العظمى فى مصر تأييدا كاملا . وأعلنت فى منتصف شهر أكتوبر

(تشرين الاول) ١٩٥١ أن أمريكا تؤيد انجلترا اذا ما قررت ابقاء قواتها فى منطقة قناة السويس ١١١ ، ١٦/١٠/١٩٥١ وصرح وزير الخارجية الامريكى دين آتشيسون فى ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) فى معرض تناوله لهذه المسألة فى أحد المؤتمرات الصحفية أن القوات البريطانية تتواجد فى منطقة قناة السويس بناء على معاهدة سارية المفعول والتى لا يمكن الغاؤها من جانب واحد . واشار الى أنه من حق انجلترا حماية مواقعها فى منطقة القناة . وأعرب وزير الخارجية الامريكى عن « بالغ أسفه » لرفض مصر قبول مقترحات الدول الاربع بتاريخ ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ . واستطرد آتشيسون يقول : « تأمل حكومة الولايات المتحدة الامريكية فى أن تعيد مصر النظر فى سياستها وأن تدرك بأن مصالحها الذاتية تتطلب منها الانضمام الى الامم الاخرى فى العالم الحر لضمان الدفاع عن الشرق الاوسط ضد الخطر المشترك » [١١١ ، ١٨/١٠/١٩٥١] .

وقد زار فى هذه الايام الفيلد مارشال سليم رئيس الاركان العامة للامبراطورية والجنرال بريدلى رئيس الاركان العامة الامريكية كل من أثينا وأنقرة . وقد اجتمعا هناك بالقادة العسكريين فى كلا البلدين وناقشا دور كل من اليونان وتركيا وموقعهما فى حلف شمال الاطلنطى « وقيادة الشرق الاوسط » التى يخططون لها . وقد صدر عن هذا الاجتماع قرارا بانشاء « قيادة الشرق الاوسط » بالرغم من رفض مصر الاشتراك فيها [١١١ ، ١٧/١٠/١٩٥١] .

وبعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية فقدت الاتفاقيتان الخاصتان بالسودان لعام ١٨٩٩ والاتفاقيات والملاحق الاخرى المرفقة بها والخاصة بوضع القوات البريطانية فى مصر وتواجد القوات المسلحة الانجليزية فيها أى سند قانونى . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا فان وجود هذه القوات فى مصر ليس ضد ارادة شعبها فقط ، بل وضد رغبة الحكومة والبرلمان كذلك

وكان نتيجة الغاء معاهدة ١٩٣٦ ان حرمت القوات الانجليزية من أية تسهيلات كانت تتمتع بها قبل ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١(٢) . وقد حرم

---

(٢) وكان من بينها امتيازات جمركية ، كانت القوات البريطانية تتلقى بمقتضاها الذخائر والاسلحة بلا جمارك وكذلك كانت تمر فى قناة السويس السفن التى تخدم الجيش دون دفع رسوم المرور . وهناك أيضا امتيازات نقل الشحنات العسكرية والاتصالات السلكية واللاسلكية .

على العسكريين البريطانيين وكذلك المدنيين العاملين فى خدمة الجيش السكن فى المدن المصرية او الظهور فيها كما تم تحريم دخول العسكريين أو المدنيين البريطانيين دون الحصول على التأشيرات المطلوبة من السلطات القنصلية المعنية . ولم يسمح للطائرات البريطانية بالهبوط فى المطارات المصرية أو تقديم النشرات الجوية الفنية لها . وتم اغلاق مراكز الاتصالات السلكية واللاسلكية التى تخدم القوات الانجليزية [١٣٦ ، ١٧ ، ١٨/١٠/١٩٥١] . وتبعا للتعليمات الجديدة طبق النظام الجمركى العادى من ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ على الشحنات العسكرية البريطانية [١٢٣ ، ص٤٢ ، ١٢٦ ، ص٣٦٨] .

وهكذا ، فقد تغير بشكل مبدئى وضع القوات الانجليزية فى مصر بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ . ومن الآن أصبحت هذه القوات تبعا للقوانين الدولية المعمول بها قوات احتلال وعدائية بالنسبة لمصر .

الا أن هذا لم يؤثر على موقف الحكومة البريطانية . فقد أعلنت وزارة الخارجية البريطانية فى ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) رسميا ، أنه نظرا للاحداث التى تشهدها مصر يجب تعزيز القوات الانجليزية فى منطقة القناة . وصرح موريسون الذى كان مايزال يشغل منصب وزير الخارجية بهذا الصدد يقول : « بالطبع ، ان اقرار النظام واستتباب الامن هو من واجبات الحكومة المصرية ، ونظرا لانها أخفقت بوضوح فى بلوغ هذا الهدف لحد ما ، فان من واجب حكومتى أن تبذل جهدها للدفاع عن رعاياها وممتلكاتهم . ومن ثم فيجب اتخاذ الخطوات الضرورية لهذا » [١١١ ، ١٧/١٠/١٩٥١] .

وفى اليوم نفسه اتخذت وزارة الدفاع قرارا بنقل قوات بريطانية من شتى بقاع الامبراطورية الى مصر ولاسيما فرقة المظليين السادسة عشر من قبرص [١١١ ، ١٧ ، ١٨/١٠/١٩٥١] . ونشر بعد بضعة ايام خبر عن رحيل فرقة المشاة التاسعة عشر من انجلترا الى منطقة قناة السويس [١١١ ، ٢٢/١٠/١٩٥١] .

واخذت القوات البريطانية تقترب من مصر من كل جانب من انجلترا ومن القواعد العسكرية بالشرق الاوسط من قبرص ومالطة وعدن وغيرها . فمثلا رست فى ميناء بورسعيد فى ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) باخرتان

حربيتان محملتان بالقوات وفى ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) وصلت الى السويس باخرة انجليزية محملة بالعتاد والاسلحة وفى ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) وصلت باخرة أخرى الى بورسعيد وعلى متنها الف وخمسمائة جندى بريطانى وفى ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) اقتربت من هناك ناقلة جنود جديدة تحمل ٥ر٢ الف جندى بريطانى مدججين بالسلاح والذخيرة وكل معدات الحرب الضرورية وفى ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) وصلت الى ميناء فنارة سبع ناقلات جنود تحرسها مدمرتان وفى اليوم نفسه دخلت من البحر الاحمر ثلاث مدمرات الى ميناء بور سعيد .

وارسلت الحكومة البريطانية فى آن واحد من انجلترا الى بور سعيد طراد وثلاث مدمرات ومن البحر الابيض المتوسط طراد آخر [١٣٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٥١١٠/٢١ ، ١٠٣ ، ١٩٥١/١٠/٢٠] .

وكانت تصل بصفة مستمرة الى المطار الحربى البريطانى فى فايد وغيره من المطارات الاخرى قوات المشاة والمظليين واسراب الطائرات من القواعد الانجليزية فى قبرص [١٣٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٩٥١/١٠/٢١ ، ١٠٣ ، ١٩٥١/١٠/٢٠] . واذا كانت القوات البريطانية فى مصر تقدر حتى ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ بـ ٦٥ الف فرد ، فانها بلغت خلال الاسبوعين الاول من الغاء المعاهدة مائة الف فرد وتقول بعض الاحصاءات الاخرى أنها كانت تقدر بـ ١٥٠ الف فرد [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/١٦ ، ١٠٣ ، ١٩٥١/١٠/٢٠ ، ١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم ١٠] .

وكانت اوامر بالتأهب العسكرى قد صدرت للضباط والجنود البريطانيين . وتم تعزيز الحراسة على معسكرات الانجليز فى فايد والدفرسوار وأبو سلطان وكوبرى نفيشة وغيرها من المعسكرات الاخرى [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/١٧] . ولم يقف الانجليز عند هذا الحد بل شرعوا يوسعون من نطاق الاحتلال . ففى ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) استولت القوات البريطانية على بورسعيد والقنطرة والاسماعيلية والسويس وغيرها من مدن القناة الاخرى . واحتلت اهم المنشآت والمناطق الجمركية فى بورسعيد والقنطرة والاسماعيلية وجردوا قوات الحراسة المصرية من أسلحتها واعتقلوا بعض الموظفين وفرضوا الرقابة

على أهم النقاط الاستراتيجية . واحتلت القوات الانجليزية قطاعا صــغيرا ولكن هاما من خط السكة الحديد بين الاسماعليلية ونفيشة ، واستولت على جميع وسائل العبور على طول القناة بما فيها كوبرى الفردان وهو كوبرى السكة الحديد الوحيد الذى يربط الضفة الغربية للقناة بشبه جزيرة سيناء . وأثناء هجوم الانجليز الغادر على الفصيلة المكلفة بحراســة الكوبرى قتل مصريان وجرح خمسة وأسر ٢٥ آخرين . واشترك فى عملية الاستيلاء على الكوبرى ٢٠٠ ضابط وجندى انجليزى مزودين بالدبابات والمدرعات .

وقد قام الانجليز فى أهم النقاط بتجريد الضباط والجنود المصريين من أسلحتهم . واحتجزت القوات الانجليزية عنوة وقسرا العمال المصريين الذين لم يتمكنوا من الرحيل عن منطقة القناة . وتحولت كثير من العمارات فى المدن الكبرى رغما من أنف أصحابها الى ثكنات [١٣٦ ، ١٨ ، ١٩٥١/١٠/١٩ ، ١٢٣ ، ص٥٠] وحاصرت قوات المشاة والدبابات الانجليزية أحياء العمال فى مدن القناة كى تعوق العمال المصريين عن رحيلهم عن منطقة القناة . فقــد حوصر ، على ســبيل المثال ، الحى العربى فى الاســماعيلية فى ٣ نوفمبر (تشرين الثانى) بالدبابات والمدرعات واعتقال الغزاة المحتلون كل من كان يقابلهم فى الطريق من العمــال ثم تم ترحيلهم للعمل الاجبارى فى معسكرات الانجليز .

وقد توقف العمل تماما بسبب رحيل المصريين فى مصنع التل الكبير وهو أكبر معكسر انجليزى فى الشرق الاوسط عندئذ أغلق الانجليز بوابة المصــنع فى التل الكبير حتى لا يغادر العمال المتبقية المعسكر وارغموهم على العمل بالتهديد . وقد نجحت القوات الانجليزية فى الاحتفاظ بـــ ٢٠ الف عامل تقريبا فى منطقة القناة كلها . وقد احتجزوهم فى معسكرات العمل الشــاق المحاطة بالاسلاك الشائكة والموضوعة تحت حراسة مشددة . وقد أرســل وزير الشئون الاجتماعية المصرى فى منظمة العدل الدولية فى جينف احتجاجا رسميا ضد اجبار العمال المصريين على العمل القسرى [١٣٦ ، ١٩٥١/١١/٤] .

وقد أولت القيادة البريطانية اهتمما خاصا بنقطة نفيشة التى تقع عند مدخل القناة فى الاسماعيلية . وقد أقيمت نقطة مراقبة انجليزية عند كوبرى نفيشة والتى كانت تقوم بتفتيش القطار بين القاهرة وبورسعيد . وقد القى القبض مثلا يوم ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) على ثمانية ركاب وأقيمت نقطة تفتيش بالقرب من الاسماعيلية لتفتيش السيارات المتجهة لمنطقة القناة [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٠] . وقد أصبح الجيش المصرى الموجود على الحدود مع اسرائيل منعزلا تماما عن الوطن بعد أن استولى الانجليز على كوبرى الفردان ووسائل عبور القناة [٩٣ ، ص٣٨٢] .

وقد طبق الانجليز نظام الحكم العسكرى . وتم تعيين العقد اكسهيم حاكما عسكريا انجليزيا لمنطقة القناة المحتلة ومقره مدينة الاسماعيلية [١٣٦ ، ١٨ ، ١٩٥١/١٠/١٩] . وقام المحتلون باعتقال الموظفين المصريين غير المنصاعين لاوامرهم وكذلك ضباط البوليس ممن لم يسايروهم وابعدوهم عن منطقة القناة وأعلنوا للسلطات المصرية أنهم « أشخاص غير مرغوب فيهم » ولم يتورعوا عن اعتقال ضباط الجيش النظاميين [١٢٣ ، ص٥٠] .

وهكذا ، تم عزل منطقة القناة بالفعل عن بقية أجزاء الوطن . وقد حرم الجيش الانجليزى توزيع الجرائد والمجلات المصرية فى هذه المنطقة المحتلة .

ولم يكن من حق الانجليز بناء على نصوص معاهدة ١٩٣٦ احتلال مدن القناة الكبرى الا أنهم لم يكتفوا باحتلال مدن بورسعيد والاسماعيلية والسويس والقنطرة وغيرها من مدن القناة الكبرى الاخرى ، بل وأقاموا فيها نظاما ارهابيا . وكانوا من وقت لآخر ينظمون مظاهرات عسكرية استفزازية الطابع ، كى يستقطبوا السكان للقيام بنشاط معاد للانجليز ثم يقومون بالتنكيل بهم . فعلى سبيل المثال ، قامت ٦ دبابات انجليزية ومدرعتان و ١٥ جندى بعمل استفزازى مماثل فى بور سعيد وطافوا بالشوارع الرئسية بالمدينة وأطلقوا النار بشكل عشوائى على المارة وزوار المقاهى . واستمرت الاعمال الاستفزازية لليوم التالى ووقعت يوم ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) عدة مصادمات بين قوات الجيش الانجليزى وبين الجنود المصريين . فمثلا ، فتح

الانجليز نيرانهم على الجنـــود المصريين المكلفين بحراســـة دار المحافظ فى بورسعيد وقتلوا أحـــدهم واطلقوا النيران على بعض الجنود الآخرين الذين كانوا يقومون بحراسة احدى الثكنات . وشهدت مدن القناة الاخرى حوادث مماثلة فى هـــذه الايام .

وكانت دوريات حراسة انجليزية مكثفة ومعززة بالدبابات والمدرعات تقوم بحراسة شوارع الاسماعيلية وغيرها من المدن الاخرى فى ١٨ أكتوبر (تشرين الاول) . وبناء على أوامر السلطات المصرية كانت تغلق جميع الاماكن العامة وأماكن اللهو والمقاهى مع حلول المغرب . وكانت الطائرات النفاثة البريطانية تقوم بالطيران المنخفض من آن لآخر لارهاب السكان المحليين فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس [١٣٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ١٩٥١/١٠/٢١] .

وكان الجنود الانجليز يستوقفون المـــارة فى الشوارع وفى وضح النهار ويقومون بسرقتهم ونهبهم ويغتصبون النساء وينتزعون المواد الغذائية من الاماكن العامة ويستوقفون السيارات وغيرها من وسائل النقل الاخرى المحملة بالبضـــائع والمواد التموينية للســـكان [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/١٨ ، ١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم ١١ ، ١٢] .

وامتنعت السلطات البريطانية عن دفع الرسوم الجمركية المقررة وكانوا يفرغون حمولات البواخر بدون اذن من سلطات الجمارك المصرية . وتقول بعض الاحصاءات أن جملة المبالغ المستحقة عن الرسوم الجمركية فى بورسعيد وحدها خلال الفترة من ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) وحتى ٣٠ نوفمبر (تشرين الثانى) فاقت ٤ر١ مليون جنيه استرلينى ، وبلغ عدد الاحتجاجات الرسمية ضد تحركات الانجليز غير المشروعة من جانب سلطات الجمارك المصرية الف احتجاج [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٥ ، ١٢٣ ، ص٥٣] .

وكانت شركة قناة السويس العالمية تلعب دورا خائنا فى حق الشعب المصرى . ففى اللحظات الحرجة والعصيبة التى كان يمتنع فيها المرشدون المصريون عن خدمة البواخر الانجليزية كانت الشركة تقدم لهم المرشـــدين واللنشـــات التى تجرها للميناء . وكانت تصرفات ادارة القناة موضع احتجاج من العمال المصريين بالشركة [١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٤] .

وكمـــا اشار الرافعي بحق ، فان تكتيك الانجلـــيز كان ينصب على الاستيلاء على اهم النقاط الاستراتيجية على طول القناة وعزل هذه المنطقة عن بقية أجزاء البلاد واقامة نظام عسكرى هناك لشل حركة التحرر الوطنى فى هذه المنطقة وفى حالة فورانهـــا ، يتم قمعهـــا واخمادها فورا بواسطة الارهاب وقهر الشعب المصرى من جديد وارغامه على الاستسلام للامبريالية (١٢٣ ، ص ٥٠) . أما ما يخص الخطط العسكرية الاستراتيجية للحكومة البريطانية فقد كتبت عنها بعض الصحف الانجلـــيزية بلا مواربة تقـــول : « ينحصر الهدف العسكرى فى البقاء فى هذه المنطقة طالما لم يتم التوصل الى اتفاق ولو دولى اذا لزم الامر » (١٠٤ ، ١٩٥١/١٠/٢٧ ، ص ٩٦٣) .

وكانت الولايات المتحدة الامريكية ، كسابق عهدها فى الشهور الآنفة تؤيد موقف انجلترا فى القضية المصرية تأييدا كاملا . وقد كلفت الحكومة الامريكية سفيرها فى القاهرة جيفر سون كيفرن فى ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) للقيـــام بدور الوساطة لفض النزاع الانجلو المصرى . وقد استقبل الملك كيفرن واتصل مرارا وتكرارا بالسفارة الانجليزية ولكن الحكومة المصرية رفضت محـــــاولة أمريكـــــا التدخـــــل فى الشئون الداخليـــــة لمصر (١١١ ، ١٩٥١/١٠/٢٦) .

تشكيل فــرق الفـــدائيين

بالرغم من الاعمال الارهابية التى كان يقوم بها المحتلون ، كان الشعب المصري على أتم الاهبة والاستعداد ليذود عن حريتـــه . وكان الانجلـــيز يدركون جيدا مدى حساسية الشعب المصرى لسير المفاوضـــات الانجلو مصرية ولأى خطوة تقدم عليها الحكومة الوفدية . ومن ثم لم يكن خافيا عليهم مدى تدفق المشاعر الوطنية الذى سيحدثه فى البلاد قرار الحكومة بالغاء المعاهدة .

وفى هذه الايام العصيبة فى تاريخ مصر شهدت البلاد كلها نشاطا غير عادى من الاجتماعات واللقاءات والمؤتمرات لشتى الاتحادات والمنظمـــات الاجتماعية والاحزاب السياسية والتى كانت تعـــرب عن مقتهـــا للغـــزاة البريطانيين وتطالب بتوحيد صفوف الشعب لبدء النضال المسلح ضد العدو وتنظيم عملية مقاطعة البضائع الانجليزية .

واستعد جميع الوطنيين المصريين ولاسيما الشباب لخوض غمـــار

المعارك الحاسمة . وشكلت فى كل مكان لجان وطنية للنضال ضد العدو فشكل مثلا عمال الاسماعيلية المحتلة فى ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) جبهة موحدة للنضال ضد المحتلين ، وتشكلت فى الاسكندرية فى النصف الثانى من أكتوبر اللجنة الوطنية للنضال ضمت وفديين و« اخوان مسلمين » و اعضاء فى الحزب الاشتراكى (٣) والحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وبعض الوطنى وبعض الاحزاب السياسية الاخرى والنقابات العمالية وممثلى المثقفين . ووجهت اللجنة التحضيرية نداءا لسكان الاسكندرية جاء فيه انه يجب على الشباب أن يكون على أهبة الاستعداد لمساعدة الحكومة فى النضال المقدس وأن الطلاب والعمال والشباب هم جنود الثورة . واتخذت اللجنة التنفيذيه لطلاب القاهرة قرار بالمشاركة فى النضال التحررى (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٠) .

وفى ٢١ أكتوبر (تشرين الاول) التقى من جديد بضعة آلاف من طلاب المعاهد والمدارس الثانوية فى العاصمة بممثلى العمال فى مبنى الحرم الجامعى . وأعلن فى هذا الاجتماع تشكيل اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وصدر بالاجماع قرار طالب فيه ممثلو الطلبة والعمال الحكومة بتوقيع معاهدة صداقة وعدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى ، وقد انضم الى اللجنة الوطنية الجديدة للطلاب والعمال ممثلو الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى والوفديين اليساريين وجمعية الاخوان المسلمين وغيرها من التنظيمات السياسية الاخرى .

الا أن اللجنة الوطنية عام ١٩٥١ لم تلعب دورا بارزا فى النضال التحررى ، كما كان الحال مع اللجنة الوطنية للعمال والطلبة فى فبراير (شباط) — يولية (تموز) ١٩٤٦ ولم تنجح فى تزعم النضال المسلح للشعب بالرغم من أنه تشكلت آلاف اللجان الوطنية المحلية فى مدن وقرى منطقة القناة وكبرى مدن الدلتا خلال هذه الفترة .

وقد حققت الحركة النسائية مدى هائلا مما يدل على الطابع الشعبى العريض للحركة التحررية فى ظل الظروف السائدة فى مصر . ففى ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) شكلت ممثلات التنظيمات النسائية العديدة لجنة تحضيرية للمقاومة النسائية كانت توجه نداءها لنساء وادى النيل . وقد دعا النداء

---

(٣) هكذا اصبح يسمى حزب « مصر الفتاة » منذ ١٩٥٠ .

لتجنيد جميع القوى فى النضال من أجل حرية البلاد والسلام والمساواة ودعا النساء للمشاركة فى مقاومة الغزاة الانجليز . وقد وقع على النداء قادة الحركة النسائية البارزات ومنهن سيزا النبراوى وفاطمة نعمة راشد وعايدة نصر الله . وقرر الحزب النسائى الوطنى (المتفرع عن الحزب الوطنى) ارسال ممثليه الى مدن وقرى البلاد لتنظيم الحركة النسائية الوطنية وتدريب المصريات على العناية بالمرضى والجرحى (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٠) .

وتم فى جامعات فؤاد الاول وابراهيم فى القاهرة وفاروق فى الاسكندرية وكذلك فى جميع معاهد التعليم العالى والمدارس الثانوية فى كبرى المدن المصرية فتح سجلات قيد المتطوعين فى فرق الفدائيين . واعرب طلاب جامعة الازهر فى القاهرة والمعاهد الدينية فى طنطا والزقازيق عن رغبتهم الاجماعية كذلك فى تشكيل فرق الفدائيين للاشتراك فى الحرب التحررية .

واتخذت فى اجتماعات كثير من الاحزاب السياسية مثل « الاخوان المسلمين » والحزب الاشتراكى والكتلة الوفدية والحزب الوطنى قرارات بتشكيل كتائب الفدائيين للنضال ضد العدو (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٠) . وأخيرا عقد فى ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) اجتماع حضره قادة شباب الوفد والاحرار والدستوريين والحزب الاشتراكى والكتلة الوفدية وجمعية الشبان المسلمين و « الاخوان المسلمين » وغيرها من التنظيمات السياسية الاخرى بهدف توحيد صفوف جميع الاحزاب السياسية الشرعية لخوض النضال ضد العدو . وقد شكلت فى هذا الاجتماع لجنة الميثاق الوطنى التى أصدرت بيانا تدعو فيه قادة جميع الاحزاب السياسية بصرف النظر عن مواقعهم فى السلطة أو خارجها بتوحيد الصفوف واصدار الميثاق الوطني الذى يحدد اهداف ووسائل النضال ضد الامبرياليين الانجليز . واشترطت مسبقا ضرورة الامتناع عن المشاركة فى أية مفاوضات أو تحالفات لحين التحرير الكامل لوادى النيل . وقررت لجنة الميثاق الوطنى تنظيم فرق التحرير الشعبى وأعلنت أنه ابتداء من ٢٤ أكتوبر (تشرين الاول) سيتم قيد أسماء المتطوعين فى أندية جميع الاحزاب . وأعرب البيان عن أسفه بصدد امتناع حزب السعديين الانضمام الى لجنة الميثاق الوطنى . (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٠) .

ان رفض السعديين الاشتراك حتى فى مثل هذا التحالف المعادى للامبريالية المحدود مفهوم تماما . ان حزب السعديين المعبر عن مصالح الاقطاعيين والبرجوازية الاحتكارية الكبيرة لا يرغب ، أجل ولا يستطيع النضال ضد المحتلين لأن مصالحه مرتبطة بالمحتكرين الانجليز ، زد على ذلك انهم عندما كانوا يتولون دفة الحكم فى السنوات الغابرة كانوا يتمتعون

بمساعدة الانجليز والقصر . والادهى أن الوضع السياسى أرغم السعديين فيما بعد على تقديم المساندة الشكلية للجنة الميثاق الوطنى .

وكانت موافقة الدستوريين الاحرار على الاشتراك فى لجنة الميثاق الوطنى تنبع من تصورات تكتيكية محضة وتتسم بالطابع الشكلى . وقد تأكد هذا من نشاط الحزب والذى خلافا عن غالبية الاحزاب الاخرى المنضمة للجنة لم يشرع فى تشكيل فرق التحرير .

وفى ٢٤ أكتوبر (تشرين الاول) وأثناء انعقاد الاجتماع التالى للجنة وباشتراك زعماء الاحزاب تقرر مواصلة الجهود لتكون جبهة وطنية موحدة تضم جميع التنظيمات والاحزاب السياسية للنضال ضد العدو وقطع جميع العلاقات السياسية والاقتصادية مع انجلترا وتجميد رؤوس أموال الرعايا الانجليز فى مصر وسحب رؤوس أموال المصريين من البنوك الانجليزية واعادة جميع الاوسمة والنياشين التى كان قد تسلمها المصريون للحكومة الانجليزية وابعاد الموظفين الانجليز من العمل فى مصر ، وتغيير الجنرال المحافظ فى السودان وتقرر كذلك الاقتراح على الحكومة بتوقيع معاهدة عدم اعتداء على الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى . وأشارت اللجنة فى النهاية أن كل هذه الاجراءات يجب أن تتخذ تحت قيادة الحكومة والعمل على مساعدتها بشتى الطرق فى نضالها (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٥) .

وكانت المطالب التى طرحتها لجنة الميثاق الوطنى تتسم بالطابع التقدمى . الا انه بالرغم من صدق واخلاص العديد من روادها مثل الوفديين اليساريين فلم تنجح اللجنة فى عملها ، ويرجع السبب الاساسى فى هذا الى أن قادة اللجنة حاولوا ضم أحزاب الاقطاعيين الكومبرادوريين الى الجبهة الموحدة . وهى الاحزاب التى كان بمقدورها فى أحسن الاحوال أن تكافح الانجليز بالطنطنة وحدها وتعمل فى الوقت نفسه على تخريب اللجنة من الداخل كما وأنه لم تستدع للمشاركة فى أعمالها تنظيمات ديمقراطية جماهيرية مثل اللجنة التحضيرية لتشكيل الاتحاد العام لنقابات عمال مصر والتنظيمات النسائية واللجنة التنفيذية لطلاب القاهرة وغيرها .

واضطلعت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حديتو) وجمعية الاخوان المسلمين وجمعية الشبان المسلمين والحزب الاشتراكى والجناح اليسارى للحزب الوطنى من بين جميع الاحزاب والتنظيمات السياسية بدور أكثر نشاطا وفاعلية خلال عامى ١٩٥٠ — ١٩٥١ .

وقد أخرج الوفديون بعد الغاء حالة الطوارىء فى مايو (آيار) ١٩٥٠

عن المعتقلين السياسيين ومن بينهم قادة الجماعات الشيوعيين والماركسية واقطاب الحركة النقابية . وقد خرج معظم الشيوعيين من بين أسوار المعتقلات ربيع ١٩٥٠ . واستأنفت حديتو والجماعات الماركسية الاخرى نشاطها في العاصمتين أولا ، ثم في المدن الكبرى الاخرى بعد ذلك .

وكانت الظروف أكثر موائمة خلال هذه الفترة لنمو الجماعات الماركسية . وكانت الحكومة الوفدية تعمل خلال سنوات ازدهار الحركة التحررية على تشجيع الدعاية الوطنية المعادية للامبريالية ، وهو الامر الذى استفادت منه حدتو والجماعات الماركسية الاخرى . فاذا كان عدد أعضاء حديتو فى مايو (آيار) ١٩٥٠ (اى اثناء الغاء الوضع العسكرى) لا يتعدى ٢٠٠ فرد ، فقد ازداد عددهم فى ١٩٥٢ ليصل الى ٢ : ٣ الف عضو . وقد تنامت بسرعة الجماعات الشيوعية والماركسية الاخرى .

وكانت جميع المجموعات الشيوعية والماركسية تمارس نشاطها سرا لأن الوفديين كانوا يتتبعون نشاطها بشكل صارم ، الا أن الشيوعيين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير داخل صفوف المشتركين فى حركة أنصار السلام وكذلك فى بعض التنظيمات الطلابية . زد على ذلك أنهم وسعوا من نطاق نضالهم لاستعادة نفوذهم داخل المراكز النقابية الكبرى .

وقد ازدادت أعداد الاعضاء النشطاء فى حديتو زيادة كبيرة . وبالرغم من ان كثيرا من قادة واعضاء حديتو القدامى ولاسيما الاجانب والاوربيين كانوا مضطرين الى التوقف عن ممارسة نشاطهم السياسى الكبير (لنفيهم الى خارج حدود البلاد أو الى الجهات النائية واعتقالهم (٤) وهلم جرا) فقد نجحت فى اجتذاب كوادر جديدة من بين السكان الاصليين للبلاد الى صفوفها (ولاسيما شباب الدارسين) ومن ثم فقد تمصرت الحركة الى حد بعيد . وتقدمت حديتو خلال هذه الفترة ببرنامج تشكيل جبهة شعبية عريضة كان يجب عليها أن تكون اتحادا للطبقة العاملة والفلاحين والفئات الوسطى (بما فيها المثقفين الديمقراطيين) والبرجوازية الصغيرة (« من الفئات المتوسطة والفقيرة للطبقة المتوسطة ») (٨٩ ، ص ٦١) . وكان يجب على الطبقة العاملة — حسبما نص على ذلك واضعو البرنامج — أن تتزعم هذه الجبهة الوطنية ، وهى الطبقة المعترف بها بترأسها النضال المسلح للشعب

---

(٤) اعتقل من جديد فى صيف ١٩٥٠ هنرى كوريل وهلال شفارتز . ونفى الاول فى أغسطس (آب) ١٩٥٠ الى ايطاليا . وحرمت عليه العودة الى مصر .

ضد الامبرياليين البريطانيين . واقترحت حديتو أن تتعاون تعاونا بناءا مع الوفــد وكذلك « الاخــوان المسلمين » والحــزب الاشتراكى وغيرها من التنظيمات السياسية الاخرى التى كانت تعبر عن ميول واتجاهات شتى المجموعات من الفئات المتوسطة والفقيرة والبرجوزاية الصغيرة داخل اطار الجبهة الوطنية . واستعاد الشيوعيون مواقعهم داخل النقابات الديمقراطية وحققوا نجاحا كبيرا داخل منظمات الشباب من الدارسين : وظهــرت فى العديد من المعاهد العلمية خلايا تابعة لحديتو .

الا ان الجماعات الشيوعية فى هذه المرحلة من مراحل الحركة التحررية أخفقت فى جذب غالبية الطبقــة العــاملة الى صفوفها . وكان « الاخوان المسلمون » والوفد ينافسون حديتو والجماعات الماركسية الاخرى داخل النقابات العمالية وخاصة بين أوساط عمال المشاريع والمصانع الصغــيرة والمتوسطة . ولم يكن العالم الامريكى طوماس شتاوفير ينطلق من فراغ عندما كتب يقول : يتمتع « الاخوان المسلمون » بنفوذ كبير داخل النقابات العمالية فى مصر ، عن الشيوعيين البارزين ... ولا نكاد نجد فى مصر ولو نقابة واحدة يتزعمهــا الشيوعيون أو أى حزب عمــالى شيوعى آخر » (١٠٦ ، ١٩٥٢ ، رقم ١) .

وكانت توجد بين حديتو والجماعات الماركسية الاخرى خلافات حول العديد من المسائل الاساسية للنظرية والتطبيق ولاسيما حول مســألة التعاون مع التنظيمات السياسية البرجوازية داخل اطار الجبهة الموحدة . وكانت بعض الجمــاعات الماركسية تنتقد قادة حديتو لتعاونهــا مع هذه التنظيمات « الشبه فاشية » مثل « الاخوان المسلمين » والحزب الاشتراكى .

وكان السبب الاساسى لضعف ووهن الحركة الشيوعية يرجع الى غياب الوحدة الايديولوجية والتنظيمية بين صفوف الجماعات الماركسية ، التى لم تنجح فى توحيــد صــفوفها داخل حزب واحــد للطبقة العاملة .

حركة أنصار الســلام فى مصر

اصبحت حركة أنصار السلام واحدة من العناصر الهامة والجديدة فى الواقع المصرى وبدأت تتكون فى نهاية ١٩٤٩ وبداية ١٩٥٠ فى كبرى المدن المصرية الاولى لجان أنصار الســلام ، وتكونت فى شهر فبراير (شباط) ١٩٥٠ اللجنة الوطنية المصرية لانصار السلام .

وكانت اللجنة تضم شخصيات اجتماعية وسياسية وكتاب وممثلى

المثقفين ونقابات وتنظيمات نسائية . وتكونت لجان محلية فى كثير من المشاريع الصناعية ومختلف المعاهد الدراسية .

وكانت أمام اللجنة الوطنية مهمة صعبة هى « توحيد صفوف الحركة الجبارة المعادية للامبريالية للشعب المصرى مع الحركة العالمية لانصار السلام » (٤ ، ص ٥٠٥) .

وكانت حركة انصار السلام فى مصر أقل من مثيلاتها فى عدد من البلدان العربية الاخرى مثل سورية ولبنان . ويرجع السبب فى هذا الى أن لجان انصار السلام كانت تمارس نشاطها فى مصر فى ظل ظروف غير مشروعة بالفعل وكان البوليس يطارد العناصر النشيطة فى الحركة ويتعقبها .

وقد انتشرت فى عام ١٩٥٠ حملة واسعة النطاق لجمع التوقيعات على نداء ستوكهلم . وبالرغم من الظروف الصعبة السائدة وقتئذ تمجمع ما يقرب من ٣٠ الف توقيع (٥) مما يعد « انجازا كبيرا فى ظل الارهاب » ، (١١٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٤٢ ، ص ٤٦٨ ، ١٠٣ ، ١٩٥١/١٢/١٩) .

وقد أعلن المندوب الوحيد لانصار السلام المصريين فى المؤتمر العالمى الثانى لانصار السلام الذى عقد فى وارسو من ١٦ — ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥٠ فى خطابة يقول : « ان عزم الشعب المصرى على النضال من أجل السلام أكيد لدرجة أن الحكومة المصرية بالاتفاق مع المحتلين الامبرالبين تستخدم اعمال الارهاب والاساليب البوليسية بهدف اثناء شعبنا عن عزمه على ان ينظم نفسه ويتحد مع شعوب العالم للتعبير عن ارادته للنضال من أجل السلام والحرية . بل ان مجرد الاشتراك فى هذا المؤتمر يعتبر جريمة يعاقب كل متجرىء على ارتكابها بالسجن » (٤ ، ص ٥٠١) .

وقد تلاحمت حركة أنصار السلام مع النضال من أجل التحرير الوطنى . ودعت لجان السلام المحلية المواطنين للاشتراك فى المظاهرات الوطنية والتى كانت تنتظم تحت شعار الجلاء الفورى للثورات الانجليزية (تشرين الاول) ١٩٥١ تقول : « ان الشعب المصرى يعى جيدا ، أن النضال

---

(٥) وذكر لاكور أن العدد كان ١٢٠ الف توقيع (٨٩ ، ص ٥٧) .

من أجل التحرر الوطنى التام يرتبط أشد الارتباط بنضال شعوب الارض قاطبة من اجل قضية السلام » (١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم ١٠) .

وقد اتخذت حركة أنصار السلام أبعادا اضطرت معها الحكومة الى اصدار قرار فى اجتماع خاص لهذا الامر باتخاذ عدة اجراءات ضـــدها . فتم فى ١٩٥٠ تحريم نشاط اللجنة الوطنية لانصار السلام . الا ان الحركة استمرت فى النمو ، والازدياد . وأعلن فى ١١ يناير (كانون الثانى) ١٩٥١ عن تنظيم اللجنة التحضيرية المصرية لانصار السلام والذى تحول فى نهاية العام الى اللجنة الوطنية المصرية لانصار السلام .

وتم فى مصر خلال أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ جمع ٥٠ ألف توقيع على نداء مجلس السلام العالمى والذى يطالب بتوقيع ميثاق سلام بين الدول العظمى الخمس (١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم ١٠) .

واشترك الوفد المصرى فى أعمال دورة مجلس السلام العالمى الذى عقد فى فيينا أواخر عام ١٩٥١ .

وفى أواخر عام ١٩٥١ بدأ أنصار السلام فى مصر الاعداد لعقد مؤتمر اقليمى لانصار السلام لشعوب الشرق الاوسط وشمال أفريقيا والذى كان يجب أن ينعقد فى القاهرة خلال شهر فبراير (شباط) ١٩٥٢ . وقد حظيت هذه الفكرة بالرضى والاستحسان الكبـــير من مختلف الاحزاب السياسية والتنظيمات النقابية والشبابية فى معظمها (١١٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٤٧ ، ١١٢ ، رقم ١٢ ، ص ١٢٨ ، ١٠٣ ، ١٩٥٢/١/٢٨) .

لقد وحدت حركة أنصار السلام فى مصر بين مواطنين من أصحـــاب المبادىء السياسية المختلفة وساعدت على تكاتف جميع القوى الوطنيـــة وأدخلت تيارا ديمقراطيا ضمن السيل الجارف العام لحركة التحرر الوطنى .

وكان من أبرز رجال الحـــركة محمد كامل البندارى السفير المصرى فوق العادة والوزير المفوض لدى الاتحاد السوفيتى (١٩٤٦ — ١٩٤٩) وأحد كبـــار ملاك الاراضى الزراعيـــة والذى كانوا يطلقـــون عليه لقب « الباشا الاحمـــر » بسبب أرائه التقدميـــة ، وسيزا النبراوى الكـــاتبة

---

(٦) تبعا لما ذكر لاكور ، فقد تم جمع ما يقـــرب من مائة الف توقيـــع (٨٩ ، ص ٥٧) .

والصحفية (نائبة رئيسة الاتحاد النسائى المصرى وحنفى محمود باشا وزير التجارة السابق وعضوحزبالاحرار الدستوريين ، ومحمد مندور وابراهيم طلعت وعزيز فهمى وحنفى الشريف من الوفديين اليساريين البارزين ومن انشط العناصر فى حركة التحرر الوطنى فى السنوات السابقة وعبد الرحمن الشرقاوى وعبد الرحمن الخميسى من كبار الكتاب المصريين وممثلى الجناح اليسارى الوطنى للحزب الوطنى (٧) وعلى رأسهم فتحى رضوان .

ورأس اللجنة خلال السنوات الاولى من نشاطها البندارى وابراهيم رشاد وانتخب يوسف حلمى سكرتيرا لها وهو محام وعضو سابق فى الحزب الوطنى واصبح ماركسيا بعد ذلك . وفى ١٩٥٢ واوائل ١٩٥٣ انتخب ابراهيم رشاد رئيسا للجنة انصار السلام الوطنية المصرية وظل يوسف حلى فى منصبه سكرتيرا لها وانضم الى اللجنة كذلك كل من البندارى وسيزا النبراوى وحنفى الشريف وابراهيم طلعت وسعد كامل والخميسى والشرقاوى ومحمد ابو الخير (١٣٨ ، ١٩٥٣/١٠/٢٥). واصدرت حركة انصار السلام المصرية مجلة «الكاتب » التى كان يراس تحريرها سعد كامل .

كتبت مجلة « ورلد نيوز آند فيوز » فى ١٩٥١ تقول : « برهنت حركة انصار السلام المصرية على أنها الى حد كبير عقبة على طريق أى اتفاق يهدف لشد مصر الى أى تحالف أنجلو امريكى ضد الاتحاد السوفيتى » (١١٢ ، ١٩٥١ ، رقم ٣٦ ، ص ٣٩١) .

---

(٧) فصل من الحزب الوطنى فى يناير (كانون الثانى) ١٩٥٠ فتحى رضوان ونور الدين طراف وغيرهما من قادة التنظيمات الشبابية التقدمية . وكان الوطنيون اليساريون ينتقدون قيادة الحزب لتعاونها مع الاحزاب البرجوازية الاقطاعية « الاقلية » وتقدموا ببرنامج عمل معاد للامبريالية . وبعد فصلهم من الحزب أعلنوا عن تشكيل « حزب جديد » ترأسه فتحى رضوان وأصبح سكرتير الحزب الجديد نور الدين طراف .

نضـــال الطبقة العـــاملة من اجل تكوين
الاتحــــاد العــــام لنقـــابات عمــــال مصر

لقد اصبح تطلع الطبقة العاملة لتوحيد صفوفها تنظيميا اى تشكيل مركز نقابى على نطاق وطنى من أهم العوامل البارزة فى الواقع خلال الفترة التى نتناولها بالشرح والتحليل (٨) .

وبمبادرة اتحاد نقابات عمال الغزل والنسيج وكذلك اتحاد عمال النقل ونقابات عمال صناعة البترول والاتصالات السلكية واللاسلكية وعمال الموانىء وغيرهم اتخذ قرار فى الاجتماع الموحد للنقابات بتاريخ ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٥١ بتشكيل اللجنة التحضيرية لتأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال مصر . وضمت اللجنة التحضيرية ممثلى ١١٥ نقابة توحد بين صفوفها ٦٥ ألف عامل من عمال الغزل والنسيج والنقل والبترول وعمال الموانىء والبحارة والمواصلات وعمال شركة قناة السويس . وتم انتخاب أحمد طه الرجل النقابى المشهور أمينا عاما للجنة التحضـــيرية ، وعضـــوية كل من ســـيد ترك الامين العـــام لنقـــابة ســـائقى التاكسى ومحمـــد على عامر رئيس نقابة عمال الغزل والنسيج فرع القاهرة والذى أصبح رئيسا لنقابة صناعة الغزل والنسيج الميكانيكى فرع القاهرة وعبد العزيز السيد رئيس اتحاد عمال النقل وغيرهم .

وأصدرت اللجنة التحضيرية فى ١٠ سبتمبر (أيلول) بيانا تدعو فيه اتحاد النقابات العالمى لتقديم المساعدة للحركة العمالية فى مصر .

---

(٨) انتعش منذ ١٩٥٠ نظرا لازدهار حركة التحرر الوطنى العمل النقابى من جديد ، وظهرت نقابات جديدة من بينها اتحاد عمـــال النقل القوى والجيد التنظيم .
وفى ١٩٤٦ — ١٩٤٨ وحاول عمال الغزل والنسيج الاكثر تنظيما وعددا والمتمركزين فى المصانع الكبرى تنظيم اتحاد قومى لعمـــال الغزل والنسيج الا أن الحكومة الرجعيـــة المشكلة من السعديين والاحرار الدستوريين نكلت بالزعماء النقابيين تنكيلا وحشياوزج بمعظمهم فى غياهب السجون وخلف أسوار المعتقلات . وأصيب نشاط الكثير من النقابات بالشلل فى ١٩٤٨ — ١٩٥٠ وأصبح عدد من التنظيمات بلا رئاسة وفقد الاتصال ببعضها البعض .

وتجدر الاشارة الى الصراع الدائر داخل أوساط النقابات المصرية (حول مسألة الانضمام لاتحاد النقابات العالمى أو الاتحاد العالمى للنقابات الحرة (٩) وهو اتحاد اصلاحى للعمال وكان قد زاد نشاطه فى مصر خلال هذه الفترة) .

وكانت فى مصر بعثة من الاتحاد العالمى للنقابات الحرة تسعى لضم النقابات المصرية لهذه المنظمة . الا أن النقابات المصرية اختارت الاتحاد العالمى للنقابات مما يشهد بالنضج السياسى للحركة النقابية فى مصر .

وقد تحققت الطبقة العاملة فى مصر من واقع خبراتها الذاتية أى المنظمتين هو المدافع الحقيقى عن مصالح العمال الكادحين . ولعله من الجدير بالذكر أن نتأمل تجربة نقابة السائقين وسائقى التاكسى فى القاهرة (١٠) والتى آثرت الانضمام الى الاتحاد العالمى لعمال النقل المندرج تحت لواء الاتحاد العالمى للنقابات الحرة ، الا أنها سرعان ما انسحبت منها بعد أن رفضت هذه المنظمة الاحتجاج على أعمال الانجليز العدوانية فى منطقة قناة السويس بعد ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ . وجاء فى البيان الصادر بهذه المناسبة أن الاتحاد العالمى للنقابات الحرة يعمل فى خدمة الامبرياليين وأن الفرقة والخلاف يهددان وحدة صف الطبقة العاملة المصرية . وجاء فى البيان بالنص : « اننا نتوجه لجميع العمال ندعوهم للانضمام الى النقابات المشتركة فى اللجنة التحضيرية بهدف تشكيل اتحاد عام يوجد صفوفه كادحى مصر لخوض غمار النضال الحقيقى من اجل مصالحنا ومصالح وطننا المفدى » (٥٥ ، ١٩٥١ ، رقم ٢١ ، ص٣٧ ، ٥٥ ، ١٩٥١ ، رقم ٢٣ ، ص ١٥ ، ٥٥ ، ١٩٥٢ ، رقم ٣ ، ص٣٢) . وفى النهاية انضمت هذه النقابة الى اللجنة التحضيرية ، واضطرت بعثة اتحاد النقابات الحرة العالمى الى مغادرة القاهرة والرحيل الى الخرطوم .

لقد ابدت البروليتاريا المصرية ضغوطا على الحكومة فى قضية الغاء معاهدة ١٩٣٦ وكذلك رفض الدخول فى نظام « قيادة الشرق الاوسط » (١٠٣ ، ١٩٢/١/٢٨) .

---

(٩) تأسس الاتحاد العالمى للنقابات الحرة عام ١٩٤٩ .

(١٠) أيدت النقابات الثلاث الباقية للسائقين وسائقى التاكسى سياسة اللجنة التحضيرية .

وقابلت اللجنة التحضيرية فى ١٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥١ قرار الحكومة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ بالرضى والاستحسان وطالب أمناء اللجنة احمد طه وسيد مصطفى الحكومة باطلاق الحريات الديمقراطية للشعب والغاء القوانين الرجعية التى تعرقل من انجاز المهام الوطنية (٥٥ ، ١٩٥١ ، رقم ٢١ ، ص ٣٧ ، ١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٠) . ودعت اللجنة الى تشكيل جبهة موحدة معادية للامبريالية تضم تنظيمات الطبقة العاملة والفلاحين والطلاب وغالبية الاحزاب السياسية والجماعات الدينية (مثل الوفد و « الاخوان المسلمون » والحزب الاشتراكى والحزب الوطنى والكتلة ، والوفد وغيرها) . وبالاضافة الى هذا عارضت اللجنة تشغيل العمال أكثر من طاقتهم وابدال العمال المهرة بآخرين من الارياف بأجور منخفضة . وطالبت اللجنة باطلاق الحريات للصحافة والحريات الديمقراطية للنقابات .

وأصدرت اللجنة التحضيرية برنامجا تضمن المطالب التالية :

١ ــ جلاء القوات البريطانية .

٢ ــ رفض الدخول فى معاهدات امبريالية (مثل « قيادة الشرق الاوسط ») .

٣ ــ اتحاد مصر والسودان لخوض غمار النضال ضد الامبريالية وحق تقرير المصير للسودان .

٤ ــ توقيع اتفاقية للتعاون الاقتصادى ومعاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى .

وقد حظى هذا البرنامج بتأييد عدد من رجال الحزب الوطنى وجمعية الاخوان المسلمين (١٠٣ ، ١٩٥٢/١/٢٨) .

وفى هذه الفترة تعززت الاتصالات الدولية للجنة التحضيرية ، وتدعم موقفها فى البلاد . وشارك وفد اللجنة التحضيرية فى دورة المجلس العمومى لاتحاد النقابات العالمى التى عقدت فى برلين فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥١ . وقد مثل النقابات المصرية أحمد طه وكذلك حسن عبد الرحمن (عضو اللجنة التحضيرية) وأحمد سليمان (عضو اللجنة التحضيرية والسكرتير المسئول بلجنة الاتصالات بالنقابات السودانية) . وتم انتخاب حسن عبد الرحمن عضوا فى المجلس العام لاتحاد النقابات العالمى . وفى ٢١ نوفمبر (تشرين الثانى) صدر قرار المجلس العام بخصوص مصر

والسودان والذى أيد نضال الشعب المصرى والسودانى ضد الامبريالية . وصدر كذلك قرار يوصى بعقد مؤتمرات نقابية اقليمية .

وفى ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥١ دعى لحضور الاجتماع العام لاتحاد النقابات العالمى فى فيينا ممثلى النقابات الديمقراطية فى مصر برئاسة أحمد طه والذين شكلوا سويا مع ممثلوا نقابات سورية واسرائيل وايران لجنة لعقد مؤتمر اقليمى لنقابات بلدان الشرق الاوسط . وجرى التوكيد مرة أخرى على القرار الصادر عن دورة انعقاد المجلس العام للاتحاد العالمى للنقابات فى برلين بضرورة عقد مؤتمرات نقابية اقليمية .

وتبعا لقرار اللجنة التحضيرية كان يجب افتتاح المؤتمر التأسيسى لتشكيل الاتحاد العام لنقابات عمال مصر فى ٢٧ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٢. (١١٢ ، ١٩٥٢ ، رقم ١٢ ، ص ١٣٩) ، واضطرت حكومة الوفد فى ظل المد القوى لحركة التحرر الوطنى أن توافق على انعقاد هذا المؤتمر .

والجدير بالذكر أن نشير الى موقف الطبقة العاملة فى مصر والمتمثلة فى اللجنة التحضيرية تجاه المشكلة السودانية . أقيمت العلاقات والاتصالات فى بداية ١٩٤٦ بين الحركة النقابية فى مصر والسودان (٥٥ ، ١٩٥١ ، رقم ٢٣ ، ص ١٩) . واستؤنفت الاتصالات فى عام ١٩٥١ بالنقابات السودانية ودعى فى شهر ديسمبر (كانون الاول) فى العام نفسه وفد العمال المصريين لحضور المؤتمر الثانى لنقابات السودان (١١) ، الامر الذى يعد دلالة واضحة على زيادة أواصر الوحدة بين الكادحين فى مصر والسودان فى النضال ضد العدو المشترك ، ضد الامبريالية.وقرر المؤتمر توثيق الروابط باتحاد النقابات العالمى وتقديم المعونة الشاملة للطبقة العاملة والكادحين المصريين فى نضالهم من أجل التحرر الوطنى وكذلك النضال الحاسم سويا مع كادحى مصر ضد مؤامرات الدول الامبريالية التى تهدف الى وأد حركة التحرر الوطنى .

---

(١١) كان اتحاد السودان الذى ظهر فى عام ١٩٥٠ واحدا من اقوى التنظيمات النقابية للطبقة العاملة فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا، وقد شارك بنشاط من أجل الحقوق الاقتصادية للكادحين وكذلك من أجل الحريات الديمقراطية والسلام . وكان عضوا فى اتحاد النقابات العالمى . وسرعان ما قام كادحو السودان بفضح اتحاد النقابات الحرة العالمى التى وصلت للخرطوم قادمة من القاهرة فرحلت عن الخرطوم سريعا .

وقد أرست التنظيمات النقابية الديمقراطية فى مصر والسودان، منذ البداية الاساس الديمقراطى الامى العام لحل المشكلة السودانية . وعلى النقيض من الامبرياليين الانجليز الذين كانوا يزعمون أن السودان «لم ينضج» بعد للحكم الذاتى وفى الوقت نفسه يقترحون بشكل ديماجوجى اجراء « استفتاء » لتحديد « ارادة الشعب السودانى بشرط ابقاء القوات والموظفين الانجليز فى البلاد وعلى العكس من سياسة الدولة العظمى المصرية التى كانت تطالب بالاتحاد الميكانيكى بين البلدين تحت سلطان التاج المصرى ، نجد أن الطبقة العاملة فى مصر والسودان كما هو واضح من برنامج اللجنة التحضيرية لعمال مصر والقرارات الصادرة عن المؤتمر الثانى لنقابات السودان طرحت حلا أكثر عدلا وديمقراطية للمشكلة السودانية : اتحاد مصر والسودان فى النضال ضد الامبريالية ومنح الشعب السودانى حق تقرير مصيره بدون تدخل خارجى (٥٥ ، ١٩٥٢ ، رقم ٥ ، ١٠٣ ، ١٩٥٢/١/٢٨) .

وهكذا كان تشكيل اللجنة التحضيرية لتأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال مصر ونشاطها بمثابة مرحلة هامة فى تاريخ الحركة العمالية . زد على ذلك أن نضال النقابات المصرية المتحدة وحركة أنصار السلام قد أسهمت بتيار ديمقراطى قوى ضمن الفيض العارم للحركة المعادية للامبريالية والذى اشتد خاصة بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ .

الأحزاب السياسية أثناء الحرب الفدائية فى منطقة القناة

وقد وسع الحزب الاشتراكى كثيرا من نشاطه فى هذه الفترة .

وكان هذا الحزب عبارة عن تنظيم بورجوازى صغير نمطى لم يكن له مذهب هادف متكامل من قريب أو من بعيد . وكان يعرف عن قادته التذبذب الفكرى والايديولوجى . وكانوا يحاولون فى كل مراحل نشاط الحزب اتباع أكثر التيارات السياسية ومستقبلا اى ثورية (من وجهة نظرهم) . ولهذا السبب فانه فى المرحلة الاولى (١٩٣٣ — ١٩٤٠) وأثناء الانتشار السريع للفاشية فى عدد من البلدان الاوربية نجد قادة الحزب الذى كان يعرف وقتئذ بحزب « مصر الفتاة » ينضمون بشكل سافر تحت لواء الاحزاب ذات الصبغة الفاشية . وفى مرحلته الثانية (١٩٤٠ — ١٩٥٠) حاول الحزب بأقصى طاقته أن يتخلص من عبء الفاشية الماضى البغيض ويتخم ترسانته الايديولوجية بأفكار الاسلام . وقد غير اسمه فى هذه الفترة بالذات وأصبح يعرف بالحزب الاسلامى الوطنى . واخيرا وفى المرحلة الثالثة

(١٩٥٠ — ١٩٥٣) ونظرا لمعدلات النمو السريع لصرح النظام الاشتراكى العالمى وانتشار الافكار الاشتراكية فى العالم اجمع أصبح هذا الحزب يسمى بالحزب الاشتراكى (منذ ١٩٥٠) .

وكن يعرف عنه فى كل مراحله « الثورية » المتطرفة للبرجوازية الصغيرة والصياح والصخب والقومية العنترية . وبسبب الزعزعة التنظيمية والايديولوجية لم يتمتع هذا الحزب بأى نفوذ جدى فى البلاد الا ان نشاطه كان ملحوظا على سطح الحياة السياسية بفضل ما كان يلقيه زعماؤه من خطب مثيرة معادية للامبريالية ومقالاته الانتقادية اللاذعة ضد الملكية والحكومة على صفحات جرائده ومجلاته .

وتم الافراج عن أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى وعدد من زملائه المقربين يوم ٢٥ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ بعد أن كانوا قد سجنوا بسبب مقالات فى صحيفتى الحزب « مصر الفتاة » و « الاشتراكية » تعرضوا فيها بالنقد اللاذع لسياسة الملك فاروق وجميع أفراد الاسرة المالكة المعادية للشعب .

وانتقد احمد حسين الوفد فى كلمته التى القاها عقب خروجه من السجن فورا لأنه « يحاول كبت مشاعر الشعب » ولا يعمل على تنظيم حرب شعبية ضد المغتصبين (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٦) . وطالب أحمد حسين الحكومة فى خطاب له آخر باصدار قانون يبيح لأى مواطن حمل السلاح . وطالب ابراهيم شكرى نائب رئيس الحزب فى معرض انتقاداته لموقف الوفد بقطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا والمقاطعة الاقتصادية للبضائع الانجليزية . وكان قادة الحزب يقفون فى هذه الفترة الى جانب ابرام معاهدة مع الاتحاد السوفيتى والاعتراف بالصين الشعبية (١٣٦ ، ٥ ، ١٩٥١/١١/٦) . وافتتح الحزب فى ٤ فبراير (تشرين الثانى) منتهزا فرصة مواتية مركزا لتدريب « فرق التحرير » من المتطوعين من افراده .

أما ما يخص « الاخوان المسلمون » فقد أعادت حكومة الوفد من جديد فى ربيع ١٩٥٠ الشرعية للجمعية . وذلك بدافع استغلالها لمجابهة الحركة الديمقراطية العامة المتزايدة ولاسيما النقابية منها وكذلك رغبة فى وضع العراقيل أمام القصر لاستخدام الجمعية كقوة ضارية لخلع حكومة الوفد (١٠٥ ، ١٩٥٤ ، المجلد ٥ ، رقم ١٢) .

وتم خلال شهر مايو (آيار) ١٩٥٠ الافراج عن اعضاء الجمعية

المحتجزين فى المعتقلات (أكثر من ١٥٠٠ فرد) . واستأنف قادة الجمعية بحرص وحذر كبيرين نشاط فروعها .

وأصدر البرلمان فى ٢٣ ابريل (نيسان) ١٩٥١ وبعد مناقشات طويلة « قانونا عن الجمعيات » ينظم مسائل تأسيس الجمعيات من كل حدب وصوب وينظم كذلك نشاطها . وكانت كل جمعية بصرف النظر عن طبيعتها (اجتماعية دينية ثقافية ... الخ) يجب أن تقدم قبل الحصول على حق ممارسة نشاطها للسلطات تقريرا مفصلا عن أهدافها ومهامها . وأصبح من حق البوليس التعرف على جميع وثائق هذه الجمعيات . وفرض عليه أن يتابع نشاط كل جمعية حتى يكون ضمن اطار المهام والاهداف الواردة فى لائحتها . وتم تحريم نشاط فرق الكشافة السرية والمسلحة . وجرى التنويه فى الوقت نفسه بأن القانون الجديد لا يمس الاحزاب السياسية (١٣٦ ، ١٩٥١/٤/٢٤) . وواضح أن القانون موجه أساسا ضد الاخوان المسلمين » .

وأثناء مناقشة مشروع هذا القانون دبرت الجمعية القيام بعدة مظاهرات سلمية ولكنها صاخبة أمام مبنى البرلمان . وسلم أعضاء وفود « الاخوان المسلمين » احتجاجا كتابيا لرئيس مجلس النواب (٨١ ، ص ١٨٦) .

وبالطبع أثارت القيود المفروضة على الجمعيات للحد من نشاطها موجة من الغضب والاستياء . واستأنف « الاخوان المسلمون » حملتهم الدعائية ضد الوفد . والمهم ان « الاخوان المسلمين » منذ البداية لم يأبهوا بالقانون الصادر فى ٢٣ ابريل (نيسان) ١٩٥١ الذى يقيد من نشاطهم . فحافظوا على جناحهم المسلح السرى واخفوا كذلك وثائقهم السرية عن اعين البوليس . وبعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ أصبحت البنود الاساسية « لقانون الجمعيات » لا حول لها ولا قوة لأن « الاخوان المسلمين » مثلهم مثل بقية الجماعات والجمعيات الاسلامية القومية الاخرى كانوا يتمتعون بحرية الحركة الكاملة . وأخذوا يتدخلون بنشاط من جديد فى الحياة السياسية للبلاد .

ولم تكن القيود المفروضة من قبل الحكومة عقبة على طريق استعادة جبروت الجمعية الغابر ، بقدر ما كان يعوقها الصراع الداخلى الحاد الذى يمزقها بعد وفاة حسن البنا . وكان فقد « المرشد العام » الاول خسارة لا تعوض بالرغم من أن أنصاره المقربين بذلوا كل ما بوسعهم للمحافظة على التنظيم وتهيئته للظروف الجديدة .

وكان صالح مصطفى العشماوى نائب « المرشد العام » يقوم بأعباء قيادة الجمعية فى فترة من أحلك فترات الجمعية (فبراير (شباط) ١٩٤٩ — مايو (أيار) ١٩٥٠) عندما أصيب نشاطها بالشلل التام . وفى هذه الفترة شهدت الدوائر العليا « للاخوان المسلمين » صراعا حادا على رئاسة الجمعية بين جماعات ثلاث هى :

١ — جماعة المحافظين برئاسة عبد الرحمن البنا الساعاتى شقيق المرحوم « المرشد العام » .

٢ — جماعة المعتدلين برئاسة الدكتور حسين كمال الدين والشيخ حسن الباقورى عالم الدين المشهور والمتخصص فى مجال الشريعة الاسلامية .

٣ — جماعة الراديكاليين أو ذوى النزعة العسكرية بقيادة العشماوى (٨١ ، ص ١٨٧) .

وبعد وفاة البنا مباشرة شكل أتباعه وتلامذته المقربين لجنة سياسة سرية تحولت فى مايو (آيار) ١٩٥٠ الى اللجنة القيادية الرئيسية الجديدة وقد نجح قادة الجماعة المعتدلة بعد صراع مرير فى اقناع اللجنة القيادية الرئيسية بتفضيل ترشيحها لما كانت تتمتع به من نفوذ كبير أثناء هذه الفترة .

وتم انتخاب حسن اسماعيل الهضيبى المحامى بمحاكم الاستئناف « مرشدا عاما » جديدا . وكان مستشارا شخصيا وصديقا كبيرا للمرحوم حسن البنا . وينوه بعض الباحثين المطلعين (من أمثال حسين وهاريس) عن العلاقات الخاصة التى كانت تربط الهضيبى بالملك واتصالاته برجال البلاط . (٨١ ، ١٨٨) . وتم انتخابه شكليا فى ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ (أى بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦) بالرغم من ترقيته فى هذه الرتبة من ١٩٥٠ .

ولم يكن الهضيبى يتمتع بمواهب القائد الحزبى التنظيمى بمثل تلك التى كان يتمتع بها تماما سلفه البنا . علاوة على أن الجمعية خلال هذه الفترة لم تكن بالتنظيم المتجانس كما كانت مثلا فى أواخر ١٩٤٨ . وأخذت المعارضة التى كانت تعمل ضد القيادة الرسمية تتجمع حول العشماوى وتتهافت على مجلة « الدعوة » التى كان يصدرها . وكانت هذه الدوائر المتطرفة والتى تقبض على ناصيتها كتائب « الإخوان المسلمين » تروج لانتهاج أساليب العنف لحل المشاكل الداخلية وتعارض أية مفاوضات مع انجلترا . وأصرت جماعة العشماوى على خوض غمار النضال المسلح ضد الدخلاء . زد على ذلك انه كانت هناك خلافات ناشبة بين « المرشد العام » والشيخ محمد

فرغلى قائد القسم الجبار « للاخوان المسلمين » فى منطقة قناة السويس (ومركزها الاسماعيلية) (١٢٩ ، ص ٢٤) .

واخفق الزعيم الجديد فى قمع الجماعات المختلفة داخل الجمعيــة . وخرجت الدوائر المتطرفة الراديكالية عن طوع القيادة الرسمية ، كما وانه لم تنصاع الجماعات الارهابية والمسلحة لتعليمات « المرشد العام » . وكان ينظر اليها نظرة ملؤها الريبة والحذر واليقظة بل وحاول تصفيتها وابادتها . الا أن الشيء الوحيد الذى نجح فيه هو اعادة تنظيم الجماعات المشار اليها وتغيير بعض قياداتها .

ان الصراع الداخلى الناشيء بين التكتلات والجمــاعات وعدم توفر وحدة القيادة فى تنظيم شمولى النمط عرقل من استمرار القيــادة الجديدة « للاخوان المسلمين » .

وبعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ وعنــدما بدأت الاصطدامات الدموية فى منطقة القناة اتخذت القيادة العليا للجمعية فى القاهرة موقفا سلبيا للغــاية وأدلى الهضيبى ببعض التصريحات المعتدلة جدا مما قوبل بالدهشة والتعجب لدى أوساط الرأى العام المصرى ، حتى أن أعداء الجمعية اتهموها بالاتصال ببريطانيا العظمى (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٦ ، ١٠٥ ، ١٩٥٤ ، المجلد ٥ ، رمم ١٢) .

وبالرغم من أن الهضيبى أدلى بتصريح قال فيه ان « الاخوان المسلمين » سيكونون على أهبة الاستعداد ليضعوا كل ما لديهم من امكانيات تحت تصرف الحــكومة اذا ما أرادت الاخيرة تنظيــم جيش من المتطــوعين (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٦) ، ولاشتراك الجمعية فى لجنة الميثاق الوطنى التى تقترح تشكيل فرق الفدائيين من ممثلى كافة التنظيمات والاحزاب السياسية . بدأ « الاخوان المسلمون » فورا بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى اعادة بناء فرقهــا من المتطوعين والذين كانوا قد شاركوا فى حرب فلسطين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ . وأدلى الشيخ محمد فرغلى الذى كان يتزعم أكثر التنظيمات « الاخوانية » عسكرية وقوة (١٢٩ ، ص ٦٢) ببيان صريح قال فيه « لو استمرت انجلترا فى أعمالها العدوانية واقلاق راحة الشعب فاننا سننظم حربا سرية ضدها وعلى الجانبين أن يتحملا ضحاياها وخسائرها الفادحة » . وصرح الشيخ فرغلى « أن الحرب الفدائية الواسعة النطاق أفضل من الحرب العلنية ، لأنهــــا ستوقع بالقــــوات البريطـــــانية فى شر اعمالها » . (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٦) .

وعقد فور احتلال الاسماعيلية فى جو من السرية التامة وتحت رئاسة

الشيخ فرغلى اجتماع استمر لمدة ثلاثة أيام نوقشت أثناء المسائل المتعلقة بالخبراء العسكريين المتخصصين فى تدريب الشباب وبكمية الاسلحة والذخائر المتوفرة لدى الجمعية ، وتم فى هذا الاجتماع ايضا انتخاب قائد لفرق الجمعية (١٢٩ ، ص٧٨) .

وقد وضع « الاخوان المسلمين » فى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ نصب أعينهم هدفا ينحصر فى تجميع بضع مئات من أعضاء فرق المتطوعين فى حرب فلسطين والقاطنين فى محافظة الشرقية وفى منطقة قناة السويس وتنظيم عملية التدريب والاعداد لهم فى بعض المراكز العسكرية كى ما يمكن تشكيل نواة لفرق المستقبل والبدء فى تدريبات الشباب بشكل جماهيرى . وكانت معظم مراكز التدريب فى مديرية الشرقية المتاخمة لمنطقة قناة السويس. علاوة على أن الكثير من المراكز هذه كانت تقع فى الاراضى التى يمتلكها أعضاء الجمعية (١٢٩ ، ص٩٨) .

وعلاوة على الحزب الاشتراكى وجمعية « الاخوان المسلمين » قام حزب الوفد والحزب الوطنى وحزب الفلاحين الاشتراكى و « جبهة مصر » (تنظيم كان يترأسه على ماهر) وغيرها من الاحزاب السياسية بانشاء فريق كتائب التحرير . وكانت الرئاسة فى معظم هذه الفرق والكتائب من نصيب لجنة الميثاق الوطنى وكانت تضم ممثلين عن الاحزاب المختلفة واللاحزبيين كذلك . وكان للوفديين اليساريين نفوذ كبير داخل هذه الفرق والكتائب . « حتى فى الجامعات المصرية حيث الخلافات الحزبية كانت تطفو بوضوح على السطح ، لم يكن بمقدورنا أن نفرق على الاطلاق بين اعضاء حزب الوفد وبين أعضاء « الاخوان المسلمين » . الى هذا الحد كان النضال المشترك يوحد بين صفوفهم وكانوا يمقتون أشد المقت أن تطفو هذه التفاوتات على سطح الحياه » (٥١ ، ص ٦٢) .

ما هو موقف الوفد بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ وكما كتبت الصحافة المصرية تقول بأن مصر كسبت فى هذه الأيام نصف المعركة ويتعين على الشعب الآن كسب النصف الآخر (١٣٦ ، ١٩٥١/١/٢٦) .

الواضح انه من المنطقى تماما ، بعد الغاء المعاهدة سيواصل الوفد توسيع نطاق الحركة الشعبية باطراد ، ويصل بالنضال ضد الامبرياليين الانجليز حتى نهايته المظفرة معتمدا على دعم وتأييد الشعب . كل هذا يتضح من بيانات النحاس وغيره من قادة حزب الوفد الآخرين . ونطق النحاس فى هذه الايام بكلمات رددها كل لسان كقول مأثور : « انتهى زمن الكلام ، وحل زمن الافعال ! » .

ومرارا ما صرح قادة الوفد ، أنهم أعدوا العدة جيدا لكل العواقب التى قد تنجم عن الغاء المعاهدة وأن مصر على اهبة الاستعداد لخوض الحرب المقدسة ضد الامبرياليين (١٢٣ ، ص ١٩) . الا أنه فى الوقت الذى كان فيه الوفديون اليساريون والشباب الوفدى يعمل باخلاص لتوحيد صفوف جميع القوى الوطنية وانضموا متطوعين لفرق وكتائب الفدائيين وشاركوا فى نشاط لجنة الميثاق الوطنى ، نجد أن قادة الحزب برئاسة فؤاد سراج الدين كانوا يتوجسون خشية من اتساع رقعة الحركة الشعبية وسرعان ما أخذوا بكل الاسباب لاحتوائها وتقليصها .

وأعلنت الحكومة فى ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) حالة الطوارى وفى ٢٤ أكتوبر (تشرين الاول) حرمت القيام بالمظاهرات معلنة بأنها ستتخذ الاجراءات لقمعها بكل شدة . ونوهت مجلة « ايكونوميست » فى ٢٠ أكتوبر (تشرين الاول) بقولها ان النحاس وفؤاد سراج الدين « يحاولان الآن بجدية الجام عنان الحماس ... الذى أطلقوه من سراحه فى الاسبوع الماضى ... بعد أن تحققوا من تصريحات مستر موريسون فى أن القوات البريطانية ستعمل على حفظ الامن والنظام فى منطقة قناة السويس ، حتى لو رفض المصريون أنفسهم الالتزام بهذا . واستطردت المجلة تقول : وأن من صالحها تجنب الفوضى واراقة الدماء ، والتى اتضح استحالتها فى وقت من الاوقات . لقد سرى مفعول الصلابة فى لندن وواشنطن على نحو أسرع مما كان يتوقع » (١٠٤ ، ١٩٥١/١٠/٢٠ ص ٨٩٧) . وكتبت المجلة نفسها فى ٢٧ أكتوبر (تشرين الاول) تقول : « بالرغم من أن أعمال التهييج والاثارة فى القاهرة مازالت كبيرة ، الا أن الحكومة بذلت الجهود المثمرة والمخلصة للمحافظة على النظام » (١٠٤ ، ١٩٥١/١٠/٢٧ ، ص ٩٦٣) .

ويذكر الرافعى حقيقة مميزة ، وهى أنه عندما اتجه النحاس فى ٢٠ أكتوبر (تشرين الاول) من القاهرة الى الاسكندرية كان فى انتظاره على رصيف محطة السكة الحديد بالقاهرة جماعة كبيرة من الشباب ، قابلته بالهتافات التى تنادى وتردد : « نريد السلاح للكفاح » فأجابهم النحاس قائلا : « انتظروا ، كل شىء بأوانه بأمر الله ، ربنا مع الصابرين » (١٢٣ ، ص ٢٠) . ودعا قادة الوفد الشيخ فرغلى بعد ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) لمراعاة الهدوء فى منطقة القناة (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/١٨) .

وهكذا كان النحاس يطلب من الوطنيين الاعتدال والتحلى بالصبر بدلا من توحيد الصف وتزويد الشعب بالسلاح لخوض الكفاح ضد العدو .

ولم يول قادة الوفد اهتماما جديا بلجنة الميثاق الوطنى وكان

صلاح الدين وزير الخارجية هو الوحيد من بين المسئولين القلائل فى الوفد الذين اتخذوا موقفا وطنيا من اللجنـــة وشـــارك بعض الشىء فى نشاطها (١٣٦ ، ١٩٥١/١٠/٢٥) .

وكانت القيادة الوفدية غير مبالية بالنسبة لتشكيل الفرق والكتـــائب الفدائية . فبينما كانت القيـــادة تعـــارض تكوين فرق وكتائب للفدائيين فى الجامعات وتدريب الطلاب المتطوعين على الاعمال العسكرية (١٢٩ ، ص ١٠٤) وأغفلت تسليحها وتنظيمها كان كثير من أعضاء الوفد العاديين فى الوقت نفسه ينظمون فرق وكتائب الفدائيين فى الجامعات ومعاهد التعليم العالى الاخرى وترأس بعض الطلبة الوفدين وخاصة ابناء الفلاحين بعـــد عودتهم لقراهم « لجان الدفاع » الريفية المشكلة فى كثـــير من أجزاء منطقة قناة السويس (٥١ ، ص ٧٤) .

وقد ترك حزب الوفد أمرا هاما مثـــل تشكيل كتـــائب الفدائيين من المتطوعين (للعفوية) تاركا كل حزب من الاحزاب السياسية يشكل فرقا وكتائب فدائية خاصة بكل منها على حدة فمثلا ، كانت وزارة الداخليـــة على علم بوجود بعض مراكز تدريب الفدائيين من تنظيم « الاخوان المسلمين » ولكنها لم تعر الموضوع أهمية جدية . ولم تضـع الحكومة أية قواعد وأسس لقيادة فرق وكتائب التحرير واكتفت بمجرد التعاون الشكلى معها والحصول منها على الضمانات بأن نشاطها لن يستهدف تعكير صفو الامن العام أو ينال منه (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٥) .

لقد أدى اطلاق الحرية للتنظيمات والاحزاب المختلفة لتكوين فرقهـــا وكتائبها من المتطوعين الى موجة من الاستهتار وزيادة اعداد الجرائم الجنائية فبناء على الاحصـــائيات الرســـمية بلغ عـــدد الجنايات من ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) وحتى ٦ ديســـمبر (كانون الاول) ١٩٥١ ما يقرب من ٢٢ جناية قتل خطيرة تحت ســـتار النشاط الفدائى (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/١٨)

ويسبب تردد الحكومة الوفدية ظلت الفـــرق والكتائب الفدائيـــة بدون قيادة موحدة وبدون خطـــة محكمة للنضـــال وكانت تمارس نشاطها فرادى مما أضعف فاعليتها ولم يكد شهر يمر على بدء النشـــاط الفدائى الذى بلغ معدلات كبيرة ، حتى صرح فؤاد سراج الدين وزيـــر الداخليـــة بأن الحكومة ســـتتولى قيادة الكتائب الفدائية بنفســـها وتعمل عـــلى تنظيمها . ((١٢٩ ، ص٩٩) . الا ان الحكومة ظلت بعد هذه الخطوة من جانبها على ما هى عليه كالسابق من التهاون والتغاض . فمثلا ، قررت الحكومة يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثانى) فقط ان تأخذ على عاتقها تدريب

قولت الفدائيين وفقاً « لنظام » محدد زعمت بانها اعدته . وفي الوقت نفسه حرمت على أى تنظيم أو فرد جمع التبرعات من السكان للفدائيين لان جميع المبالغ يجب ان توضع تحت تصرف السلطات المركزية . واعلنت الحكومة أنها سترصد مبلغ ١٠٠ ألف جنيه مصرى لتدريب الفدائيين ، الا انها اكتفت اساساً بتشكيل لجنة لقيادة هذا العمل .

ولم يقدم الوفديون للفدائيين االعون الجدى فى مجال تزويدهم بالسلاح والذخيرة . (١٢٣ ، ص ٥٦) وكانت القمة الوفدية الرجعية تسعى لاخضاع الحركة الفدائية لسيطرتها كى تضعف من مدها الثورى . وكانت الدوائر الحاكمة الانجليزية ميالة لترى فى اجراءات الحكومة المصرية لكبح جماع « التحركات المتطرفة » لفرق التحرير توكيدا لفكرتها عن ان « الخطر الداخلى فى مصر يهدد الارستقراطية المصرية »(١٠٤ ، ١٩٥١/١٢/١ ، ١٣١٤) .

وأدار قادة الوفد لعبة سياسية معقدة . فقد استعانوا بالشارع المصرى وبحثوا له عن التأييد حتى يرغموا الانجليز على بعض التنازلات. الا أن قادة الوفد كان يملؤهم الخوف من اتساع نطاق الحركة الشعبية ، الذين كانوا هم أنفسهم سيبافيها . وكانوا فى النصف الثانى من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ اشبه ما يكونون بالساحر المعروف فى الاساطير العربية الذى اطلق سراح الجنى من الزجاجة ولم يتمكن بعدها من اعادته اليها .

ومنيت جماهير الشعب بخيبة أمل كبيرة فى الوفد ، واخذت سمعة الحزب التى كانت قد تحسنت بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ تهوى الى الحضيض مرة أخرى بسرعة . وفى أواخر أكتوبر (تشرين الاول) قامت جميع التنظيمات والاحزاب السياسية بما فى ذلك معظم الوفديين بتوجيه الانتقادات لقمة الحزب الرجعية .

وطالبت الكتلة الوفدية من الحكومة قطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا فورا والاعلان رسميا عن عزل الجنرال المحافظ الانجليزى من منصبه فى السودان وتأميم شركة قناة السويس وصرح حافظ رمضان زعيم الحزب الوطنى أن قيام كل حزب علىحدة بتشكيل قوات التحريرالخاصة به يشكل خطرا على الامة وطالب بتوحيد صفوف الكتائب حول اللجان الوطنية (١٣٦ ، ١٩٥٢/١١/٢) .

وفى يوم ١٣ نوفمبر (تشرين الثانى) اى يوم الجهاد الوطنى ضد

الامبريالية أقام كل حزب من الاحزاب المشروعة فى ميادين القاهرة سرادقا كبيرا مؤقتا كان يلقى فيه زعماء الاحزاب الخطب المطنبة . وبالرغم من اعلان النحاس ان زمن الخطب قد ولى الا انه كان يتبارى كالسابق مع زعماء الاحزاب الاخرى فى مضمار فن الخطابة الرفيع والتى غالبا ما كانت تمتد خطبهم السياسية لمدة ساعتين .

وقد انتقد قادة جميع الاحزاب بشدة سياسة الحكومة(١٢) وكانوا يتهمونها فى انتهاج سياسة انانية ومذبذبة ومتهاونة (١٣٦ ، ١٤/١١/ ١٩٥١) .

وبينما كان ترمومتر الخلافات بين الاحزاب السياسية يرتفع فى القاهرة ، « كان من الصعب التأكد من الذى يترأس حركة التحرير فى منطقة القناة ، وايه منظمة سياسية تقودها » (٥١ ، ص ٦١) .

المرحلة الاولى من النضال الفدائى
(من منتصف اكتوبر حتى منتصف نوفمبر ١٩٥١)

احتدمت الحرب الفدائية فى منطقة القناة منذ ان احتل الانجليز المدن الكبرى فى القناة وبدأوا يمارسون اعمالهم العدوانية ضد السكان العزل المسالمين . وفى ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) اى اليوم التالى لمقتل المواطنين الابرياء فى الاسماعيلية وبور سعيد ، أخرجت من ترعة الاسماعيلية جثث بعض الجنود الانجليز .

وظهرت فى البلاد عرضا وطولا مراكز تدريب الفدائيين . وكانت تنتشر فى القرى المتاخمة مباشرة لمنطقة قناة السويس فى مديرية الشرقية وبعض عواصم ومدن المديريات الكبرى الاخرى مثل الزقازيق ودمنهور واخيرا فى القاهرة والاسكندرية اكبر مدينتين فى البلاد .

وتم تشكيل كتائب الفدائيين فى جامعات القاهرة كذلك . وقام طلبة جامعة فؤاد الاول بأوفر قسط من النشاط .

---

(١٢) تحدث مكرم عبيد زعيم الكتلة الوفدية عن تقصير الحكومة التى لم تتخذ اية اجراءات حاسمة لحماية البلاد من عدوان الامبرياليين. وتبقى الحكومة برنامج نضالها ضد الانجليز فى طى الكتمان عن الشعب مما يهدد البلاد كلها بالخطر الكبير .

وتلقت الكتائب التى ظهرت فى الاسماعيلية وبورسعيد والسويس دورتها التدريبية اثناء الاصطدامات الفعلية مع الانجليز . وكانت تضم اساسا العمال الذين رفضوا التعاون مع الانجليز وكانت هذه الفرق من اشد فرق الفدائيين مهارة فى القتال واطلاق النيران .

وقد كتب باكوفيللو على نحو رائع وصفا لنشاط واحد من هذه الفرق فى السويس حيث كان موجودا هناك فى تلك الايام العصيبة بين قوات الفدائيين (٥١ ، ص ٥٦) . وقد وحدت فصائل العمال المقاتلة صفوفها داخل جبهة عمالية واحدة فى الاسماعيلية (١٣٦ ، ١٩٥١/١١/٤) .

ولم يشترك الجيش المصرى فى البداية فى الحرب ضد الانجليز (بالرغم من ان ضباطا عديدين اعربوا عن رغبتهم فى تدريب قوات الفدائيين على العمل العسكرى والفدائى) . وقد حدا هذا بالدوائر الحاكمة البريطانية لتصرح زاعمة بأن « العلاقات بين الجيشين ستظل ودية كما هى عليه » والبوليس المصرى يتعاون مع السلطات العسكرية الانجليزية (١٠٤ ، ١٩٥١/١٠/٢٧ ، ص ٩٦٣) . ولم تكد تمر بضعة اسابيع حتى نهض الجيش والبوليس المصرى يتحمل عبء دوره الطليعى فى خوض غمار النضال ضد الامبرياليين البريطانيين .

وترأس الفريق عزيز المصرى واللواء صالح حرب تدريب فرق المتطوعين فى القاهرة (١٢٣ ، ص٥٥) . وقام ضباط وطنيون آخرون بتزويد الفدائيين سرا بالذخيرة والسلاح من مخازن الجيش . وكان من بينهم بعض قيادات تنظيم « الضباط الاحرار » : النقيبان عبد الحكيم عامر وصلاح سلم (وقتئذ) والرائدان عبد المنعم عبد الرؤوف ومحمود رياض وغيرهم (١٢٩ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٤) .

وكانت المرحلة الاولى من تكتيك الفدائيين تكتفى بعملية تنظيم نصب الكمائن وقنص الضباط والجنود البريطانيين فرادى وكذلك بعض عمليات هجومية على الثكنات والمواقع العسكرية . وقد كتبت صحيفة «الاهرام» عن بطولة صبى مصرى صعد اثناء الليل سطح احدى ثكنات الانجليز متسلقا ماسورة فى الاسماعيلية وسرق رشاشا .

وقد تشكلت فى الاسماعيلية ما يسمى بالفصيلة المتحركة كان يتعين عليها تجريد الجنود الانجليز ممن يقابلونهم فى طريقهم من اسلحتهم (١٣٦ ، ٥ ، ١٢ ، ١٩٥١/١١/١٧) . ثم اخذ الفدائيون ينصبون الكمائن لمجموعات صغيرة من الانجليز ممن كانوا يصادفونهم فى الطريق الصحراوى .

المرحلة الثانية من الحرب الفدائية
(منتصف نوفمبر حتى ديسمبر ١٩٥١)

منذ اواسط شهر نوفمبر (تشرين الثانى) والفدائيين يكثرون من عملياتهم على المعسكرات والمطارات والثكنات الانجليزية . واتمت اول دفعة من هذه الطلعات فرقة كانت تابعة لجبهة العمال فى الاسماعيلية يوم ١٣ نوفمبر (تشرين الثانى) . وتسلل الفدائيون الى احد المطارات الانجليزية بالقرب من الاسماعيلية واشعلوا النيران هناك فى بعض المطارات والسيارات وفجروا خط انابيب المياة (١٣٦ ، ١٣ ، ١٩٥١/١١/١٤).

وليلة ١٤ نوفمبر (تشرين الثانى جرى هجوم على المعسكرات الانجليزية فى التل الكبير وابوصوير . وفى الليلة نفسها فجر الفدائيون بعض خزانات البترول فى أكبر قاعة انجليزية للبترول فى العجرود وهاجموا ورشة لتصليح الكبارى فى احدى المعسكرات الانجليزية فى منطقة جبل مريم وهاجموا جنود المواصلات الانجليز فى منطقة ام رواس (١٣٦ ، ١١/١٦/ ١٩٥١) .

وقد ساءت أحوال الانجليز كثيرا بعد انقضاء شهر على بدء الحرب الفدائية ، ولم يرتح لهم بال لا بالليل ولا بالنهار ولم يهنأ لهم عيش لا فى الطريق الثكنات ولا فى المدينة .

وانقلبت حياة الغزاة المحتلين الى جحيم لا يطاق . ومنذ ذلك الحين والصحافة البريطانية تكتب عن الاوضاع الصعبة التى تعيش فيها القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس (١٠٤ ، ١٩٥١/١١/١٧ ، ص ١١٩٦).

وبدا التقارب بين البوليس والشعب اثناء انتشار الحرب الفدائية فى منطقة قناة السويس . وحدث هذا رغم انف الحكومة . والا دهى أن فؤاد سراج الدين وزير الداخلية ورئيس البوليس وقتئذ طالب باعتقال الفدائيين بل وبرميهم بالرصاص (٥١ ، ص ٤٢) ولم يرغب رجال البوليس العاديون أبناء الطبقات المقهورة أن يعملوا ضد أشقائهم وشقيقاتهم . « فأغمضوا » اعينهم عن تحركات الفدائيين .

×× وفى ١٥ نوفمبر هاجم الفدائيون المعسكر الانجليزى فى منطقة القرين (بالقرب من الاسماعيلية) ، وجرى تبادل لاطلاق النار جرح على اثره اثنان من الجنود الانجليز جروحا شديدة (١٣ ، ١٦ /١١/١٩٥١).

وبدأ الانجليز ينتقمون من البوليس المصرى لمسلكهم « الغريب » وتعاطفهم مع الفدئيين ويفتحون النيران عليهم عندما يصادفونهم فى الشوارع. وكان الرد على ذلك انضمام البوليس لصف الفدائيين والعمل سويا لمكافحة المستعمرين الانجليز . وقد اشتهر خاصة مقاتلوا « بنوك النظام » ببسالتهم ومهارتهم (١٣) .

ولقد اثار ازدياد نشاط الحرب الفدائية فى قناة السويس فى منتصف شهر نوفمبر (تشرين الثانى) قلقا شديدا فى أوساط القيادة البريطانية . وقامت القوات الانجليزية فى ١٧ نوفمبر (تشرين الثانى) بقصف المصريين فى اجزاء متفرقة من مدينة الاسماعيلية . وردتقوات «بلوك النظام » على النيران بالمثل . وتكبد الجانبان خسائر فادحة من القتلى والجرحى . واضطر الانجليز للانسحاب والحقيقة انهم استولوا على البيوت المطلة على ثكنات « البلوكيين » ونصبوا فوق اسطحها المدافع الرشاشة .

وفى اليوم التالى اخذ مقاتلو « بلوك الظام » واهالى الاسماعيلية فى اقامة التحصينات اللازمة للثكنات وتحويطها بالاسلاك الشائكة وتغطية المداخل . واخلوا المنطقة المعرضة للخطر من النساء والاطفال. واخذ الانجليز يحشدون قواتهم بما فى ذلك الدبابات والمدرعات . واحاطت بمقر أقامة مدير المديرية وثكنات « بلوك نظام » وقامت بقصفها بالنيران .

وصد اهالى المدينة هجومهم بكل ما كانت تطوله ايديهم من الحجارة حتى الرشاشات التى اغتصبوها من العدو . ومنع الانجليز عربات الاسعاف من نقل الجرحى والمصابين المصريين الى المستشفيات .

وكانت البوارج الحربية الانجليزية توجه نيرانها الى المدينة اثناء معركة ١٨ نوفمبر (تشرين الثانى) .

وقد اشتد وطيس المعارك بالقرب من ثكنات « البلوكين » وبالقرب من مبنى المديرية . وقد اشترك فيها من الجانب الانجليزى مائة دبابة وعدد

---

(١٣) «بلوك نظام » هو فرق البوليس الاحتياطى . كانت عساكره من بين الفلاحين الفقراء اساسا . وبناء على شهادة ياكافيللو فقد كانوا مسلحين بعصى الخيزران وبنادق من عهد نابليون الثالث . (٥١ ص٢٥ ، ٥٥ ، ١٢٣ ، ص ٥٧) .

كبير من السيارات المصفحة وكذلك الطائرات النفاثة . واستمر القتال اربع ساعات . واعترف العقيد اكسهيم قائد القوات الانجليزية فى الاسماعيلية ان جنوده كانوا البادئين بفتح النيران . وقد استشهد فى هذه الحرب ٢١ مصرى (١٣ من البوليس ٨ مدنيين) وجرح ٣٢ مواطن ، وقتل من الانجليز خمسة ضباط وحوالى ٣٠ جندى ، وجرح ما يقرب من ٥٠ جندى انجليزى (١٣٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٩٥١/١١/٢٠ ، ١٢٣،ص٥٨)(١٤) واحتلت القوات البريطانية مدينة الاسماعيلية بالكامل .

ووجهت الحكومة المصرية للجنرال جورج ارسكين قائد الجيش الانجليزى فى مصر احتجاجا على تحركات الانجليز البربرية والهمجية فى الاسماعيلية (١٣٦ ، ١٩٥١/١١/٢٠).

وقد ارغم نشاط عمليات الفدائيين والمعارك الضارية فى الاسماعيلية القيادة البريطانية على البدء فى ترحيل اسر العسكريين والمدنيين الانجليز. وقد رحلت عن منطقة القناة خلال المدة من ١٧ وحتى ٢٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٢٠٠ أسرة انجليزية (١٣٦ ، ١٩٥١/١١/٢٠) .

واصبحت عمليات الفدائيين أكثر جسارة وحسما . وقد توغل الفدائيون فى ١٦ نوفمبر (تشرين الثانى)فى احد المطارات الحربية الانجليزية فى الاسماعيلية واحرقوا طائرة واشعلوا النيران فى عدة نقاط وفتحوا عليهم نيران المدافع الرشاشة ليمنعوهم من اخماد الحرائق المشتعلة .

وفى اليوم التالى جرت محاولة لمهاجمة مقر اقامة ارسكين (١٣٦ ، ١٧ ، ١٩٥١/١١/١٨) . وهاجم الفدئيون من جديد يوم ٢٢ نوفمبر(تشرين الثانى) مقر اقامة القائد الانجليزى ، وقد كانت هذه المرة ناجحة الى حد ما ، فقد تمكنوا من اشعال نيران الحرائق فى المبنى الذى كان يقيم فيه ضباط المقر .

---

(١٤) استقت المعلومات الخاصة بالضحايا التى تكبدتها القوات الانجليزية فى الاسماعيلية كما هو الحال فى المعارك التالية من الصحافة المصرية وفيها بعض المبالغة . وللاسف لم تتوفر لمؤلف هذا الكتاب على الدوام البيانات الانجليزية الرسمية للتوصل الى تقدير للموقف اكثر موضوعية . والمهم ان الارقام التى ذكرت تعطى تصورا عاما عن معدلات الحرب الفدائية فى منطقة قناة السويس خلال هذه الفترة.

وابدى فدائيو الاسماعيلية نشـــاط كبيرا فى النصـــف الثانى من شهر نوفمبـــر (تشرين الثانى) ، والذين كانوا على درجة كبيرة من التنظيـــم والتسليح . وصعد فدائيو بورسعيد والسويس من نشاطهم رويدا رويدا . وفى هذه الفترة اخذت تنعقد أواصر الصـــلات بين فرق الفدائيين بعضها ببعض . فمثلا قرر الفدائيون فى بورســـعيد والاسماعيلية بتنسيق عملياتهم لتسديد اقوى الضربات بالعـــدو (١٣٦ ، ١٩٥١/١١/٢٣) .

وفى ٣ ديسمبر (كانون الاول) شهدت مدينة السويس معركـــة دموية بين القوات الانجليزية من جانب، ومن الجانب الاخر الفدائيين «والبلوكيين» بعد ذلك اخترقت المدينة طوابير من الســـيارات مكونة من ٧٠ شـــاحنة عسكرية وســـيارة مصفحة ودبابة وسيارة «جيب» . واشتركت فى القوة وحدات من مشاة المظليين والذين تمكنوا من تحقيق شهرة مشئومة لانفسهم بما كانوا يرتكبونه من فظائع وحشية فى مصر . وفتح الطابور الانجليزى نيران على « البلوكيين » والسكان المدنيين . وهرعت قوات الفدائيين لنجدة السكان و«البلوكيين » . واستمر القتال ١٣ ســـاعة وتميز بالضراوة البالغـــة . وكان المصريون يعانون من نقص الطلقات . كتب مراســـل « الاهرام » يقول لقد شـــاهدت اثناء المعارك جنـــديا مقاتلا من « بلوك نظام » يصيح وينادى « هاتوا طلقات ، لازم اخلص عليهم،قبل ما يقتلونى!» واستخدم الفدائيون فى هذه المعركة القنابل المحرقة وزجاجات مولوتوف بل وحتىـــ الحجارة .

وبالرغم من نقص الاســـلحة والذخيرة ، لم يتقهقر جنود « بلوك النظام » والفدائيين قيد انملة امام جحافل العـــدو الزاحفة ، واظهروا البســـالة والاقدام والتضحية بل واتوا بالمعجزات . وقد استشـــهد فى هذا القتال غير المتكافىء ٢٨ مقاتلا مصريا (منهم ٧ «بلوكين») وجـــرح ما يقـــرب من ٧٠ مصرى آخر (منهم ١٢ «بلوكيين ») . وخسر الانجليز ٢٢ قتيلا و ٤٠ جريحا . (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٤ ، ١٢٣ ص ٦١) .

وعاشت السويس فى اليوم التالى حدادا عميقا . وقاموا بدفن مايزيد على ٢٠ بطلا استشـهدوا فى الثالث من ديسمبر (كانون الاول) فى ساحة الوغـــى مع الانجليز . واشترك فى تشييع الجنازة ما يقرب من ١٥ الف مواطن .وقد لفت النعوش بالاعلام الوطنيـــة . وبينما كانت احـــــدى الجنائز تشيع أحد الشـــهداء الابطال الى مثواه الاخير فى الزقازيق ، وما كادت تصل حتى الكوبرى الممتد عبر الها ويس حتى اعترضت طريقها ثلاث دبابات واربع مصفحات وعدد من الســـيارات الانجليزية . وفتحت هـــذه

القوة الانجليزية النيران على المشيعين . وعندئذ لم يقف الابطال المشاركة فى تشييع الجنازة مكتوفى الايدى ، بل ردوا على النيران بالمثل . واستمر تبادل أطلاق النيران قرابة الساعة . وقد خسر المصريون فى هذه المعركة ١٥ شهيدا و ٢٩ جريحا (منهم ٢ من رجال البوليس لقوا حتفهم و٦ جرحوا) . وبناء على البيانات المسجلة بوزارة الصحة المصرية كانت خسائر المصريين فى الرابع من ديسمبر (كانون الاول) ٢٧ شهيدا و٥٨ جريحا وخسائر الانجليز ٢٢ قتيلا و٦٧ جريحا (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٥)

وبناء على بيانات وزارة الداخلية المصرية كانت خسائر المصريين فى منطقة قناة السويس فى المدة مابين ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) وحتى ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥١م ، ١١٧ شهيدا و ٤٣٨ جريحا (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٦) .

وقام الانجليز بعد قتال الثالث من ديسمبر (كانون الاول) بقطع خط السكة الحديدية بين الاسماعيلية والسويس وغلق جميع طرق المواصلات المؤدية للمدينة ، وبذلك عزلوا السويس عن العالم الخارجى تماما . بل وحرم على نواب البرلمان السوايسة والبورسعيديين المرور فى المدينة .وقد عطلت بالكامل الاتصالات الهاتفة والبرقية واصبح الجو مشحونا بالتوتر فى السويس لدرجة ان الجنرال برين روبرتون قائد القوات البريطانية فى الشرقين الاقصى والاوسط استدعى الجنرال ارسكين والعقيد اكسهيم للاجتماع به فى مقر قيادته (١٥) لوضع التدابير الضرورية (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٥) .

وفى ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥١ طلب الجنرال ارسكين من مدير مديرية السويس اخلاء قرية كفر أحمد عبده(١٦)من سكانها والتى كانت احدى ضواحى السويس نظرا لان القيادة البريطانية قررت ازالتها من على وجه الارض . وكان كل ذنب سكان هذه القرية انهم يعيشون فى مكان يقع بين محطة ترشيح تمد القوات الانجليز بمياة الشرب وبين المعسكرات البريطانية الواقعة فى شمال السويس وان القيادة الانجليزية قررت مد خط مباشر يربط المحطة بالمعسكرات .

ورفضت وزارة الداخلية رفضا باتا الاستجابة لهذا المطلب . وعندئذ

---

(١٥) كان مقر قيادة روبرتسون فى فايد .
(١٦) كان عدد بيوت كفر احمد عبده ١٥٦ دار .

حذرت القيادة البريطانية السلطات المصرية انها ستبدأ عملية ازالة كفر أحمد عبده فى ٨ ديسمبر (كانون الاول) مستخدمة فى ذلك قوات كبيرة .

واصدر وزير داخلية حكومة الوفد بعد العديد من توسلات السلطات المصريـــة فى السويس بعدم جدوى ارسال ٤٠٠ فرد من البوليس هى كل ما بحوزتهم ضد الجيش الانجليزى العرمرم الجيـــد التسليح ، أوامرة العادية « بمقاومة القوة بالقوة » غير آبه حقائق الوضع الفعلى وعرض العديد من سكان المدينـــة لاخطار محققة .

وحشدت القيادة البريطانيـــة فى كفر احمد عبده جيشا قوامه عشرة آلاف جندى معزز بـ ٢٥٠ دبابة و ٥٠٠ مصفحة مختلفة الانواع وغطاء من الطيران لاتمام هذه العملية ومرة اخرى وجهت البوارج الحربيـــة فوهات مدافعها صـــوب المدينة .

وفى صـــباح يوم ٨ ديسمبر (كانون الاول) بدأ الانجليز فى ازالـــة كفر أحمد عبده . وتحولت القرية بعد يومين الى كومة من الاتربـــة . ومد الانجليز عبرها طريقا طوله ٥٠٠ متر واحاطوا محطة مياة الشرب بمنشآت دفاعية جبارة . وكان نتيجة هذه العملية تشريد بضـــعة الاف من المصريين بحرمانهم من المأوى .

وعلقت مجلة « ايكونوميست » على عملية ازالة كفر أحمد عبده قائلة : « لقد كانت محطة مياة الشرب فى السويس بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير . كان الطريق اليها يمر خـــلال قرية عامرة بالسكان بعد بضـــع منعطفات . وكان هذا الموقع ممتازا بالنســـبة لنشاط القناصـــة وقـــد أفسد المخربون المحطة ، الذين كانوا يستخدمون البيوت مخابىء لهم . وقرر الجنرال ارسكين بعد ان وجه تحذيرا مقتضبا للسلطات المصرية ان يقلل من المجازفة وان يمد طريقـــا مباشرا الى المحطة بواسطة اعمـــال التفجير ... وفر الاهالى وكان كل منهم يحتج ولكن لم يعرقل اى واحد منهم العمل » (١٠٤ ، ١٩٥١/١٢/١٥ ، ص ١٤٥٠) .

وواصـــل الانجليز اعمالهم البربرية فى القرى المجاورة . فقد تم ازالة عدة بيوت فى كفر شاريل وفى البراجيل (١٣٦ ، ١٠/ ١٢/ ١٩٥١)

واشتد نشاط الفدائيين للرد على ضراوة الغزاة المحتلين . ففى ٩ ديسمبر (كانون الاول) وتحت جنح الظلام تسلل فدائيو الاسماعيلية الى أحد المعســـكرات الانجليزية . وكانوا يريدون زرع الالغام تحت أحـــدى

مستودعات البنزين ، ولكن الحراسة فتحت عليهم النيران ، وكان نتيجة تبادل التراشق بالنيران قتل ستة جنود وجرح عدد اخر . (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/١٠) .

وفى ١٧ ديسمبر (كانون الاول) هاجمت جماعة من فدائى الاسماعيلية طابور آليات يضم ثلاث عربات وقتل ضابط انجليزى وثلاثة جنود . وبعد بضع دقائق انتقلت ثلاث مدرعات وثلاث شاحنات محملة بالجنود الى مقر اقامة مدير مديرية الاسماعيلية . وحاصر الانجليز المبنى من كل جانب وبدؤوا فى قصفه بالنيران . وقبل رجال البوليس المصرى التحدى . وكان نتيجة التراشق بالنيران قتل ثلاثة ضباط بريطانيين و٦ جنود وجرح ١٤ جندى انجليزى آخر (١٣٦ ، ١٨ /١٢/ ١٩٥١).

وفى اليوم نفسه قام الفدائيون فى السويس بتفجير الانابيب بالقرب من محطة ترشيح مياة الشرب فى كفر أحمد عبده وكانت ترابط لحراسة هذا المكان قوات بريطانية كبيرة ومن بينها فرق المشاة المظليين والدبابات والمصفحات . وقد الحق التفجير الضرر بالمحطة نفسها وتوقف امداد المعسكرات البريطانية فى منطقة السويس بالمياة . واعلن الخبراء الانجليز ان تصليح خط الانابيب ممكن بعد اسبوع على الاقل وفى احسن الحالات (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/١٨) .

وكانت مأثرة الفدائيين الرائعة هذه من حيث جسارتها وبسالتها فى السويس مثار الاعجاب والحماس فى البلاد كلها .

وفى ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) وبمجرد ان اعاد الانجليز اصلاح خط انابيب المياة ومحطة الشرب فى منطقة كفر احمد عبده فجر الفدائيون من جديد خط انابيب المياة .

وبدؤوا هجومهم بفتح النيران على ثلاث منشآت ارضية للانجليز حول المحطة . ولم يلاحظ الانجليز المنهمكون فى اطلاق النيران ان ثلاثة من الفدائيين زرعوا لغما زنته ٤٢ كجم واشعلوا الفتيل وابتعدوا سالمين . وبعد هذا منعت القيادة الانجليزية اية تحركات فى هذه المنطقة واعلنت المنطقة هناك بأنها محرمة وحوطت بالاسلاك الشائكة . الا أن الفدائيين فى ٢٦ ديسمبر (كانون الاول) تسللوا خلسة عبر الاسلاك الشائكة واقتربوا من محطة مياه الشرب نفسها ونسفوا انابيب المياة داخلها هى نفسها . وتمكن الفدائيون ثانية فى ٢٨ و ٢٩ ديسمبر (كانون

الأول) من الحاق الضرر بخط أنابيب المياه (ق١٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ،
١٩٥١/١٢/٣٠) .

وكانت الفرقة التى قامت بتنفيذ عملية تدمير محطة مياة الشرب هى فرقة احمد عبد العزيز الفدائية الذى اصبح نشاطها اسطوريا .

وكان الهدف « المفضل » الاخر لطلقات هذه الفرقة هو خط سكة حديد ميناء الادبية والسويس البالغ الاهمية للقوات المسلحة البريطانية حيث كان مسخرا لنقل الجزء الاكبر من الشحنات الحربية . وبالرغم من الحراسة المشددة نجحت فرقة احمد عبد العزيز الفدائية فى ٢٦ ديسمبر (كانون الاول) بتفجير قطاع كامل من خط السكة الحديد (١٣٦ ، ٢٤ ، ١٩٥١/١٢/٢٧) .

وفى العشرينيات من شهر ديسمبر (كانون الاول) كثرت الطلعات على المعسكرات الانجليزية وكانت الطلعات على معسكرات التل الكبير مثار قلق خاص للقيادة البريطانية . فقد قام الفدائيون فى ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) باشعال الحرائق الهائلة وتدبير الانفجارات المدوية هناك . وفى ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) وقعت معركة حامية الوطيس استمرت قرابة الساعتين . قتل فيها ثمانين من الجنود الانجليز (١٣٦ ، ٢٥ ، ١٩٥١/١٢/٢٩) . بعد ذلك اصدرت القيادة البريطانية اوامرها للعقيد اكسهيم ليطلب من السلطات المصرية بمديرية الشرقية لاتخاذ التدابير اللازمة لمنع عمليات الفدائيين فى منطقة التل الكبير .

وكان نشاط الفدائيين فى هذه المنطقة مؤثرا وفعالا لان الفلاحين ساهموا فيه بقسط وافر .

وفى ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) واثناء اجتماع الانجليز للاحتفال بأعياد الميلاد قام الفدائيون بتفجير محطة الكهرباء التى تغذى معسكرات منطقة الفردان والاسماعيلية بالكهرباء (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٢٥) .

وقام الفدائيون علاوة على هذه العمليات الهجومية الباسلة فى اواخر ديسمبر (كانون الاول) (وابتداء من ٢٥) بما لا يقل عن اربع عمليات هجومية على المعسكرات البريطانية ، كانت بالفعل معارك سافرة دارت رحى احداها فى المعسكر الواقع بالقرب من الكيلو ٩٩ فى منطقة القناة. خسر فيها الانجليز حوالى ١٥٠ جندى قتيل (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٢٦) . واشتعلت نيران احدى المعارك الضارية الاخرى فى معسكر البلاح فى ٢٦

ديسمبر (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٢٧) وقد وقعت المعركتان الثالثة والرابعة في ٢٧ ديسمبر (كانون الاول) . واستخدم الفدائيون لاول مرة في قتالهم بمعسكر جنيفة المدافع الرشاشة ، ثم ما ان اقتربت مسافة تلاحمهم مع العدو حتى استخدموا القنابل اليدوية والسلاح الابيض . واثناء هذه الفترة نشبت معركة حامية في مطار ابو سلطان . وكان من نتيجة هاتين المعركتين ان خسر الانجليز ١٢ قتيلا وحوالى ٢٠ جريحا (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٢٨).

وتم كذلك تدبير هجمات اقل حجما وخاصة في جنح الليل .

وكان الاسلوب الاخر الذى يتبعة الفدائيون في حربهم هو مداهمة طوابير الدبابات أو المصفحات من الكمائن . وكان الفدائيون يشعلون النيران في الدبابات والمصفحات ويدمرون السيارات المحملة بالمؤمن والعتاد (١٣٦، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ١٩٥١/١٢/٣٠) . وقام الفدائيون بنسف مخازن الذخيرة والوقود والحاق الضرر بخطوط السكك الحديدية وطرق المواصلات وقطع كابلات واسلاك البرق والتليفونات . وكان من عادتهم دائما افساد خطوط الاتصال التليفوني .

فبناء على بيانات الانجليز انفسهم افسد الفدائيون خلال شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥١ وحده في منطقة قناة السويس والاسماعيلية ما يزيد على مائة خط تليفوني تربط المعسكرات الانجليزية بعضها ببعض (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٢٥) . وقد قطعت خطوط الاتصال التليفوني خلال هذه الفتر ة بين مقر قيادة القوات البريطانية للشرقين الاوسط والادنى في فايد ومعسكراتها في منطقة الاسماعيلية اكثر من عشر مرات (١٣٦ ، ٣٠ /١٩٥١/١٢) .

وقد دبر الفدائيون كذلك عدة هجمات بهدف اغتيال الضباط الانجليز . فمثلا ، دبرت عدة محاولات لاغتيال العقيد اكسهيم (١٧) .

وفي النصف الثاني من شهر ديسمبر (كانون الاول) بلغ النضال

---

(١٧) جرت الاخيرة منها يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥١ . وبعد أن علمتقيادة فرق التحر ر أن اكسهيمسيمر في سيارته تجاه القصاصين كلفت ست فدائيين بقتله في الطريق . وبالرغم من ان سيارة اكسهيم كانت في حراسة سيارتين اخريين الا ان الفدائيين امطروها بوابل من نيران القنابل اليدوية . وقد جرح سائق اكسهيم جروحا بليغة توفي على اثرها . وقد دمرت السيارة من الامام.نجا اكسهيم نفسه بأعجوبة (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١).

الفدائى فى منطقة قناة السويس معدلات اضطرت معها صحافة البرجوازية الانجليزية الى نشر قوائم كاملة بأسماء الضباط الذين قتلهم « الارهابيون المصريون » وفى نهاية ديسمبر (كانون الاول) كانت الصحف الانجليزية تكتب علانية عن تزايد نشاط الحركة الفدائية فى مصر (١١١ ، ١٧ ، ١٨/ ١٩٥١/١٢) .

وعلاوة على امجاد ومآثر فرقة احمد عبد العزيز الفدائية حظيت كذلك بالشهرة الواسعة فرقة خالد بن الوليد وفرقة محمد فريد الفدائيتين بما حققتا من بطولات .

التحركات المعادية لبريطانيا والملك وزيارة مصدق

منذ اواسط شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ وحركة تحرير الشعب المصرى انقسمت الى جبهتين ، جبهة النضال المسلح الفدائى والجبهة الداخلية التى كانت تتفاعل بشدة بالغة مع الاحداث التى تشهدها منطقة قناة السويس بارسال المزيد من المتطوعين المزودين بالسلاح والذخيرة . وانتشرت فى البلاد كلها طولا وعرضا حمله جمع التبرعات لصندوق دعم العمل الفدائى .

واحتفلت البلاد كلها فى ١٣ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥١ بيوم الجهاد الوطنى ضد الامبريالية .

وشارك فى مظاهرة القاهرة وحدها ما يزيد على مليون مواطن وكانت هذه واحدة من اشد المظاهرات وطنية فى تاريخ مصر .

وقد ساهمت سيدات التنظيمات النسائية بنصيب وافر فى الاحتفالات الشعبية (١٨) . ومن بينهن سيدات المدن وريفيات بوجوه سافرة وفى

---

(١٨) « اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية » هى واحدة من التنظيمات النسائية الاكثر ديمقراطية وكفاحا وكانت تترأسها سيزا النبراوى الشخصية الاجتماعية والكاتبة المعروفة : « الاتحاد النسائى المصرى » و « بنت النيل » ولجنة النساء الاشتراكيات والطالبات « و « والاتحاد النسائى » و « نساء الوفد » و « النساء المسلمات و « النساء المسيحيات » و « الحزب الوطنى للنساء » و « واتحاد ربات البيوت » و « اللجنة النسائية لحقوق المراة » .

الملاية اللف . وكان النســاء يحملون صور هدى شــعراوى اول مصرية عملت على تنظيم مظاهرة نسائية وطنية فى مصر وكذلك صـور ام صابر اول مصرية تستشهد اثناء اعتداءات الانجليز الوحشية فى منطقة القنــاة .

وكان المتظاهرون يحملون لافتات كتب عليها الشعارات التالية :«مياة النيل حرام على الانجليز » « دم الشهداء ينادى للانتقام من المغتصبين الامبرياليين » « الموت للامبريالية ! » « بالدم نحرر الوطن !» « اخرجوا من مصر والسودان ، لامكان لكم فيها !» « اليوم حداد وغد نضال مقدس!» « النصر للشعب والموت للامبريالية !» « الجلاء او الموت » وكانت هناك بعض الشعارات التى توجه النقد للحكومة الوفدية منها : « المعتقلون السياسيون للنضال ضد انجلترا !» .

وقد شهدت مدن مصر الاخرى المظاهرات الكبيرة مثل الاسكندرية والزقازيق ودمنهور وطنطا والمنصــورة ودمياط وشبين الكوم وبنها والفيوم وبنى سويف والمنيــا واسوان ورشيد وبلبيس وابوحمادة واشمون وطلخا وكفر الزيات (١٣٦ ، ١٩٥١/١١/١٥) .

ان احدى الخصائص المميزة لمصر وخاصة الوجه البحرى هــى الكثافة السكانية زد على ذلك ان القرى فى معظم الاحوال تلاصق المــدن والمراكز الصناعية مباشرة . ولذا فقد شارك الفلاحين المصريون مشاركة فعالة ونشيطة فى المظاهرات الوطنية التى شهدتها المدن المصرية . فبناء على المعلومات التى نشرتها الصــحف المصرية مثلا ، فى ١٤ نوفمبـــر (تشرين الثانى)١٩٥١ ، كان عدد المشتركين فى كل مظاهرة من المظاهرتين اللتين شهدتهما الزقازيق وطنطا ٢٥٠ الف مواطن (١٣٦ ، ١٩٥١/١١/١٥) واحصائية السكان لعام ١٩٤٧ تقول ان عدد ســكان الزقازيق ٩٠ الف وعدد ســكان طنطا ١٤٠ الف نسمة (٢١ ، ص ٢٦٦) . بالطبـــع ، كان الفارق فى عدد المتظاهرين من الفلاحين .

وبعد العمليات الاجرامية الدموية التى ارتكبها الانجليز فى السويس تجددت المظاهرات منذ ٥ ديســمبر (كانون الاول) فى القاهرة والاسكندرية وغيرها من المدن الاخرى احتجاجا على الغزاة المحتلين . ووقعت فى القاهرة اصــطدامات بين الطلاب والبوليس اعتقل فيها ٣١ شخصا . ووقعت مصادمات بين الطــلاب الوفديــين و « الاخوان المســلمين » (١٣٦ ، ١٢/٦/ ١٩٥١) . بعد ذلك اتخذت الحكومة قرارا بمنع المظاهــرات

منذ ٦ ديسمبر واصدرت كذلك امرا بتعطيل الدارســة فى جميع مدارس القاهــرة والاسكندرية (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٦ ، ١٢٣ ، ص ٦٥) .

وفى ١٧ ديسمبر (كانون الاول) كانت الحكومة ما تزال تواصــل مناقشة مسألة قيادة فرق المتطوعين « لتفادى الصراعات الحزبية » (١٣٦، ١٩٥١/١٢/١٨) .

وفى ٢٥ ديسمبر وبالرغم من تحذير الحكومة بدأت مظاهرات الشباب فى القاهرة والاســكندرية من جديد . وكانت تتســم الى جانب طابعها المعادى للامبريالية بطابع المعاداة للملكيــة . وكانت تتردد فى ميادين القاهرة والاســكندرية وشوارعها الشعارات المعادية للملك بشــكل علنى والمناداة بخلع الملك فاروق . ولم يكن فاروق يتمتع بأية شــعبية فى البلاد على الاطلاق . ولقد سقط تماما من نظر الرأى العام عندما أظهرت نتائج التحقيقات التى اجرتها النيابة العامة ١٩٥٠ — ١٩٥١ فى قضــية توريد الاســلحة الفاســدة للجيش النظامى المشــترك فى حرب فلسطين اشتراك الملك واعوانه فيها بدور مخز . وكانت حياة الملك الخاصة مثار الاقاويل والشبهات الدائمة ومصــدرا للســخرية والاستهزاء (١٢٣ ، ص٧٧ ، ١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٢٧) (١٩) .

وكان السبب المباشر فى التحركات المعادية للملك هو صدور اوامر ملكية فى ٢٤ و ٢٥ ديسمبر لتعيين حافظ عفيفى باشــا رئيسا للديوان الملكى وعبد الفتاح عمرو مستشارا للديوان الملكى للشئون الخارجية (١٣٦ ، ٢٥ ١٩٥١/١٢/٢٦) . وكلاهما يشتهر فى مصر بمحاباته السافرة للانجليز . وقد صرح حافظ عفيفى(٢٠) فى اغسطس (آب) ١٩٥١ ان مصر يجب الا تتردد فى الانضــمام الى الكتلة الغربيــة على اســاس « الاتفاق الثلاثى مع بريطانيا العظمى والولايات المتحدةالامريكية » لان « المصالح الوطنيــة تتطلب التحالف الانجلو مصرى » (١٠٩ ، ١٩٥١/١٢/٢٦ ، ٧٢ ، ص١٧٤). وعلى حد تعبير مجلة « الايكونوميست » فقد كان هو المصرى الوحيد تقريبا الذى لديه الجرأة للاشارة بشــكل سافر الى المزايا المحددة للمعاهدة مع بريطانيا العظمى (١٠٤ ، ١٩٥٢/١/٥ ، ص ٥) . وكان عبدالفتاح عمرو شــخصية من هذا الطراز . وكان قبل تعيينه فى هــذا المنصب الجديد سفيرا لمصر لدى انجلترا .

---

(١٩) صدر كتاب خاص بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فيه وصف تفصيلى لحياة الملك الخاصة (١١٩) .

وقد علم بعض وزراء الحكومة الوفدية بأوامر الملك من الصحف وحدها . كتب معلق « نيويورك تايمز » يقول ان الدوائر السياسية فى القاهرة قابلت هذه التعيينات « بانطباعات مماثلة لانفجار قنبلة » (١٠٩ ، ١٩٥١/١٢/٢٦ . ونوه انور السادات بأن فاروق بهذه التعيينات يريد التصريح قائلا :

« انظروا ! أننى اثق فى الامبريالية وفى رأس المال الكبير !» (٩٧ ، ص ١٠١)

وقد قابل الشعب المصرى والقوى المعادية للامبريالية كلها أوامر الملك بمثابة طعنة خنجر فى الظهر (٧٢ ، ص ١٧٧) . وكان هذا تحديا سافرا للحكومة . ونوهت مجلة « ايكونوميست » بان الملك يعرب بهذه الخطوة عن استيائه وغضبه من سياسة حكومة النحاس (١٠٤، ١٩٥٢/١/٥ ، ص٥) .

الا ان الحكومة الوفدية المرتعدة خوفا من اتساع نطاق الحركة الشعبية لم تتخذ ايه اجراءات مضادة . وكان هذا خطأ فادحا سرعان ما ظهرت نتائجه واضحة للعيان . وكان من الواضح تماما ان تعيين شخصيات موالية للانجليز بشكل سافر فى هذه المناصب الحساسة اثناء مرحلة الكفاح الشاق والحاسم ضد الامبريالية الانجليزية هو خيانة لمصالح حركة التحرر الوطنى .

ولم تخف الصحافة البرجوازية الغربية اعجابها . وقد وصفت

---

(٢٠) حافظ عفيفى كان وزيرا للخارجية فى وزارة صدقى (١٩٣٠)، ثم شغل بعد ذلك منصب السفير المصرى فى انجلترا لبضع سنوات ثم اصبح رئيسا للوفد الاقتصادى المصرى فى انجلترا وقد انضم لاعضاء الوفد المصرى الذى ابرم معاهدة١٩٣٦ وقد عبر عن ميوله ومحاباته للانجليز فى كتاب بعنوان « الانجليز فى بلادهم »
وبعد عودة حافظ عفيفى لمصر اصبحواحدا من كبار الرأسماليين فى البلاد المرتبطين ارتباطا وثيقا بالاحتكارات الانجليزية وترأس مجلس ادارة بنك «مصر» واتحاد الصناعات المصرى . وكان كذلك عضوا فى مجالس ادارات العديد من الشركات الضخمة المصرية والاجنبية والمختلطة .

« نيويورك تايمز » اوامر الملك بأنها « اول شـــعاع يخترق ســـحب الظلام التى تكتنف مصر والتى تراكمت لحد قطع العلاقات مع انجلترا » .

واستطردت الصـــحيفة تكتب فتقول :

« يقود النحاس باشـــا بلاده عبر طريق وخيم العواقب » وليس أمامه خيار آخر . وكما زعمت « نيويورك تايمز » فان الملك فاروق وحده هو منقذ مصر والذى « عرف عنه ســـعة العقل المتحرر من النزعة القومية والعصبية الدينية والكاره للنحاس باشا ونظام حكمه المأجور والخامـــل (١٠٩ ، ٢٧ /١٢/ ١٩٥١) .

ولم تخف صحيفة « التايمز » اللندنية هى الاخرى رضاها وابتهاجها بهذا التصرف ووصفت عفيفى على النحو التالى :

« انه معروف جيدا بقوة الارادة والامانه وســـعة الافق » (١١١ ، ١٩٥١/١٢/٢٧) .

وفى ٢٦ ديسمبر (كانون الاول) بدأت المظاهرات فى القاهـــرة والاسكندرية والمدن الاخرى وكان المتظاهرون يطالبون اثناءها باقالـــة حافظ عفيفى وعبد الفتاح عمرو فورا . ولم يكن الشـــعب يعادى هذين الاثنين وحدهما بل وحاميهما .

وكان من الواضح ، ان الوفديين يجب ان يعتمدوا على الحـــركة الشـــعبية والتى كانت تتطور بحق تحت شعار تأييـــد الحكومة وتحاول تعميقها وتوسيعها كى تكون سهما موجها ضد الملك وبطانته . الا أنهم بدلا من هـــذا سلطوا البوليس على الشـــعب . والأدهى ، أن النحاس قام فى ٢٦ ديســـمبر بزيارة حافظ عفيفى وهنأه بالمنصب الجديد ، وفى اليوم التالى أعرب محمد صـــلاح الدين فى مؤتمر صـــحفى فى روما عن « رضائه » ازاء هـــذا المسلك (١٠٩ ، ١٩٥١/١٢/٢٧) وشهدت القاهرة والاسكندرية اصطدامات عنيفة بين المتظاهرين والبوليس . ووقع اشتباك كبير خاصة فى احدى ضواحى الاسكندرية فى الرمل حيث استخدم البوليس فيه القنـــابل المســـيلة للدموع . وقد جرح ثلاث ضباط و ٩٠ كونستبلا ، واما عدد الجرحى من المتظاهـــرين فكان اكثر بكثير . وفى ٢٦ ديســـمبر تم تنظيم لقاء كبير فى مبنى جامعـــة فؤاد الاول . وكان الطـــلاب يرددون الهتافات التى تدعو النحاس ان يقف موقفا صلبا » (١٠٩ ، ١٢/٢٧/ ١٩٥١) .

وفى ٢٧ ديسمبر تعطلت الدراسة لاجل غير مسمى فى جامعة فؤاد

الاول وابراهيم فى القاهـــرة و جامعة فاروق فى الاسكندرية وفى ٢٩ ديسمبر تعطلت الدراســـة فى جامعة الازهر وجميع المدارس الثانوية والابتدائيـــة فى القاهرة والاســـكندرية (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٢٧) . وبالرغم من هذه التدابير استمرت المظاهرات ضد الملك واعوانه وامتد لهيبها الى المـــدن الاخـــرى .

وقد ادى استئناف عمليات القمـــع التى قام بها الوفديون ضـــد المظاهرات الوطنيـــة منذ ٢٥ ديســـمبر الى زعزعة موقف الحزب اكثر وعزله رويدا رويدا عن جماهير الشعب .

وقررت الحكومة المصرية بعد تدمير كفر احمد عبده فقط بتقديم شكوى للأمم المتحـــدة . وفى ١١ ديسمبر سلم صـــلاح الدين احتجاج مصر على اعمال انجلترا العدوانيـــة لترجفلى السكرتير العام للامم المتحدة ، بالاضافة الى احتجاج آخر ارسلته الحكومة المصرية لوزير خارجية بريطانيا .

وقد حاول انتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فى مذكرته التى رد بها على الاحتجاج ان يبرر أعمال القوات الانجليزية العدوانيـــة فى منطقـــة قناة الســـويس بالرغبة « بتقليل فرص التصادم مع السلطات المصرية او السكان » . ثم نوه ايدن بأن « الطريق الجديد يجب ان يوفر الامن وسلامة الوصـــول لمحطة مياةالشرب » وابعاد فرص وقوع حوادث فى المستقبلبين القوات البريطانيـــة والمصريين (١١١ ، ١٢ ، ١٩٥١/١٢/١٣) .

وكما اوضحت الاحداث اللاحقة فان عملية كفر احمد عبده لم تنقذ القيادة الانجليزية من الاصـــطدامات مع « الوطنيين المصريين » .

وبدأت الحكومة المصرية التى لم تقتنع بالرد البريطانى تناقش مسألة قطع العلاقات الدبلوماســـية مع انجلترا . واستدعت الســـفير المصرى فى لندن عبد الفتاح عمرو احتجاجا على أعمال القوات الانجليزية العدوانية ولكنها لم تقدم على قطع العلاقات الدلوماســـية بالكامل (١٣٦ ، ١١ ، ١٩٥١/١٢/١٢) .

وقد صـــدر منذ عدة ايام سابقة قرار باقصاء الموظفين العسكرين الانجليز الذين كانوا يعملون فى وزارة الحربيـــة والقوات البحريـــة . وأعفى كذلك المعلمون الانجليز الذن يعملون فى مدارس وزارة المعـــارف من عملهم . وتقـــرر كذلك عودة جميع العســـكريين المصريين من انجلترا

الى الوطن (١٣٦ ، ١١/١٤ ، ١٩٥١/١٢/٦) . وقد اتخذت هذه التدابير بعد تأخير كبير ، وتحت وطأة الضغوط الشديدة من جانب الرأى العام المصرى .

واستقبل الشعب المصرى المناضل الدكتور محمد مصدق « بطل ايران وزعيم نضاله التحررى » بالحفاوة والترحيب البالغين فى ٢٠ نوفمبر (تشرين الثانى) (١٣٦ ، ١٩٥١/١١/٢١) . وبالرغم من كبر السن وسوء الاحوال الصحية فقد قرر مصدق زيارة مصر الثائرة فى وجه الامبريالية الانجليزية) ليوطد العلاقات مع حركة التحرر المصرية ونوهت « نيويورك تايمز » بمسحة من الغضب والاستياء أن مصدق « استقبل بالحفاوة البالغة » .

وكان بين الجموع الغفيرة المحتشدة فى مطار القاهرة لاستقبال طائرة مصدق رئيس الوزراء الايرانى ، ما يقرب من ألف من ذوى القمصان الخضر أعضاء الحزب الاشتراكى . وهذه المعلومة كانت جدير بالاهتمام لان أعضاء « كتائب التحرير » للحزب الاشتراكى كانت متواجدة فى القاهرة وليس فى منطقة قناة السويس والحرب الفدائية تدور رحاها هناك على قدم وساق .

وشهدت القاهرة والاسكندرية مظاهرات ضخمة تكريما لزيارة مصدق . وكان المتظاهرون يرددون الهتافات التى تقول :

« فليحيا عدو الانجليز » وردد المتظاهرون فى هذا اليوم هتافات معادية للامريكيين .

وكتب مصدق فى رسالته للشعب المصرى يقول ان الشعب الايرانى يؤيد الشعب المصرى بالكامل فى « نضاله المقدس من اجل الجلاء والوحدة » (١٠٩ ، ١٩٥١/١١/٢١) . واعلن فى احدى خطبه قائلا :

« سنناضل سويا حتى تتطهر بلادنا من كل اثر الامبريالية والاستغلال » .

وكما كان متوقعا فقد أثارت زيادة التضامن هذه القلق والمخاوف فى الاوساط الدبلوماسية فى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة . وعشية زيارة مصدق لمصر قام السفير الامريكى فى ايران بزيارة

الشـــاه واعربت عن استياء الحكومة الامريكية ازاء هذا التصرف واعلن ان زيارة رئيس الوزراء لن تكون فى صالح تطوير العلاقات الودية بين البلدين (١٣٦ ، ١٩٥١/١١/٢٠) .

المرحلة الثالثــة من النضــال الفدائى
(١ ــ ٢٦ ينايــر (كانون الثانى) ١٩٥٢)

لقد اشتد أوار الحرب الفدائية المعادية للامبرياليـــة فى منطقـــة قناة الســـويس وتنامت لتصبح ثورة ضد الامبريالية . واذا كان البوليس فى القاهـــرة والاســـكندرية يطلـــق النيران عـــلى المتظـــاهرين فانه فى منطقة قناة الســـويس كان متضامنا مع الشـــعب ويكافح معـــه جنبا الى جنب ضـــد الانجليز .

وفى اوائل يناير (كانون الثانى) ١٩٥٢ اصـــبحت الســـويس من جديد مسرحا للمعارك الطاحنة . فى ٣ يناير ١٩٥٢ اتجهت دبابتان بريطانيتان و٢٠ مصـــفحة و ٣٠ شـــاحنة محملة بالجنود الى منطقة محطة ترشيح مياه الشرب الواقعة بالقرب من آثار واطلال كفر احمد عبده المهدمـــة . وتحصنت الجماعات المسلحة من اهالى السويس والبوليس فى القرى المتاخمة كفر سلامة والبراجيل وقطعوا الطريق على الانجليز الى المدينة . وهرع فدائيو فرقة احمد عبد العزيز لنجدة الســـكان ومســـاعدتهم . واستمر القتال خمس ساعات تقريبا . وارغم الفدائيون والبوليس واهالى الســـويس الغزاة المحتلين على التقهقر والتراجع . وسرعان ما وصلت التعزيزات للانجليز ولكن المصريين فتحوا عليهم نيرانا مكثفة واعاقـــوا تقدمهم . واشعلوا النيران فى دبابتين وابادوا طاقميهما وفجروا محطـــة مياة الشرب ثانية (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/٤) .

وفى الرابعة من فجر يوم ٤ يناير (كانون الثانى) حاول ٥٠٠ جندى انجليزى معززين بعشرين دبابة دخول المدينة ، الا أنه تم صـــدهم ودحرهم على اعقابهم هذه المرة ايضا . وفى السابعة صباحا عادوا وفتحوا النيران الضـــارية من مدافعهم الرشـــاشة ومدافع الهاون على تلك البيوت التى كانوا يظنون احتماء الوطنيين المصريين بها . وكان الاطفال والنســـاء تحت وابل من الرصاص وانفجار الالغام يقومون بامداد المقاتلين بالذخائـــر واسعاف الجرحى . وكتب النصر المظفر للوطنيين المصريين لرجولتهـــم وفدائيتهم . وردت القوات الانجليزية على اعقابها دون ان تدخل المدنية.

وكان من نتيجة القتال الذى امتد ليومين فى السويس استشهاد خمسة مصريين وجرح ٤٤ (من بينهم عشرة فى حالة خطيرة) . وخسر الانجليز ٢٥ قتيلا و ٥٥ جريحا من الضباط والجنود (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/٥ ، ١٢٣، ص ٨٣) .

وبالرغم من ان معدلات النضال التحررى فى منطقة القناة كانت تتزايد باستمرار ، فان نضال الشعب المصرى كانت له بعض جوانب الضعف منها :

١ـ لم تكن للفدائيين قيادة موحدة ، ومن ثم لم يكن لديهم خطة تحركات متكاملة للنضال ضد العدو .

٢ ـ كان الصراع بين الاحزاب قائما حول تزعم فرق الفدائيين (وخاصة بين الوفد « الاخوان المسلمين » (١٣٦ ، ٥ ، ١٨/١١/ ١٩٥١) .

٣ ـ وخلال الشهرين والنصف شهر الاول من النضال الفدائى (١٥ أكتوبر ـ ٣١ ديسمبر ١٩٥١) كانت فرق الفدائيين تتكون اساسا من عمال منطقة القناة وطلاب وعمال القاهرة والاسكندرية وبعض مراكز المديريات . وكان الاتصال الضعيف مع الاهالى الفلاحين فى منطقة القناة خلال المرحلة الاولى من النشاط الفدائى نقصا خطيرا لحركة التحرر الوطنى .

وقد ادرك هذا جيدا اكثر المناضلين بعد نظر من اجل حرية الوطن .

وفى اواخر ديسمبر واوائل يناير ١٩٥٢ تشكلت ما يسمى بالقيادة السرية للنضال الوطنى (١٣٦ ، ٦٦، ١٠ ، ١٩٥٢/١/٢٥) كانت تلقى الدعم والتأييد من الوفديين اليساريين و« الاخوان المسلمين » وحديتو والحزب الاشتراكى وجمعية الشبان المسلمين وغيرها من التنظيمات السياسية الاخرى . وعقد فى منطقة القناة فى جو من التكتم والسرية التامة اجتماع قرروا فيه العمل على اشتراك الفلاحين على نطاق اوسع فى عملية النضال التحررى . تشكيل تنظيمات سياسية لقيادة النضال المعادى للامبريالية فى المناطق السكنية المعرضة للعدوان . توجيه الجهود لتشكيل قيادة موحدة لمنطقة القناة كلها (٥٠ ، ص ١٤٧) .

وكما اوضحت الاحداث اللاحقـــة كان لهذه القرارات دور كبير فى توســـيع رقعة النضال اللاحق ضد الامبرياليين الانجليز .

ووطدت القيادة السرية من اتصالاتها بفرق الفدائيين المختلفة واخذت تذيع البيانات عن سير معارك التحرر الوطنى . اخذت تظهر فى منطقـــة القناة وفى المدن الكبرى اللجان الوطنية الشعبية والتى كانت تضـــم اعضاء من جميع الاحزاب واللاحزبيين من ذوى الميوم الوطنية . وقد لعبت هذه الاجهزة المحلية للجبهة المعادية للامبريالية دورا هاما فى توحيد قوى الشعب ضد الامبريالية . وقد تشكلت فى القاهرة وحدها ٣٩ لجنة وطنيـــة خلال شهرى ديسمبر (كانون الاول) ويناير (كانون الثانى) ١٩٥٢ (١١٢ ، ١٩٥٢ ، رقم ١٢ ، ص ١٣٨) .

وتكونت فى القرى الواقعة فى منطقة قناة الســـويس والتى كانت معرضـــة لهجمات الانجليز « لجان الدفاع القروية » وتضم ممثلين عن كافة الاحزاب السياسية ، وكانت تقوم بقيادة العمل الفدائى فى هذه القـــرى (٥١ ، ص ٧٤) .

ومنذ اوائل ١٩٥٢ والفلاحين يشـــاركون بنصيب كبير وفعال فى العمل الفدائى ، مما جعل النضال اشد عنادا واكثر ضراوة . ومنذ هذا الوقت كثرت هجمات الفدائيين على اهم طرق المواصـــلات التى تربط الاســـماعيلية بالقاهرة وكان الطريق يمتد عبر قناة الاسماعيلية التى تزود منطقة قناة السويس كلها بمياة النيل . وكانت المعســـكرات الانجليزية تقع على جانبى قناة الاسماعيلية ، ولذا فكان لهذا الطريق اهمية كبـــرى بالنسبة للغزاة المحتلين . وكانت هجمات الفدائيين كثيرة ومتكررة ومؤثرة لدرجة ان الانجليز انفســـهم كانوا يسمون هذا الطريق « بطـــريق الموت» وعندئذ بدأ الانجليز القيام بعمليات ارهابيـــة جماعية فى القـــرى الواقعة على طريق الموت .

وفى مساء ٥ يناير هاجم الفدائيون طابور سيارات بريطانى كبـــير فى منطقة ابو صوير . واستمر القتال قرابة الساعتين . واشعل الفدائيون النيران فى سيارتين وقتلوا ١٨ جنديا (١٣٦ ، ٦ ، ١٩٥٢/١/٧) . بعد ذلك قام ٢٠٠ جندى انجليزى معززين بعشرين دبابة ومصفحة بمحاصرة قرية الشـــيخ قاسم عبد العزيز وفتحوا النيران عليها من مدافع الهاون والمدافع الرشاشة فهدموا واشعلوا الحرائق فى بعض الدور (١٣٦ ، ٦/ ١٩٥٢/١) . وفى اليوم التالى قاموا باطلاق النيران على اهالى قريـــة (الخلوص) (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/٧) .

وفى ٩ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٢ وجهت القيادة البريطانية ١٠٠٠ جندى مدعمين بمائة دبابة ومصفحة لمنطقة المخاصمة ردا على مهاجمة الفدائيين والفلاحين طابور من ٢٠ سيارة انجلزية بالقرب من المخاصمة والتى كان نتيجتها قتل حوالى ٢٠ جندى وضابط انجليزى . وقد حاصرت هذه القوات قريتى أبو كساب والحاج وقامت بقصفها بوحشية وهمجية .

وفى اليوم نفسه حاصر مائة جندى ترافقهم ثلاث دبابات ومصفحة قرية الوصفية واشعلوا النيران فى عدد من البيوت واطلقوا الرصاص على الاهالى العزل ثم دمروا منشآت الرى مما نجم عنه اغراق المحصول . وقامت الدبابات بدهس حقول قرية الخلوص بلا رحمة او هوادة (١٢٦ ، ١٩٥٢/١/١٠)

واتسع نطاق الحملات التأديبية كثيرا بعد ١٠ يناير .ففى يوم ١١ يناير مثلا ، قام ٤٠٠ جندى انجليزى بعمليات تفتيش لجميع بيوت قرية ابو سلطان واعتقلوا بعض الفلاحين (١٢٣ ، ص٨٤) . وفى ١٢ يناير توغلت فرقة صغيرة من الفدائيين فى معسكر انجليزى بالتل الكبير وسددت نيرانا قوية فى الانجليز وقتل ١٠ جنود انجليز واسر ١٧ فدائى مصرى (١٠٢ ، ص ٢٥١) .

وفى اليوم نفسه قام الانجليز فى الصباح المبكر بهجوم على التل الكبير الا ان الفدائيين بالاشتراك مع البوليس استطاعوا صد الهجوم الاول ودحره(٢١) . وعند ما دبر الانجليز الهجوم الثانى ، فتح الفدائيون الكوبرى الممتد عبر قناة الاسماعيلية ولم يسمحوا لهم بالمرور . وارسلت فرق « بلوك نظام » (٢٢) من مركز مديرية الشرقية لمساعدة اهالى التل

---

(٢١) نما لعلم الفدائيين ان القيادة البريطانية ستوجه اعدادا هائلة من الجنود والذخيرة لمنطقة التل الكبير من الاسماعيلية . وبالرغم من الحراسة المشددة على هذا الطريق نجح الفدائيون فى نسف حوالى ٢٠٠متر من خط السكة الحديد . وزرع لغم آخر بالقرب من الانفجار . وما كادت القوات الانجليزية تصل الى المكان لصيانة الخط واصلاحه حتى فجر الفدائيون اللغم وابادوا ما يقرب من ٢٠ جنديا انجليزيا .

(٢٢) حاول الانجليز فى الساعة ١١ صباحا بواسطة العوامات عبور القناة . واحتدم وطيس المعركة التى امتدت لثلاث ساعات. ولم ينجح المحتلون فى الاستيلاء على التل الكبير . واثناء المعركة قصف الانجليز القرى المجاورة بالقنابل المحرقة

الكبير . وقتل ٢٠ انجليزيا وجرح ١٢٠ آخرين . وفقد الفدائيون في هذا القتال ستة شهداء وجرح ١٤ آخرين . اما عن عدد الضحايا من السكان المدنيين فلم يتسنى معرفتها لصعوبة الموقف (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١٣) .

وفى ١٣ يناير توجه ما يقرب من الفى جندى انجليزى لمهاجمة المدافعين عن التل الكبير . فى البداية فتحت القوات الانجليزية نيران مدافعها الثقيلة على قريتى ابو حماد والحمادة المجاورتين . ثم توغلوا فى هاتين القريتين واعدم الانجليز جميع الاهالى الذين لم يتمكنوا من الفرار رميا بالرصاص بما فى ذلك الاطفال والنساء . وعندما اقترب الانجلز من التل الكبير اصطدموا بفرق « بلوك النظام » والفدائيين . ودارت رحى معركة طاحنة أخرى كان من نتيجتها قتل ٤ جنود بريطانيين وجرح ٤٥ . وفى هذه المعركة قتل اربعة وواحد من بلوك النظام (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١٤) . واعترف القائد الانجليزى نفسه ان البوليس والفدائيين المصريين اظهروا بسالة وشجاعة نادرتين فى المعارك التى دارت بالقرب من التل الكبير وغيرها من المعارك الاخرى (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١٥ ، ٩٩ ، ١٢٧) .

الا ان القوات كانت متفاوته الكفاءة والعدد وحاصر الانجليز التل الكبير . وفى اليوم التالى وبعد ان رحل الفدائيون عن المدينة قام الغزاة الفاشمون بقصف المدينة بنيران المدافع الثقيلة وتدمير العديد من البيوت مما ادى الى العديد من الحرائق . وبعد هذا القصف فر الاهالى من التل الكبير (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١٥)(٢٣) .

ولم يكتف الانجليز بهذا ففى ١٦ يناير ومنذ الصباح الباكر اخذت نيران مدافعهم الثقيلة تدمر البيوت المتبقية فى التل الكبير . وبعد بضع ساعات تم انزال قوات المظليين الانجليز غرب وشرق المدينة وكانت قد وصلت الى هنا اثناء ذلك قوات انجليزية جديدة .

وحاصر الانجليز فرقة الفدائيين والبوليس التى خرجت من التل الكبير .

والصواريخ كان من نتيجة اشتعال عدة الحرائق . وقد عانت كثيرا قرية الحمادة والمذراء فقد دمر هناك ٤ ابيتا وازهقت ارواح كثير من السكان المسالمين الابرياء .

(٢٣) كتب ياكوفيللو وصفا رائعا لنضال المدافعين عن التل الكبير ، الذين خاضوا على مدى سبع ساعات غمار قتال ضار ضد عدة آلاف من الجنود الانجليز المدججين بالمدافع الثقيلة والدبابات (٥١ ، ص ٧٥) .

واشتبك المصريون معهم فى القتال واستطاعوا ان يتخلصوا من بين انياب الحصـــار الا ان الانجليز تمكنوا من اسر ١٥٠ مواطنا (١٣٦ ، ١٧/١/١٩٥٢).

وقد وقع فى الاسر اثناء المعارك التى دارات بالقرب من التل الكبير فى ١٢ يناير (كانون الثانى) ١٢ فدائيا . وقام الانجليز بتعـــذيب الاسرى مطالبين اياهم بادلاء معلوماتهم عن الفدائيين . وسلطوا عليهم الكلاب ولكن الفدائيين لم يفشوا سر رفاقهم . وقد اعدم سبعة افراد منهم رميا بالرصاص (١٣٦ ، ١٤/١/١٩٥٢) من بينهم عمر شاهين وأحمد فهمى المنيسى من طلاب جامعة فؤاد الاول بالقاهـــرة وعباس الاعصر الطالب بجامعـــة الاسكندرية (٢٤) .

وشهدت فى ١٤ يناير ١٩٥٢ جنازة مهيبـــة لتشييع جثمان عـــمر شـــاهين(٢٥) . وكان نعش البطل ملتفا بالعلم الوطنى المصرى . واشترك فى تشييع الجنازة مائة الف طالب وعامل وممثلو الطوائف الاخرى من السكان (١٣٦ ، ١٥/١/١٩٥٢) . وقد اغلقت جميع الاماكن العامة فى القاهرة ابوابها بمناســبة الحـــداد .

واقيمت فى هذه الايام جنازات حافلة اخرى لتشييع جثمان كل من احمد المنيسى والطيار احمد عصمت وعباس الاعصر المصرى وكثير غيرهم من المناضلين من اجل حرية مصر تحولت الى مظاهرات عاصـــفة معادية للامبرياليين .

وعندما كان رحى المعارك الحامية بالقرب من التل الكبير لم تهـــدأ حدتها ، كانت تدور فى ١٣ يناير (كانون الثانى) معارك لا تقل عنها ضراوة بالقرب من قـــرية القرين بالقـــرب من التل الكبـــير وشـــمال ترعـــة الاســـماعيلية .

وكان الفلاحون يشـــكلون هيكل فرقة القرين الفدائيـــة . وقـــد أرغموا الانجليز على التقهقـــر بالاشتراك مع العمال الفدائيين . وقـــد

---

(٢٤) قام الرائد المصرى محمود صبرى على باستجواب الفدائيين الاسرى . وســلط على الطلبة كلاب الحراســة المسعورة التى قامت بنهش اجسامهم (١٠٢ ، ص ٢٥١) .

(٢٥) اطلق اسم عمر شـــاهين فى الوقت الراهن على احدى قرى مديرية التحـــرير .

استشــــهد فى هذه المعركة الفدائى الباســـل مصطفى محمود المعروف فى مصر كلها باســـم المردنلى والعامل بالمعســـكرات الانجليزية . وقد شـــيعت جماهير الزقازيق كلها فى ١٤ يناير البطل مصطفى المردنلـــى الى مثواه الاخير (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١٤ ، ١٢٣ ، ص ٨٧ ، ١٠٣) .

واوضحت المعارك التى دارت رحاها بالقرب من التل الكبير والقرين ان الفلاحين اخذوا يلعبون دورا كبيرا فى الحركة التحررية بقـــدر اتساع نطاق النضال الفـــدائى . ان مشاركة الفلاحين المصريين فى عمليـــــة النضال ضـــد الانجليز جعلتها أكثر فاعلية وتأثيرا .

وعندما بدأت الحـــرب الفدائيـــة تتخذ طابع الحـــرب الشعبية المعادية للامبريالية ، بدأت القيادة الانجليزية تدمر مدنا بأكملها وقرى كبيرة بأسرها زعما منها بأن الفدائيين يختبئون فيها .

وفى ١٧ يناير (كانون الثانى) ارســـل الجنرال ارســـكين للسلطات المصريـــة خبرا يحيطها فيه بأنه اصدر تعليماته المشـــددة بعزل مـــدن القناة الثلاث الكبرى وهى بورســـعيد والاسماعيلية والسويس ، عن باقى اجزاء مصر ، وامر كذلك بقطع خطوط السكك الحـــديدية بين المدن الثلاث (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١٨) . وقد تم عزل منطقة قناة الســـويس نهائيا عن بقيـــة اجزاء البلاد وكانت هذه التدابير تهدف لتجزئة مراكـــز الحركة الفدائية وقمعها كل على حـــدة .

وابتـــداء من ١٩ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٢ وبعد التدمير الوحشى لعدد من المناطق الاهلة بالســـكان والواقعة على طول « طريـــق الموت » والأحداث المأســـاوية تتزايد يوما بعد يوم فى الاسماعيلية . وقـــد ارسلت القيادة البريطانيـــة من هنا بالذات بالتعزيزات لقواتها فى التل الكبير وكانت ترســـل الحملات التأديبية للمناطق الآهلة بالســـكان الواقعة على جانبى قناة الاسماعيلية و « طريق الموت » .

وقد اشتد نشاط فدائى الاســـماعيلية من جديد بعد المعارك التى دار رحاها فى منطقة التل الكبير . فقد خسر الانجليز نتيجة الهجوم الذى دبره الفدائيون ليلـــة ١٣ يناير ١٩٥٢ على نادى « هـــيربرت هاوس » الانجليزى ثلاثة قتلى و ١١ جـــريح (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١٤) .

وفى ١٣ يناير القوا بعدة قنابل يدوية على كوبرى ابو جاموس كانت تقف عليه القوات الانجليزية . وفى اليوم التالى هاجم الفدائيون المطار

وورشـــة صـــيانة واصـــلاح الطائرات بالقرب من الاسماعيلية واشعلوا هناك العديد من الحرائق . زد على ذلك انهم دمروا محطـــة مياة الشرب (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/١٥) . وهاجم الفدائيون طوابير سيارات انجليزية ودمروا وســـائل الاتصـــال السلكيـــة الخ..

ومنذ ١٩ يناير (كانون الثانى) لجأ الانجليز الى الاستيلاء على البيوت الواقعـــة على الطرق الرئيســـية المؤدية للاسماعيلية . وكانوا يقومون باخلاء سكانها منها بالقوة وفى الوقت نفســـه بدأت فى المدينة حملـــة اعتقالات بالجملة .

وفى ليلة ٢٥ يناير ارسلت القيادة البريطانية الى الاسماعيلية قوات هائلة منها المدافع الثقيلة ودبابات « سنتريون » وســـيارات مصفحة . وحاصرت القوات البريطانيـــة ثكنات « بلوك النظام » ومقر اقامة مدير المديرية ، وعزلوا كذلك اجزاء المدينة بعضها عن بعض .

وفى الساعة الســـادسة صباحا وجه الجنرال ارسكين الى حكمدار المدير ونائب مدير المديرية انذارا طالب فيه بتجريد قوات « بلوك النظام » من السلاح وابعادها عن المدينة . واتصـــل نائب مدير المديرية فورا بفؤاد سراج الدين . وما كان على الاخير الا ان اعطاه ارشـــاداته المعتـــادة « القوة بالقوة » و « القتال حتى آخر رصـــاصة ! » .

وفتح الانجليز نيرانهم على ثكنات « بلوك النظام » ومقر اقامة مدير المديرية ردا على رفض المصريين للانذار . وبالرغم من عدم التكافـــؤ بين القـــوات (حيث كانت القوات الانجليـــزية عبارة ١٥٠٠ جندى معـــززة بالدبابات والمدافع الثقيلة بينما قوات « بلوك النظام » ٨٠٠ فى الثكنات و ٨٠ فى مقر المديرية(٦) فقد اشتبك الابطال الوطنيون معهم .

---

(٢٦) ذكر ياكوفيللو ان عدد الجنـــود الانجليز ٣ ـــ ٥ الف وعدد « بلوك النظام » ٤٠٠ فرد (٥١ ، ص ١٢٨ ـــ ١٣١) وذكر الباحث الســـوفيتى جولدبين اســـتنادا على كتاب فوشير ان عدد الجنود الانجليز ١٫٥ الف « بلوك النظام » ٢٥٠فرد (١٩ ، ص ٦٠) . وقد أخذ فوشر هذه الارقام من كتاب نجيب (٩٥ ، ص١٠٠) . وذكر « الاهرام » ان عدد الانجليز ٧آلاف « وبلوك النظام » ٨٠٠ فى الثكنة و ٨٠ فى المديرية (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/٢٦) .

وفتح الانجليز من مسافة قصيرة نيران مدافعهم الثقيلة على ثكنة « بلوك النظام » . وضرب المصريون مرة اخرى اسمى آيات التضحية والفداء والبسالة والبطولة وظلوا يدافعون عن مواقعهم حتى بعد تدمير الثكنة . عندئذ توغلت الدبابات الإنجليزية تدنس ارض الثكنة بعد ان هدمت جدرانها . وقاتل افراد « بلوك النظام » حتى آخر رصاصة لديهم . وبعد الخسائر الفادحة التي منى بها « افراد بلوك النظام » ما بين شهيد وجريح اضطرت القوات المتبقية منهم الى الاستسلام . واستمر هذا القتال قرابة الست ساعات .

وعلى هذا الغرار دار قتال ضار بالقرب من مقر مدير المديرية . واقترح الانجليز على « افراد بلوك النظام » ثلاث مرات الاستسلام وكان الرد بلا ثلاث مرات واعلن قائد فرقة بلوك النظام بحسم :

« سنداقع حتى الموت . ولن نستسلم مادام فينا واحد فقط على قيد الحياة » .

وعندئذ فتح الانجليز نيران مدافعهم الثقيلة ومدافع دباباتهم . وبالرغم من تدمير مبنى المديرية واشتعال الحرائق فى كثير من الاماكن واصل «افراد بلوك النظام» دفاعهم الباسل والمجيد حتى الرمق الاخير والرصاصة الاخيرة . وبعد ان تكبدوا الخسائر الفادحة ونفذ كل ما لديهم من دخيرة اضطر من تبقى منهم على قيد الحياة الى الاستسلام .

وقد استشهد فى الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير فى المعركتين ٦٤ شهيدا وجرح ما يزيد على ٢٠٠ جندى من « بلوك النظام »(٢٧) . وقد اسر من تبقى منهم (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/٢٦ ، ١٢٣ ، ص ٩٤) . وقد اعرب العقيد اكسهيم عن اعجابه ببسالتهم وجسارتهم (٩٥ ، ص ١٠١) .

واما ما يخص الانجليز فقد خسروا ، تبعا لما ذكرته السلطات المصرية، ١٥ قتيلا وجرح ٤٠ جنديا وضابطا .. ووفقا لبيانات القيادة البريطانية قتل ١٣ وجرح ١٢ جنديا ويشير الرافعى انه قتل ٢٠ وجرح ٣٠ جنديا انجليزيا (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/٢٦ ، ١٢٣ ، ص ٩٤) .

(٢٧) ذكر ياكوفيللو ان عدد الشهداء كان ٦٠ (٥١ ، ص ١٣٢) وذكر نجيب ان عدد الشهداء ٤٦ والجرحى ٧٢ (٩٥ ، ص ١٠٠ — ١٠١) . وينوه السادات بأن عدد الشهداء من البوليس يزيد على ٧٠ (٩٧ ، ص ١٠٥) .

وكان لهذه الاحداث عواقب وخيمة عميقة الجذور بعيدة المدى . ان الاخبار المأساوية عن المجازر الرهيبة التى وقعت فى الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير اثارت موجة عارمة من السخط والاستياء فى البلاد كلها .

٢٦ يناير ١٩٥٢ و« السبت الأسود »

امتنع فى فى ليلة ٢٦ يناير عمال وموظفو وحرس مطار القاهرة الدولى عن خدمة طائرات الخطوط الجوية البريطانية . وحرموا على المسافرين مغادرة الطائرات ورفضوا تزويد الطائرات بالوقود . الا ان الموظف الذى اوفدته وزارة الداخلية اقنع العاملين فى المطار بالعودة لأداء مهام عملهم .

وفى الساعة ٦ صباحا اعلن جنود « بلوك النظام » فى القاهرة الاضراب احتجاجا على ابادة زملائهم العزل من السلاح فى الاسماعيلية . ونظموا مظاهرة يطالبون فيها بالسلاح وتوجهوا وهميرددون هتافا صاخبا « اين السلاح ، يانحاس » الى جامعة فؤاد الاول بالقاهرة ثم اتجهوا ومعهم طلاب الجامعة الى مبنى رئاسة الوزراء . وفى الوقت نفسه اندفعت الى وسط البلد عدة طوابير اخرى من المتظاهرين تطالب الحكومة بالسلاح للكفاح ضد الانجليز . وكان المتظاهرون يرددون الهتافات التالية :

« السلاح للكفاح ! » « عاش فدائيو منطقة القناة ! » « المجد والخلود لشهداء الاسماعيلية ! » « فلتسقط الامبريالية الانجليزية !».

واحتشدت بضعة آلاف من المتظاهرين امام مبنى رئاسة الوزراء . وكان الجميع يحضون على الانتقام من انجلترا والقصاص منها جزاء اعمالها البربرية فى منطقة القناة واعربوا عن تعاطفهم مع الاتحاد السوفيتى وطالبوا بعقد أواصر الصداقة والتعاون معه (١٢٦ ، ص ٣٧٨) .

وتوجهت جموع اخرى الى قصر عابدين تهتف وتردد « فليسقط الخائن فاروق حليف الانجليز !» . وحاول المتظاهرون الاستيلاء على مقر الملك فاروق ولكن الحرس اطلق عليهم النيران واغلق عليهم المخارج . وقد استشهد اثنان من المتظاهرين .

واعلن المتظاهرون المحتشدون حول مبنى مجلس الوزراء انهم لن يفكوا الحصار عنه حتى تقرر الحكومة قطع العلاقات الدبلوماسية مع

انجلتـــرا . وقام احـــد الموظفين المســـئولين بمجلس الوزراء بتهنئـــة المواطنين ، واعلن ان الحكومة تناقش حاليا هذا الموضوع بالذات .وفى الساعة الحادية عشرة وافق مجلس الوزراء باغلبية الاصـــوات على قرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا . ووعد مجلس وزراء الوفـــد كذلك بابرام معاهدة صداقـــة مع الاتحاد السوفيتى (٥٠ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣).

وفى الساعة ١٢ ظهرا ظهرت فى شوارع القاهرة الرئيسية الشاحنات المحملة بعصابات من مثيرى الشـــغب . وقد تسلل هؤلاء الاوغاد الى اكبر المنشـــآت الاجتماعية وسكبوا البنزين على الارضيات والحوائط والاثاث واشـــعلوا النيران ثم اختفوا فورا .

وظهرت اولى الحرائق فى « كازينو الاوبرا » وفندق « شبرد » . وحاول رجال الاطفاء الذين وصـــلوا مكافحة الحـــرائق ولكن العناصر الاجراميـــة المأجـــورة وضـــعت بشتى الصـــور العراقيل امامهم .وكانت الانباء تتوارد من شـــتى احياء المدينـــة عن اشتعال المزيد والمزيد من الحـــرائق الجـــديدة .

وقد عثروا على رئيس الوزراء فى صـــباح يوم السبت هذا عند « الكوافير » الخاص به (٩٧ ، ص ١٠٦) . وفى الساعة ١٢ وربع احيط النحاس علما بالحرائق المشتعلة . فأمر على الفور اجهزة البوليس باتخاذ التدابير اللازمة . وفى الســـاعة الواحدة بعد الظهر ابلغوه باضراب رجال البوليس عن العمل . عندئذ اتصل تليفونيا باللواء محمد حيدر باشـــا القائد العام للقوات المســـلحة وطلب منه ارســـال القوات الى المدينة واجاب الاخير بأنه يأخذ أوامره من الملك فقط . عندئذ اتصـــل النحاس بالقصر . واتضح ان الملك كان يقيم مأدبة كبيرة ووليمة فخمة بمناسبة ميلاد ولـــى العهـــد . (٨٧ ، ص١٠٤) . وبالرغم من ان العاصـــمة كانت غارقة فى بحر لجى من الحرائق الذى تغطيه ســـحب الدخان الكثيف لم يجرؤ احد ان يقلقه . وقد دعى للمأدبة ما يزيد على ٦٠٠ ضابط كبير من الجيش والبوليس . وذكر اللواء محمد نجيب الذى كان من بين المدعوين ان كثيرا من الضـــباط وصـــلوا لقصر عابدين الساعة ١١ صباحا ، بالرغم من أن الوليمة الملكيـــة تبدأ الساعة الواحدة بعد الظهر (٩٥ ، ص ١٠١) .

واضطر رئيس الوزراء للاتصـــال مرة اخرى بالقائد العلم ولكـــن موقفـــة لم يتغير . ووصـــل فؤاد سراج الساعة الثانيـــة والنصف بعـــد الظهر الى قصر الملك ، حيث وصـــل الى هناك كذلك محمد حيدر . واجابه حيدر من جديد على سؤال الوزير عن اسباب تأخر القوات انه يأخذ اوامره

من الملك فقط وان القوات ستنزل القاهرة بسرعة (٨٧ ، ص ١٠٤) . وظهرت القوات فى المدينة الساعة الخامسة مساءا فقط ونجحت بعد بضع ساعات من اخماد لهيب الحرائق المشتعلة .

ونجح مثيرو الشغب فى ٢٦ يناير من اشعال نيران الحرائق فى اكثر من ٧٠٠ منشأة ومحل تجارى وملهى فى القاهرة كان معظمها ملكا للاجانب . وكانت المبانى التى لحقها الضرر نتيجة اشتعال الحرائق تقع فى وسط العاصمة والاحياء الرئيسية منها ، ومن بينها محال تجارية ومطاعم ومقاهى وفنادق ودور سينما واندية وبنوك ومقار ادارات الشركات المساهمة المشهورة والضخمة . واسفرت الحرائق عن مقتل ٢٦ شخص واصابة عدد آخر بعاهات مستديمة بلغ ٥٥٢ فردا (١٢٣ ، ص ١١٩)(٢٨) .

ونوه امين سعيد (وجميع الباحثين الاخرين متفقين معه) ان الملك فاروق سوف عن عمد وبشكل مصطنع تدخل القوات فى احداث القاهرة ، لانه هو بنفسه شريك فى المؤامرة (١٢٦ ، ص ٣٧٨) . ويؤكد الرافعى على خلاف جميع الباحثين الآخرين وشهود العيان أن الملك برىء من هذه العملية ، ولكنه متهم بشكل غير مباشر لانه اقام فى هذا اليوم المشؤوم بالذات مأدبة كبيرة دعى اليها ضباط الجيش والبوليس مما سهل على مثيرى الشغب مهمتهم (١٢٣ ، ص ١٢٤) .

والحقيقة ، ان دراسة الاحداث والتأمل فيها توضح ان فاروق كان له ضلع كبير فيها . وما من شك فى ان تدبير الوليمة ودعوة معظم ضباط الجيش والبوليس لقصر عابدين كان أمرا مبيتا من قبل وكانت حلقة هامة فى سلسلة المؤامرة بصرف النظر عن ان فكرة تنظيم هذا الحفل فى حد ذاتها فى اليوم التالى لاستشهاد العديد من الوطنيين بشكل مأسوى فى منطقة قناة السويس امر يدعو الى الشك على اقل تقدير .

ويجب الا تغفل الحقيقة الدامغة وهى ان التأخر فى استدعاء القوات لما يزيد على اربع ساعات ، امر لا يمكن حدوثه دون رغبة الملك . وهناك دليل آخر دامغ على اشتراك فاروق فى تدبير مؤامرة حريق القاهرة

---

(٢٨) بناء على ما أورده نجيب من معلومات ، اسفرت الحرائق المشتعلة فى القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ عن مقتل ١٧ اجنبى (منهم ٩ انجليز وواحد كندى) وحوالى ٥٠ مصرى (٩٥ ، ص ١٠١) .

وهى ان الحاضرين فى قصر عابدين استرعى اهتمامهم حالة الخوف الشديد التى كانت تستولى على الملك وانه امر باعداد طائرة خاصة يشحن فيها كل ماهو ضرورى فى حالة الهرب (١٢٦ ، ص ٣٧٨) .

ولا يمكن للباحث المحايد الا ان يصل الى نتيجة مفادها ان المؤامرة تم تدبيرها منذ زمن بعيد وان الملك خطا الخطوة الاولى على طريق تنفيذها منذ شهر بالضبط عندما احاط نفسه بشخصيات موالية للانجليز . عندئذ بالذات بدأ تدبير المؤامرة المعقدة التى تنتهى خيوطها عند السفارتين الانجليزية والامريكية . كتب البراوى بلا مواربة يقول ان حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ كان من ايعاز هؤلاء الذين اغترفوا منه اكبر قدر من المنفعة (٧٢ ، ص ١٧٨) . وكانت انجلترا والرجعية المصرية هما المستفيدان اكبر استفادة من هذه الحوادث . وتبعا لرأى مجلة « ايكونوميست » ان حريق القاهر ةفى ٢٦ يناير كان من تدبير القصر او الحكومة (١٠٤ ، ١٩٥٢/٢/٢ ص ٢٥٩) . وطرح المسألة على هذا النمو يسهل من وضع اليد على المذنب لان هذه الاحداث كانت تخدم مصالح القصر وكانت خسارة ووبالا على الحكومة .

ويتوصل جميع الباحثين والصحفيين انى استنباط مفاده ان المؤامرة دبرت تدبيرا دقيقا ، وقد اشترك فيها كل من السفارتين البريطانية والامريكية فى القاهرة والملك ودوائر القصر وكذلك زعماء بعض الاحزاب السياسية الرجعية(٢٩) .

قرر الانجليز بادىء ذى بدء العمل على قمع النضال الفدائى فى منطقة القناة بقسوة وعنف ، الا انه بعد تدمير كفر أحمد عبده وبعد معارك التل الكبير خاصة ادركوا انه ما من تدابير مهما بلغ عنفها وضراوتها

---

(٢٩) اجمع معظم الباحثين على ان فصائل حزب احمد حسين الاشتراكى كانوا المدبرين والمنفذين المباشرين لحرائق «السبت الاسود » (٨٩ ، ص ٢٥١ ، ٢٥١ ، ٩٠ص ٤١٨ ، ٩١ ، ص ١٨٦) ولعبت جمعية الاخوان المسلمين على مايبدو دورا محددا (١٠٤ ، ١٩٥٢/٢/٢ ، ص ٢٥٨) . ويحاول بعض أذناب الامبريالية بالباطل ان يلقوا المسئولية عن احداث٢٦ يناير على الشيوعيين (٩٤ ، ص ٩٨ ، ٩٠ ، ص٤١٨) وقدم احمد حسين فى يونية ١٩٥٢ للمحاكمة لاتهامه بتدبير حريق القاهرة فى ٢٦ يناير . افرج عنه فى نوفمبر ١٩٥٢ بعد قيام الثورة .

ستقف حائلا فى وجه النضـــال التحررى الذى يغدو مع كل يوم اكثر حسما واقوى تنظيما . عندئذ لجأ الانجليز الى الطريقــة المختبــرة وهى تآمر الرجعية ، وبواســطة الملك والدوائر الكومبرا دورية الاقطاعيــة قرروا ابعاد حكومة الوفــد وتصــفية نضال الشــعب . وليس من قبيل الصدفة انه فى يوم ٢٥ يناير بالذات ، عشية « السبت الاسود » جرى على وجه السرعة شحن القوات الانجليزية المرابطة فى القواعد العسكرية البريطانية فى مالطة وقبرص على سفن متجهة الى مصر .

وقد خرجت من مالطــة وحدها فى هذا اليوم بالذات ١١ سفينة حربية ضخمة متجهة الى مصر . ودبر الجنرال ارسكين لاحتلال القاهــرة والدلتا كلها (١٠٣ ، ١٩٥٢/١٠/٢٨ ، ٥١ ، ص ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٩٥٢/١/٢٦). وكانت هذه الخطة مدبرة على مايبدو فى حالة فشــل الانقلاب .

وتم تنفيذ المؤامرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ لانه كما اشرنا آنفا كانت تناقش حكومة الوفد فى هذا اليوم وتحت وطأة ضـــغوط الجماهير الشعبية مسألة قطع العلاقات الدبلوماسية نهائيا مع بريطانيا وابرام معاهــدة صداقــة مع الاتحاد السوفيتى .

وكانت قوى الرجعية تتعجل المؤامرة لان التنظيمات الديمقراطيــة التقدمية للجبهة الشعبية الموحدة كانت تنمو عودها بشــكل مطــرد مع اتساع نطاق الحركة المعادية للامبريالية وتعميق جذورها . وقد تنامى نفوذ اللجنة التحضيرية لتشكيل الاتحاد العام لنقابات عمال مصر .
واضطرت الحكومة لاول مرة فى تاريخ مصر بالسماح لتشــكيل اتحادات نقابية على نطاق البــلاد كلها . وكان هذا نصرا كبيرا للطبقة العاملــة تم احرازه فى فترة من اشــد فترات مد وازدهار حــركة التحرر الوطنى .

وتم اختيار يوم ٢٦ يناير (كانون الثانى) لســبب اخر هو تنظيم مظاهرات فى هــذا اليوم ضد حكومة الوفد لاستياء وسخط جماهير الشعب ضد اعدام « البلوكيين » رميا بالرصاص والذين لم تقدم لهم الحكومة العون الضرورى فى الوقت المناسب واخذت الرجعية فى عين الاعتبار سخط الجماهير الشــعبية واستغلته الى حد ما لصالحها .

وكانت الرجعية المصرية والامبرياليون فى حاجة الى حريق القاهرة لاظهار عجز حكومة الوفد فى « المحافظة على النظام والامن » وتبعدهــا عن الســلطة متذرعة بهذه الحجة .
وكتبت « ايكونوميست » فى ديسمبر ١٩٥١ تقول :

« كل شيء كان يمكن ان يكون على ما يرام لو ان الحكومة المصرية استطاعت ان تراقب « ميليشيا التحرير » (هكذا كان الانجليز يسمون فرق الفدائيين المتطوعين) وبعبارة اخرى العصابات التى تضم كثيرا من القتلة السفاحين المحترفين وسمعة الحكومة وشعبيتها منخفضة فالوعود المعلقة والرشاوى ... تحرمها من تأييد الشعب ، وهى ضعيفة جدا ، لا تستطيع مقاومة المتطرفين فى كثير من الامور . لذا ينجم سؤال ، اليس من الضرورى على القوات المسلحة البريطانية

ان تضطلع بمسئولية الامن الداخلى خارج حدود المعسكرات مما يعد خطوة حاسمة على طريق فرض الرقابة العسكرية الكاملة على منطقة قناة السويس » .

ونوهت مجلة « ايكونوميست » بعد ٢٦ يناير « عجز حكومة الوفد عن ضبط المشاعر التى أطلقت لها العنان » (١٠٤ ، ١٩٥٢/٢/٢) ، ص ٢٥٨) .

وتلقى النحاس فى مساء ٢٧ يناير ١٩٥٢ رسالة من الملك يخبره فيها باقالة حكومة الوفد لعجزها عن « اقرار النظام والامن » وذكرت صحيفة « التايمز » ان النحاس اقصى عن الحكم « بشكل مأساوى » . فقد توجه حامل رسالة الملك التى يخبره فيها بالاقالة الى بيت النحاس يرافقه الحرس المسلح (١١١ ، ١٩٥٢/١/٢٨) .

وبعد انتهاء الوليمة فى قصر عابدين وبعد انتشار القوات فى القاهرة استقبل الملك فاروق جيفرسون كيفرى السفير الامريكى . ثم استقبل على ماهر البالغ من العمر ٦٨ عاما وكلفه بتشكيل الحكومة الجديدة . وكأن على ماهر قد تلقى من قبل القائمة التى اعدها الملك بأسماء الحكومة القادمة .

لقد تم تدبير اقالة حكومة الوفد وتشكيل حكومة على ماهر منذ عدة اشهر (٧٢ ، ص١٧٩) . وكانت حوادث القاهرة فى ٢٦ يناير(كانون الثانى) المشهد الاخير من مسرحية تآمر الرجعية .

وبالرغم من ان الاقالة كانت غير متوقعة للوفديين ، فقد ارتكبت القيادة الوفدية فى هذه اللحظة الحاسمة عدة اخطاء جسيمة . أولها اعلان حالة الطوارىء بناء على طلب من دوائر القصر ٢٦ يناير ١٩٥٢ (١٢٣ ، ص ١٢٦) . ولم يدرك الوفديون ان الملك والدوائر الرجعية كانت

فى حاجة الى هذه الخطـوة للتنكيل بأعدائهما بما فى ذلك الوفديين انفسهم. وكان خطأ الحكومة الجسـيم الاخر الذى ارتكبته هو التصـديق على الاعتقالات الجماعية للشـخصيات المتهمة بتدبير حـرائق القاهرة بدون اجراء تحقيق جدى فى هذه القضية . وهكذا فكما ذكر راشد البراوى بحق ، لقد كلفوا حكومة بتنفيذ « عمل قذر » (٧٢ ، ص ١٧٩) اقيلت بعده .

وكان تذبذب حكومة الوفد وضعفها من احد الاسباب التى ادت الى حـريق القاهرة فى ٢٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٢ فالوفديون لم يبدوا أية مقاومة تذكر لمؤامرة الرجعيـة واسرعوا فى تقديم استقالتهم غـير لاجئين لمساندة الشـعب والذى كان لايزال جزء منه يثق باخلاص فى امكانيـة الوفد تزعم حركـة النضـال ضـد الامبرياليـة .

وكان موقف الوفد مخزيا وانهزاميا . وكان هـذا بمثابة انتحـار لا ارادى للحـزب ولم يدرك الوفديون انهم عند مفترق الطرق وان الطريق الذى اختاروه كان يعنى فى حقيقة الامر التنصـل لحركة التحرر الوطنى والتقهقر أمام الامبريالية . ولم يدركوا أن التـاريخ لا يغفـر لمثل هـذه الاخطاء وان سمعتهم ستضيع للابـد وسط الجماهير الشعبية .

بماذا نفسر ضـيق افق سياسة الوفـد ؟

فحوى الامر ان قمة الحـزب الكومبرادورية الاقطاعيـة بزعامـة فؤاد سراج الدين لم تكن ترغب فى تطوير حركـة التحرر الوطنى وتعميق جذورها المطرد لان كل يوم يمر فى النضال ضـد الامبرياليـة كـان يعنى نموا منقطع النظير لتنظيمات الشعب الديمقراطية ، الامر الذى كان يخافه فؤاد سراج الدين ويخشاه اكثر من الانجليز انفسهم . ويستدل على هذا من الموافقة الاجماعيـة للبرلمان المصرى ، الذى كان اعضاؤه اساسا من الوفديين ، على اعطاء الثقة لحكومة على ماهـر (١٣٦ ، ١٩٥٢/١/٢٩ ، ١٢٣ ، ص ١٣٣) والتى كانت مهمتها الاساسية تنحصر فى تصـفية حركة التحرر الوطنى وفى تهيئة الظـروف لاستئناف المفاوضات مع الامبرياليين (١٢٦ ، ص ٣٩٢) .

واقدم كبار الاقطاعيين والاحتكاريين الملتفين حول الملك والاحزاب الاقطاعيـة البرجوازية الرجعية على خيانة المصـالح الوطنية بشـكل سـافر وتلقى الشـعب المصرى المناضـل طعنة من الخلف .

سياسة بريطانيا فى اوائل ١٩٥٢

وبالرغم من عدم الشك فى اشتراك انجلترا والولايات المتحدة الامريكية فى المؤامرة الرجعية ، فان حكومة البلدين وجهت لمصر مذكرة احتجاج بصدد حوادث ٢٦ يناير فى القاهرة تحمل فيها الحكومة المصرية المسئولية عن قتل الرعايا الانجليز والخسائر المادية التى لحقت بالاجانب (١١١ ، ١٩٥٢/١/٢٨) .

وحاولت الدوائر الامبريالية البريطانية بشتى السبل تضليل الرأى العام العالمى وتمويه حقيقة الاحداث الجارية فى مصر . وقد اتهمت أجهزة الدعاية الانجليزية الفدائيين المصريين المقاتلين فى منطقة قناة السويس تارة بالولاء للشيوعية وتارة بالعصبية الدينية التى تضمر العداء للمسيحين وكانت تسميهم بالعصابات وبارهابيين الخ (١٠٤ ، ١٩٥١/١٢/٨ ، ص ١٣٨٤ ، ١٠٤ ، ١٩٥٢/١/٢٦ ، ص ١٩٧) . كتبت صحيفة « الفيحاء » الدمشقية تقول بأن السفارة البريطانية فىسورية حاولت ارشاء الصحافة حتى تتغاضى عن نشر مقالات ومواد عن جرائم الانجليز فى مصر والامتناع عن تأييد النضال المعادى للامبريالية الذى يخوضه الشعب المصرى (١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم ١١ ، ١٢) .

واضطرت وزارة الخارجية البريطانية الى الاعتراف بعد مذابح الاسماعيلية ان الجنرال ارسكين كان يتحرك برضاء الحكومة الانجليزية. كتبت صحيفة « الديلى ووركر » لسان حال الحزب الشيوعى البريطانى تقول ان جرائم القوات الانجليزية الدموية التى اقترفتها فى منطقة قناة السويس يجب ان يتحمل مسئوليتها رئيس الوزراء تشرشل (١٠٣، ١٩٥٢/١/٢٦) .

ونشرت صحيفة « الاهرام » فى اوائل شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥١ ان المصفحات البريطانية كانت تقوم بنوبات دورية على بعد ٤٠ ميل من القاهرة (١٣٦ ، ١٩٥١/١٢/٥) .

وكان النذير التالى لاقتراب الانجليز من القاهرة هو احتلال التل الكبير وابو حمادة . وقد اجتمع انطونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فى يناير (كانون الاول) ١٩٥٢ بثلاثة رؤساء القيادات الانجليزية نظرا « للوضع الخطير فى مصر » . واخيرا ، اصبح من المعروف بعد ٢٠ يناير ان الجنرال ارسكين كان يعد العدة للاستيلاء على القاهرة والدلتا كلها .

واســتعدت طلائع القوات الانجليزية للتوجة الى مصر . وكان ميناء فاماجوستا فى قبرص يشبه فى هذه الايام الموائى وقت الحرب . آلاف من اطنان الذخائر والاســلحة من كل نوع تشحن على السفن البريطانيــة. ودار نفس الشىء فى المطار الانجليزى الحربى فى قبرص حيث كانت طائرات الشحن والنقل تتنقل بصــفة منتظمة بين قبرص ومصر (١٠٣ ، ١/٢٨/ ١٩٥٢) . ونشرت مجلة « وورلد نيوز آندفيوز » بقلق بالغ فى هذه الايام ان حكومة تشرشــل تقوم بحشـــد غير عادى للقوات فى منطقة قنـــاة الســـويس (١١٢ ، ١٩٥٢ ، رقم ٣ ، ص ٣٠) .

وفى يولية (تموز) ١٩٥١ وعندما كان تشرشل مازال فى المعارضـــة اضطر الى الاعتراف بجدية ســقوط سمعة بريطانيا العظمى فى الشرق الاوســط . وكان احد الاسباب فى هذا من وجهة نظره « سوء العلاقات الانجلو مصرية » (٦٦ أ ، ص ٩٩٠) .

وقد توجهت الحكومة البريطانية تطلب المساعدة من قوى الامبريالية العالميــة لعدم ثقتها فى قواها الذاتيــة .

وقد اعلن تشرشــل فى ٣٠ يولية (تموز) ١٩٥١ فى مجلس العموم « منذ انتها الحــرب وانا مهتم جدا ودائما ان تبدى الولايات المتحــدة الامريكية المزيد من الاهتمام لمــا يحدث فى ايران ومصر » (٦٦أ ، ص ٩٩٠) . وقد ردد تشرشل هذه الفكرة فى احدى حملاته الانتخابية فى أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ قائلا :

« لقد كنت اســتغل دائما اية قناة مفتوحة لى كى اقنع اصدقائنـــا الامريكيين بخطورة ما يجرى فى الشرق الاوسط » (١١١ ، ١٩٥١/١٠/٢٤)

وكان تشرشل صاحب المبادرة فى توحيد جهود جميع الدول الامبريالية لقمع الحركة التحررية لشعوب الشرقيين الاوسط والادنى وتخليد سيطرة الاســـتعمار فى هذه البقعة من العالم . وكان يرى ان سياسة الغرب تجاه بلدان الشرقين الاوسط والادنى مائعة وطرح مخططات لانتهاج سياســة اشــد حســما وصرامة . قال تشرشل :

« اننى على ثقة ، لو ان بريطانيــا العظمى والولايات المتحــدة الامريكية وفرنســا وبالضرورة تركيــا وضعوا منذ ســتــة اشهر سياسة عامة تجاة ايران والعراق وسورية ومصر وفلسطين لما كانت هناك الان اية مشاكل معلقة » (١١١ ، ١٩٥١/١٠/٢٤) .

وكانت سياسة حكومة المحافظين اكثر وضوحا فى التعبير فى حديث تشرشل للصحافة الامريكية بتاريخ ١٩٥٢/١/١٧ . اعلن تشرشل ان الخطر المحدق بالشرق الاوسط بسبب الاحداث الجارية فى مصر ، ليس اقل من مثيله الذى تصادفه الولايات المتحدة فى حربها الدائرة فى كوريا، اكد ان الشرق الاوسط شهد تغييرات هائلة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وكان تشرشل نصيرا لدودا لتشكيل « قيادة الشرق الاوسط » بالاشتراك مع الدول الامبريالية . ودعا رئيس الوزراء البريطانى الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى لتقديم العون لانجلترا حتى تتمكن من قمع نضال الشعب المصرى التحررى . وأعلن قائلا :

« لا يجب علينا بعد الان ان نتحمل عبء الدفاع عن قناة السويس وحدنا . وهذه الان مسئولية دولية أكثر منها مهمة وطنية » . واقترح تشرشل على الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا لحل مشكلة الشرق الاوسط ان توجه قواتها لمنطقة قناة السويس واعلن بأن الدول المذكورة لو أرسلت قواتها الى مصر ولو حتى مجرد قوات رمزية فان هذا «سيؤدى الى تلطيف الوضع فى الشرق الاوسط كله » و « سيكون مساعدة كبيرة لنا » (١١١ ، ١٩٥٢/١/١٨) .

ولم تكن سياسة حكومة تشرشل واقعية او بعيدة النظر ، فهى لم تأخذ فى عين الاعتبار التغييرات الهائلة التى طرأت على العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ولا التغييرات التى شهدتها مصر والتى اخفقت امامها جميع المحاولات لفرض السيطرة الاجنبية .

وكان الحزب الشيوعى البريطانى يوجه الانتقادات اللاذعة لسياسة الحكومات الانجليزية الامبريالية سواء العمالية او المحافظة . ان الشيوعيين الاوفياء لمبدأهم الاسمى قاموا بفضح جوهر سياسة حزب العمال والمحافظين الاستعمارية والعدوانية ودعت الطبقة العاملة فى بريطانيا العظمى لتقف الى جانب نضال الشعب المصرى التحررى . وكانت الصحافة الشيوعية فى انجلترا تقوم بنشر مواد غزيرة ، ولاسيما اثناء حرب الفدائيين فى قناة السويس ، عن الاحداث التى تشهدها مصر . وكان عدد من الشخصيات البارزة فى الحركة الشيوعية بانجلترا ومنهم هارى بوليت السكرتير العام للحزب الشيوعى الانجليز وبالم دات نائب رئيس الحزب الشيوعى يقفون دائما الى جانب مصر ويدافعون عن حقها فى الحرية على صفحات الجرائد واثناء الاجتماعات .

وقد فضح هارى بوليت سياسة حكومة حزب العمال فى مصر وذلك

فى اليوم التالى لبدء الاعمال العدوانية التى ارتكبتها القوات النجليزية فى منطقة قناة السويس . وكان يحذر الرأى العام البريطانـــى من ان الاحداث التى تشهدها قناة السويس يمكن ان تكون بمثابة الشرارة القادرة علـــى اشــــعال فتيل الحرب فى الشرق الاوسط كله . واعلن بوليت :

« لاداعى لكوريا اخرى فى الشرق الاوســـط . يجب استدعاء القوات البريطانيـــة فورا من مصر » (١٠٣ ، ١٩٥١/١٠/١٧) ×× .

واعلن هارى بوليت فى كلمة اخرى له طالب فيها باجلاء القـــوات الانجليزية عن مصر ان الشعب المصرى لا يثق فى وعود الحكومة البريطانية « طالما هناك جندى واحد انجليزى فى ارض مصر » لانه ما من شـــعب آخر ســـوى الشعب المصرى خدع دائما وباستمرار من قبل رجال الدولة البريطانيين . (١٠٣ ، ١٩٥٢/١٠/٢٣) .

وكتبت صحيفة « الديلى ووركر » فى احدى مقالاتها الافتتاحية تخاطب الشعب البريطانى قائلة :

« ان وجود القوات البريطانيـــة فى مصر أو فى اى بلد آخر مستعمر على غير ارادة من شعبها لا يعد فقط عملا من اعمال التســـلط والطغيان يستوجب السخط والتقزز بل ويعد ذلك خيانة عظمى لمصالح الشـــعب الانجليزى نفســـه » . وبعد ان استشهدت الصحيفـــة بمقولة ماركس انه لا حرية لشعب يستبعد غيره من البلدان الاخـــرى استطردت تقول فى مقالها الافتتاحى :

« من الضرورى على الشعب البريطانى ان يلقن ساستة وجنرالاته البرابرة درسا لاينسوه وذلك دفاعا عن مصـــالحة الذاتية الحقيقة ، لان

×× وبعد عدة ايام قال هارى بوليت ناقدا احد تصريحات موريسون عن مصر قائلا : « انه يقول بوقاحة وبلا خجل واضحين ان الدفاع عن كل الشرق الاوســـط موضوع على الخريطة » وقال هارى بوليت :
« انه يقصد بذلك ارباح المشروعات البريطانية التى استغلت الشـــعب المصرى ، والمصـــالح النفطيـــة لبريطانيا العظمى والولايات المتحـــدة الامريكية فى الشرق الاوسط . يجـــب ســـحب القوات البريطانية فورا من مصر » (١٠٣ ، ١٠/١٧. ١٩٥١)

هؤلاء الناس اعداء لكل من الشعب البريطاني والشعب المصري سواء بسواء » (١٠٣ ، ١٩٥١/١٢/١٠) .

وكان الحزب الشيوعي وهو يعارض السياسة الامبريالية الرجعية السافرة التي ينتهجها حزب العمال يعمل بنشاط كي تتزعم الحركة العمالية في انجلترا نضال الشعب الانجليزي ضد اضطهاد مصر وتطالب بجلاء القوات الانجليزية عن مصر . وبمبادرة من الشيوعيين اتخذ العديد من التنظيمات العمالية في انجلترا اثناء اجتماعاتها عدة قرارات تطالب بسحب القوات الانجليزية من مصر . فمثلا ، اصدر اتحاد عمال صناعة الاخشاب في شيفرد قرار مماثلا في احد اجتماعاته (١٠٣ ، ١٩٥١/١٢/٢٨) .

وقد لخص بالم دات في احدى مقالاته المبادىء الرئيسية التي يجب ان يتمسك بها الحزب تجاه شعوب بلدن الشرق الاوسط على النحو التالي :

١ — توضيح ان مصالح الشعب البريطاني جزء لا يتجزأ عن مصالح شعوب الشرق الاوسط .

٢ — توضيح ان نضال شعوب الشرق الاوسط من اجل الاستقلال الوطني جزء من النضال العام ضد مخططات الامبريالية الانجلو امريكية الحربية ، ومن اجل الاستقلال الوطني .

٣ — شن حملة تطالب بسحب القوات الانجليزية وجلاءها عن هذه المنطقة .

٤ — دعوة الحركة العمالية لتأييد هذه المطالب ودعمها (١١٢ ، ١٩٥ ، رقم ٣ ، ص ٣١) .

وهكذا فان الحزب الشيوعي طليعة الطبقة العاملة البريطانية ، كان المدافع الوحيد الاصيل عن مصالح الكادحين الانجليز ، وكان الحزب السياسي الوحيد في بريطانيا ، الذي دافع دفاعا مبدئيا ثابتا عن مصالح الشعب المصري وقام بفضح السياسة الاستعمارية للدوائر الحاكمة الانجليزية ومن ثم انتشل سمعة الديمقراطية البريطانية من الاوحال .

تأييد نضـــال الشـــعب المصرى
من جانب الراى العـــام العالمى الديمقراطى

قوبل النضـال البطولى للشعب المصرى خلال عامى ١٩٥١ و ١٩٥٢ بالتأييد الحار من قبل كافة الشعوب المحبة للسلام .

فقد شهدت جميع الدول العربيـــة تقريبا خلال الايام الاولى بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية ورفض الحكومة المصرية الاشتراك فى «قيادة الشرق الاوســط » مظاهرات صاخبة ضد مخططات الدول الامبرياليـــة العدوانية . وقد جرت أكبر المظاهرات هذه فى بغداد والبصرة (بالعراق) ودمشـــق وحمص وحماة وحلب ودير الزور (بسورية) وبيروت وطرابلس وصيدا (بلبنان) . وقد وقف الشباب فى كل مكان الى جانب مصر يؤيدها ويطالب حكوماته برفض الاشتراك فى الاحلاف العدوانيـــة والتضامن مع مصر .

وفى منتصف شهر نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥١ اتخذت الاضرابات والمظاهرات المؤيدة لنضال الشـــعب المصرى ضد الامبريالية طابعـــا جماهيريا شعبيا فى البلدان العربيـــة .

ففى ١٤ نوفمبر (تشرين الثانى) اندلعت المظاهرات والاضرابات لتعم معظم مدن العرق وسورية ولبنان وكذلك بعض مدن الاردن والسعودية العربيـــة .

وكانت الصـــحف على اختلاف اتجاهاتها تنشر مقالات التضـــامن مع الشـــعب المصرى واقيمت مظاهرات لتأييد نضال الشعب المصرى فى كراتشى (عاصمة باكستان) وطهران (عاصمة ايران) وفى جزيرة قبرص. واعلن جميع الطلاب فى كراتشى الاضراب تضامنا مع الشعبالمصرى(١٣٦، ١٩٥١/١١/١٥ ، ١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم .) .

وكانت شـــعوب الاتحاد الســـوفيتى تتطلع بعين العطف والاهتمام الشديد وتتابع ابناء النضال البطولى للشـــعب المصرى فى منطقة قنـــاة السويس . وقامت الحكومة السوفيتية فى مذكرتها لحكومات الدول العربية واسرائيل (بتاريخ ١٩٥١/١١/٢١) ولحكومات الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا وتركيا (بتاريخ ١٩٥١/١١/٢٤) بفضح الطابع العدوانى لسياسة انجلترا ودول الغرب الاخرى ازاء مصر والبلدان العربية الاخرى واوضحت ان « كل الادعاءات بحماية المصالح الدفاعية عن بلدان الشرقين الاوسط

والادنى ما هى فى حقيقة الامر سوى تمويه لشـد مصر وغيرها من بلدان الشرق الاوسط والادنى للاجراءات والتدابير العسكرية التى يتخذها حلف شـمال الاطلنطى ضد الاتحاد السوفيتى وبلدان الديمقراطية الشعبية » (٧ ، ص ١٠٥) .

وكان الشعب المصرى يرى ويدرك ان الاتحاد السوفيتى هو الصديق المخلص والامير . ولهذا السبب فانه سعى بالاضـافة الى المطالبة بقطع العلاقات الدبلوماسـية والاقتصادية مع انجلترا الى ابرام معاهـدة صـداقة مع الاتحاد السـوفيتى (١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم١٠ ، ١٢٦ ، ص ٣٧٨) .

وكانت المنظمات الديمقراطية العالمية تعمل على تأييد الشعب المصرى المناضـل .

وقد ورد فى رسالة اتحاد الشبيبة الديمقراطية العالمى الموجة الى الشباب المصرى ان :

ان « السـكرتارية الاساسـية لاتحـاد الشـبيبة الديمقراطى العلمى باسم ما يزيد على ٧٢ مليون شـاب وفتاة يمثلون ٨٤ دولة تعرب عن تضامنها التام مع الشعب المصرى » (١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم ١٠) .

وتابع اتحاد النقابات العالمى باهتمام بالغ سير الاحداث فى مصر . واصدر الاتحاد بيانا ذكر فيه ان الغاء معاهدة ١٩٣٦ من قبل الحكومـة المصريـة يعد مرحلة هامة فى نضـال الشـعب المصرى ضد سـيطرة الامبرياليين الاجانب . وقوبل موقف مصر برفض الاشـتراك فى الاحـلاف العسـكرية الامبرياليـة بالتقدير الرفيع (١٤١ ، ١٩٥١ ، رقم ١١ ، ١٢) . واعلن اتحاد النقابات العالمى باسم ٨٠ مليون عامل وموظف ان الكادحين يتابعون باليقظة والحماس نضال الشـعب المصرى الباسـل (٥٥ ، ١٩٥٢ ، رقم ٧ ، ص ٣١) .

ولقد لعبت الحرب الفدائية فى منطقة قناة السـويس خلال الفترة الممتدة من اكتوبر ١٩٥١ وحتى ١٩٥٢ دورا كبيرا فى تاريخ الشعب المصرى ومصير نضاله .

وقد اظهرت بوضوح تام ان النضال سيستمر ويزداد ويتسع نطاقه حتى يتم اجلاء القوات الانجليزية تماما عن مصر .

وكان كل يوم جديد من ايام النضال العصيب فى منطقة القناة يدعم نفوذ التنظيمات الديمقراطية الوطنية ويساعد على وحدة وتضافر صفوف الشعب ، وزيادة درجة نظامية وتلاحم صفوف الطبقة العاملة فى مصر . كتب شهدى عطية الشافعى يقول :

« لو ان هذا النضال استمر لبضعة اشهر اخرى ، لكان له اكبر الاثر فى تنامى السلطة الشعبية فى مصر !» (٥٠ ، ص١٤٩) .

ولقد وصل الوضع فى البلاد درجة كان يصعب معها ان تجد فردا من بين ممثلى الطبقات الحاكمة يتجرأ ويعلن معارضته لجلاء القوات الانجليزية جهرا . كتبت مجلة « ايكونوميست » تقول « لقد اصبح الوضع السائد فى البلاد على درجة يصعب معها ان تجد شخصا واحدا يقف الى جانب الغرب ، طالما كانت القوات البريطانية على ارض مصرية » (١٠٤ ، ٢/ ١٩٥٢/٢ ، ص ٢٥٨)

واسفرت السياسة الانجليزية فى مصر ونضال الشعب المصرى البطل ضد الامبريالية عن مواجهة بريطانيا العظمى لحقائق ثلاث مرة لا مفر منها على حد تعبير مجلة « ايكونوميست » الصادق . اولا : استحالة ارهاب الوطنيين المصريين باستعراض القوة العسكرية واستشهاد بوليس الاسماعيلية البطل خيرشاهد لجميع المصريين . واذا مالزم الامر فهناك الآلاف من المواطنين على أهبة الاستعداد لضروب التضحية والفداء وتكرار المأثرة . ثانيا : اصبحت معارضة معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية فى الوقت الراهن اشد ضراوة عن ذى قبل . وسوف يكون لها اثرها الفعال على جميع الحكومات المصرية بصرف النظر عن اتجاهاتها . وثالثا : ان حقيقة تواجد القوات البريطانية سيؤثر حتما على الشئون الداخلية لمصر « ان الجميع حانقون عليها اشد الحنق ، لدرجة ان جميع المشاكل الداخلية تأتى فى المؤخرة طالما ظلت المشكلة مع بريطانيا العظمى معلقة » .

وتنوه مجلة « ايكونوميست » فيما بعد قائلة :

« ان الميول والمشاعر الوطنية فى مصر التى اسفر عنها نضال الشعب المصرى فى اواخر ١٩٥١ واوائل ١٩٥٢ بلغ حدا لم يتمكن معه الملك وعلى ماهر من كبح جماحها بأعمال التنكيل وحدها . وسيتطلب الامر منهما فى الوقت اللازم تحركات اخرى ، ربما فى المجال الاجتماعى » (١٠٤، ١٩٥٢/٢/٢ ، ص ٢٥٩) .

وهكذا فان مجلة « ايكونوميست » نفسها تعترف بضرورة الاصلاحات الاقتصادية الاجتماعية الجذرية لحل المشاكل الاساسية فى مصر . وكما كتب شهدى عطيه الشافعى بحق يقول « بالرغم من تصفية النضال بل فى قناة السويس الا انه لم يحدد فقط مصير الاستعمار فى مصر وحدد كذلك مصير النظام الملكى نفسه » (٥٠ ، ص ١٥٥) .

افلاس الاحزاب السياسية
للبرجوازية المصرية

كما نوهنا انفا يمكن تقسيم فترة النضال المسلح الذى خاضه الشعب المصرى ضد الغزاة الانجليز والممتد من منتصف شهر اكتوبر ١٩٥١ وحتى نهاية يناير ١٩٥٢ الى ثلاث مراحل هامة .

المرحلة الاولى (من منتصف اكتوبر حتى منتصف نوفمبر ١٩٥١) وتميزت بالهجمات الفجائية لمجاميع صغيرة من المقاتلين المصريين على بعض الجنود البريطانيين او جماعات صغيرة من العسكريين .

المرحلة الثانية (من منتصف نوفمبر وحتى نهاية ديسمبر ١٩٥١) شهدت طلعات الفدائيين ولا سيما فى جنح الظلام على طوابير السيارات والمعسكرات الانجليزية . وكانت الاصطدامات تتسم اكثر فاكثر بطابع القتال الضارى الذى استمر احيانا لبضع ساعات . ووقفت فرق « بلوك النظام » الى جانب الشعب .

والمرحلة الثالثة (يناير ١٩٥٢) تميزت بالمشاركة الانشط للفلاحين فى الحرب الفدائية .

وكانت المعارك مع القوات الانجليزية تتسم بالصلابة والعناد والضراوة والاستبسال مما كان يضطر الانجليز فى بعض الحالات الى التقهقر

والانسحاب . وتنامى النضال الفدائى ليصبح ثورة شعبية عارمة ضد الامبريالية .

ان لفترات ازدهار حركة التحرر الوطنى مغزى كبيرا لنفهم موقع ودور بعض الطبقات والاحزاب السياسية فى حياة البلاد . وخلال هذه الفترات يتجلى بكل وضوح معدنها الحقيقى ويتكشف جوهرها الاصيل .

كيف كان وضع القوى الطبقية والاحزاب السياسية فى مصر اثناء فترة اتساع نطاق النضال المسلح فى منطقة قناة السويس ؟

كان السواد الاعظم للفدائيين من بين أوساط العمال والفلاحين وكذلك ممثلى الطبقات الوسطى والبرجوازية الصغيرة . وتبعا للاحصاءات التى ذكرها ياكوفيللو ، كان العمال والفلاحون يشكلون نسبة ٨٥٪ من المقاتلين البواسل ضد الانجليز (٥١ ، ص ٦١) .

وكانت الطبقة العاملة اول من هب للذود عن حمى الوطن المفدى بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ مباشرة ورفض العمال خدمة الجيش الانجليزى . ومن الصعب ان نصف مدى الحماس الغامر الذى قابل به شعب مصر والرأى العام العالمى الانسحاب المنظم لما يقرب من ٦٠ الف عامل مصرى من الخدمة فى المعسكرات الانجليزية فى منطقة قناة السويس وكان عمال منطقة القناة اول من نظموا فرقا فدائية . وكانت هذه الفرق اقدر فرق التحرير على القتال والصمود .

وتحولت الطبقة العاملة الى واحدة من القوى الاساسية لحركة التحرر الوطنى . الا انها كانت موزعة بين صفوف الاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة المختلفة مثل الوفد وجمعية الاخوان المسلمين والحزب الوطنى وغيرها . وقد عملت فصائل البروليتاريا الاكثر وعيا وتقدمية على تأييد حديتو والجماعات الماركسية الاخرى وكذلك اللجنة التحضيرية لتشكيل الاتحاد العام لنقابات عمال مصر . واستطاعت الطبقة العاملة ان تحصل على موافقة الحكومة بتشكيل اتحاد نقابات على نطاق وطنى .

ولقد كانت نقطة الضعف الرئيسية للحركة العمالية فى مصر تكمن فى عدم وجود حزب شيوعى . ولم تتوحد الجماعات الماركسية فى حزب بسبب الصراع الايديولوجى الحاد بينها ومطاردات البوليس الصارمة وتعقبه لها .

مع كل فقد تركت الجماعات الشيوعية اثرا كبيرا فى سير حركة التحرر الوطنى فى مصر . وقد ظهر اثرها بوضوح فى نشاط اللجنة التحضيرية وفى تشكيل القيادة السرية للنضال الشعبى وفى حركة انصار السلام والتنظيمات الديمقراطية الاخرى .وكانت شعبية الشيوعيين عظيمة بين اوساط الطلاب. وبالرغم من ان الطبقة العاملة المصرية بالاضافة الى الطبقات المتوسطة والبرجوازية الصغيرة اصبحت القوة الرئيسية لحركة التحرر الوطنى فلم تستطع ان تقوم بالدور القيادى لانها لم تتحول الى « طبقة من اجل نفسها » ولم تكن تعى مهامها الطبقة وكانت اغلبها ما زالت اسيرة الاراء البرجوازية والبرجوازية الصغيرة .

وكان الفلاحون المصريون ينخرطون فى النضال المسلح على نحو اكثر فعاليه ونشاطا كلما اتسع نطاقة ويشكلون فى الريف لجان الدفاع وفرق الفدائيين . ولعب مقاتلو البوليس الاحتياطى « بلوك النظام » اولاد الفلاحين دورا كبيرا وهاما فى النضال المسلح . وقامت فرق « البلوكيين » التى تتميز بالجسارة والاقدام والتضحية والفداء النادر ، الانجليز مقاومة باسلة فى كثير من المعارك . ان اشتراك الفلاحين فى حركة التحرر الوطنى شد كثيرا من ازر نضال الشعب ضد القوات الانجليزية .

وكان الوفد وجمعية الاخوان المسلمين من اكثر التنظيمات السياسية انتشارا بين اوساط الفلاحين . الا انه يجب التنوية بأن سمعة « الاخوان المسلمين » قد تزعزت لحدما بعد تحريم نشاطها (فى ١٩٤٨) ونتيجة الصراع الحاد داخل قيادتها .

كما لعب كذلك ممثلو الطبقات الوسطى والبرجوازية الصغيرة ولاسيما طلاب المدارس الثانوية وطلاب الجامعات والمعاهد العليا ابناء الحرفيين والتجار الصغار والمتوسطين والموظفين الصغار والمتوسطين والفلاحين الاثرياء والمتوسطين دورا نشيطا فى النضال المسلح فى منطقة قناة السويس وكانت قوى الطبقات المتوسطة والبرجوازية الصغيرة مثلها مثل الطبقة العاملة موزعة بين الاحزاب السياسية المختلفة مثل الوفد والاخوان المسلمين وحديتو والكتلة الوفدية والحزب الاشتراكى والحزب الوطنى وغيرهم من الاحزاب والتنظيمات السياسية الاخرى .

وكانت جمعية الاخوان المسلمين والحزب الاشتراكى والتنظيمات والجماعات الاسلامية الاخرى تعبر عن امزجة وميول اكثر الطبقات رجعية وتخلفا من البرجوازية الصغيرة .

وبعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ اسرع « الاخوان المسلمون » والحزب الاشتراكى على الفور فى تنظيم مراكز للتدريب العسكرى ولكن فصائلها المسلحة لم تكن ضرورية للنضال فى منطقة القناة بقدر ما كانت ضرورية لها فى القيام بانقلاب والاستيلاء على السلطة . وعلاوة على ذلك يجب ان ننوه بكبر شأن دور فصائل الاخوان المسلمين خلال فترة النضال المسلح فى منطقة القناة عن دور الحزب الاشتراكى . وانتهز الحزبان فرصة تردد الحكومة الوفدية وذبذبتها وعدم رغبتها فى توسيع نطاق الحرب الفدائية وتصارعا على زعامة حركة التحرر وعلى التأثير على الجماهير الشعبية . الا انه لم ينجح احداهما فى تزعم النضال المسلح فى منطقة القناة .

ولقد كان موقف الوفد متناقضا ومعقدا للغاية ، مع انه كان يعتبر حزبا تقليديا للاستقلال الوطنى .

ويدعو تاريخ الوفد خلال ثلاثة شهور ونصف الشهر (منتصف اكتوبر ١٩٥١ — وأواخر يناير ١٩٥٢) من النضال المسلح فى منطقة القناة الى الى التأمل .

فعندما بدأت الحرب الفدائية ، كان الوفد فى ذروة المجد والجبروت، ولكن بقدر اقتناع الجماهير الشعبية اكثر فأكثر بضعفه وتذبذبه وعجزه عن قيادة النضال المعادى للامبريالية . كانت سمعته تسقط وتتهاوى الى الحضيض . واخيرا ، فقد الحزب عند تقديم استقالة حكومة الوفد فى أواخر يناير ١٩٥٢ تأييد الشعب واصيب بأزمة مستحكمة اجهزت عليه ولم يخرج منها .

ولم يعمل الوفد بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ على وضع اى برنامج للنضال من اجل الاستقلال الوطنى . ولم يساعد على اتساع رقعة حركة التحرر الوطنى ولا على صبغها بالصبغة الديمقراطية . ومما يدل على ذلك ان الوفديين اخذوا فى الايام الاولى بعد الغاء المعاهدة يقمعون بالقوة والعنف المظاهرات الشعبية التى كانت تردد هتافات التأييد للحكومة وما تتخذه من اجراءات .

وعندما اخذ الشباب فى الانضمام الى فرق التحرير لم تعر حكومة الوفد الاهتمام الكافى بالنهضة الوطنية للشعب ولم تتزعم حركتها . ولم تضع اية اسس ومبادىء لقيادة هذه الفرق وسمحت للاحزاب السياسية ان تشكل فرقها . وكانت نظرة الحكومة سلبية تجاه تشكيل فرق الفدائيين

فى الجامعات واعربت عن عدم رضاها على مسلك الفريق عزيز المصرى الوطنى ، والذى اخذ على عاتقه مسئولية قيادة تدريب فرق المتطوعين فى القاهرة . واتخذت فى نهاية نوفمبر فقط قرارا بوضع فرق التحرير تحت اشرافها ، ولكنها اكتفت اساسا بتشكيل لجنة خاصة للتدريب العسكرى. وهكذا ، فانه بالرغم من ان كثيرا من الوفديين العاديين شاركوا فى الحرب الفدائية بنشاط ، بل وكانت هناك فرق وفدية تشارك فى حرب الفدائيين فى منطقة القناة الا انها منذ البداية وهى خارج نطاق اشراف الحكومة .

وتتحمل الحكومة الوفدية كذلك مسئولية عدم وجود قيادة موحدة وخطة موحدة لعمليات الفدائيين . وقد بذلت جهدا يسيرا للغاية لتزويد الفدائيين بالسلاح الضرورى .

ولم تكن الحكومة جادة فى تطوير معدلات حركة التحرر الوطنى واتساع نطاقها . كما وانها لم تقو على مجابهتها بحسم . من هنا كانت سياسة التأرجح العفوية .

وبدلا من توحيد كافة القوى الوطنية للشعب انتهجت القيادة الوفدية سياسة حزبية انانية ضيقة الافق . وكانت شئون السياسة الداخلية والخارجية تهمها بالقدر الذى يمكنها من البقاء فى السلطة اطول مدة ممكنة . وفى الوقت الذى كانت تدور فيه رحى حرب الفدائيين المسلحة فى منطقة قناة السويس كانت الحكومة الوفدية منهمكة فى فصل العمد والمشايخ فى القرى ممن ليسوا على هواها .

وكان الجو السائد فى الدوائر الحزبية والحكومية العليا يتميز تماما عن ذلك الجو الذى كان يخيم على منطقة قناة السويس ، حيث كانت تدور المعارك الضارية ضد المغتصبين الانجليز . وكتب ياكوفيللو عن هذا بشكل جيد يقول :

« لقد كنا نشعر باننا فى مدينة ناهضة ترفع رايات النضال . وتميز جوها بشدة عن ذلك الذى كنا نتنفسه فى مكاتب الوزراء بالقاهرة . وكان الشعب هو القائد هنا وكانت الوطنية هى قانونه الراسخ » (٥١ ، ص ٥٥) .

وكانت سياسة الحكومة مذبذبة تجاه الانجليز . فلم يقدم الوفد على قطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا واكتفى باستدعاء السفير

المصرى من هنـــاك . وتأخرت كثيرا عملية طرد الموظفـــين الانجليز من مصـــالح الدولـــة .

ولم يبد الحزب اية مقاومة تذكر لمؤامراة الرجعيـــة الداخليـــة اثناء حريق القاهرة .

فما هى الاسباب فى هذا كلة ؟

كما يتراءى لنا ، فان السبب الحاسم كان يكمن فى ان الحزب كانت تمزقة التناقضات الداخليـــة العميقة الجذور النابعة اساســـا مـــن التركيبة الاجتماعية له غير المتجانسة . ففى الفترة التى نتناولها بالدراسة والتحليل كان الحزب يتكون من ثلاثة تيارات هامة هى على النحو التالى :

١ ــ **الوسط** : كان هذا التيار (الذى كان يترأســـه النحاس زعيم الحزب وصـــلاح الدين) يعبر عن مصـــالح البرجوازية الوطنيـــة القومية ولا سيما المتوسطة . وكان يمقت هيمنة الاحتكارات الانجليزية ، ولكنه مع ذلك لم يكن يريد التوصل لاخراج الانجليز بواسطة النضال المسلح ، وانما عن طـــريق المفاوضات السلمية . ولم تحاول جماعة الوســـط ان تعمل على توســـيع نطاق حركـــة التحرر الوطنى وتعميق جذورها . وكانت تعمل بوجهين فى آن واحد اولا كجزء من امة مقهورة مغلوبة على امرهـــا بالنسبة للامبرياليين وثانيا كطبقة استغلالية تعمل على مص دماء الشعب المصرى . وخلال فترة مابين الحربين العالميتين والســـنوات الاولى لما بعـــد الحرب العالمية الثانية لعبت هذه الجماعة الدور القيادى فى الحزب . وقد ضعف نفوذها كثيرا بعد فشـــل المفاوضـــات الانجلو مصرية ١٩٥٠ـــ ١٩٥١ .

٢ ــ **الجناح اليسارى** كان بين اعضاء الوفد كثير من ابناء الطبقات المطحونة المســـتغلة وهى البرجوازية الصـــغيرة والفئات الوســـــطى والبروليتاريا والفلاحين . وكان هذا التيار يشـــكل الغالبية الساحقـــــة لاعضاء الحـــزب ، وكان من اكثر القوى قتالية وذات ميول ثوريـــة فى مصر . وشـــاركت بنشاط فى النضال المســـلح وارغمت مرارا وتكرارا قيادة الحزب على اتخاذ الاجراءات التقدميـــة لصالح الجماهير الشعبية . وكان زعماء هذا التيار وقتئذ عزيز فهمى واحمد ابو الفتح ومحمـــد مندور . وكانت ثورية الجناح اليسارى برجوازية صـــغيرة ، ولكنه كان يضـــم جماعات تقدمية من ابناء الطبقات المتوسطة ، ولذا فان الوفديين اليساريين مثلا كانوا يعتبرون ، « الاخوان المسلمين » تنظيما رجعيا .

وكانت هذه الجماعات فى بعض مراحل حركة التحرير الوطنى تتحالف مع القوى الاكثر يسارية وتقدمية (١٩٤٦ اللجنة الوطنية للعمال والطلبة) ووقفوا ضد قيادة الوفد الرجعية (فمثلا ، عارضوا فى ١٩٥١ مشروعات القوانين الرجعية الخاصة بالصحافة والشخصيات المشبوهة سياسيا). وكان موقف الوفديين اليساريين فى الحزب خلال الاعوام ١٩٤٧ــ١٩٥١ موقفا ضعيفا بشكل ملحوظ على اثر سلسلة كاملة من الاجراءات التى اتخذتها القيادة الحزبية اليمينية ولا سيما تطهير الحزب من العناصر « الموالية للشيوعية » .

ولم يكن هذا الجزء الثورى من الوفد ، الذى يرجع اليه الفضل فى احتفاظ الوفد بسمعته وهيبته كحزب تقليدى للتحرر الوطنى الى ان سقط نهائيا فى نظر الكثير من الوطنبن الشرفاء ، لم يكن ممثلا فى قيادة الحزب.

واثناء فترة الكفاح المسلح فى منطقة القناة ساهم الوفديون اليساريون مساهمة فعالة فى هذا النضال ضد المحتلين الانجليز .

٣ ــ **الجناح اليمينى** : كما نوهنا آنفا تكونت داخل الحزب اثناء الحرب العالمية الثانية فئة قليلة العدد واسعة النفوذ من أولاد الاقطاعيين والبرجوازية المالية الضخمة برئاسة فؤاد سراج الدين . فى البداية كان نفوذها محدودا ولكن بعد ان اصبح فؤاد سراج الدين سكرتيرا عاما للحزب اخذت تلعب دورا متزايدا . واشتد نفوذها خاصة بعد ان شكلت الحكومة الوفدية الاخيرة فى يناير ١٩٥٠ . وكان فؤاد سراج الدين خلال الفترة التى نتناولها بالبحث والدراسة هو الحاكم الفعلى وليس النحاس الطاعن فى السن .

وكانت هذه الجماعة من كبار الاقطاعيين والماليينواصحاب الصناعات الكبيرة ترتعد خوفا من اتساع نطاق الحركة الديمقراطية الشعبية. ولهذا السبب فعندما حلت اللحظة الحرجة للاختيار بين الشعب الثورى والسيطرة الانجليزية ، اختار الجناح اليمنى الاخيرة .

وقدمت الحكومة الوفدية استقالتها دون اية مقاومة ترقبا للظروف الاحسن . ولم يستطع الشعب ان يغفر للحزب هذه الخيانة واخذ ينصرف عنه بسرعة وينفض من حوله لان السياسة الانهزامية التى كانت تنتهجها القيادة الوفدية فى اللحظة الحاسمة من النضال الوطنى القت بالحزب فى هاوية الاضمحلال السياسى الكامل .

وكان كبار الاقطاعيين والبرجوازيين الاحتكاريين يضمرون العداوة

والبغضاء لحركة التحرر الوطنى لان وجودهم كان مرتبطا اوثق الارتباط بسيطرة الانجليز على مقدرات البلاد . وكانت ترتعد فرائصهم امام تشامخ الحركة الوطنية وروجوا للاشاعات المغرضة عن افلاس سوق القطن المصرية فى حالة قطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا . (٧٢ ، ص ١٧) ولقد بذل حزب الاحرار الدستوريين والسعديين (احزاب الاقلية) (ممثلى هذه الطبقات) كل ما بوسعهم لتصفية النضال المسلح فى منطقة قناة السويس . ولعله من الاهمية بمكان أن نتأمل التصريح الذى أدلى به رئيس حزب الاحرار الدستوريين فى اواخر شهر ديسمبر ١٩٥١ ، عندما كانت الحرب الفدائية مستعرة الاوار ، والذى كان يلوم فيه « هؤلاء الذين يدفعون الشعب بتهور الى الدمار » (٥٠ ، ص ١٥٧) .

ولقد كان الكفاح الشعبى فى منطقة القناة بالنسبة لاحزاب الاقطاعيين والبرجوازية الكبيرة مجرد « دمار» . ولقد لعبت هذه الاحزاب بكل تأكيد دورا هاما فى اسقاط الحكومة الوفدية .

وكانت الحرب المسلحة فى منطقة القناة خلال الفترة من اكتوبر ١٩٥١ وحتى يناير ١٩٥٢ محك اختبار حقيقى للاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة فى مصر . واوضحت عجز جميع الاحزاب السياسية للبرجوازية المصرية فى تزعم نضال الشعب وقيادته ضد الامبرياليين .

الباب السادس

ثورة ٢٣ يوليـة ١٩٥٢

ديكتاتورية دوائر القصر

وكان وصول على ماهر (١) الى موقع السلطة يعنى انتصار الرجعية المصرية وتوطيد دعائم الدكتاتورية السافرة لرجال القصر والحاشية .

وكانت وزارة على ماهر تضم اصدقاءه الشخصيين ورجال السياسة المفروضين عليه من الملك . ولم يكن احدهم عضـو بأى حـزب سياسى . وكان على ماهر مثل سـلفة النحاس يشـغل كذلك منصـب الحاكم العسـكرى .

وكان على ماهر يحاول قبل توليه مقاليد السـلطة فى البلاد بفترة طويلة توحيد صفوف ما يسمى « بالجبهة الوطنية » . وعندما عرض عليه تشكيل الحكومة دعا زعماء جميع الاحزاب للاشتراك فيها وعرض على كل واحد منهم منصـب وزير الخارجية (١٢٣ ، ص ١٣٢) . علاوة على انه طرح خطة لتشـكيل ما يسمى « بالمجلس الاستشارى » ويتألف من ممثلى الاحزاب المختلفة .

وفى الوقت الذى كان على ماهر يحاول فيه تجسيد تشكيل « الجبهة الوطنية » لم يجرؤ على ماهر على حل البرلمان المؤلف اساسا من الوفديين . وكان قد اعلن بشـكل او بأخر انه سينتهج سياسة « سلفة العظيم » اى النحاس (١٢٣ ، ص١٣٣) وكان على ماهر يزعم بأن تشكيل « الجبهة الوطنية » وكذلك اعادة بناء الجيش الاقليمى (الذى كان موجودا فى سنوات ما قبل الحرب) يجب ان يؤديا الى استقرار الوضع السياسى الداخلى

---

(١) كان على ماهر فى ذلك الوقت يشغل منصب مدير البنك الاهلى . وكان واحدا من اكبر المعبرين عن مصـالح دوائر البرجوازية المصرية الضـخمة ، والتى كانت تعـول على الولايـات المتحـدة الامريكية بعد الحرب العالميـة الثانيـة .

ودعم اركان ديكتاتورية البرجوازية المالية الكبيرة ويؤدى الى ابرام معاهدة انجلو امريكية جديدة .

الا انه اصبح من الواضح تماما فى ٣ فبراير (شباط) ١٩٥٢ ان على ماهر قد منى فى هذه المرة كذلك بخيبة امل فى محاولته تشكيل « الجبهة الوطنية (١٠٣ ، ١٩٥٢/٢/٤) . حتى ان حزب السعديين والاحرار الدستوريين رفضا الاشتراك فيها . وكانت جمعية الاخوان المسلمين هى التنظيم السياسى الوحيد الذى تعاون بشكل سافر مع على ماهر. واتضح ان « المرشد العام » الجديد كان مخلصا ووفيا للسياسة التقليدية التى كان ينتهجها سلفه .

وبدأ على ماهر عقب القاء القبض على ٣٠٠ من العناصر «التخريبية» بشن حملة واسعة النطاق من الاضطهاد والتنكيل بالوطنيين من الاعضاء النشيطين فى حركة التحرر الوطنى والحركة الديمقراطية والنقابية . ومع كل يوم كانت تتزايد اعداد المعتقلين (١٠٣ ، ١٩٥٢/٢/١) . وتبعا لبيانات وزارة الداخلية المصرية فقد تم اعتقال ٨٠٠ فرد فى القاهرة وحدها خلال الفترة من ٢٨ يناير (كانون الثانى) وحتى ٢ فبراير (شباط) . واستنادا الى البيانات نفسها كان من بين المعتقلين احد قادة فرق الفدائيين (١٠٣ ، ١٩٥٢/٢/٤) . وقامت الحكومة بتصفية فرق الفدائيين وتسريحها وحلت اللجان الوطنية والتنظيمات الاخرى للحركة المعادية للامبريالية وشتت قواها .

وفى ٥ فبراير ١٩٥٢ صدرت قوانين الطوارىء ، والتى بمقتضاها يحق لوزير الداخلية فى اى وقت يشاء القيام بتفتيش المنازل وتفتيش من يرغب من المواطنين واعتقال «المشبوهين» اينما يتم كشفهم (٦٠ ، ١٩٥٢/٢/٧) .

ومنذ ٥ فبراير وحتى ٧ فبراير قام البوليس باعتقال ما يزيد على ٥٠٠ فرد فى منطقة قناة السويس وفى منطقة الدلتا (القاهرة والزقازيق وبورسعيد والاسماعيلية) (٦٠ ، ٨ /١٩٥٢/٢) ..

وقد قوبل انتصار الرجعية المصرية عقب الانقلاب الذى دبرته فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ بالرضى والقبول فى الدوائر الحاكمة الانجليزية والامريكية.

واعلن ايدن فى ٢٩ يناير ١٩٥٢ فى مجلس العموم ان انجلترا ستتمسك بمعاهدة ١٩٣٦ الى ان يتم ابدالها بمعاهدة انجلو مصرية . ثم اعرب

عن استعداد الحكومة البريطانية لبدء المفاوضات الجديدة واعادة النظر فى المعاهدة الحالية كما أعرب عن ثقته فى ان هذا القرار سيكون « متوائما مع تطلعات مصر الوطنية » (١١١ ، ١٩٥٢/١/٣٠ ، ١٠٤ ، ١٩٥٢/٢/٢ ، ص ٢٥٩) .

ونوه تشرشل برغبة بريطانيا العظمى فى ان تقاسم الدول الاخرى تحمل اعباء الدفاع عن قناة السويس (١٠٤ ، ١٩٥٢/٢/٢ ، ص ٢٥٩).

كتبت مجلة « الايكونوميست » تقول « ان هدف البريطانيين يكمن اكثر ما يكمن من اى وقت مضى فى التوصل الى الاتفاق مع مصر على تنظيم الدفاع عن الشرق الاوسط باشتراك الدول الغربية الاربع » (١٠٤، ١٩٥٢/٢/٩ ، ص ٣٢٥ » (٢) .

وكانت هذه هى الزيارة الاولى التى يقوم بها ستيفنسون لقصر عابدين منذ ٩ أكتوبر ١٩٥١ . وفى اليوم نفسه اعلن آتشسون وزير الخارجية الامريكى عن ارتياحه لان « الملك فاروق والحكومة الجديدة اتخذت مثل هذه الخطوات الحاسمة على طريق استعادة النظام واستتبابه فى مصر » (١١١ ، ١٩٥٢/١/٣١) .

وكان نشاط حكومة على ماهر على صعيد السياسة الداخلية يهدف لقمع الحركة المعادية للامبريالية ووأدها وتشكيل « الجبهة الوطنية » تحت اشراف البرجوازية الكبيرة ، وعلى صعيد السياسة الخارجية يهدف لتهيئة التربة لاستئناف المحادثات مع انجلترا . وليس من قبيل العبث ان على ماهر اعرب فى ٣٠ يناير ١٩٥٢ عن استعداده « لدراسة ايه مقترحات ملائمة يطرحها مستر ايدن » (١٠٤ ، ١٩٥٢/٢/٢ ، ص ٢٥٩) لهذا كانت مجلة « ايكونوميست » تتعجب من «شجاعة» على ماهر والتى « حدت بالجنرال ارسكين ان يعلق الامل فى امكانية استئناف الحد الادنى من الاتصال بين القوات البريطانية والشعب المصرى » (١٠٤، ١٩٥٢/٢/٢ ، ص ٢٥٩) .

وبالرغم من تولى على ماهر مقاليد السلطة فى البلاد لفترة قصيرة (بلغت ٣٤ يوما) فقد أعد مشروع معاهدة انجلو مصرية جديد (٣).

---

(٢) اى انجلترا وامريكا وفرنسا وتركيا .

(٣) تبعا لهذا المشروع كان يجب على انجلترا ان تجلى قواتها من

وتوصــل الى اتفاق مع الســفير البريطانى حول اجراء المرحلة الاولى من المحادثات فى القاهرة بينهما . وطلب ستيفنسون ســحب فرق الفدائيين من منطقة القناة والغاء قانون تحريم التعاون مع الاجانب كشرط لاستئناف المفاوضـــات (١٢٦ ، ص ٣٨٨) .

وبدا وكأن ســياسة على ماهر بدأت تؤتى ثمارها . الا ان دوائر القصر المستاءة من عدم رغبتــه فى حل مجلس النــواب الوفدى اثارت بشــكل مصطنع ومفتعل بواســطة اعوانها فى الحكومة (احمد مرتضى المراغى وزير الداخليــة ومحمد زكى عبد المتعال وزير المالية) ازمــة حكومية واجبرت على ماهر على الاستقالة فى ١ مارس (آزار) ١٩٥٢ (٩٥، ص ١٠٣ ، ١٣٥ ب ،٢٤٧) .

وفى ٢ مارس (آزار) شــكل احمد نجيب الهلالى حكومة جــديدة . ولم يكن من قبيل الصــدفة تعيين الهلالى فى منصــب رئيس الوزراء . فقد كان وزير المعارف فى حكومة الوفد ، وفصل من الحزب عام ١٩٥١ بسبب عدم رغبته فى التعاون مع قادة الوفد المأجورين . وهو واحد من اشــهر المحامين اكتســب شهرة الرجل المستقيم الشريف للغايــة (٩٥ ، ص ١٠٣ ، ب ، ص ٢٤٨) .

وقد وصفه انور الســادات على النحو التالى :

« شخصــية شريفة لكن ضعيفة وكانت تنقصــه حنكة على ماهر الســياسية وكان واقعا تحت تأثير الملك على نحو اكثر بكثير » (٩٧ ، ص ١٠٦) . وادرك الملك الذى كان يســعى الى الاجهاز على زعماء الوفد وتلطيخ ســمعتهم نهائيا ، ان الهلالى ســينفذ هذه المهمة عــلى وجه افضــل من اى انســان آخر .

ولم تكن حكومة الهلالى تختلف من حيث المبدأ عن حكومة عــلى

مصر بعد علم من التصديق عليه . الا ان هذا الجلاء كان يتسم بطابع مزيف وهمى لسببين ، هما :
اولا ـــ بقاء الخبراء الانجليز فى مصر .
ثانيا ـــ وهذا هو المهم ، يجب على مصر ابرام اتفاق مع انجلترا بشأن الدفاع عن الشرق الاوسط ، يظل ، بمقتضــــاه الاشراف العسكرى السياسى الانجليزى قائما على مصر (١٢٦ ، ص ٣٩٢) .

ماهر من حيث تشكيلة الوزراء ولهذا السبب لم تستطع التغلب على الازمة السياسية المستفحلة .

وكالسابق شغل اثنان من رجال القصر هما محمد زكى عبدالمتعال واحمد مرتضى المراغى المنصبين الحساسين الرئيسيين وهما وزير المالية ووزير الداخلية . وكانت حاشية القصر تعلق آمالا خاصة على المراغى الذى تولى وزارة الدفاع كذلك . وكان على هذا « الانسان القوى الشكيمة » ان يتزعم عملية الصراع ضد المعارضة .

وكان اول عمل اقدمت عليه الحكومة الجديدة هو تعطيل الدراسة بجامعة فؤاد الاول واغلاقها « لحين امر خاص » وتسريح اعضاء البرلمان فى عطلة لمدة شهر . وقام الهلالى بحل مجلس النواب فى ٢٤ مارس وحدد يوم ١٨ مايو (آيار) لاجراء الانتخابات ، غير ان الحكومة سرعان ما أعلنت تأجيل الانتخابات لاجل غير مسمى . وابقى الهلالى حالة الطوارىء والرقابة الصارمة على الصحافة وواصل تعقب ومطاردة « المتطرفين السياسيين من كل لون » .

ومن حسن طالع الملك السعيد ، فقد تم تدبير محاكمات صاخبة ضد بعض قادة الوفد المقوتين والمبغوضين . وبمبادرة من رئيس الوزراء فقد تم استئناف التحقيق فى فضيحتى توريد الاسلحة الفاسدة اثناء حرب فلسطين والمضاربة فى اسعار القطن ببورصة الاسكندرية . وقد نفى فؤاد سراج الدين السكرتير العام للوفد ووزير الداخلية سابقا وعبد الفتاح حسن وزيرا لاشغال العمومية سابقا من القاهرة الى ضيعتيهما وحددت اقامتهما .

وسددت محاكمة المضاربين فى القطن لطمة كبيرة لسمعة الوفد وهيبة . واتضح تورط زينب الوكيل زوجة النحاس زعيم الوفد فى هذه القضية . الا ان قضية الاسلحة الفاسدة وتوريدها للقوات المسلحة المصرية المشتركة فى حرب فلسطين كان لها اكبر دوى داخل اوساط الشعب المصرى ، لان خيوط الاتهام كلها كانت تنتهى فى القصر الملكى . واتضح تورط كثير من رجال القصر والحاشية المقربين فى هذه الفضيحة . وقد اصطدم الهلالى اثناء عملية التحقيق بأغنى اغنياء البلد من رجال الحاشية او المرتبطين بهم أوثق ارتباط .

وكانت محاكمة اللواء حسين سرى عامر من اكبر الفضائح على وجه الخصوص . فقد اتضح انه يهرب بترول ومعدات واسلحة الجيش

المصرى ويوردها لاسرائيل . وقد حاول الملك الذى كان يتقاسم مع جسين سرى عامر الارباح الطائلة ايقاف المحاكمة . وطلب من رئيس الحكومة عقب هذا تعيين عامر وزيرا للدفاع . الا ان الهلالى لم يدرجه ضمن إعضاء وزارته لعلمه بانعدام شعبية اللواء فى الجيش (٩٥ ، ص ١٠٤ — ١٠٥) .

وقامت حكومة الهلالى بمحاولة للدخول فى المفاوضات الجديدة مع بريطانيا العظمى . الا انها وقعت فى مأزق منذ اللحظات الاولى لان المقترحات الانجليزية لم تتضمن شيئا جديدا بالمقارنة بالفترة السابقة من المفاوضات . فقد اشترطت الحكومة الانجليزية لاجلاء قواتها بموافقة مصر على الاشتراك فيما يسمى بالدفاع المشترك عن الشرق الاوسط اى فى المخططات الاستراتيجية العسكرية لانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية .

واشتد تباعد الموقف بين الجانبين بخصوص مسألة السودان. واعلن الانجليز ، انه يجب على السودانيين تقرير مصيرهم بأنفسهم ، الا انهم وضعوا للسودان دستورا كان على حد تعبير نجيب الهلالى « أقل مراعاه لحقوق مصر مما نص عليه الاتفاق الانجلو مصر لعام ١٨٩٩ » (٩٥ ، ص ١٠٤) . وقد حاول الهلالى اقامة صلات مباشرة مع الاحزاب السودانية على امل ان يجدوا حلا موائما لمصر . الا انه سرعان ما أدرك ان مطالب مصر لن تكون موائمة حتى لهؤلاء السودانيين القوميين الذين يشايعون الاتحاد مع مصر ، طالما كان فاروق متربعا على العرش(١٣٥ب، ص ٢٤٨) .

ولقد أثار تشبث بريطانيا بموقفها وعنادها رد فعل كريه داخل اوساط الرأى العام المصرى مما ارغم الحكومة على سلوك مسلك متحفظ فى المفاوضات . وقد أثار هذا بدوره الضجر فى لندن وواشنطن .

ومن ثم لم تحرز حكومة الهلالى اى نجاح يذكر سواء على صعيد السياسة الداخلية او الخارجية . واشتد تفاقم الازمة التى كانت تمسك بتلابيب مصر .

وفى ٢٨ يونية (حزيران) تقدم الهلالى بطلب الاستقالة بعد ان علم بنية الملك المبيته لابعاده عن السلطة(٤) ويجب التنويه بأن احد الاسباب

---

(٤) أنتشرت وقتئذ اشاعات تزعم بأن الملك تقاضى مبالغ طائلة من الاموال (اودعها فى حسابه الخاص ببنوك سويسرا) ليقيل حكومة الهلالى .

التى ادت الى اقالة حكومة الهلالى نشــوب خلافات بين الملك والمراغــى بشأن مسألة اساليب وطرائق مكافحة حركة المعارضــة داخل الجيش(٥).

واصبح من الواضح بجلاء بعد استقالة الهلالى ان الطبقات الحاكمة تعانى ازمة حادة وان « الاوساط الحاكمة » المصرية عاجزة عن ادارة دفة البلاد كالســابق . وتعمقت جذور الثورة .

وفى ٢ يولية (تموز) شــكل حسين سرى حكومة جديدة تضم الوجهاء من اولاد الذوات المرموقين فقط . وكان من بين الوزراء كريم ثابت اعــز اصدقاء الملك واقربهم الى نفســه ورفيقه فى كل ملذاته ونزواته الخليعة، وقد اســتدعى من اوربا خصيصا لهذا الغرض .

وطلب الملك تعيين حسين سرى عامر وزيرا للدفاع ولكن رئيس الوزراء فضــل الاحتفاظ بهذا المنصب لنفســه . وسرعان مادب الخلاف بين فاروق ورئيس الوزراء بسبب قــرار الملك غلق نادى الضباط وحــل مجلس ادارته . وهكذا استقالت الحكومة فى ٢٠ يولية .

وفى ٢٢ يوليــة شكل احمد نجيب الهلالى وزارته الجديدة الثانية . وبشق الانفس نجح فى اقناع فاروق باسناد منصبى وزير الداخلية والدفاع لاحمد مرتضى المراغى . وعندما تم التوصل الى حل هذه المسألة وتوجه اعضــاء الوزراة الجديدة فى ٢٢ يولية الى القصر الملكى لحلف اليمين اتضح ان العقيد اسماعيل شــيرين (زوج اخت الملك الكبرى) وزير الدفاع فى انتظارهم هناك . وكان من الوضح ان الملك فى حاجه الى وزير دفــاع مطيع كى يستخدم انصاره فى الجيش لتطهيره من الضباط العصاه المتمردين (١٣٥ ب ، ص ٢٥٠) .

فقد ادرك الملك ان الارض تميد به وتزوغ من تحت قدميه وانــه خسر الجيش اهم ركيزة للعرش .

ان ديكتاتورية رجال القصر والحاشــية ، التى تمخض عنها الانقلاب الرجعى فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ اقنعت الشــعب المصرى نهائيا بأن الملكية هى الركيزة الاســاسية للسيطرة الانجليزية فى البلاد التى تحمى طبقة كبار الاقطاعيين المستغلين والرأسماليين المحتكرين .

---

(٥) لمعرفة المزيد من التفاصــيل حول الخلافات بين الملك والمراغى تابع الفصــول التالية من الكتاب .

وضاعفت شخصية الملك نفسه من عيوب نظام الحكم الملكي وسلبياته ندوره القذر اثناء الحرب الفلسطينية وحياته الخاصـــة الماجنة من ولعة بلعب القمار وادمان الخمور والســكر والعربدة والتبذير والدعارة كل هذا جعل فاروق مكروها اشد الكره حتى لدى جزء من الطبقة الحاكمة « لقـد كانت حياة الملك فاروق ذاتها اشارة لاسدال الستار على عهده . لقد جمع كل العيوب التى كانت موزعة على الحكام السابقين من اســلافه » (١٢٣ ، ص ١٥٦)

تنظيم « الضــباط الاحــرار »

لقد تعاقبت على حكم مصر خمس حكومات منذ يناير ١٩٥٢ وحتى انتصــار ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، غير ان الاحزاب السياسية لم تشترك فيها . وكان الضباط فى هذا الوقت هم المعبر الاكثر ثباتا ومبدئية عن ميول وتطلعات الطبقات المتوســطة والفقيرة .

منذ بداية احتلال الانجليز لمصر فى عام ١٨٨٢ وهم يبذلون قصــارى جهدهم لتصــفية الجيش الوطنى والذى كانوا يعتبرونه من الد اعدائهم(٦)

---

(٦) حاول الانجليز فى سبتمبر ١٨٨٢ ان يصدر الخديوى مرســوما بتصفية الجيش بحجة وقوفه الى جانب الثورة العرابية . وفيما بعد ارســل الانجليز بقايا القوات المصرية الى السودان لقمع الثورة المهدية هناك . وقد اباد المهــديون الجزء الاكبر من القوات المصرية تحت قيادة القائد الانجليزى هيكس فى نوفمبر ١٨٨٣ فى معركة بالقرب من شيقان . وبعد هــذا تقلص عدد الجيش المصرى ليصبح ١٠ آلاف . وقد اعادت الســلطات الانجليزيــة تنظيم القوات المســلحة المصريــة بوضعها تحت اشرافها المباشر وكان يترأس الجيش قائد انجليزى « سردار » وشغل الضباط الانجليز كذلك جميع المناصب القيادية الكبرى. وقد بذل الانجليز كل ما بوسعهم لوأد الروح الوطنية واضعاف اخلاقياته واخضاعه بالكامل لسلطانهم . وقد طهروا الجيش من النوابغ والنشطاء واقالوا الوطنيين من الضباط . وبعـد اعلان « اســتقلال» مصر فى ١٩٢٢ لم يضــعف المحتلون من احكام قبضتهم على الجيش وظل السردار الانجليزى فى منصبه برئاســة الجيش . وقد بلغ سخط وضجر الشــعب المصرى

وقد الغى منصب المفتش العام للجيش المصرى بناء على معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية ، ولكن شكلت لجنة عسكرية بريطانية لتدريب الجيش المصرى.وكان تسليح الجيش وتزويده بالذخائر يتم دائما على نمط الانجليزى فقط ، ويتلقى الضباط المصريون تدريبهم فى انجلترا وحدها (١٢٣ ، ص ١٦٥)

وكانت اللجنة العسكرية الانجليزية تضع العراقيل امام بناء مصانع حربية فى مصر . حتى خلال فترة الحرب العالمية الثانية لم يسمح الانجليز بالعمل على التوسع فى حجم القوات المصرية ورفع كفاءتها القتالية .

وفى الثلاثينيات ، وبعد ابرام معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية ، حقق الوطنيون المصريون نتيجة نضال التحرر الوطنى المرير الطويل بعض الاستقلال فى حل المسائل المتعلقة بالجيش .

وكان الجيش المصرى يتكون من ابناء شتى الطبقات . وكانت رتبة الجنرال وما تحتها من رتب كبيرة (ابتداء من رتبة رائد) مقصورة على ابناء الطبقة الاقطاعية .

وقبل عام ١٩٣٦ كان سلم الترقى فى الجيش مقصورا على ابناء الطبقة الحاكمة وحدها ولاسيما أبناء الترك والشركس والالبان . وفى ١٩٣٦ وفى عهد الحكومة الوفدية سمح لاول مرة لابناء المصريين الخالصين بالالتحاق بالمدرسة الحربية . وكان يسعى للالتحاق بهذه المدرسة أساسا ابناء صغار الموظفين فى المدن وابناء التجار وصغار ملاك الاراضى . ولهذا السبب كان ضباط الجيش المصرى الصغار والمتوسطين فى سنوات مابعد الحرب (وحتى رتبة رائد) من ابناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة اساسا (٧٢ ، ص ٧٦) . ولم تكن امامهم فرص حقيقية للترقى فى المناصب الرفيعة . وقد ظل اكثرهم دون الترقى للرتب الاعلى مددا تتراوح ما بين ١٠ ــ ١٥ عاما .

كتب البراوى يقول :

مداه حتى انه دبر مقتل لي تاك آخر سردار انجليزى (فى عام ١٩٢٤) . وظل منصب السردار شاغرا بعد موته ، ولكن قام باعباء هذا المنصب المفتش العام الانجليزى للجيش المصرى .

« أن رتبة الرائد كانت بالفعل حكرا على الاغنياء » (٧٢ ، ص٧٨).
نوه روجيه فايان قائلا :

« لا توجد فى مصر جماعات طائفية من الضباط مثلما هو الحال فى بعض بلدان امريكا الجنوبية او تركيا . ان غالبية الضباط المصريين من ابناء البرجوازية الصغيرة . ورواتبهم ضئيلة جدا . وهم دائما عن طريق آبائهم واخواتهم واقاربهم يعايشون دائما آمال وآلام صغار الموظفين والتجار اى مواطنى مصر البسطاء . ولا توجد بين الضباط وبين صف الضباط الذين يمثلون اساس الجيش ، حواجز منيعة . ومازالت فى الذاكرة شبح المفتشين الانجليز الذين كانوا يسيطرون على هؤلاء وأولئك » (١٥ ، ص ٢٢) .

أما ما يخص جموع الجنود والعساكر فانهم كانوا اساسا ابناء الفلاحين الفقراء والعمال لانه كان يوجد فى مصر نظام البدل ، والذى بمقتضاه يجب دفع جزية مقدارها ٤ جنيهات مصرية للاعفاء من التجنيد .

وكانت العناصر التقدمية فى الجيش المصرى تدرك بوضوح أكثر انها عبارة عن اداة فى قبضة الملكية الرجعية والقمة البيروقراطية الاقطاعية فى مكافحة الشعب . واخذت تشكل التنظيمات السرية للضباط . وكان تنظيم « الضباط الاحرار » احدها .

وقد بدأت تتكون فى ١٩٣٨ فى منقباد (بالقرب من اسيوط) حيث كان يخدم الملازم جمال عبد الناصر(٧) والذى التف حولهشباب الجيش . وتعرف

---

(٧) ولد جمال عبد الناصر فى ١٥ يناير (كانون الثانى) ١٩١٨ فى قرية بنى مر محافظة اسيوط (ويدعى بعض الباحثين الغربيين انه ولد فى الاسكندرية) . وكان والده حسين عبد الناصر وهو ابن احد الفلاحين يعمل وكيلا لرئيس احد مكاتب البريد الفرعية الصغيرة . وغالبا ما كانت طبيعة عمله تحتم عليه التنقل من مدينة لاخرى .
وفى عام ١٩٣٦ انهى عبد الناصر المدرسة الثانوية فى القاهرة وفى عامى ١٩٣٥ — ١٩٣٦ شارك بنصيب وافر فى الحركة المعادية للامبريالية . وحلول عبد الناصر بعد انهاء مرحلة الدراسة الثانوية الالتحاق بالمدرسة الحربية (يونية ١٩٣٦) ولم يقبل بها . فالتحق بمدرسة الحقوق حيث درس بها خمسة اشهر (من اكتوبر ١٩٣٦ وحتى فبراير ١٩٣٧) . وفى

عبد الناصر هنا على رفاق المستقبل انور السادات وزكريا محى الدين . ونقل فى العام التالى الى الاسكندرية حيث تقرب من عبد الحكيم عامر الذى انهى المدرسة الحربية فى عام ١٩٣٩ (١٣٥م ، ص ٣٩) .

وكانت الازمة السياسية الحادة التى نشبت فى مصر فى بداية فبراير (شباط) ١٩٤٢ بسبب تدخل القيادة البريطانية فى الشئون الداخلية لمصر بمثابة دفعة عجلت بتشكيل التنظيم .

وقد استقال عدد من ضباط الجيش المصرى (من بينهم محمد نجيب)(٨) احتجاجا على اهانة المشاعر الوطنية .

وفى ربيع ١٩٤٢ التقى ضباط الثورة فى القاهرة لمناقشة الوضع فى البلاد . ومنذ هذه اللحظة يمكن ان نتكلم عن وجود نواة لتنظيم ثورى

---

١٧ مارس ١٩٣٧ التحق بالمدرسة الحربية بقشلاقات العباسية (فى القاهرة) وانهى تعليمه بها فى ١٩٣٨ . ثم عين برتبة ملازم اول فى سلاح المشاة ، فى البداية فى كتيبة المشاة الثالثة التى كانت ترابط فى منقباد (محافظة اسيوط) ومنذ ١٩٣٩ فى الاسكندرية . وخدم اثناء الحرب العالمية الثانية فى الصحراء الغربية (العالمين) ثم فى السودان (جبل الطورى) . وفى سبتمبر١٩٤٣ رقى لرتبة نقيب وعين معلما فى مدرسة المشاة . ودرس خلال السنوات ١٩٤٥ ــ ١٩٤٨ فى كلية الاركان (اكاديمية الاركان العامة) . ومنذ ١٦/٥/١٩٤٨ وحتى ٦/٣/١٩٤٩ كان يحارب فى فلسطين ضمن افراد الجيش النظامى . وجرح فى صدره ، ورقد فى مستشفى بغزة وسرعان ما عاد الى الجبهة . وتميز اثناء القتال فى حصار الفالوجا . وخدم لفترة قصيرة فى الاسماعيلية بعد انتهاء الحرب . وفى يولية ١٩٤٩ عين وهو فى رتبة رائد معلما فى المدرسة الادارية العسكرية وفى نهاية ١٩٥١ اصبح استاذا فى كلية الاركان وهو برتبة مقدم .

(٨) ولد محمد نجيب فى الخرطوم فى ٢٠/٢/١٩٠١ وهو ابن اسرة ارستقراطية عسكرية ، ودرس فى كلية جوردون فى الخرطوم . وفى ١٩١٨ بدأ الخدمة العسكرية وتلقى التعليم العسكرى وفى ١٩٢٤ خدم فى الجيش حتى رقى لاعلى الرتب . وفى ١٩٤٨ رقى لرتبة لواء واشترك فى حرب فلسطين وجرح [illegible] .

مصرى . وكما نوه السادات كانت توجد حتى عام ١٩٤٥ لدى الضباط « تنظيم مماثل » فقط . وكان جنين تنظيم الضباط السرى المقبل يتكون من خمس خلايا او مجاميع : المالية والتنظيمية والدعاية والاتصال بالشعب والارهاب والامن (١٢٥ ، ص ١٣٩) . وكان جمال عبد الناصر يترأس هذه الخلايا كلها .

وتبعا لوجهة نظر العالم الامريكى فاتيكيوتيس لم يكن تنظيم « الضباط الاحرار » خلال الفترة من ١٩٤١ وحتى ١٩٤٩ تنظيما متكاملا . وكان الضباط يعملون على شكل مجاميع صغيرة مستقلة .

وينوه فاتيكيوتيس ان كثيرا من الضباط على اتصال أو أعضاء فى « مصر الفتاة » و «الاخوان المسلمين » والمجموعات الشيوعية (١٠١ ، ص ٥٦). كتب انور الجندى عن هذا يقول :

« كان الضباط فى هذا الوقت ينظمون مايشبه الاحزاب داخل كل كتيبة ... وكان كل حزب يحاول جذب اكبر عدد ممكن من الضباط الى صفوفه ، كى يتفوق على غيره من الاحزاب الاخرى » (١٣٥ أ ، ص ٣٩). وكانت جمعية « الاخوان المسلمين » تقوم بنشاط خاص داخل اوساط الضباط (١٢٥ ، ص ١٧٢) .

كتب الرافعى بهذا الصدد يقول :

« ظهرت فكرة تشكيل هذا التنظيم خلال فترة الحرب العالمية الثانية الا ان هذا التنظيم دخل حيز التكوين اثناء حرب فلسطين فقط (١٢٣أ ، ص١٨) .

١٧

وكانت العواطف السياسية للضباط الشبان فى المرحلة الاولى الى جانب التنظيمات الراديكالية والموالية للاسلام ولا سيما جمعية الاخوان المسلمين و « مصر الفتاة » .

وكان الفريق عزيز المصرى هو الاب الروحى والمرشد للضباط الشبان . وكان من المعروف أن عزيز المصرى كان على اتصال بالمخابرات الالمانية اثناء الحرب العالمية الثانية ونظم عمليات تخريب ضد بريطانيا ، وقد اعتقل بسبب هذا فى علم ١٩٤٢ .

وبعد فترة والسبب نفسه تم اعتقال أنور السادات مع مجموعة من

الضباط الاخرين ، وظل فى السجن من ١٩٤٢ حتى ١٩٤٤ . ونوة اللواء محمد نجيب فيما بعد أن السادات وغيره كانوا يتعاونون مع القيادة الالمانية لا لانهم من المعجبين بهتلر ، ولكن لانهم كانوا يمقتون المحتلين البريطانيين (٩٥ ، ص ٣٢) .

وفى ١٩٤٢ بدأ الضباط الاتصال بالاخوان المسلمين واقترحوا عليهم خطة عمل مشتركة بهدف الاطاحة بنظام الحكم القائم . الا ان البنا اصر على ان ينضم الضباط الى الجناح الارهابى للجمعية ويحلفون يمين الولاء « للمرشد العام » (٩٧ ، ص ٤٤ ، ٩١ أ ، ص ١٣٤) .

ورفض « الضباط الاحرار » الموافقة على هذا بالرغم من تعاطفهم مع الجمعية المجاهدة ، وكما كتب عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » يقول انه كان يعمل الفكر ويطيل التأمل اثناء فترة الحرب العالمية الثانية فى مسألة : ما الطريق لبلوغ « الهدف العظيم » ؟

وكان يرى فى المرحلة الاولى من نشاطه الثورى ان الصيغة الاساسية للنضال السياسى هو الارهاب الفردى والذى بدونه يستحيل تحقيق استقلال الوطن . وكان يريد تصفية هؤلاء الذين يقفون — على حد تعبيره — « حائلا بين الوطن وبين مستقبله » . وبدأ عبد الناصر التحقيق فى جرائمهم ويصدر ضدهم الاحكام . وبعد ١٩٤٢ فكر فى قتل الملك وبعض الشخصيات الاخرى الذين داسوا بأقدامهم على حقوق البلاد واستهانوا بها . وذكر فيما بعد ، ان هذه الفترة من حياته (١٩٣٩ — ١٩٤٥) كانت تشبه « الرواية البوليسية » وكان الضابط الشاب « محاطا بالسرية والرموز تكتنفه سحب من الظلام ، ومسلح بالمسدسات والقنابل » .

الا أن ناصر سرعان ما أصبح يشك فى جدوى الارهاب الفردى « هل يمكن حقا ان نغير مستقبل بلادنا اذا ما تخلصنا من فرد او آخر ؟ أم ان المسألة أعمق بكثير ؟ » .

وتوصل للاستنتاج التالى :

« اذا كنا نحلم بمجد الامة فمن الضرورى أن نبنى بأنفسنا هذا المجد . ومن ثم يجب ان نغير طريقتنا » (٦٩ ، ص ٣٥ — ٣٦) .

وبعد انتهاء الحرب بدأت مرحلة جديدة من نشاط « الضباط الاحرار » وقام جمال عبد الناصر ببذل مجهود كبير فى اعادة بناء التنظيم الذى اصبح

له هيكل محدود واضح المعالم . وكانت هذه الفترة من أصعب الفترات في تاريخ حركة الضباط . وكانت العقبة الكئود على طريق توحيد صفوف الضباط داخل اطار تنظيم سرى هو عدم توفر الثقة بينهم . فقد كان الجيش يطفح برجال وعيون البوليس السياسى (١٣٥ أ ، ص ٤٧) .

الا انه بفضل التزام السرية التامة تضاعف عدد خلايا التنظيم . وسعى قادة التنظيم كذلك الى تحرير الضباط من تأثير الاحزاب السياسية وفى عام ١٩٤٦ نشروا بين اعضاء التنظيم تعليمات تتطلب الارتقاء بمستوى الوعى السياسى للضباط وتنشئتهم فى روح من الكراهية للامبريالية والطبقات الحاكمة فى مصر وتوسيع دائرة نفوذ التنظيم داخل اوساط الضباط لمنع دخوله فى أية تنظيمات سياسية أخرى (١٢٧ ، ص ٢٧) .

وامتنع « الضباط الاحرار » بعد الحرب عن تكتيك الارهاب الفردى على انها صورة من اهم صور النضال . وعندما اقترح السادات فى ١٩٤٥ ان تقوم مجموعته بنسف مقر السفارة البريطانية ، ذكره عبدالناصر بعمليات الاضطهاد والتنكيل التى عمت بعد مقتل ستاك فى عام ١٩٢٤ ، وحذره من تكرار الخطأ (٩١ أ ، ص١٣٦) .

وبذل « الاخوان المسلمون » فى سنوات ما بعد الحرب جهودا كبيرة لجذب الضباط الى صفوفهم . وأدرك « الضباط الاحرار » ان تحالفهم مع الجمعية الجبارة من شأنه ان يعزز مركزهم . ووافق عبد الناصر ، على أن التعاون مع الجمعية امر نافع الا انه يخشى ان تبتلع الجمعية تنظيم الضباط الاحرار . وقد عبر عزيز المصرى تعبيرا دقيقا عن هذه المخاوف حين قال « اتحدوا مع » « الاخوان المسلمين اذا أردتم ولكن احذروا لانهم طائفة من المتعصبين » (٩٧ ، ص ٨٠) .

الا ان كثيرا من الضباط كانوا يتعاطفون مع « الاخوان المسلمين » . وينوه نجيب انه وكثير من الضباط الاخرين كان لهم اصدقاء بين اعضاء الجمعية (٩٥ ، ص ٣٢) .

وبعد اعتقال السادات فى ١٩٤٢ كان عبد المنعم عبد الرءوف يتولى مهمة الاتصال بين المنظمتين والذى اصبح عضوا فى الجمعية اثناء فترة الحرب (٩٧ ، ص ٨٠ ، ٢٥ أ ، ص ١١٢) .

وفى منتصف عام ١٩٤٧ تنامى « الضباط الاحرار » تنظيميا وعدديا .

وفاق عدد اعضاء التنظيم الالف عضو . وشكلت لجنة تنفيذية برئاسة عبد الناصر ، وكان اعضاء اللجنة يلتقون بصفة منتظمة لدراسة الوضع السياسى المتغير بسرعة . كتب السادات يقول :

« كانت أحد مبادئنا تتلخص فى ضرورة التأقلم مع الاوضاع ولا نكون قاصرين على الافكار المسبقة » (٩٧ ، ص٨٥) . وكانت الاجتماعات تعقد فى بيت احد اعضاء اللجنة . وكان يحضرها دائما بالاضافة الى عبد الناصر والسادات وعبد الحكيم عامر وعبد المجيد فؤاد وطلعت خيرى وعبد المنعم عبد الرؤوف وغيرهم آخرون من قادة التنظيم (٩٧ ، ص٨٥).

ولم يكن « الضباط الاحرار » فى هذا الوقت يسيطرون على هيكل الضباط كله . فقد كانت هناك بعض عناصر منهم متأرجحة ، وكانت هذه الجماعة تحرص على مستقبلها الوظيفى فقط ولا ترغب فى المخاطرة به من اجل الثورة . واخيرا ، كانت هناك مجاميع من المحرضين مثل المجموعة التى كان يشرف على تنظيمها النقيب مصطفى كمال صدقى . وقد اقترح مصطفى كمال صدقى على عبدالناصر دمج جماعته مع « الضباط الاحرار ». وحاول ايهام زعيم « الضباط الاحرار » بأن طريقهم خيالى ، وأنه من الاصوب بكثير الحصول على ثقة الملك ثم توجيهه الوجهة المطلوبة . وبذل عبد الناصر جهودا كبيرة لتفسير النوايا الحقيقية لصدقى ويقنع السيد النقيب بأنه ليس قائد التنظيم السرى ولذا فلا يهمه فى شىء اقتراحه(٩٧، ص٨٥ ، ٩٦) .

وفى النصف الاول لعام ١٩٤٨ وعشية حرب فلسطين اتخذت اللجنة التنفيذية قرارا بالخروج من حيز السرية والعمل بشكل مكشوف . كتب السادات يقول :

« لقد اصبحت الحركة الان اقوى للغاية من ان نحدها فى اطار من التنظيم السرى » . ونظم الضباط القاء المحاضرات وادارة المناقشات العلنية حول اهم المشاكل الحاحا وحيوية .

وتغلل اعضاء التنظيم فى جميع افرع القوات المسلحة وجميع انواع الاسلحة فى الجيش للعمل على تجنيد المزيد من الراغبين الجدد .

وقطع « الضباط الاحرار » فى هذه الفترة علاقاتهم « بالاخوان المسلمين » لان الاخيرة اقدمت على التعاون مع الحكومة الرجعية متنكرين بذلك لمبادئهم الذاتية (٩٧ ، ص٨٥ ، ٨٦) .

وسمحت الحكومة المصرية قبل بدء حرب فلسطين بتشكيل فرق المتطوعين لارسالها الى فلسطين . وكما نوهنا آنفا ، فقد بذل « الاخوان المسلمون » من بين جميع التنظيمات والاحزاب السياسية اكبر جهد فى هذا الوقت . وحتم الامر على « الضباط الاحرار » ان يتعاونوا من جديد مع الجمعية .

وقد انضم كثير من اعضاء التنظيم السرى بالاشتراك مع « الاخوان المسلمين » الى جيش المتطوعين تحت قيادة احمد عبد العزيز . وكان من بين المتطوعين النقيب كمال الدين حسين بسلاح المدفعية . واستقال عبد الناصر لينضم الى جيش المتطوعين الا أن طلبه قوبل بالرفض (١٣٥ أ ، ص٤٩ — ٥٠) .

واجتمع قادة قوات المتطوعين فى منزل البنا وكان من بين الحاضرين جمال عبدالناصر وكان وقتئذ يدرس فى كلية الاركان . وفى هذه الفترة اجرى تنظيم الضباط الاحرار كذلك اتصالاته بمفتى فلسطين الحاج امين الحسين وعبد الرحمن عزام سكرتير عام جامعة الدول العربية (٩٧ ، ص٨٩) .

وبعد دخول القوات المصرية فى فلسطين شاركت الغالبية العظمى من « الضباط الاحرار » بين أفراد الجيش فى العمليات العسكرية . وقد شارك جمال عبد الناصر ومحمد نجيب مشاركة فعالة فى هذه الحرب وقد جرح الاثنان ومنحا الاوسمة والنياشين . وكان عبد الناصر موجودا فى فلسطين طيلة هذه الحرب (١٩٤٨/٥/١٦ وحتى ١٩٤٩/٣/٦) .

وكما نوه بحق الباحث العربى انور الجندى ، فقد ساعدت الحرب على التعميق المطرد للموقف الثورى فى مصر . علاوة على ان الضباط اكتسبوا خبرة حياتية وعسكرية واسعة . وفى فلسطين بالذات تحقق الضباط برئاسة عبد الناصر من عدالة قضيتهم ومن انه لامناص من قيام الثورة فى مصر (١٣٥ أ ، ص ٥١) .

ولقد تركت حرب فلسطين بصمات ذات صبغة ثورية هائلة فى نفوس أفراد الجيش . وكانت خيانة الدوائر الحاكمة وعلى رأسها الملك نفسه السبب فى الحاق الهزيمة بالجيش الذى زودوه بالاسلحة الفاسدة والمستهلكة

عن عمد . وكان فساد أجهزة الدولة مثار مقت الضباط وامتعاضهم من نظام الحكم القائم :

وكان الضباط يدركون تمام الادراك ان السيطرة البريطانية هي السبب الرئيسي فى الوضع البائس للبلاد كلها وبخاصة الجيش . وكانوا يعون ضرورة القضاء على السيطرة الانجليزية وتلك القوى الداخلية التى كانت تعد ركيزة للامبريالية فى مصر للخروج من الازمة السياسية الطاحنة. وكما كتب عبد الناصر يقول :

« كانت خلايا تنظيم « الضباط الاحرار » فى فلسطين تعقد الاجتماعات فى الخنادق ومواقع القتال لمناقشة المهام المطروحة عليهم ومحاولة ايجاد الطريق لانجازها » (٦٩ ، ص ١٢) .

واضعفت الحرب من الهيكل التنظيمى لجماعة الضباط السرية وقد قطعت الاتصالات بين الحلقات بعضها ببعض ، الا ان الجماعة لم تتفكك.

وقد نشطت الجماعة من جديد بعد انتهاء حرب فلسطين . وقد رجع عبد الناصر وبعض قادة تنظيم « الضباط الاحرار » الى مصر فى مارس ١٩٤٩ واخذوا يجمعون صفوفهم . ونوه السادات أن تنظيم الضباط الاحرار قد خسر فى الجبهة « عددا كبيرا من خيرة اعضائه » (٩٧، ص ٩٥) .

وكان هناك خطر حقيقى محدق بالمجتمع بعد مقتل النقراشى والبنا ، عندما دبر رئيس الحكومة الجديد ابراهيم عبد الهادى حملة من الارهاب ضد « العناصر الخطرة » المتصلة « بالاخوان المسلمين » :

وفى ٢٥ مايو (آيار) ١٩٤٩ وصل عبد الناصر فى اجازة من الاسماعيلية حيث كانت وحدته الى القاهرة لاستئناف اتصالاته فى العاصمة . وقد تعرض بيته فى هذا اليوم للتفتيش . ولعدم توفر الادلة تم توجيه عبد الناصر الى رئيس الحكومة . وقد قام رئيس الوزراء فى حضور عثمان المهدى رئيس الاركان العامة وأحمد طلعت رئيس البوليس السياسى باستجوابه لمدة طالت لسبع ساعات ، واتهمه ابراهيم عبد الهادى بعضويته فى جمعية « الاخوان المسلمين » وبأنه ترأس تدريب فرقها العسكرية (١٢٥ أ ، ص ٥٥) . وينوه السادات بأن هذا الاتهام كان باطلا (٩٧ ، ص ٩٤) .

وفى أواخر مايو (آيار) ١٩٤٩ اجتمعت مجموعة صغيرة من قادة

التنظيم وتوصلت لاستنتاج مفاده أن القيام بانقلاب فى الدولة لن يتيسر قبل عام ١٩٥٤ . واخذ التنظيم يمارس نشاطه ثانية فى ظل من السرية التامة نظرا لأن العناصر الاستفزازية التى تعمل تحت رئاسة مصطفى كامل صدقى كما ذكر آنفا كانت تقوم بنشاط كبير خلال هذه الفترة :

وانتقل عبد الناصر فى أغسطس ١٩٤٩ الى القاهرة ، وبدأ فى شهر سبتمبر (أيلول) فى تنظيم الجماعة وتحسين « بنائهـا الرأسى » على حد تعبير السادات (٩٧ ، ص ٩٥) .

وكان التنظيم يتكون من بضع مئات من الافراد موزعة على خلايا صغيرة قليلة العدد تضم من ثلاثة الى عشرة أفراد (٩٥ ، ص ١١٢ ، ١٠١ ، ص ٦١ ، ٩٧ ، ص ٩٥) (٩) . وكان كل عضو فى الخلية يشكل خلية أخرى ويترأسها . زد على ذلك أن الشخصيات المنضمة اليها كانوا مجهولين لاعضاء الخلية الام الباقين . وكان يجب على كل عضو تسديد قيمة اشتراك شهرى وفى ١٩٥٠ أنهت الجماعة عملية اعادة البناء التنظيمى (١٢٥ ، ص ٢٢٤) .

وحاول « الضباط الاحرار » أن يكون لهم رجالهم فى جميع الدوائر الهامة بالجهاز السياسى والجيش . وكانوا يغرسون « عيونهم » على حد تعبير الجندى فى كل مكان : فى القصر الملكى وفى قيادة الجيش وفى البوليس السياسى وفى المخابرات وفى شتى أنواع الاسلحة وغيرها (٣٥ أ ، ص ٥٦) .

وكان للمنشورات التى تحولت الى وسيلة من أهم وسائل بث أفكار التنظيم وتوسيع دائرة نفوذه سواء داخل الجيش أو بين المدنيين دوى هائل فى البلاد . وصدر أول منشور « للضباط الاحرار » فى نوفمبر ١٩٤٩ وطبع منه ألف نسخة . وكان هذا بيانا شهريا للجماعة تنـاول بالتحليل الوضع السياسى فى البلاد فى فترة ما بعد الحرب الفلسطينية . وتضمن البيـان كذلك وعدا قاطعا بوضع حد للاحتلال الاجنبى وبنـاء جيش قوى حديث ونظام برلمانى ديمقراطى .

واشترى « الضباط الاحرار » ثمان ماكينات طباعة لطبع المنشورات . وكانت موجودة فى البداية فى منزل الرائد حمـدى فى منطقة كوبرى القبة ، ثم نقلت الى منطقة الجيزة وقد حرر نصوص المنشورات الاولى جمـال

---

(٩) وتذكر بعض البيانات الاخرى أن التنظيم (٩ ١٩٤٩/١٩٥٠) كان يضم ما يقرب من ٤٠٠ فرد (٩٩ ، ص ١٢٨) .

عبد الناصر وخالد محى الدين وحمدى عبيد ثم انضم اليهم صلاح بسالم . وتولى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وكمال الدين حسين تنظيم عملية توزيعها بواسطة البريد ومندوبى الاسلحة المختلفة (٩٧ ، ص ٩٦ ، ١٣٥ أ ، ص ٥٦ — ٥٧ ، ٥٩ — ٦٠) . كتب أنور السادات يقول : « كنا نستقى كل لفظ من كلمات المنشورات من أفكار الرأى العام فى البلاد ... كان الشعب يريد القضاء على المستعمرين وأذنابهم ، ونحن نعمل على ترسيخ عزمه هذا ... ويلعن الشعب الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك ونحن نطبع مئات المنشورات لتعضيد وجهة نظر الشعب هذه » (٥٠ ، ص ١٧٦) .

وكان لمنشورات « الضباط الاحرار » مغزى هاما لاعداد الرأى العام فى البلاد وتهيئته لقيام الثورة . وكانت عليها توقيع من كلمتين « الضباط الاحرار » . ولهذا السبب لم يعد أمر الجماعة سرا . الا ان احدا لم يعرفه قادة التنظيم (١٠) .

وبناء على قرار اللجنة التأسيسية فى أواخر ١٩٤٩ (التى تم تشكيلها فى خريف العام نفسه) تم تشكيل لجنة تنفيذية جديدة « لضباط الاحرار » . وكانت تضم فى البداية عشرة أفراد هم (١١) : الرائد جمال عبد الناصر والنقيب عبد الحكيم عامر والنقيب كمال الدين حسين والنقيب صلاح سالم والملازم جمال سالم والملازم حسن ابراهيم السيد والملازم عبد اللطيف البغدادى والنقيب خالد محيى الدين والرائد السادات والنقيب عبد المنعم عبد الرؤوف (١٢) وتم انتخاب عبد الناصر فى عام ١٩٥٠ رئيسا للجنة

---

(١٠) فمثلا لم يكن محمد حسنين هيكل الصحفى المعروف ورئيس تحرير صحيفة « الاهرام » لسنوات عديدة والمقرب لعبد الناصر ، يعرف أن عبد الناصر له علاقة بالحركة حتى قيام الانقلاب مباشرة .

(١١) ذكر السادات فى كتابه أسماء وأعضاء اللجنة التنفيذية الاولى (٩٧ ، ص ٩٥) وفى كتابين للرافعى (١٢٣ ، ص ١٠٤ ، ١٢٣ أ ، ص ١٨) . ولم يدرج نجيب فى هذا الكشف عبد المنعم عبد الرؤوف عن قصد (٩٥ ، ص ١١١) وأضاف فاتيكيوتيس زكريا محيى الدين الذى انضم مؤخرا للجنة التنفيذية (١٠١ ، ص ٤٥) .

(١٢) انسحب عبد المنعم عبد الرؤوف فيما بعد من « الضباط الاحرار » بسبب خلافاته مع باقى أعضاء التنظيم . ولكونه عضوا فى الاخوان المسلمين كان يطالب بانضمام التنظيم الى هذه الجمعية ، الا أن معظم أفراد اللجنة التنفيذية رفضوا الاستجابة لهذا المطلب .

التنفيذية « للضباط الاحرار » وأعيد انتخابه لهـذا المنصب عامى ١٩٥١ و ١٩٥٢ . وهكذا ، ظل يترأس التنظيم حتى قيام الثورة فى ١٩٥٢ (١٢٥ ، ص ٢٢٦) .

وكان جميع رجال التنظيم ، ماعدا واحد ، ممن اشتركوا مشاركة فعالة فى حرب فلسطين وقد أنهى ثلاثة منهم الجامعة أو الكلية علاوة على المدرسة الحربية . وكانوا أثناء الدراسة الثانوية وما بعدها يمارسون نشاطهم فى شتى الحركات السياسية ويتعرضون لتأثير الوفد أو « الاخوان المسلمين » أو المجاعات الماركسية .وكان هؤلاء أساسا أبناء الموظفين الصغار والمتوسطين فى المدن والتجار والفلاحين سواء المتوسطين أو الموسرين . وكان عدد قليل منهم من أبناء الاسر الغنية أو الاستقراطية (١٠١ ، ص ٤٦) .

وكانت المهمة الاساسية التى وضعهـا « الضباط الاحرار » نصب أعينهم هى « انقاذ البلاد بواسطة الجيش والشعب من الكارثة التى كان يدفعها اليها الملك السابق والامبرياليين » (٢٣ أ ، ص ١٠٤) . وكان برنامج « الضباط الاحرار » يتضمن النقاط الاساسية التالية :

١ ــ القضاء على السيطرة الاستعمارية وأعوانها فى البلاد .

٢ ــ بناء جيش وطنى قوى .

٣ــ اقامة نظام دستورى سليم للحكم .

وكانت لائحة نشاط التنظيم تنص على ما يلى :

١ ــ السرية التامة فى كل شىء .

٢ ــ مسئولية كل فرد من الضباط الاعضاء اللجنة التنفيذية عن تشكيل وتوسيع التنظيم فى أى نوع من أنواع أسلحة الجيش

٣ ــ يجب أن يتكون التنظيم من بعض الخـلايا ، الملـزمة بعقد اجتماعات أسبوعية منتظمة .

٤ ــ كل ضابط فى القيادة مسئول عن سلاح من أسلحة الجيش يجب أن يقدم أسبوعيا تقريره أمام اللجنة التنفيذية عن نشاط التنظيم داخل كل سلاح على حدة .

٥ ــ العمل على اصدار المنشورات بصفة أسبوعية .

ورحب « الضباط الاحرار » بالغاء معاهدة ١٩٣٦ الذى اقدمت عليه حكومة الوفد وكانوا على أهبة الاستعداد لمساعدة الوفد بكل قواهم عندما بدأت الحرب الفدائية فى منطقة قناة السويس . الا انه عندما اغفلت الحكومة مسألة الاشراف على فرق الفدائيين ، كان الضباط ساخطون على موقفها . لم يشترك الجيش مباشرة أثناء فترة النضال المسلح فى منطقة القنـــاة فى المعارك الدائرة ضد الانجليز ، الا أن بعض اعضاء التنظيم قاموا بتدريب الفدائيين على حمل السلاح وتزودوهم بالذخيرة والسلاح . ومع ذلك فان « الضباط الاحرار » كتنظيم ظلوا بعيدا عن الانظار . وقد كتب محمد نجيب بهذا الصدد يقول : « بالرغم من تعاطفنا معهم — أى مع الفدائيين — ومع أهدافهم ، الا أننا لم نكن نثق فى الدوافع التى حدت البعض بتأسيسها » (٩٥ ، ص ٩٤) .

وقد ظهر « الضباط الاحرار » لاول مرة على مسرح الاحداث السياسية خلال الايام العصيبة التى شهدتها البلاد فى شهر ديسمبر ١٩٥١ فقد تحدد يوم ٢٧ ديسمبر لانتخابات مجلس ادارة نادى الضباط ورئيسه . وكان الملك عادة يفرض سيطرته على انتخاب مجلس ادارة نادى الضباط وكان يعين بنفسه أعضـــاء المجلس . وقد فرض الملك فاروق فى هذه المـــرة اللواء حسين سرى عامر ، قائد سلاح الحدود لرئاسة نادى الضباط على اعتبار أنه من اخلص الجميع للملك . وعندئذ قررت اللجنة التنفيذية « للضباط الاحرار » تقديم مرشحها لمجلس الادارة ، وترشيح اللواء محمد نجيب (١٣) لمنصب رئيس مجلس ادارة نادى الضباط . وكان هذا بمثابة التحدى السافر للملك .

---

(١٣) كان اللواء محمد نجيب قائدا لسلاح الحدود . وقبل الانتخابات بفترة وجيزة طرده الملك من هذا المنصب وعين بدلا منه حسين سرى عامر . وينوه السادات أن محمد نجيب لم يكن عضـــوا بالحركة ولكن تصرف الملك اثار تعاطف « الضباط الاحرار » مع اللواء . فقد اتصلوا به بعد ذلك فقط (٩٧ ، ص ١١٠) . وكتب نجيب نفسه يقول انه أصبح عضوا فى الحركة فى صيف ١٩٤٩ ، ولكن لم يكن حتى يناير ١٩٥٢ عضواً فى اللجنة التنفيذية وحتى قيام الانقلاب وكان يعلم خمسة فقط من بين عشرة اعضاء اللجنة التنفيذية وحتى قيام الانقلاب وكان يعلم خمسة فقط من بين عشرة أعضاء اللجنة التنفيفية الاولى وأصبح رئيسا للجنة التنفيفية فى ربيع ١٩٥٢ (٩٥ ، ص ٣٢ ، ١١١) .

وعلم الملك فاروق بكل شيء يوم الانتخابات . وعندما اجتمع الضباط أحاطوهم علما بقرار القيادة العليا للجيش بالغاء الانتخابات وتأجيلها الى أجل غير مسمى . ومع ذلك فقد قرر ٣٥٠ ضابطا من بينهم كثير من أعضاء الحركة عقد الاجتماع وقدموا مرشيحهم وحددوا الانتخابات فى أقرب وقت .

وفى ٦ يناير ١٩٥٢ تجمع فى النادى ما يقرب من ٥٠٠ ضابط ، وأجريت الانتخابات ، وحصل أنصار « الضباط الاحرار » على الاغلبية المطلقة من الاصوات . وتم انتخاب اللواء محمد نجيب بالاجماع رئيسا لمجلس ادارة نادى الضباط . وكان هناك خمسة على الاقل من بين ١٥ عضو فى مجلس ادارة النادى من قيادات « الضباط الاحرار » البكباشى (المقدم) زكريا محيى الدين والبكباشى رشاد مهنا (١٤) والبكباشى أنور عبد الطيف والرائد حسن ابراهيم السيد والرائد جمال حامد . وكان بقية أعضاء مجلس الادارة اما من الحركة أو من المتعاطفين معها (١٠١ ، ص ٦٣ ـ ٦٤) .

٣٣

وكان هذا هو النجاح الاول والحاسم « للضباط الاحرار » على الملك . واخذت الحركة تعد للانقلاب بعد أن تأكدت من قوتها ومن تأييد الغالبية العظمى من ضباط الجيش لها . وتم تهيئة الرأى العام كذلك .

وينوه أنور الجندى أن حريق القاهرة يوم « السبت الاسود » ٢٦ يناير ١٩٥٢ وما تبعه من أحداث حضت « الضباط الاحرار » على تحديد موعد حركة الجيش (١٣٥ أ ، ص ٥٨) .

وفى ١٠ فبراير قررت اللجنة التنفيذية « للضباط الاحرار » فى أحد اجتماعاتها الطارئة الخاصة تنظيم انتفاضة الجيش فى مارس ١٩٥٢ (٩٧ ، ص ١٠٧) . وأطلع عبد الناصر البكباشى رشاد مهنا بهذا الموعد . وقد وافق هذا على خطة عبد الناصر ووعده بمشاركة قواته مشاركة فعلية فى الانقلاب العسكرى .

ولم يكن رشاد مهنا عضوا فى اللجنة التنفيذية لحركة الضباط الاحرار ولكنه كان يتعاون مع العديد من قادتها . وعلى صلة وثيقة « بالاخوان المسلمين » ولذا فقد استحال ضمه للجنة التنفيذية . وكان عبد الناصر يأمل أن ينضم رشاد مهنا بعد نجاح حركة الجيش الى مجلس قيادة الثورة ويبتعد نهائيا عن الجمعية .

---

(١٤) ولد رشاد محمد مهنا ١٩٠٨ وفى عام ١٩٤٧ دبر مؤامرة عسكرية فاشلة .

الا أنه بعد دراسة ووضع خطة الانقلاب بكل تفاصيلها والموافقة عليها أخبر رشاد مهنا فجأة أعضاء اللجنة التنفيذية أنه لن يستطيع فى القريب العاجل الاتصال بهم نظرا لنقله الى العريش . وقد علم فيما بعد نتيجة التقصى الدقيق ان رشاد مهنا انتقل الى سيناء بناء على رغبته الملحة الشخصية . وقد قرر تفاديا للمصائب أن يبتعد عن مسرح الاحداث ، زد على ذلك أنه لم يكن واثقا فى نجاح الخطة المزمع تنفيذها (٩٥ ، ص ٣٢ ، ٩٩ ، ١٥٠ ، ٩٧ ، ص ١٠٨) .

وقد تزامن الحدث المشار اليه مع فضيحة اللواء حسين سرى عامر واتهامه بالفساد والرشوة وخيانة الوطن . وبعد تفل التحقيق فى قضية حسين سرى عامر أخذ « الضباط الاحرار » يطالبون فى منشوراتهم بتقديم اللواء الى المحاكمة . وفى الوقت نفسه دبرت جماعة ارهابية من الحركة اغتيال حسين سرى عامر بدون موافقة اللجنة التنفيذية . وقد أطلقت عليه ١٤ رصاصة وهو فى سيارته ولكن اللواء لم يصب بسوء وجرح السائق فقط (٩٥ ، ص ١٠٧) . وأمر الملك بتدخل البوليس السرى والمخابرات .

وكان هذان الامران الطارئان سببا فى تغيير خطة اللجنة التنفيذية وارغامها على تأجيل انتفاضة الجيش . زد على ذلك أن قيادة حركة « الضباط الاحرار » كانت على ثقة من زيادة التخبط السياسي وبلوغه حد الذروة (١٢٥ ، ص ٢٤٣) .

وعندما تضمن جدول الاعمال موضوع تحرك الجيش قررت اللجنة التنفيذية اختيار قائد رمزى للثورة على أن يكون ضابطا شعبيا ومن كبار الضباط . وقد انحصر الانتخاب على ثلاثة ضباط عظام هم الفريق عزيز المصرى واللواء فؤاد صادق والواء محمد نجيب .

وفى البداية اتجه « الضباط الاحرار » بطبيعة الحال الى الفريق عزيز المصرى . الا أنه اعتذر لكبر سنه (فقد كان عمره ٨٢ عاما وسوء صحته ، وعلى حد تعبير السادات « فضل أن يظل الاب الروحى لحركتنا » (٩٧ ، ص ١٠٨) .

وأتى الدور على اللواء فؤاد صادق الذى لم يكن على علم كامل بخبايا حركة « الضباط الاحرار » بالرغم من أنه كان يشعر بوجودها .

وعندما اتصل به « الضبا طالاحرار » فى هذه الفترة كان منصب رئيس الاركان خاليا . وقد وعده صلاح سالم مبعوث الضباط أن الحركة

ستستغل نفوذها كى يشغل اللواء هذا المنصب المرموق . وكان من الواضح لا أن اللواء فؤاد صادق مقتنع تماما بهذا الاقتراح ، عندما دق جرس التليفون واخبروه بأن الملك عينه رئيسا للاركان . ووضع السماعة وغير رأيه وطرد صلاح سالم بشكل وقح اضطر معها لأن يقسم بأنه لن يطأ عتبة منزل اللواء مرة أخرى فى حياته (٩٧ ، ص ١٠٩) .

ويفسر محمد نجيب رفض فؤاد صادق بأن هذا « كان سيكون نقطة سوداء تؤخذ عليه فى صراعه ضد حيدر — قائد القوات المسلحة واشد اللواءات رجعية . وتكلمبخير عن صادق » الذى كان يتعاطف دائما مع حركتنا ويقدم لنا العون من وقت لآخر (٩٥ ، ص ٣٠ ، ٣١) . ومن الطريف أن المكالمة التليفونية كانت كاذبة وأن صادق لم يشغل هذا المنصب الذى كان يطمع فيه بتاتا .

ويقى المرشح الوحيد محمد نجيب . وكان هذا الترشيح موفقا ومباركا لاسباب عدة منها :

أولا — لشجاعته وبسالته ، وما عرف عنه من معاداة للملكية .

ثانيا — كان أحد اللواءات القلائل الذين امتازوا بكفاءتهم فى حرب فلسطين .

ثالثا — رشحه الضباط الاحرار فى أوساط الجيش بعد أن كانوا قد رشحوه لرئاسة مجلس ادارة نادى الضباط .

وهناك أسباب أخرى سيأتى ذكرها فى حينه . وقد قررت كذلك اللجنة التنفيذية اطلاع اللواء على انتخابه له عشية الانتفاضة فقط .

ما هى علاقة الضباط الاحرار بالاحزاب السياسية المختلفة عشية القيام بالثورة ؟

كان « الاخوان المسلمون » من أوائل التنظيمات التى تقيم معها حركة « الضباط الاحرار » الاتصالات . وذكر السادات فى كتابه أنه التقى مرات عديدة « بالمرشد العام » حسن البنا . الذى ترك انطباعا لا يمحى فى الضابط الشاب . وكتب ان جمعية « الاخوان المسلمين » قامت لاول مرة بعد الحرب بحملة واسعة لجذب ضباط الجيش للانضمام الى نشاطها وأنها بذلت جهودا كبيرة للاتصال بجمال عبد الناصر (١٢٥ ، ص ١٧٢) .

واستطرد فى كتابه يقول « ليس سرا ان بعض الضباط كانوا يحبون الجمعية ... ويرون فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها » (١٢٥ ، ص١٧٣) وكما نوهنا كان معظم الضباط يرى انه من الامكان التعاون مع الجمعية دون الذوبان فيها . وظهرت فيما بعد الخلافات بين حركة الضباط الاحرار وجمعية الاخوان المسلمين ، وقررت الحركة السرية عدم التعاون مع الجمعية (١٢٥ ، ص ١٦٩) .

وكان تنظيم الضباط يعلق الآمال الكبيرة على الوفد . كتب السادات يقول أن الضباط الاحرار كانوا يسعون لتعضيد موقف الوفد وكانوا يريدون أن « يجعلوا منه الشرارة التى تشعل فتيل انتفاضتهم » (١٢٥ ، ص ٢٢٨) .

وفى بداية ديسمبر ١٩٥١ واثناء اندلاع الحرب الفدائية فى منطقة قناة السويس التى مندوبنا « الضباط الاحرار » العقيد أحمد أنور بفؤاد سرج الدين السكرتير العام للوفد . واخبره بأن الجيش يؤيد الحكومة «اذا خلعت الملك، او على اقل تقدير وضعت حدا لتهوره ».ولم يحدث هذا العرض أى انطباع لدى فؤاد سراج الدين وهو من ناحية المبدأ لم يدينه ، ولكنه كان قلقا ومهتما بأن الملك وفقا لحقه الدستورى يمكنه اقصاء الحكومة حتى ولو كانت تتمتع بالاغلبية فى البرلمان » . وعندما اكد له أنور السادات بأن الجيش سيتدخل فى هذه الحالة وأن الحكومة تستطيع رفض الاقالة ببساطة ، لم يلق هذا الحديث هو الاخر اى حماس يذكر من جانب السكرتير العام .

ومن ثم توصل السادات الى نتيجة بعد هذا اللقاء مفادها « لقد خاب املنا . كان الوفد يلعب على الطرفين . فاقتراحنا لم يعرض حتى على الحكومة . وظل سرا فى طى الكتمان عند النحاس وفؤاد سراج الدين » (٩٧ ، ص ١٠١ — ١٠٢) .

وفى نهاية المطاف توصلت قيادة الحركة الى نتيجة مفادها أنه لا يوجد فى البلاد حزب سياسى بمقدوره المشاركة فى الانقلاب مع الجيش ، وعندئذ قررت قيادة حركة « الضباط الاحرار » القيام بثورتها بشكل مستقل تماما (١٢٥ ، ص ٢٣٦) .

ومما يجدر ذكره ان الضباط الاحرار استطاعوا حتى قيام الثورة كسب تعاطف جزء محدد من المثقفين الثوريين . وهذا ينسحب فى المقام الاول على الجناح اليسارى من الحزب الوطنى والذى أصبح يسمى « بالحزب الوطنى الجديد » برئاسة فتحى رضوان ونور الدين طراف . وكان هناك

تقارب بين كبار الصحفيين وبعض قيادات الضباط ومنهم أحمد أبو الفتح (صحيفة « المصرى ») واحسان عبد القدوس (الصحفى المصرى المعروف المحرر بمجلة « روز اليوسف ») ومحمد حسنين هيكل .

الاعـــداد للانتفـــاضة

اختبر « الضباط الاحرار » قواهم بشكل دقيق داخل كل سلاح من أسلحة الجيش وداخل كل وحدة وهم يستعدون لتحرك الجيش . وحصل عبد الناصر فى ١ يوليه (تموز) ١٩٥٢ على أجازة (وكانت الثانية بعد حرب فلسطين) وسافر الى الاسكندرية لاختبار القوات فى العاصمة الثانية . وعاد فى ١٢ يوليـــة الى القـــاهرة بعد أن تأكد من درجة استعداد حامية الاسكندرية . وعلم هنا أن حاميات رفح (قطاع غزة) (١٥) حيث كان صلاح سالم يترأس التنظيم والعريش (فى شبه جزيرة سيناء) حيث كان جمال سالم يترأس العمل هناك كانت السيطرة الكاملة « للضباط الاحرار » أيضا .

وهكذا فقد ثبت أن الحركة تسيطر بالكامل على كبرى الحاميات فى البلاد بالقاهرة والاسكندرية ورفح والعريش (١٣٥ أ ، ص ٦٠) .

وقد بلغ أعضاء « الضباط الاحرار » حتى منتصف شهر يولية الالف عضـــو . وكان هذا التنظيم سريا بمعنى أن قيـــاداته لم تكن معـــروفة (٩١ أ ، ص ١٣٨) .

وقد جمـــع الملك ومجلس الوزراء والجنرالات قوتهم للتنكيـــــل « بالمتمردين » . ونصح مرتضى المراغى وزير الداخلية الملك بعدم اتخـــاذ أية خطوات هوجاء طائشة لادراكه بمدى نفوذ « الضباط الاحرار » . وكان الاثنان على علم بأن الحركة على مستوى كبير من التنظيم والاعداد . الا أن الملك ووزير داخليتـــه كان على خلاف واسع الشقة تجـــاه مسألة طرق وأساليب الاجهاز على « الضباط الاحرار » .

وكان المراغى يرى أن الطريق الوحيد الذى يجعل من الجيش مخلصا للعرش من جديد هو اجراء سلسلة من الاصلاحات فى الجيش وفى المجـــال الاقتصادى والاجتماعى . وكان الوزير على ثقة من أنه بعد انجـــاز هذه الاصلاحات سينسحب الجناح اليمينى من الضباط من الحركة ، ثم تستطيع

---

(١٥) كان عبد الحكيم عامر فى هذا الوقت يخدم فى رفح . واثناء الانقلاب كان متواجدا بالقاهرة .

الحكومة بعد ذلك بواسطة سياسة (الكرباج والكعكة) أن تجتذب لجانبها الغالبية من الضباط وتقوم بعد ذلك بالتنكيل بأكثرهم راديكالية .

اما ما يتعلق بالملك فانه أخطأ التقدير فى قوة وشعبية « الضبـــاط الاحرار » وطالب بالعمل فورا على تصفية الحركة (٩١ أ ، ص ١٣٨ ، ١٣٥ ب ، ص ٢٤٨ ، ٢٥٩) .

وقد صب الملك — دون أن يتحقق مما يدور حوله من أحداث — جام غضبه على محمد نجيب وكان يعتبره القائد الحقيقى للضباط الشبان ، وقد نجح المراغى بشق الانفس فى وضــع العراقيــل أمام نفى محمــد نجيب عند الحدود .

وعندما بدأ حسين سرى فى نهاية شهر يونية ١٩٥٢ يشكل حكومته كان ينوى أن يجعل اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية . الا أن الملك رفض هذا التعيين رفضا باتا . عندئذ احتفظ حسين سرى رئيس الوزارة بهــذا المنصب لنفسه حتى لا يعين فيه الملك صنيعته حسين سرى عامر .

وفى ٩ يولية أى بعد أسبوع من تشكيل الحكومة الجديدة تلقى رئيس الوزراء مذكرة صغيرة من الملك يطالبه فيها باقالة الفريق محمد حيــدر قائد القوات المسلحة حيث قال له : « يعتبر حيدر مفصولا من منصبه اذا لم يحل مجلس ادارة نادى الضباط وينقل الاثنى عشر ضابطا أعضاء المجلس خلال خمسة أيام ! ! » . واستدعى حسين سرى الفريق حيدر وطلب منه دراسة المذكرة واعادتها برأيه وخصوصا أنه يعرف هؤلاء الضباط ، ولكنه أمره بعدم اتخاذ أى اجراء بدون الرجوع اليه أولا (٩٥ ، ص ١٠٧ — ١٠٨) . ومع ذلك أسرع حيدر فى ١٥ يولية وأصدر قرارا بحل مجلس ادارة النادى بدون الرجوع اليــه . وتم تشكيل مجلس ادارة مؤقت لم يضــم أحدا من « الضباط الاحرار » .

وكان الملك غير راض عن حيدر وينوى اقالته من منصبه لانه لم يتخذ أية اجراءات فعالة ضد محمد نجيب . وكان هناك تفكير آخر فى ترقية اللواء حسين فريد قائدا عاما وتعيين حســين سرى عامر مكانه رئيسا للاركان (اذا لم ينجح فى تعيينه وزيرا للحربية) وطرد محمد نجيب من الجيش ونفيه وتقديمه للمحاكمة اذا امكن لخيانته (٩٥ ، ص ١٠٨ — ١٠٩) .

ولم يعد هناك مفر من اصطدام الملك بحــركة الضباط . وكان قادة

الحركة يدركون تمام الادراك أن الضربة القادمة ستكون حتما من نصيب تنظيمهم . واعد وزير الدفاع أوامره بنقل الكثير من الضباط الى مواقع خدمة جديدة كى يشتتهم فى شتى أرجاء البلاد .

وفى ١٦ يولية اجتمعت اللجنة التنفيذية « للضباط الاحرار » اجتماعا عاجلا برئاسة جمال عبد الناصر . وحضر الاجتماع كل من حسن ابراهيم السيد وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات . كتب السادات يقول : « كان هذا من اهم الاجتماعات التى حضرناها على الاطلاق لأن الوضع كان يتطلب سرعة القرارات وسرعة التحركات » (١٦) (٩٧ ، ص ١١٢) .

ووضعت اللجنة التنفيذية خطة للاطاحة بنظام الحكم القائم . وفى حالة الفشل يجب سرعة البدء فى تنفيذ الخطة الثانية التى تنطوى على الاغتيالات بالجملة للحكام . وكان عبد الناصر يرفض رفضا باتا تنفيذ الخطة الثانية . وكان يرى أن هذا سيعطى الفرصة للرجعيين للولولة والعويل عن الفوضى واتهام « الضباط الاحرار » بالاجرام (٩٧ ، ص ١١٢) .

وفى ليلة ٢٠ يولية قدم حسين سرى رئيس الوزراء استقالته ، حتى لا يتحمل العواقب الوخيمة الناجمة عن ضغط الملك عليه لتعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية .

وفى الصباح توجه عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم السيد وكمال الدين حسين لزيارة اللواء محمد نجيب بمنزله باحدى ضواحى القاهرة . وكان جميع الحاضرين متفقين على أن مصر متأهبة للثورة . كتب نجيب يقول : « ان كل من يؤدى دورا فى الحياة السياسية المصرية كان اما خارج البلاد أو فى الاسكندرية حيث كان الملك موجودا . وكان الجو فى هذه الايام حارا وخانقا لدرجة لا يمكن معها لأى واحد غيرنا ان يفكر فى قيام الثورة فورا » . وبينما كان الملك مشغولا بالدسائس والمؤامرات لتشكيل الحكومة الجديدة قرر الضباط التحرك ومن ثم فقد كان هذا التوقيت « توقيتا مثاليا لتسديد الضربة » (٩٥ ، ص ١١٠) .

---

(١٦) تبعا لما رواه أنور الجندى كان الضباط يفضلون الخطة الثانية والتى كانوا ينوون تنفيذها فى ١٨ يولية ثم قرروا تنفيذها فى ٢٠ يولية فى القاهرة والاسكندرية فقط . الا انهم وجدوا فى ١٩ يولية ان تنفيذ هذه الخطة سيعود بالوبال والضرر البليغ على الحركة . بعد هذا قرروا تنفيذ خطة عبد الناصر (٣٥ أ ، ص ٦١٠) .

وفى اليوم نفسه أصدرت اللجنة التنفيذية أمرا لجميع أعضاء التنظيم بالتواجد فى بيوتهم أو داخل وحداتهم من الثالثة بعد الظهر والبقاء فى مواقعهم حتى منتصف الليل فى انتظار التعليمات . واستدعى جميع الضباط الموجودين خارج القاهرة للاشتراك فى الانتفاضة والاعداد لهـا (٩٥ ، ص ١١١ ، ص ٦١) . وحددت اللجنة التنفيذية منتصف ليلة ٢١ يوليـة موعدا لبدء التحرك . وعندما اتضح فى الصباح أن الاعمال التحضيرية لم تنته بعد تقرر تأجيل الانقلاب لمدة ٢٤ ساعة أخرى .

وفى ٢٠ يولية وبعد الظهر توجه عبد الناصر وبرفقته عبد الحكيم عامر الى محمد نجيب فى شقته بالقاهرة كى يطلعوه على الخطة . ولكن اتضح أن محمد نجيب عنده ضيوف هما صديقه العقيد جلال ندا والصحفى المعروف محمد حسنين هيكل . وهكذا لم يتمكنا فى هذا اليوم من اخباره بالتدابير العاجلة التى اتخذتها اللجنة التنفيذية . وكتب السادات يقول أن نجيب لم يكن يعرف بالاعداء للانقلاب حتى ٢٤ ساعة من بدئه (٩٧ ، ص ١١٣) (١٧) .

وقد وضع عبد الناصر خطة العملية وحدد دوائرها الاساسية وكان عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين مسئولان عن التفاصيل .

وكانت الخطة تتكون من ثلاث حلقات رئيسية :

١ ــ الاستيلاء على السلطة العسكرية .

٢ ــ الاستيلاء على السلطة المدنية .

---

(١٧) وفى محاولة من محمد نجيب للمبالغة فى دوره فانه يروى رواية أخرى . فقد كتب بأن خطة عبد الناصر كان يجب تنفيذها فى ٥ اغسطس (آب) الساعة الواحدة بعد الظهر ، ولكن نجيب أصر على بدء حركة الجيش قبل هذا الموعد لانه من الصعب الحفاظ على السر فى طى الكتمان لأكثر من بضعة أيام . وبعد أن أدهش الملك الجميع بتعيينه الهلالى للمرة الثانية للوزارة ، وأذهل الهلالى بدوره الجميع بتعيينه صهر الملك اسماعيل شيرين وزيرا للحربية تقرر بدء الحركة يوم ٢٢ يولية وبعد ان اتضح ان التجهيزات غير كاملة تم تأجيل القيام بالانقلاب حتى يوم ٢٣ يوليو (٩٥ ، ص ١١٢) وهذه الرواية أقل صدقا ، لأن الهلالى كان مثل سلفه سرى يرغب فى تعيين اللواء محمد نجيب وزيرا للدفاع (٩٥ ، ص ١٠٨) . زد على ذلك أن اسماعيل شيرين صهر الملك عين ، كما ذكرنا آنفا ، وزيرا للدفاع بدون موافقة الهلالى .

وفى٢٢ يولية عقدت «اللجنة التنفيذية» للضباط الاحرار اجتماعها . فى منزل خالد محيى الدين وكانت الجنة التنفيذية فى هذا الوقت مشكلة من عشرة اعضاءهم : جمال عبدالناصر ومحمد نجيب وعبد الحكيم عامروحسن ابراهيم السيد وكمال الدين حسين وصلاح سالم وجمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات وخالد محيى الدين (١٨) . وفى هذا الاجتماع تم ضم أربعة أعضاء جدد برتبة بكباشى وهم زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين ويوسف صديق منصور (٩٥ ، ص ١١٠ — ١١٢) (١٩) للجنة التنفيذية .

وفى هذا الاجتماع تحولت اللجنة التنفيذية الى مجلس قيادة الثورة . وكان معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة من أساتذة أكاديمية الاركان العام . وكان أكبر الاعضاء سنا هو اللواء محمد نجيب وعمره ٥١ عاما وأصغرهم سنا خالد محيى الدين ٢٩ عاما . وكان البكباشى جمال عبد الناصر قائد حركة « الضباط الاحرار » يبلغ من العمر ٣٤ عاما .

وانتهى الاجتماع الساعة الخامسة مساء واتجه أعضاء مجلس قيادة الثورة للاضطلاع بمهامهم المكلفين بها حسب الخطة المقررة (٩٧ ، ص ١٣١ ، ١٣٥ أ ، ص ٦١) .

ثــورة ٢٣ يوليــــة ١٩٥٢

وكانت ساعة الصفر لتحرك طلائع الضباط الاحرار وقواتهم فى الساعة الواحدة صباح ٢٣ يولية ١٩٥٢ . وكان الهدف الاساسى هو مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى كوبرى القبة ثم الاستيلاء على جميع المرافق العامة الحساسة بالعاصمة .

وتبعا لخطة الانقلاب كان يجب اتباع الخطوات التالية ليلة ٢٢ يولية :

---

(١٨) طرأت بعض التغييرات بالمقارنة باللجنة التنفيذية ١٩٤٩ وهى. فصل عبد المنعم عبد الرؤوف من عضويتها لاشتراكهفىجمعية (الاخوان المسلمين) وضم اللواء محمد نجيب .

(١٩) فى نهاية ١٩٥٤ فصل ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية الاربعة عشر (اثنان لاتهامها بالشيوعية والاخر بسبب اساءة زوجته لاستغلال وضعه الوظيفى) .

البغدادى وحسين ابراهيم يقومان بالاستيلاء على القاعدة الجوية بالملظة (قرب القاهرة) وتكليف الطيارين بالمهمات القتالية ، والشافعى وخالد محيى الدين يسيطران على سلاح الفرسان ، وعبد المنعم أمين على سلاح المدفعية ، ويوسف صديق منصور وكمال الدين حسين على سلاح المشاة ، ويستولى جمال سالم على القيادة فى العريش ، وشقيقه الاصغر صلاح سالم على رفح ، ويتوجه السادات وعبد الحكيم عامر فى البداية الى رفح والعريش لمساعدة الاخوان جمال وصلاح سالم ويعودان الى القاهرة مبكرا فى صباح ٢٢ يولية وينضمان الى عبد الناصر لمساعدته فى الاضطلاع بمهام القيادة العامة . وفى هذا الوقت تقوم مجموعة الامن برئاسة زكريا محيى الدين (ابن عم محيى الدين) باعتقال كبار الضباط الذين يبدون اية مقاومة للانقلاب (٩٥ ، ص ١١٣) .

وكان شعار مجلس قيادة الثورة « الحزم » و « الاقدام » وكلمة السر هى « نصر » (٩٧ ، ص ١١٥) .

وتطلب الوضع القائم تقديم موعد بدء حركة الجيش عن موعدها المحدد بقليل . فقد اخبر النقيب مخابرات سعد توفيق مجلس قيادة الثورة أن الملك وقيادة الجيش على علم بخطة الانتفاضة وأن فاروق اتصل تليفونيا بالقاهرة بالفريق حسين فريد رئيس الاركان العامة وأمره باتخاذ التدابير الفورية لقمع حركة الجيش (٩٧ ، ص ١١٦) . ودعا حسين فريد الى عقد اجتماع طارىء فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة حضره كبار قادة الجيش لمواجهة تطورات الموقف . وعلم عبد الناصر بهذا فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٢ يولية عندما كان فى بيته .

الا أن جميع الاستعدادات كانت قد انتهت وكان كل ضابط يلزم مكانه فى انتظار اشارة البدء . وقرر عبد الناصر اعتقال رئيس الاركان العامة وجميع كبار قادة الجيش المجتمعين فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة بكوبرى القبة قبل البدء فى تنفيذ مخططاتهم . وبدون تضييع الوقت اتجه عبد الناصر الى منزل عبد الحكيم عامر حيث كان يجب أن يتقابلا فى تمام الساعة الثانية عشرة فى منتصف الليل (١٣٥ أ ، ص ٦٥) . وأصدر عبد الناصر من مكانه أمرا بالبدء فورا بالهجوم على القيادة العامة .

وتم الاستيلاء على مقر القيادة العامة فى تمام الساعة الواحدة والنصف من بعد منتصف الليل . وابدى الحرس مقاومة هزيلة . وتم اعتقال الفريق

حسين فريد رئيس الاركان وجميع من معه من كبار قيادة الجيش (٢٠) وكان من بينهم اللواء أحمد طلعت رئيس البوليس واللواء عبد المنصف محمود نائب وزير الداخلية واللواء محمد امام رئيس البوليس السياسى واللواء حسن حشمت قائد قوات المدرعات وعدد آخر غيرهم من اللواءات (٩٥ ، ص ١١٦ — ١١٧) . وتم ايداعهم جميعا فى مبنى المدرسة الحربية المجهز لهم خصيصا بقشلاقات العباسية . وخلال عملية الاستيلاء على مبنى القيادة تم تبادل اطلاق النار بين القوات وبين الحرس فسقط قتيلان وجرح جنديان (١٢٣ أ ، ص ٢٢) .

وفى الليلة نفسها استولت قوات الثورة على المطارات ومحطات السكك الحديدية والكبارى والميادين الهامة والطرق الرئيسية بالمدينة والقصرين الملكيين عابدين والقبة كما استولت قوات الجيش الثائرة على محطة الاذاعة وكذلك سنترالات التليفونات والتلغرافات الاساسية . وفى الساعة الخامسة صباحا كان « الضباط الاحرار » يسيطرون على الموقف تماما ، وبذا تكون المرحلة الاولى من الانقلاب قد انتهت بنجاح .

ولم يكن محمد نجيب واحدا من ضباط قيادة الثورة . وكان يجلس طيلة ليلة ٢٣ يولية بجانب التليفون فى شقته منتظرا عملية الانقلاب . ولم يكن لديه علم بالتفاصيل الكاملة عن خطة الانقلاب (٩٧ ، ص ١١٨ — ١١٩) (٢١) . وفى الخامسة صباحا توجه النقيبان جمال نظيم وسعد توفيق الى بيت اللواء محمد نجيب يدعونه لمقر القيادة العامة فوصلها بعد نصف ساعة . وعلى الفور تولى القيادة العامة . ولكن نجيب كان يخضع فى كل تصرفاته لتوجيه مجلس قيادة الثورة .

وفى السادسة صباحا أرسل أنور السادات النقيب جمال نظيم ومعه نص البيان الموجه الى الشعب المصرى لنشره فى الصحف الصباحية . وفى الساعة السابعة صباحا اذاع أنور السادات من اذاعة القاهرة « البيان الموجه الى الشعب المصرى » (٩٧ ، ص ١١٩) . وهكذا علم سكان مصر بنبأ الثورة .

---

(٢٠) تم اعتقال باقى كبار الضباط اما فى بيوتهم واما فى وحداتهم وفى الطريق الى القيادة العامة .

(٢١) كتب محمد نجيب فى مذكراته أنه بقى فى بيته خصيصا كى يعمل على « تهدئة » « وتضليل » الراى العام المدنى والعسكرى الذى كان يعتبره قائد حركة « الضباط الاحرار » (٩٥ ، ص ١١٣) .

ومنذ الفجر اخذت الطائرات الحربية المقاتلة وقاذفات القنابل تحلق فوق القاهرة والاسكندرية ومدن الدلتا الاخرى . وكانت الدبابات والمصفحات منتشرة فى الميادين العامة وبالقرب من المنشآت الرئيسية بالقاهرة .

وتفقد اللواء محمد نجيب ما بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة يوم ٢٣ يوليو شوارع العاصمة الرئيسية ترافقه ثلاث مصفحات واستقبل الشعب نجيب بالهتاف والتصفيق (٩٥ ، ص ١٢٤) . وكتب راشد البراوى يقول : « وقف الشعب منذ اللحظة الاولى الى جانب الحركة يؤيدها ويباركها طواعية وبلا حدود لأنه كان قد يئس من الدسائس والمؤامرات السياسية والفساد والرشوة وانتهاك الدستور والحريات » (٧٢ ، ص ١١٠) .

وانهالت برقيات التأييد على مجلس قيادة الثورة من كل أرجاء البلاد ومن جميع وحدات الجيش وكافة أسلحته تعرب عن الوقوف الى جانب الثورة وتأييد « الضباط الاحرار » . وفى صباح يوم ٢٤ يولية كان الجيش كله بجميع أفراده يقف بجانب الضباط الثائرين (١٣٥ ب ، ص ٢٦١) .

وفى ٢٣ يولية كتب الهلالى استقالة وزارته ، قبل أن تتمكن من البدء بالقيام بمهام عملها .

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ذهب محمد نجيب ومعه بعض ضباط الثورة الى على ماهر فى بيته وطلبوا منه أن يؤلف الوزارة (٢٢) . وقد أخبره محمد نجيب بمطالب « الضباط الاحرار » التى يجب عليه أن يحملها الى الملك . وكانت هذه المطالب تتلخص فى الآتى :

أ ــ اقالة الفريق محمد حيدر القائد العام وتعيين محمد نجيب بدلا منه .

٢ ــ مجلس قيادة الثورة مسئول بصفة مؤقتة عن جميع القرارات الخاصة بأمن مصر .

٣ ــ تعيين على ماهر وزيرا للحربية ووزيرا للخارجية لحين تقديم مجلس قيادة الثورة لمرشحين مناسبين .

---

(٢٢) كان على ماهر قد أعطى موافقة قبل ذلك ببضع ساعات لمندوب « الضباط الاحرار » أنور السادات لترأس الحكومة الجديدة . وكان ترشيح على ماهر مثار جدل بين أعضاء اللجنة التنفيذية وأخيرا تم اختياره .

وعلاوة علي ذلك طلب مجلس قيادة الثورة من على ماهر اختيار شخصيات على استعداد لمساعدة « الضباط الاحرار » فى تحقيق اهدافهم التى تتلخص فى الآتى :

١ — تطهير جميع الوزارات والاحزاب السياسية .

٢ — محاكمة المرتشين .

٣ — اجراء الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لتحسين أوضاع الشعب المصرى كله . وتقرر سفر على ماهر فى اليوم التالى الى الاسكندرية وقبوله منصب رئيس الوزراء وغيره من المناصب الاخرى فى حالة موافقة الملك على مطالب مجلس قيادة الثورة .

وأدرك قادة « الضباط الاحرار » فيما بعد أن تكليف على ماهر بتأليف الوزارة كان امرا خاطئا . وعموما ، فهو خطأ يغتفر ، لعدم توفر الدراية الكافية عندهم بشئون السياسة . وكان على ماهر بدوره — وهو الرجل السياسى المحنك — قد أدرك بسرعة هوية الوضع السياسى وأن مصير فاروق قد أصبح قاب قوسين أو أدنى . ولهذا فقد وضع نصب عينيه أن يحافظ على سلامة الوضع الاقتصادى والاجتماعى القائم مع التضحية بالملك فاروق .

وكان هناك عدة أسباب حدت بدفع محمد نجيب وعلى ماهر على مسرح الاحداث (علاوة على ماذكر آنفا) . اولا ، لانه من الصعب فى الايام الاولى للانقلاب التكهن بمدى قدرة « الضباط الاحرار » على السيطرة على زمام الامور . ولم يكن قادة الانقلاب يغفلون وجود جيش انجليزى عر مرم على مبعدةمن القاهرة يمكن ان يتدخل فى اى وقت بشاء فى الشئون الداخلية للبلاد ويحتل العاصمة . ولذا فقد فضلوا البقاء لبعض الوقت فى الظل حتى لا يتم التشهير بهم سياسيا فى حالة فشل الانقلاب . وهناك حقيقة يجب الا ننساها وهى العلاقة الجيدة التى كانت تربط محمد نجيب بعلى ماهر وأنه هو بالذات الذى رشحه لمنصب رئاسة الوزارة . واتضح أن مجلس قيادة الثورة كان بعيد النظر وعلى صواب فى حساب تناسب القوى فى البلاد وعلى مسرح الاحداث الدولية للبقاء فى السلطة . لقد كان تعيين على ماهر فى منصب رئاسة الوزارة وهو المعروف بعدائه للانجليز ومحاباته للامريكيين يعطى انطباعا بأن ما حدث فى القاهرة هو انقلاب عسكرى ذو طابع موال للامريكيين . وكان هذا يؤدى بالحتم الى عدم تدخل القوات الانجليزية فيما يجرى من احداث .

وتبعا لما اتفق عليه سافر على ماهر صباح يوم ٢٤ يولية الى الاسكندرية والتقى هناك بالملك فى قصر المنتزه . ووافق الملك على جميع المطالب المقدمة اليه وكلف على ماهر بتأليف الوزارة .

وهكذا انتهت المرحلة الثانية من قيام الوزارة .

ولم يكن الملك يعلم النوايا الحقيقية للضباط . وكان لقاء على ماهر بفاروق داعيا للحرص واليقظة أكثر من جانب الملك . وكان يتوهم أن هدف الانقلاب هو اقصاء الحكومة وابعاد قيادة الجيش فقط ، وليس تصفية نظام الحكم ككل .

وفى ٢٥ يولية سافر القائد العام الجديد ومعه نصف أعضاء مجلس قيادة الثورة الى الاسكندرية ، وبقى ناصر مع الجزء الباقى من المجلس فى القاهرة ليشرف بنفسه على عملية خلع الملك .

وفى اليوم نفسه توجه على ماهر باسم مجلس قيادة الثورة لمقابلة الملك وتقدم اليه بالمطلب الجديد وهو تطهير الحاشية واقالة سبعة من مستشاريه والمقربين اليه ، وخضع فاروق ووافق على هذا المطلب كذلك مما يدل على عجزه التام .

وقد تقرر تحريك قوات الثورة يوم ٢٥ يولية الساعة الخامسة بعد الظهر الى الاسكندرية وهى عبارة عن ٢٥ دبابة ومصفحة وبطارية مدافع على أن ينضم اليها كتيبة من مشاة البحرية للاستيلاء على احدى قصرى الملك او عليهما معا (وهما رأس التين والمنتزة) . وكان من المقرر ان يشترك الاسطول والقوات الجوية فى هذه العملية الا أنه تم تأجيله حتى الساعة الخامسة من صباح يوم ٢٦ يولية بسبب تعب وارهاق الجنود وعدم نومهم الليلتين السابقتين (٩٥ : ص ١٢٦ ، ١٢٩ — ١٣٠) .

وفى ليلة ٢٦ يولية انتقل الملك من قصر المنتزه الى قصر رأس التين . وفى يوم ٢٦ يولية الساعة الثامنة صباحا ضربت قوات الجيش حصارها حول القصر وقد جرح فى هذه العملية ٦ جنود (٩٥ : ص ١٣٣) .

وفى الصباح الباكر يوم ٢٦ يولية وصل محمد نجيب وبرفقته السادات الى مقر رئيس الوزراء ، وسلمه رسالة للملك ، تتضمن التنازل عن العرش على ان يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر السبت ٢٦ يولية ١٩٥٢ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه .

وسلم على ماهر الانذار الموجه من الجيش الى الملك الساعة العاشرة صباحا فى قصر رأس التين (١٢٣ أ ، ص ٣٢) .

وعند الظهر زار سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة وأحد رجال الحزب الوطنى القدامى الملك وحرر له وثيقة التنازل عن العرش .

وقد وصف سليمان حافظ عملية توقيع الملك على وثيقة التنازل عن العرش على النحو التالى : « ألقى فاروق نظرة سريعة على الوثيقة ثم سأل عن أسباب التنازل وأجبته بأن هذا وارد فى مقدمة الدستور بما فيه الكفـــاية . وحاول الملك أن يتمالك أعصـــابه ولكننى لاحظت من خطواته السريعة ونحنحته القصيرة أنه كان على وشك الانهيار وبذل جهدا كبيرا ليتمالك نفســـه . وبعد ان قرأ المـــلك الوثيقة مرتين ابدى عدم ارتياحـــه لعبارة « نزولا على ارادة الشـــعب » وسأله ان يضيف الى هذه العبارة عبارة « ونزولا على ارادتنا » . فأجابة سليمان حافظ :

انه لا يملك التغيير فى نص الوثيقة .. وبعد ان وقع الملك وثيقة التنازل قال له :

« اننى آمل ، انكم تراعون الظروف وتعذروننى ان جاء توقيعى على غير ما اريد . لذا فانى سأوقع مرة اخرى » (٧٢ ، ص ١٥)

وتنازل المـــلك عن العرش شكليا لابنه احمـــد فؤاد وعمره ســـتة شهور(٢٣) .

وبينما كانت الشمس تغرب على ميناء الاسكندرية وعقارب الساعة تقترب من السادسة خرجت المحروسة الى عرض البحر للابد تحمـــل فاروق بلا رجعـــة .

---

(٢٣) شكل مجلس الوزراء فى ٢ اغسطس (آب) مجلس وصاية مؤقت على العرش من ثلاثة افراد كان رشاد منها احدهم . الا انه سرعان ما فصل منه بسبب معارضته لقانون الاصلاح الزراعى . وقد حددت اقامته فيما بعد لمحاولته تدبير مؤامرة ضد نظام الحكم الجديد . وكان المجلس يضم كذلك الامير محمد عبد المنعم (ابن الخديوى عباس حلمى الذى اطاح به الانجليز عام ١٩١٤) وبهى الدين بركات .

وهكذا انتهت المرحلة الاخيرة والثالثة من قيام الثورة .

وكان « الضباط الاحرار » يدركون مدى خطورة تدخل القوات الانجليزية فى الشئون الداخلية لمصر بحجة حماية ارواح وممتلكات الرعايا البريطانيين . وكانوا يعلمون تمام العلم ان القوات البريطانية بالذات هى التى اغرقت ثورتى ١٨٨٢ و ١٩١٩ المعادية للامبرياليين فى حمامات الدم ، وحاولت منذ نصف عام واد الحرب الفدائية فى منطقة القناة . وقد كتب محمد نجيب فيما بعد يقول :

« لقد اوضحت الاحداث ان مخاوفنا كانت فى محلها »(٩٥ ، ص ١١٩)

وذكر محمد نجيب يقول ان احدى المهام الرئيسية التى كان على « الضباط الاحرار » انجازها بعد الاستيلاء على السلطة هى اقناع الحكومة البريطانية والامريكية ان السلطة فى مصر لم تنتقل الى « الاخوان المسلمين » ولا الى الشيوعيين . وقد تجلى هذا بوضوح فى المؤتمر الصحفى الذى عقده محمد نجيب فى ٢٤ يولية واكد فيه ان الضباط ليسوا شيوعيين ولا من اعضاء الجمعية ولا من هواة المغامرات العسكرية (٩٥ ، ص ١٢٨) .

وفور انتهاء المرحلة الاولى من قيام الثورة وفى الصباح الباكر من يوم ٢٣ يولية توجه مندوب « الضباط الاحرار » النقيب على صبرى رئيس المخابرات الجوية لزيارة السفارتين الانجليزية والامريكية فى القاهرة . الا ان السفير البريطانى ستيفنسون كان يقضى اجازته فى انجلترا ، والقائم بالاعمال كريسفيل سافر الى الاسكندرية . وكان جيفرسون كافرى السفير الامريكى فى مقره الصيفى بالاسكندرية . وقد طلب على صبرى من الموظفين الذين قابلهم فى السفارتين ابلاغ السفيرين حكومتى انجلترا وامريكا ان الانقلاب عمل داخلى محض يخص المصريين وحدهم وان ارواح وممتلكات الاجانب فى الحفظ والصون واذا لم يتدخل الانجليز فى الشئون الداخلية للبلاد فسوف يعاملون مثل باقى الاجانب ، والا فعليهم ان يتحملوا مغبة عملهم ومسئولية اراقة الدماء التى لا مناص منها (٩٥ ، ص ١١٨ — ١١٩ ، ٩٧ ، ص ١١٨) .

ولم تكن هناك اية معلومات عن الاتصالات بالسفارة الانجليزية ، وفى المقابل اذاعت وكالة يونايتدبرس يوم ٢٤ يولية ان محمد نجيب سارع عقب الانقلاب بالاتصال بالعقيد ديفيد ايفانسوم الملحق العسكرى الجوى الامريكى (١٣٦ ، ١٩٥٢/٧/٢٤ ، ٩٥ ، ص١١٨ — ١١٩) .

ويقول محمد نجيب فى مذكراته :

« لو كان كفرى موجودا فى القاهرة ، لقمنا بالاتصال به شخصيا لانه واحد من الدبلوماسيين القلائل الذين نثق بهم » (٩٥ ، ص ١١٩).

وكان فاروق قد طلب من كافرى ان يبلغ الانجليز « انه يصر على طلب المساعدة من الانجليز » . ولكن كافرى اجاب الملك ان حكومته ضد التدخل الاجنبى ووعده بضمان سلامته اذا ما اقتضت الضرورة ذلك .
وكان فاروق قد ارسل عدة برقيات للقائد البريطانى فى منطقة قناة السويس والى الحكومة البريطانية يرجوها فيها العمل على حماية عرشه الا ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية اخبرت لندن رسميا ان امريكا فى ظل الاوضاع الراهنة « تعارض بحزم التدخل الاجنبى » (٩٥ ، ص١٢٧).

وهكذا نجح قادة الانقلاب فى الاستفادة من التناقضات الانجلو امريكية فى مصر ومن ثم تحاشوا التدخل المسلح الانجليزى المحتمل .

الخاتمـــة

وهكذا ، فان حركةالجيش المصرى فى٢٣ يولية ١٩٥٢ تشبه منحيث الشـــكل الانقلابات العادية ، ولكن تطور الاحداث اللاحق سرعان ما اوضح ان هذه الحركة ماهى الا ثورة معادية للاقطاع والامبرياليـــة .

كتب جمال عبد الناصر يقول : « ليس حقا ان ثورة ٢٣ يولية قامت بسبب نتائج حرب فلسطين . كما ولم تقم بسبب توريد الاســـلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط مصريون . كما اننا نجا فى الحقيقة اذا ارجعنا السبب فى قيامها الى ازمة انتخابات مجلس ادارة نادى الضباط . اننى اعتقد ان الثورة قامت لاسباب اكثر عمقا وجدية » (٦٩ ، ص١٠).

ولم يكن لدى الضباط الشبان فى المرحلة الاولى اى برنامج سياسى واضح . ولكنجميع اعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا على ثقـــة كبيرة من ان أسباب الوضع البائس لوطنهم تكمن فى سيطرة الامبريالية البريطانية وتحكم كبار الاقطاعيين والبرجوازية الاحتكارية المالية والتى كانت الملكية المهترئة تعبر عن مصالحها .

وكما نوهنا آنفا ، فقد كان ضباط الثورة من ذوى الاراء السياسية المتباينة الا انه لاجدال فى ان ايديولوجية النواه القائدة « للضباط الاحرار » كانت تختلف عن الاخوان المسلمين وحزب الوفد وكذلك عن النظريـــة الماركسية اللينينية ، وان كانت هذه جميعها قد تركت بصماتها على تكوينهم الفكـــرى .

وجهت الحكومة الجديدة جهودها الاساسية للعمل على تحرير البلاد سياسيا من السيطرة الاجنبية .

وتركز لب سياســـة نظام الحكم الجديد فى مســـألة اجلاء القوات الانجليزية عن مصر اجلاء تاما وغير شروط .

وصدر فى الاسابيع الاولى بعد قيام الثورة قانون بتصفية البوليس السياسي واعتقال مجموعة من قياداته الكبيرة وصدر قانون بتطهير جهاز

الدولة من العناصر الفاسـدة كان من نتيجته اقالة بضع مئات من كبار الموظفين المدنيين وكبار ضباط الجيش ، وقدم اكثرهم فسادا الى محكمة الثورة.وتم الافراج عن ٢٠٢ معتقل سياسى وهم اساسا من بين اعضاء الحزب الوطنى وجمعية « الاخوان المسلمين » ، والغيت الالقاب المتخلفة عن عهود الاحتلال العثمانى .

وفى ٧ سبتمبر ١٩٥٢ ابعد على ماهر عن السلطة لاعتراضـه على قانون الاصـلاح الزراعى . وكان على ماهر رفيق الثورة المؤقت جاءت به المقادير والصدف البحتة .

وكان اهم اجراء اتخذته حكومة الثورة هو صدور قانون الاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ والذى نص على تحديد الملكيـة الزراعية بمائتى فدان . وكان هذا القانون هو اول قانون ضد الاقطاع الزراعى فى الشرق العربى كله . وقد ايد الشعب تأييدا حارا قانون الاصـلاح الزراعى وما اعقبه من اجراءات اقتصادية اخرى لحكومة الثورة .

وتقلد زمام السلطة فى البلاد الوطنيون المخلصون من ابناء البرجوازية الوطنية والطبقات المتوسـطة والفقيرة بدلا من النظام الملكى المتصدع وطبقات كبار الاقطاعيين والبرجوازية الاحتكارية .

وكانت البرجوازية الكبيرة تأمل فى النجاح لتتواءم مع النظام الجديد وتتمكن بواسطة قدرتها الاقتصادية الجبارة ان تلعب الدور الحاسـم فى الحياة السياسية للبلاد . الا ان سير الاحداث اللاحق اوضـح اخفاق حساباتهم وفشلها .

وفى١٧ يناير ١٩٥٣ اصدر مجلس قيادة الثورة قانون حل الاحزاب السياسية ومصادرة اموالها وفى ٢٣ ــ ٢٦ يناير ١٩٥٣ اعلن ميلاد« هيئة التحرير » كتنظيم سياسى رسمى وحيد لتأخذ مكان الاحزاب السابقـة وتكون دعامة لنظام الحكم الجديد . واعلن قيام « فترة انتقالية » لمـدة ثلاث سنوات لتهيئة الجو لبناء سلطة ديمقراطية دستورية . واخيرا ، فى ١٧ يونيـة ١٩٥٣ الغيت الملكية واسدل الستار نهائيا على اسرة محمد على والغى مجلس الوصاية . وفى ١٨ يونية ١٩٥٣ اعلنت الجمهورية فى مصر . واصبح اللواء محمد نجيب اول رئيس للجمهورية المصرية .

ومنذ منتصف عام ١٩٥٣ بدأت الخلافات تدب بشـكل واضح بين قادة نظام الحكم الجديد . فكانت الجماعة الليبرالية البرجوازية برئاسة

محمد نجيب ترى ان الثورة قد انتهت وتريد ان يعود الجيش الى ثكناته واقامة حكم مدنى وان تحكم البلاد بدستور جديد وكانت هذه الجماعة تعبر عن ميول البرجوازية الكبيرة والمتوسطة . ولم يكن التيار الديمقراطى الثورى الذى يضم غالبية اعضاء مجلس قيادة الثورة برئاسة عبدالناصر ليسمح بعودة الاوضاع الى سابق عهدها فيما قبل الثورة ، لان هذا معناة ارجاع الاحزاب البرجوازية الاقطاعية للسلطة ، وكان يعمل بحزم وتصميم من اجل تطور الثورة وتعميق جذورها باطراد . ولم يكن محمد نجيب يتمتع بنفوذ كبير داخل مجلس قيادة الثورة ، وراح يبحث عن التأييد عند قادة الوفد « والاخوان المسلمين » وتحالف مع عدد من كبار رجال السياسة فى العهد البائد .

وبلغ الصراع بين هاتين المجموعتين مداه فى شهر مارس (آذار) ١٩٥٤ . ونجح مجلس قيادة الثورة فى تحييد « الاخوان المسلمين » واما الهيئات الديمقراطية التى خاب املها فى محمد نجيب بسبب تحالفه مع الرجعيين فقد نفضت يدها منه . وفى ١٨ ابريل تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة عبد الناصر وشغل فى نفس الوقت منصب الحاكم العسكرى لمصر.

ومنذ الان فصاعدا اصبح قادة « الاخوان المسلمين » العدو اللدود للثورة ، وهم الذين كانوا يطمعون منذ البداية ان يقلدهم مجلس قيادة الثورة السلطة فى البلاد وفى ١٢ يناير ١٩٥٤ شهدت القاهرة صداما دمويا بين الطلاب من اعضاء الجمعية وبين انصار نظام الحكم الجديد وكان نتيجة اعتقال ٤٥٠ من اعضاء الجمعية بقرار من مجلس قيادة الثورة (وعلى غير ارادة محمد نجيب) . وبعد ان تأكدت قيادة « الاخوان المسلمين » من ان الضباط الاحرار لا ينوون التخلى عن السلطة لجأت الى طريق المؤامرات والارهاب . وفى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ قام احد اعضاء الجمعية بمحاولة عتداء فاشلة على حياة عبد الناصر فى الاسكندرية . وقد تم حل الجمعية فى نهاية ١٩٥٤ .

وكشفت التحقيقات فى قضية الاخوان المسلمين عن علاقة محمد نجيب بهم . وفى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ اعفى محمد نجيب من جميع مناصبه الرسمية فى الدولة وحددت اقامته(١) .

---

(١) ظل منصب رئيس الجمهورية خاليا ، وقام بأعبائه مجلس قيادة الثورة ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر بحث جولد وبتى (١٩ أ) .

وبعد ابعاد على ماهر ومحمد نجيب عن السلطة اصبح واضحا ان الثورة ستتشق طريق التطور المعادى للامبريالية .

وفى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ تم توقيع اتفاقية تتضمن الغاء معاهدة ١٩٣٦ الانجلو مصرية واجلاء القوات المسلحة الانجليزية عن مصر خلال ٢٠ شهر تبدأ منذ لحظة توقيع الاتفاقية . وبمقتضى هذه الاتفاقية رحل آخر جندى بريطانى عن ارض مصر فى ١٧ يونية ١٩٥٦ .

ورفع عبد الناصر علم مصر خفاقا عاليا فوق معقل من معاقل الانجليز فى بورسعيد يوم ١٨ يونية ١٩٥٦ . وهكذا اسدل الستار على اتعس حقبة فى تاريخ مصر امتدت زهاء ٧٤ عاما رزحت فيها البلاد تحت نير الاحتلال .

واقتنعت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا العظمى من خلال نضال الشعب المصرى الباسل فى منطقة قناة السويس ١٩٥١ — ١٩٥٤ ان استمرار وجود القوات الانجليزية فى الارض المصرية أكثر من ذلك ، امر لاطائل منه ، لانها محاصرة من كل جانب بالمواطنين المعادين لها . وادركوا بأنهم لو لم يخرجوا من انفسهم لارغمهم الشعب المصرى على الجلاء فى اقرب وقت .

وفى ٢٣ يونية ١٩٥٦ وعن طريق الاستفتاء العام تم اقرار دستور الجمهورية المصرية . وكان هذا آخر عمل لانهاء «الفترة الانتقالية» التى بدأت فى ٢٣ يولية ١٩٥٢ وتم انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية .

واخذت حكومة عبد الناصر بعد ان رسخت من اقدامها على صعيد السياسة الداخلية تعمل بحزم على انتهاج سياسة مستقلة خارجية. وكانت الجمهورية الفتية تحارب محاولات دول الغرب فى جذب المنطقة العربية الى الاحلاف العسكرية العدوانية . وتجلت سياسة مصر المستقلة والمحبة للسلام فى مؤتمر باندونج والذى عقد فى شهر ابريل ١٩٥٥ حيث ترأس عبد الناصر وفد بلاده وساهم بنصيب الاسد فى دعم وتضامن البلدان الافروآسيوية .

وكان من اهم احداث المرحلة التالية تأميم قناة السويس (٢٦ يولية ١٩٥٦) ، والاصلاحات المعادية للرأسمالية ١٩٦١ — ١٩٦٤ ، صدور الميثاق الوطنى (٣٠ يونية ١٩٦٢) ، وبناء الاتحاد الاشتراكى العربى

واعلان الدستور المؤقت (٢٤ مارس ١٩٦٤) الذى اعلن الجمهورية العربية المتحدة « دولة ديمقراطية اشتراكية ، مبنية على تحالف قوى الشعب العامل » .

وربطت علاقات الصداقة الوطيدة الجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتى . وكان الاتحاد السوفيتى يقف بحزم وثبات الى جانب نضال الشعب المصرى المجيد المعادى للامبريالية .

وكان لموقف الاتحاد السوفيتى الصلب بالذات دورا كبيرا فى قطع الطريق على العدوان الامبريالى على مصر فى ١٩٥٦ و١٩٦٧ . وكان لمعونة الاتحاد السوفيتى وبلدان المنظومة الاشتراكية الاخرى فى المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية الدور الكبير فى ازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

ولا تنحصر الثورة المصرية فى احداث يولية ١٩٥٢ وحدها ، بل كانت تلك الاحداث نهاية لفترة تاريخية طويلة من تطور حركة التحرر الوطنى فى مصر خلال السنوات السابقة . ومازالت الثورة المصرية آخذة فى التطور ويتوقف الكثير على مدى الدور الذى تلعبه القوى الديمقراطية والتقدمية لمسيرة الاحداث اللاحقة فى جمهورية مصر العربية .

الاســــتنتاجات

١ ـ لقد بدأ خلال السنوات الاولى التى اعقبت الحرب مرحلـــة جديدة نوعيـــا فى تاريخ حركة التحرر الوطنى للشعب المصرى . ولقـــد بلغ النضـــال من اجل الاستقلال الوطنى خلال هـــذه الفترة اوجه وانتهى بالنصر المظفر لثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ . وكانت حركة التحرر الوطنى المصرية فى المرحلة النهـــائية من تطورها ذات طـــابع معاد للامبريالية والاقطاع والملكية وتعارض السيطرة السياسية والاقتصادية للامبريالية البريطانية وتحكم كبار الاقطاعيين وكبار الملاك البرجوازيين سواء بسواء وكذلك الملكية المهترئة ، وهى الفئات الاجتماعية المصرية التى كان يعتمد عليها هيلمان الاحتكارات البريطانيـــة .

٢ ـ وكانت الغالبيـــة العظمى من ابناء الشعب المصرى وجميـــع الطبقات والفئات والجماعات المصرية القادرة على البذل والعطاء من الفلاحين والطبقة العاملة والطبقات الفقيرة والمتوسطة والبرجوازية الوطنية لهـــا مصـــلحة كبيرة فى القضاء على هيمنـــة الانجليز واذنابهم فى مصر .

وكانت الظروف الموضوعية مهيأة خلال هذه الفترة فى مصر لبناء جبهة وطنية موحدة معادية للامبريالية . وظهرت التنظيمات الجبهوية خلال فترات اندلاع النضـــال التحررى للشعب (اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وجبهة شـــباب وادى النيل فى ١٩٤٦ ، واللجان الوطنية الشعبية فى ديسمبر ١٩٥١ ـــ وينايـــر ١٩٥٢) ولكن حياتها كانت قصيرة وسرعان ما انطفأت شموعها . ولم تنجح محاولات بناء تنظيم متجانس دائم من جبهـــة وطنية واحدة فى مصر بعد الحرب (١٩٤٥ ـــ ١٩٥٢) .

٣ ـ وقد تحولت الطبقة العاملة المصرية بعد الحرب العالمية الثانية الى قوة سياسة مؤثرة وتعاظم دورها وتنامت مكانتها بلا حدود فى الحركة التحررية وقد حققت بعض النجاحات المحددة فى الجانب التنظيمى . وكان للبروليتاريا المصرية فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية دورا هاما مؤثرا فى نضال الشـــعب المعادى للامبرياليـــة وقد تجلت وطنيـــة ودرجة تنظيم الطبقة العاملة اثناء فترة ازدهار الحركة التحررية فى فبراير ـــ مارس ١٩٤٦ واثناء فترة النضال المســـلح فى منطقة قناة الســـويس خاصـــة (اكتوبر ١٩٥١ ـــ يناير ١٩٥٢) عند ما رفض جميع العمال المصريـــين التعاون مع الانجليز وهجروا المعسكرات البريطانية . وكانت فرق الفدائيين التى كان يشـــكل العمال نواتها ، اكثر صلابة واقداما .

الا ان الطبقة العاملة المصرية لم تتمكن خلال هذه الفترة من تزعم نضال الشعب المعادى للامبريالية . وكان هناك جزء كبير من الطبقة العاملة متأثرا بالايديولوجية البرجوازية ولا سيما البرجوازية الصغيرة وكان الوفد وجمعية الاخوان المسلمين والحزب الاشتراكى والحزب الوطنى يسيطرون على اعداد كبيرة من الطبقة العاملة . واخفقت البروليتاريا المصرية فى هذه الفترة فى بناء حزب طليعى موحد للطبقة العاملة ويرجع السبب فى هذا الى تركيبتها النوعية المميزة (نظرا لطبيعة الاقتصاد الاستعمارية) ، وانتشار الايديولوجية البرجوازية الضحلة بين أوساط الغالبية العظمى من الطبقة العاملة والتعقب والملاحقة الصارمة للحركة العمالية من جانب الحكومات البرجوازية .

٤ — وعجزت البرجوازية الوطنية هى الاخرى عن قيادة حركة الشعب المعادية للامبريالية والوصول به الى شاطىء النصر . وبالرغم من ان حزب الوفد وهو الحزب البرجوازى الوطنى ظل يتمتع حتى عام ١٩٥٢ (من بين جميع التنظيمات السياسية الشرعية) بأكبر قسط من الشعبية والانتشار فى البلاد ، الا ان زمام قيادة النضال الشعبى قد افلت من يده اثناء فترات ازدهار الحركة التحررية (مثلما حدث فى فبراير — مارس ١٩٤٦ واكتوبر ١٩٥١ ويناير ١٩٥٢) .

وكافحت البرجوازية الوطنية كجزء لا يتجزء من الامة المضطهدة للقضاء على السيطرة الاجنبية وحاولت ان تلعب دور الاحتكارات الاجنبية فى اقتصاد البلاد وتحل محلها . الا ان البرجوازية الوطنية كطبقة من المستغلين كانت تخشى تعميق جذور الحركة التحررية وصبغها بالصبغة الديمقراطية ولذا كانت تنزع الى مهادنة الامبرياليين .

وكان النضال المسلح فى منطقة قناة السويس بمثابة امتحان من نوع خاص بالنسبة للاحزاب البرجوازية المصرية لاختبار صلابتها وقد رسب جميعها فى هذا الامتحان . وتحقق الشعب من انه لا يوجد حزب واحد من بين الاحزاب السياسية الشرعية كلها بمقدوره تزعم حركة النضال المعادى للامبريالية .

٥ — وكانت الطبقات الفقيرة والمتوسطة من سكان المدن (وكذلك البرجوازية الصغيرة فى الريف) تشكل بالاضافة الى الطبقة العاملة اهم قوة محركةداخل حركة التحرر الوطنى المصرية .وكانتهى نواة اللجنةالوطنية للعمال والطلبة فى ١٩٤٦ ولعبت دورا طليعيا فى نضال الشعب المعادى للامبريالية خلال فترة النضال المسلح فى منطقة قناة السويس فى ١٩٥١—

١٩٥٢ . وكانت تشكل بالاشتراك مع الفلاحين الذين انضموا اليها فيما بعد هيكل الفرق الفدائيـــة .

وتمكن احدى الخصائص الهامة لنضال التحرر الوطنى للشـــعب المصرى خلال فترة ما بعد الحرب فى انه تم عموما تحت القيادة الايديولوجية والسياسية للبرجوازية المتوسطة من سكان المدن . الا ان قواها كانت مشتتة (اى الطبقات الفقـــيرة والمتوســـطة) بـــين مختلف الاحـــزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة التى كانت دائمة التشاحر فيما بين بعضها البعض.وكان جناح الوفد اليسارى يمثل الجزء الاكثر ثورية من البرجوازية الصغيرة .

وقد عاش الحزب فى سنوات ما بعد الحرب ، ولا سيما بعـــد ١٩٥٠ ازمة حادةجسيمة ،وخصوصا بعد ما وصل الوفد للسلطة،بسبب الاختلافات فى تناول مهام حركـــة التحرر الوطنى بين قيادة الحزب التى تمثل مصالح بعض فئات كبار البرجوازية الاحتكارية المالية وبين القاعدة العريضة من اعضاء الحزب التى تجســـد امزجة وميول الجزء الثورى من الطبقات المتوسطة والبرجوازية الصـــغيرة . ولهذا الســـبب اوجبت الضرورة الموضوعية ظهور تنظيم جديد يعبر عن ميول الجزء الثورى من البرجوازية الصغيرة . وقد اضطلعت بهذه المهمة حركة « الضباط الاحرار » السرية التى قامت بثورة ٢٣ يوليـــة ١٩٥٢ .

وتكمن احدى الخصائص الاخرى لحركة التحرر الوطنى فى مصر (خلافا عن الجـــزائر مثلا) فى ان الفلاحين (وهم الاغلبية المطلقة من ســـكان البلاد) لعبت دورا أقـــل من الدور الذى لعبته الطبقـــات المتوســـــطة والبرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة من ســـكان المدن .

وكان نضال الفلاحين المصريين حتى ديسمبر ١٩٥٢ يتجلى اساسا فى اشتراكهم فى المظاهرات الشـــعبية التى كانت تنظم فى كبرى المـــدن المصريـــة . ولم يكن كفاحهم ضـــد الاقطاعيين والانجليز يتسم فى هذه الفترة بطابع جماهيرى . وكانت احدى صـــور نضال الفلاحين المصريين ضد الامبريالية هو تحول عســـاكر « بلوك النظام » اى قوات البوليس الاحتياطى المكونة من الفلاحين للعمل بجانب فرق الفدائيين خلال الفـــترة من اكتوبر ١٩٥١ حتى يناير ١٩٥٢ .

وقد تشكلت فى المرحلة الاخيرة وحدها من النضال المسلح فى منطقة قناة السويس (ديسمبر ١٩٥١ ــ يناير ١٩٥٢) فى كثير من قرى منطقة

القناة والمديريات المجاورة لجان الدفاع وفرق الفدائيين . وبقدر اتساع دائرة النضال المسلح كانت تتزايد اعداد الفلاحين المنضمة الى القوات المحاربة حتى صارت الصبغة الغالبة لها هى حرب الفلاحين . الا ان الحرب الفدائية فى منطقة قناة السويس اخذت فى التقلص بعد الانقلاب الرجعى فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ وأصبحت من جديد كبرى المدن المصرية مراكز للنضال التحررى .

٦ ــ لم يسمح الشعب المصرى للامبرياليين البريطانين ان يكبلوا البلاد بأغلال معاهدة مجحفة جديدة أو ان يضموا مصر الى الاحلاف العسكرية والتى كانت انجلترا وامريكا تطرح باستمرار مخططات انشائها كفروع لحلف شمال الاطلنطى فى الشرق الاوسط .

وكان لهذا اكبر الاثر فى انجاح سياسة عدم الانحياز وفشل المخططات العدوانية التى كانت تحيكها الدول الغربية فى الشرق العربى كله .

٧ ــ اذا كان نضال الشعب المصرى الباسل خلال ١٩٤٥ ــ ١٩٤٧ قد أرغم الانجليز على اجلاء قواتهم من كبرى المدن المصرية واسفر عن تقوقعهم فى منطقة قناة السويس ، فان النضال المسلح فى منطقة القناة خلال المدة من اكتوبر ١٩٥١ وحتى يناير ١٩٥٢ لم يدع مجالا للشك لدى الدوائر الحاكمة الانجليزية فى انه يتحتم عليها فى القريب العاجل تصفيه قواعدها فى الاراضى المصرية . ويكمن المغزى التاريخى للنضال التحررى الذى خاضه الشعب المصرى فى منطقة قناة السويس خلال عامى ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ فى ارغام الدوائر الحاكمة البريطانية على الاعتراف وتقبل فكرة حتمية اجلاء قواتها عن مصر .

٨ ــ ولقد كان لنضال الشعب المصرى البطولى فى الاعوام ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ من اجل القضاء على السيطرة الانجليزية ابلغ الاثر فى مجرى النضال المعادى للامبريالية فى جميع البلدان العربية وكثير من البلدان الافريقية.زد على ذلك ان النضال التحررى للشعب المصرى كان حلقة هامة ضمن حلقات السلسلة المتصلة العامة للنضال العظيم الذى تخوضه شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية من اجل القضاء على النظام الاستعمارى المخزى ومن اجل التحرر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الكامل .*

ترجمة دكتور / **عاطف عبدالهادى علام**
٢٠ يناير ١٩٨٤

---

* نشرت هذه الدراسة فى موسكو سنة ١٩٧٠

المراجع :

١ — لينين ف . أ كراسات عن الامبريالية — المؤلفات الكاملة مجلد ٢٨ .

١ — (أ) لينين ف . أ . يقظة آسيا — المؤلفات الكاملة ، مجلد ٢٣ .

٢ — « برنامج الحزب الشيوعى السوفيتى ، موسكو ١٩٦١ » .

٣ — « السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى » ، الجزء الثانى ، موسكو ، ١٩٥٢ .

٤ — « المؤتمر العالمى الثانى لانصار السلام » ، موسكو ، ١٩٥١ .

٥ — « هيئة الامم المتحدة . مجلس الامن . تقارير رسمية . العلم الثانى » ، رقم ٧٠ — ٨٦ ، نيويورك ، ١٩٤٧ .

٦ — « طريق بريطانيا للاشتراكية (برنامج الحزب الشيوعى البريطانى) » — « بولشفيك » ، ١٩٥١ ، رقم ٣ .

٧ — « الاتحاد السوفيتى والبلدان العربية ١٩٧٧ — ١٩٦٠ » ، موسكو ، ١٩٦١ .

٨ — أفاكوف وميرسكى ، عشر سنوات من نضال الشعب المصرى ضد الامبريالية (١٩٥٢ — ١٩٦٢) ، « شعوب آسيا وأفريقيا » ، ١٩٦٢ ، رقم ٤ .

٩ — أفاكوف وميرسكى — حول البناء الطبقى فى البلدان النامية — « الاقتصاد المالى والعلاقات الدولية » ، ١٩٦٢ ، رقم ٤ .

١٠— آيرو ، فلاحو مصر ، موسكو ، ١٩٥٤ .

١١— آتساميا ، تكون الطبقة العاملة فى مصر ووضعها الاقتصادى ، موسكو ، ١٩٦٠ .

١٢— آتساميا ، الحركة العمالية فى مصر عشية الحرب العالمية الثانية (١٩٢٩ — ١٩٣٩) ، — « الطبقة العاملة فى بلدان آسيا وأفريقيا » ، موسكو ، ١٩٦٦ .

١٣— خالد بكداش ، سورية ، « المسألة الزراعية وحركة التحرر الوطنى » ، موسكو ١٩٦٣ .

١٤ــ راشــد البراوى وحمزة عليش محمد . التطور الاقتصادى فى مصر فى العهــد الجــديد ، مسكو ، ١٩٥٤ .

١٥ــ فايان ، ماذا رأيت فى مصر ، موسكو ، ١٩٥٣ .

١٦ ــ فارجا ، القضايا الاقتصــادية الاســاسية وسياسة الامبريالية ، الطبعة الثانية ، موسكو ، ١٩٥٧ .

١٧ــ فاتولينا ، ج . ع . م ــ الاقليم المصرى ، « العلاقات الزراعيــة فى بلدان الشرق » ، موسكو ، ١٩٥٨ .

١٨ــ فاتولينا ، اقتصاد ج . ع . م ، موسكو ، ١٩٦٢ .

١٩ــ جولدوبين ، ج . ع . م ، وسياسة انجلترا فى الشرقين الاوسط والادنى ، موســكو ، ١٩٦٦ .

١٩ أ ــ جولدوبــين ، انتصــار التيــار الراديكالى فى الثورة المصريــة ربيع ١٩٥٤ « البلدان العربية . تاريخ . اقتصاد » ، موسكو ، سنة ١٩٦٦ .

٢٠ ــ جولدوبين ، انحدار جمعية الاخوان المســلمين فى مصر ١٩٥٤ ، « مواد علمية ، جامعة لينتجراد » سلسلة علوم الدراسات الشرقية ، رقم ٣٠٤ ، العدد ١٤ ، لينتجراد ، ١٩٦٢ .

٢١ ــ جوردونوف . « مصر » ، موســكو ، ١٩٥٣ .

٢٢ــ دلين ، ج . ع . م ، موسكو ، ١٩٦٣ .

٢٣ــ ديمتريفسكى . السودان الانجلو مصرى ، موسكو ، ١٩٥ .

٢٤ــ ليفــانوف ، حركة التحـــرر الوطنى والطريق اللارأسمالى ــ « الحيــاة الدولية » ، ١٩٥٦ ، رقم ٥ .

٢٥ــ ايســاق ، مصر فى منتصف القرن العشرين ، موسكو ، ١٩٥٨ .

٢٧ــ كالينين . المؤتمر الوطنى الاول للوفد ــ مجلد « البلدان العــربية ــ تاريخ . اقتصاد » ، موسكو ، ١٩٦٦ .

٢٨ــ كيسيليوف . طريق السودان للاستقلال، موسكو ، ١٩٥٨ .

٢٩ ــ القرآن الكريم قازان ، ١٨٩٤ .

٣٠ــ كوردجيلاشفيلى ، ثورة ١٩٥٢ وانهـــزام السيطرة البريطــانية فى مصر . موسكو ، ١٩٦٦ .

٣١ــ ليفين وممايف . بنــاء الدولة فى بلدان الشرقا لعربى . موسكو ، سنة ١٩٥٧ .

٣٢ ــ ليونوف ، وضع الطبقة العاملة المصرى فى سنوات الحرب العالمية الثانيــة (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) ــ « بلدان آســـيا وأفريقيا » ، ١٩٦٢ ، رقم ٥ .

٣٣ ــ لوتسكى ، البلدان العربية ، موسكو ، ١٩٤٧ .

٣٤ــ لوتســكى ، ثورة يوليــــو ١٩٥٢ فى مصر ، « علم الاستشراق السوفيتى » ، ١٩٥٧ ، رقم ٢ .

٣٥ــ ميرسكى ، البلدان العــربية تواصــــل النضــال ، موسكو ، سنة ١٩٦٥ .

٣٦ــ ميرسكى وباكاتايفا ــ الطبقــات والصراع الطبقى فى البــــلدان النامية ــ « الانتصاد الدولى والعلاقات الدوليــة » ، ١٩٦٦ رقم ٢ ، ٣ .

٣٧ ــ ميرسكى ــ البروليتاريا وثورات التحرر الوطنى ــ«العصر الحديث» ١٩٦٤ ، رقم ١٨ .

٣٨ ــ ميرسكى ــ مرحلة جــديدة فى تطــور ج . ع . م ــ « العصر الحديث » ، ١٩٦٥ ، رقم ٤٨ .

٣٨ (ا) ــ « سياســـة امــريكا فى الشرق العــربى » ، موســكو ، سنة ١٩٦١ .

٣٩ ــ ساخا تمورادوف ، ــ الحركة النقابية فى ج.م.ع بعد الحــرب العالمية الثانية ــ « الطبقة العاملة والحــركة العمالية فى بلدان آسيا وأفريقيا » ــ موسكو ، ١٩٦٥ .

٤٠ــ سيرانيان ــ نضــال الشــعب المصرى ضد الاحتــلال الانجليزى فى ١٩٤٥ ــ ١٩٤٧ ، « الاستعمار الد أعداء شعوب الشرق » ، موسكو ، ١٩٦٢ .

٤١ ــ سميرنوف ، تاريخ السودان ، موسكو ، ١٩٦٨ .

٤١ ــ (ا) ســميرنوف ، مشــاكل تاريخ الســودان ، موســـكو ، سنة ١٩٦٦ .

٤١ ــ (ب) سولونيوف وفيلشتينسكى ويوسوبوف ، ــ الادب العربى ، موسكو ، ١٩٦٤ .

٤٢ – ستاريتين ، – وضع الطبقة العاملة فى مصر – « الشرق الثائر » ، سنة ١٩٣٥ ، رقم ٤ .

٤٣ – سلطانوف – الطبقات والاحزاب فى مصر المعاصرة ، « دراسات معهد موسكو للاستشراق » ، ١٩٥٣ ، المجلد ٧ .

٤٤ – سلطانوف – ، وضع الفلاحين المصريين قبل الاصلاح الزراعى ، موسكو ، ١٩٥٨ .

٤٤ – (ا) توجانوفا ، – سياسة امريكا وانجلترا فى الشرقين الاوسط والادنى ، موسكو ، ١٩٦٠ .

٤٥ – وورينير ، – الاصلاح الزراعى فى بلدان الشرق العربى ، موسكو ، ١٩٥٨ .

٤٦ – فريدمان ، التطور الرأسمالى فى مصر ، موسكو ، ١٩٦٣ .

٤٧ – فريدمان – « احتكار بنك مصر » فى ١٩٢٠ – ١٩٣٩ « (بعض خصائص تكوين وتطور البرجوازية المصرية الضخمة) – مقالات عن تاريخ البلدان العربية ، موسكو ، ١٩٥٩ .

٤٨ – فريدمان ، – اوضاع الطبقة العاملة ونضالها فى مصر خلال ١٩٣١ – ١٩٣٨ ، « قضايا التاريخ » ، ١٩٥٤ ، رقم ٢ .

٤٩ – حسن عبد الرازق محمد ، أزمة الاقتصاد المصرى ، موسكو ، سنة ١٩٥٥ .

٥٠ – شهدى عطية الشافعى ، تطور الحركة الوطنية المصرية فى السنوات ١٨٨٢ – ١٩٥٩ ، موسكو ، ١٩٦١ .

٥١ – ياكوفيللو ، موعد فى السويس ، موسكو ، ١٩٥٣ .

٥٢ – « بولشفيك » .

٥٣ – « نشرة المعلومات التجارية الاجنبية » .

٥٤ – « قضايا التاريخ » .

٥٥ – « الحركة النقابية العالمية » .

٥٥ – (أ) « ازفستيا » .

٥٦ – « الحياة الدولية » .

٥٧ – « الاقتصاد العالمى والعلاقات الدولية » .

٥٧ـ (أ) « الاقتصاد العالمى و السياسة الدولية » .

٥٨ـ « شعوب آسيا وأفريقيا » .

٥٩ـ مجلة « العصر الحديث » .

٦٠ـ صحيفة « برافدا » .

٦١ـ « الشرق الثورى » .

٦٢ ـ « الاستشراق السوفيتى ».

63. «Annuaire de la Federation Egyptienne de l'Industrie 1956/1957», Le Caire.

64. «Annuaire Statistique de l'Egypte» Le Caire.

65. «Census of Industrial Production, 1943»

65. a) «National Bank of Egypt. Economic Bulletin,» October, 1948.

66. «Parliamentary Debates» (Harnsard) 5th, ser., vot. 421.

66. a) «Parliamentary Debates» (Hansard) 5th. ser., vol. 421.

67. «Population Census of Egypt», Cairo.

68. «Statistical Pocket Year Book», Cairo, 1955. Cairo.

69. Abd El-Nasser Gamal, The Philosophy of the Revolution,

70. Abou Alam Abdel Raouf, The Labour Movement in Egypt, Wasrington, 1955.

71. Audit G., Egypt and the Labour Government, London, 1047.

72. El-Barawy Rashed. The Military Coup in Egypt, Cairo 1952.

73. Beling W.A., Pan-Arabism and Labor, Cambridge (Mass.) 1961.

74. Berger M., The Middle class in the Arab World, — The Middle East in Transition,» London, 1958.

75. Braddock D.W., The Campaigns in Egypt and Libya, Aldershot, 1964.

76. Brocklmann C., Geschihte der Arabischen Litteratur, Leiden Directter Supplement-band.

76. Cremeans Ch., The Arabs and the World, New York, 1963.

77. a) Eden A., Full Circle, London, 1960, P. 248.

78. «Great Britain and Egypt (1914 – 1951)» London, 1952.

79. Haikal «Abd al-Fatah. Die Auswir kungen der britischen kolonialpolitin auf die Wirtschaft Agyptens.—» kolomialism und Neokolonialismus in Nordafrika und Nahost», Berlin 1964.

80. Handly W.S., The Labour Movement in Egypt,—«Middle East Journal» 1949, N3.

81. Harsis Ch., Ph., Nationalism and Revolution in Egypt. The Hague, 1964.

82. Harris G.H., Egypt, New Haven. 1957.

83. Heyworth-Dunne S., Religious and Political Trends in Modern Egypt, Washington, 1950.

84. Hopurani A., Arabic Thought in the Liberal age 1939-1939, London, 1962.

85. Husaini Ishak Musa, The Moslem Brethren : The Greatest of Modern Islamic Movements, Beirut, 1956.

86. Issawi Ch., Egypt in Revolution. An Economic Analysis, London, 1963.

87. John R. St., The Boss. The Story of Gamal Abdel Nasser, NeW York-Lond, 1960.

88. Kirk G., The Middle East in the War, London, 1954.

89. Laqueur W.Z., Communism and Nationalism in the Middle East, New York, 1956.

90. Lenczokski G., The Middle East in World Affairs New York., 1956.

91. Little T., Egypt, New York, 1958.

91. a) Little T., Modern Egypt, London, 1967.

92. Marlowe S., Arab Nationalism and British Imperialism, London, 1961.

93. Marlowe S., Anglo-Egyptian Relations. 1800-1953, London, 1954.

93. a) Marlowe S., A History of Modern and Anglo-Egyptian Relations 1800-1956, Hamden (Conn.), 1965.

94. Morrison S.M., Middle East Tensions, New York, 1954.

95. Neguib M., Egypt Destiny, London, 1955.

96. Russel Pasha T., Egyptian Service, 1902-1964, London, 1949.

97. El Sadat Anwar, Revolt on the Nile, London, 1957.

98. Setton Williams M.V., Britain and the Arab States, London, 1948.

99. Stewart D., Young Egypt, London, 1985.

100. (Musa Salama). The Education of Salama Musa, Leiden, 1961.

101. Vatikiotis P.G., The Egyptian Army in Politics, Bloomington, 1961.

102. Vaucher G., Gamal Abdel Nasser et son equipe, Paris, 1960. vol. 1.

102. a) «Daily Telegraph.»

103. «Daily Worker», London.

103. a) «Daily Star», London.

103. b) «The Department of State Bulletin».

104. «The Economist», London.

104. a) «L'Humanite».

105. «The Middle Eastern Affairs» New York.

106. «The Middle East Journal», Washington.

107. «Moyen-Orient», Paris.

108. «National Bank of Egypt», Economic Bulletin.

109. «The New York Times».

110. «Oriente Moderno», Roma, 1940, May.

111. «The Times».

112. «The World News and Views», London.

١١٣ — « كتاب احصاء الجيب » ، سنة ١٩٥٠ .

١١٤ — محاضر المحادثات السياسية والمذكرات المتبادلة بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة مارس ١٩٥٠ — نوفمبر ١٩٥١ ، القاهرة ١٩٥١ .

١١٥ — أحمد محمد حسن ، الاخوان المسلمون فى الميزان ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

١١٦ — محمد فهيم أمين ، تاريخ الحركة النقابية وتشريعات العمل « بالاقليم المصرى » القاهرة ١٩٦١ .

١١٧ — راشد البراوى ، حقيقة الانقلاب الاخير ، القاهرة ١٩٥٢ .

١١٨ — حسن البنا ، نحو النور ، القاهرة ١٩٥٠ .

١١٩— زكريا الحجاوى وعبد العزيز جبر ، ملك ضد شعب ، القاهرة .

١٢٠— طه حسين ، مستقبل الثقافة فى مصر ، ج أ ، القاهرة ، سنة ١٩٣٨ .

١٢١— موسى الحسينى اسحق ، الاخوان المسلمون ، كبرى الحركات الاسلامية الحديثة ، بيروت ، ١٩٥٥ .

١٢٢— عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، الجزء الثالث .

١٢٢— عبد الرحمن الرافعى ، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

١٢٣— (أ) عبد الرحمن الرافعى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩ .

١٢٤— محمد شوقى زكى ، الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

١٢٥— أنور السادات ، أسرار الثورة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٧ .

١٢٦ — أمين سعيد ، تاريخ مصر السياسى ، القاهرة ١٩٥٩ .

١٢٧ — امين سعيد ، الثورة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

١٢٨— شهدى عطية الشافعى ، تطور الحركة الوطنية المصرية ، ١٨٨٢ — ١٩٥٦ ، القاهرة ١٩٧٢ .

١٢٩ــ كامل الشريف ، المقاومة السرية ، بيروت ، ١٩٥٧ .
١٣٠ــ ابراهيم عامر ، ثورة مصر القومية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
١٣١ــ ابراهيم عامر ، الارض والفلاح ،القاهرة ، ١٩٥٨ .
١٣٢ــ أحمد عطية الله ، قاموس الثورة المصرية ، ١٩٥٤ ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ .
١٣٣ــ عبد المنعم الغزالى ، ٢١ فبراير ــ يوم نضال الاستعمار ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
١٣٤ــ جاد لبيب ، بناء الاقتصاد المصرى ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
١٣٥ــ سلامة موسى ، تربية سلامة موسى ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
١٣٥ (أ) أنور الجندى ، هذا هو جمال من بنى مر الى ج . ع . م ، بيروت ، ١٩٦٠ .
١٣٥ــ (ب) توم ليتل ، جمال عبد الناصر رائد القومية العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
١٣٦ــ « الاهرام » .
١٣٧ــ « البلاغ » .
١٣٨ــ « الثقافة الوطنية » .
١٣٩ــ « روز اليوسف » .
١٤٠ــ « صوت الشعب » .
١٤٠ــ (أ) « صوت الامة » .
١٤١ــ « الطريق » .
١٤٢ ــ « الطليعة » ــ
١٤٣ــ « الوفد المصرى » .

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

رقم الايداع
١٨٢٢/٨٥

الرقم الدولى ٣ ـ ٠٣٤ ـ ٢٣٥ ـ ٩٧٧

مطبعـــة الفجـــر الجديد
٣٨ ش الكبارى ـ منشية ناصر
القـــاهرة

هذا الكتاب

يتحدث هذا الكتاب عن فترة من أخصب فترات التاريخ المصري الحديث (١٩٤٥-١٩٥٢). فترة أثرت تأثيراً عميقاً في تاريخ مصر اللاحق لثورة يوليو ١٩٥٢ سواء من حيث التمهيد للثورة أو تحديد أهدافها أو مسارها بعد ذلك. مما يكسب الكتاب أهمية خاصة للقراء والباحثين. كما يكتسب الكتاب أهمية خاصة مستمدة من القيمة العلمية والرؤية العلمية لمؤلفه الكاتب السوفييتي سيرانيان أحد خبراء معهد الاستشراق بموسكو المهتمين بمنطقتنا والمتابعين الجادين لأحداثها ودراستها دراسة علمية أمينة..

دار الثقافة الجديدة


Bibliotheca Alexandrina
0615936

السعر محلي ٢٥٠
تصدير